خزعل الماجدي

إنجيل بابل

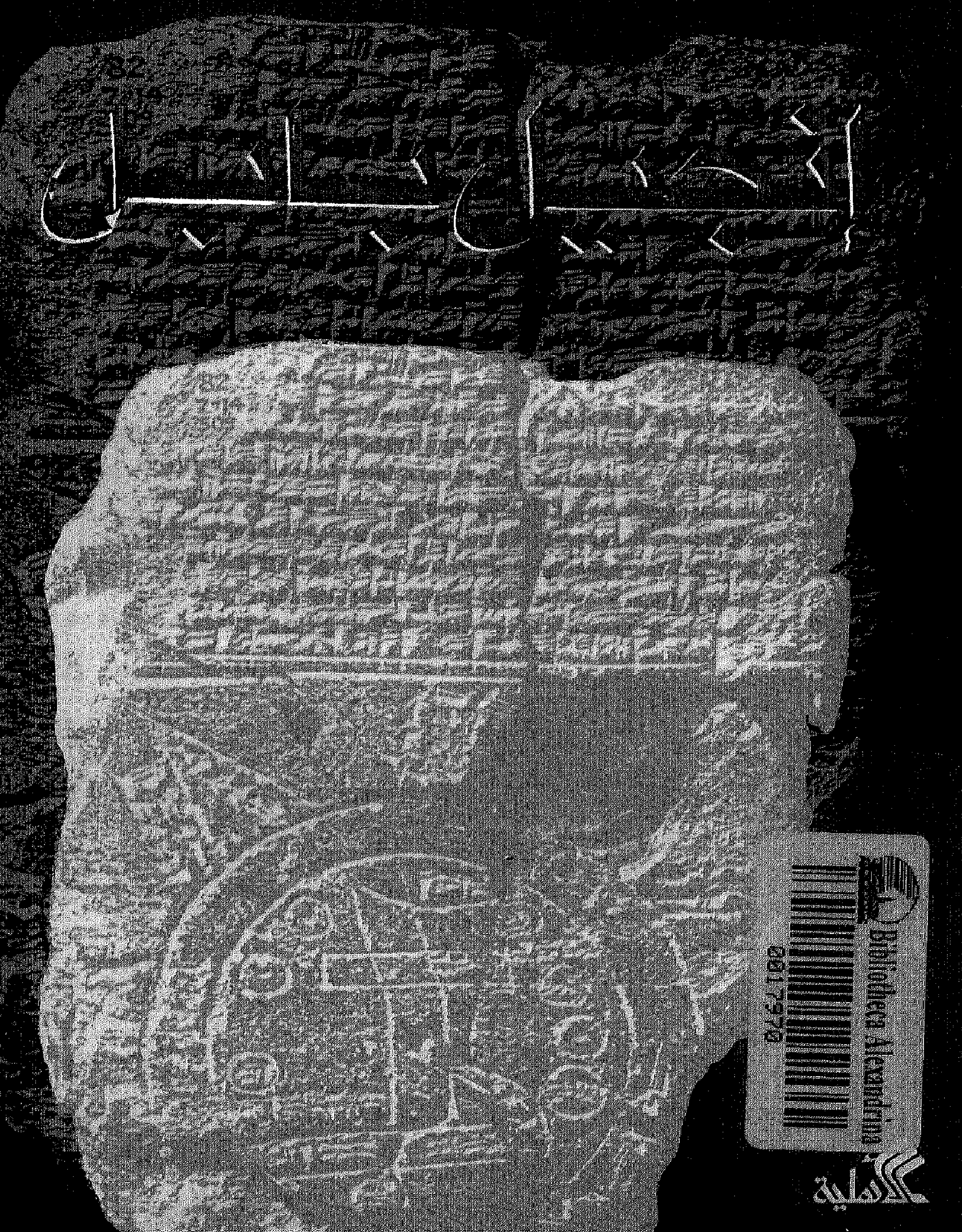

Bibliotheca Alexandrina
0017970

الأهلية

إنجيل بابل

خزعل الماجدي

إنجيل بابل

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف 935.02 ١، ١
رقم التسجيل ٣٢٠٨٤

الأهلية

General Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina

الأهليـــة للنشـــر والتـــوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمـان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ؛ ص . ب ٧٧٧٢
هـاتف ٤٦٣٨٦٨٨ - فاكـس ٤٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعـام ١٩٩٨
خزعـل المـاجدي / المجيـل بابـل
الطبعة العربية الأولى
حقوق النشر محفوظة للناشر ©

تصميم الغـلاف محمد حسيب ®
التنضيـد : مؤسسة ياقوت للخدمات المطبعية

طبـــع في لبنـــان
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه أو نقله بأي شكل من الأشكال ، أو تصويره ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without the prior permission of the publisher.

إلى

مروة

ابنتي

النَفَس الصاعد والنازل في كياني

مقدّمة

كان ظهور كتابي (سفر سومر ١٩٩٠) و (إنجيل سومر١٩٩٧)، الذي جمعتُ واعدتُ فيهِ كتابة الأساطير والأشعار والقصص السومرية ووضعتها في ملحمة واحدة، نقطة الانطلاق الاولى في مشروع طموح يسعى الى جمع التراث الاسطوري والشعري والادبي للأقوام التي ظهرت في الوطن العربي قبل مجيء الاسلام، وكان من طموحات هذا المشروع القيام بسرد ضمني تاريخي عام لأعرق وأقدم حضارات البشرية، تلك التي ظهرت في وادي الرافدين والنيل وأرض الشام والجزيرة واليمن والمغرب العربي كله ، لقد كنت أنظر الى هذا التراث الذي ظهر في هذه المناطق على أنه أشد عراقةً واكثرُ حيويةً من التراث اليوناني لأن هذا التراث السامي في اغلبه (هي تسمية خاطئة درجنا على استعمالها) كان بمثابة بحر من الماء سبحت فيه مجموعة من الشجرات اليونانية، ولعلي لا أُبالغ إذا قلتُ بان هذا التراث ما زال بعيداً عن الجمع المُنَظّم، بل وعن النور، لكي نرى حجمه أو نوعه قياساً لما لحقه من إنجازات. لقد اعددت لهذا المشروع سياحات واسعة في المراجع والكتب والدوريات التي تعينني على تلمس مادته وكان أهم ما في هذا المشروع هو تقديم نسق واحد متصل لكل الاساطير والاشعار حتى ليبدو للقارئ انه يقرأ ملحمة واحدة متصلة.

في (إنجيل بابل) جمع وإعادة كتابة لكل الاساطير والملاحم البابلية ولكل ما عثرت عليه من الادب البابلي المترجم من اللغة الأكدية، ويشمل هذا التراث في طلائعه التراث الأكدي، وفي خاتمته التراث الآشوري لأن اللغة الأكدية انقسمت الى لهجتين بابلية وآشورية وهكذا وضعت مع الاساطير والتاريخ البابلي أساطير وتاريخ اكد وآشور لامتزاجهما وتشبعهما بالتراث البابلي. و (إنجيل بابل) يتّبع نفس طريقة ومنهج (إنجيل سومر) في النمو والتكوين، فالفصل الاول يبدأ باستثمار مرحلة الخليقة البابلية (إينوما إيليش) ويحاول إعادة صياغتها بما يتناسب مع خطة الكتاب ثم يبدأ الصراع بين آلهة العالم الأسفل، الذي يرث الآلهة القديمة، مع آلهة العالم الأعلى حتى ينتهي الفصل بغياب الإله

تموز نصف كل عام في العالم الاسفل أي تحقيق حالة من التوازن بين الآلهة العليا والسفلى رغم الهزائم المتلاحقة للاخيرة، والفصل الثاني يبدأ من التفكير في خلق الانسان، لكسر هذا التوازن، وجعله يقوم بخدمة الالهة العليا حيث يبدأ دور الآلهة بالانحسار ليترك للانسان ساحة الصراع مع الطبيعة بمساعدة الالهة وحدوث الطوفان وإبادة الانسان من على وجه الارض. أما الفصل الثالث فيبدأ من نجاة بعض البشر بقيادة نوح البابلي (أوتونابشتم) من الطوفان ونزول الملوكية من السماء الى الارض وبدء تكوّن الدول والملوك والنزاعات السياسية وظهور أبطال سومر وبابل، ثم يبدأ النشيد بالاتجاه نحو نزعة تاريخية يسرد فيها تاريخ بابل الآمورية ثم تاريخ آشور كله، ثم تاريخ بابل الكلدانية موشحا بالاساطير والقصص والشعر والادب بعامة حتى تتكسر روح السرد التاريخي وينتعش النص.

وهكذا باكتمال إنجيلي سومر وبابل نكون قد أتينا على كل الاساطير والآداب العراقية القديمة يدفعنا طموح كبير لتناول اساطير المنطقة العربية بأكملها من خلال اسفار قادمة هي (إنجيل كنعان، إنجيل مصر، إنجيل الصحراء) لنكون بذلك قد قدمنا موسوعة شاملة لأساطير وآداب الوطن العربي قبل الاسلام وهو طموح كبير نتمنى ان نكون جديرين بحمله.

لقد تضمنت إعادة كتابة الاساطير البابلية جمع هذه الأساطير ووصلها ببعضها وخياطتها وإعادة كتابة ما يستوجب إعادة الكتابة وإدخال ما يستوجب ذلك، ولقد توقفنا طويلاً عندما وصلنا إلى جلجامش ذلك البطل السومري الذي أعطينا صورته السومرية في (إنجيل سومر) المختلفة عن الرواية البابلية التي ترجمت الى العربية عدة تراجم أهمها ترجمة العالم العراقي الكبير طه باقر الذي قدمها بروح عربية مبينة وترجمة العالم العراقي الكبير سامي سعيد الاحمد الذي كان أمينا في نقل صياغتها البابلية، حيث كان لهما فضل عظيم في تناول الملحمة وإعادة كتابتها... وهذا يحصل مع علماء آخرين في الاساطير والملاحم الأخرى.

ونشير ثانيةً الى أننا استخدمنا كلمة (إنجيل) في عنوان هذا الكتاب استخداماً أدبياً نعني به (بشارة بابل)، حيث كلمة إنجيل تعني بشارة.

الشكر والعرفان لكل الذين ترجموا النصوص عن الاكدية أو عن اللغات الأجنبية وقدموا لي العون في معرفة هذا الارث، ولقد حاولت جهد الامكان أن لا اترك أية اسطورة أو قصيدة بابلية الاّ ووجدت مكانا مناسبا لها بين ما يسبقها وما يليها لكي تتكامل الملحمة البابلية في هذا الكتاب الذي يبدأ بخلق الكون وينتهي بنهاية بابل على أمل أن أستدرك ما فاتني في طبعات قادمة. وإذا كان لابد من شكر أقدمه هنا فسأقدمه الى العاملين في دار أزمنة حيث تمّ الصف والتنضيد الضوئي الذي ساهمت فيه كل من السيده إحسان الناطور، والآنسة نسرين العجو، والسيدة عبير الخزاعلة، فلهم مني كل الشكر والعرفان لما بذلوه من جهود في هذا المجال.

خزعل الماجدي

(دكتوراه تاريخ قديم

التراث الفكري والعلمي)

١٩٩٧/٣/١٢

نصوص الآلهة

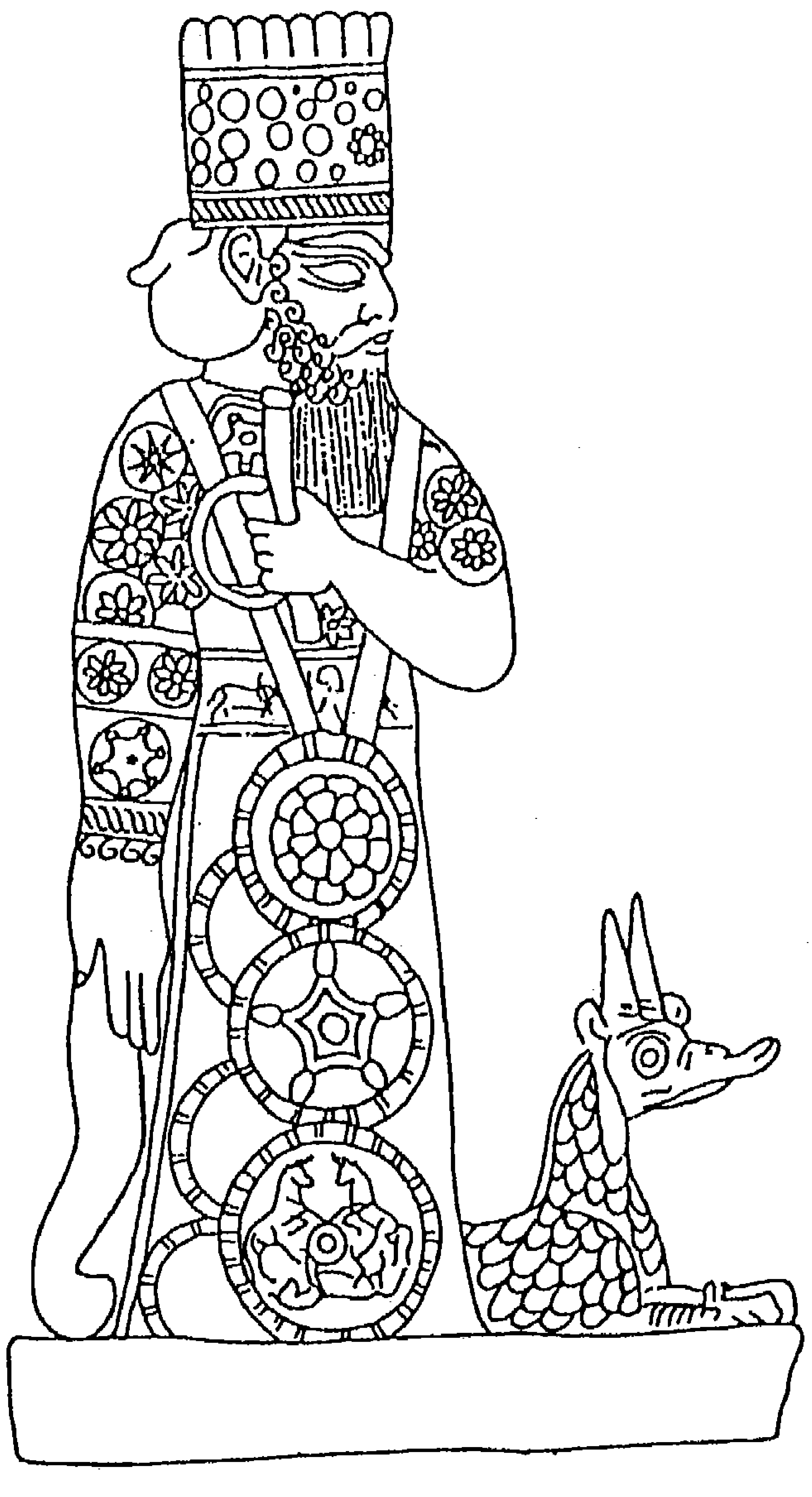

حينما في العُلى

تعتبر أسطورة الخليقة البابلية أندر وأعرق وأوسع أسطورة خليقة أو تكوين (Gensis) في العالم القديم ، وهي بسبب عراقتها هذه كانت مصدراً أساسياً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت .

وقد اعتمدنا في سرد أحداثها على مجموعة من النصوص المترجمة من الأكدية إلى الإنجليزية والعربية وهي مؤشرة في أسفل هذا الشرح . وستتكرر الإشارة الى هذه المراجع في جميع الشروح الخاصة بها بعبارة (انظر المراجع السابقة) وقد تضاف مراجع أخرى تساهم في شرح الأسطورة وتحليلها .

وتبدأ الاسطورة بذكر (الاسم) باعتبار ان إطلاق الكلمة هو فعل الخلق الأساسي في العقيدة الدينية البابلية .

ويبدو ان العماء الكوني الأول كان مكوناً من ثالوث إلهي هو (تيامت ، أبسو ، مُمُّو) .

وبدأ فعل الخلق عندما تحركت هذه الآلهة وظهر من حركتها آلهة جدد هم آلهة (الطمي ، الافق ، السماء) ثم انجبت السماء الماء الذي هو (إيا) ويلاحظ إختفاء الإله إنليل من هذه المنظومة الكونية البابلية ، لانه الإله القومي لسومر ، ولذلك عبر عليه الكهنة البابليون عندما دوّنوا هذه الأسطورة وأصبحت قدراته كلها في الإله مردوخ الذي سيتحول إلى الإله القومي لبابل .

المراجع :

1. Heidel, A : **The Babylonian Gensis**, 1963 .
2. Dally : **Myths from Mesopotamia** . 1989

حينما في العُلى لم تسمَّ السماء ، السماء .

حينما في الدنى لم تسمَّ الارض ، الارض .

كان (أبسو) الأب وكانت (تيامت) الأم وكان (مُمُّو) .

كان الآلهة الثلاثة يتحدون في رخاء ابدي حيث لا مراعي خُضر ولا حقولُ قصبٍ ولا ألواح قدر ولا آلهة ولا سماء .

من وسط خليط المياه ظهر (لخمو) إله الطمي الأول و (لخامو) إلهة الطمي .

كبر (لخمو) و (لخامو) وظهر من اختلاطهما الطويل آلهة الافق ، (انشار) و (كيشار) .

ولدت (كيشار) (آنو) على هيئة أبيه (إنشار) .

٣ . لابات ، رينيه : **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين** ١٩٨٨ ، ص (٧٤-٣٢) . ترجمة ألبير أبونا ، د . وليد الجادر .

٤ . السواح ، فراس : **مغامرة العقل الأولى** ١٩٨١ : ٥١-٩٧ .

إيا على هيئة آنو مفتوح الأذنين

أنجب (آنو) ولده (نوديمود) الذي هو (إيا) سيد الارض والحكمة وكان على هيئة (آنو) مفتوح الأذنين قوي البطش ، حينما في العلى كانت الارض حين أنحسر العماء والظلام عن العالم وتحركت الآلهة الجديدة في السبات الازلي الاول ، اجتمع الآلهة الفرحون . أزعجوا (تيامت) وآلموا بطنها وهم يرقصون في أعماقها حيث استقرت أسس السماء وأخفق (أبسو) في إسكات ضجيجهم وتحيرت (تيامت) ولكنها ظلت صامتة وحزينة وكرهت أعمالهم وغضبت لسلوكهم المضجر هذا ورأى (آبسو) و(ممو) ضجرها فحزنوا معها فقال (آبسو) لـ (ممو) :

- يا خادمي وأميني الذي يفرح به قلبي تعال نذهب إلى (تيامت) فنبحث معها فيما يفعله ابناؤنا الآلهة الصغار .

فذهبا وجلسا بين يدي (تيامت) وجعلوا

يتشاورون في أمر أولادهم اللاهين فقال (آبسو) :

ـ أكره سلوكهم ، لقد حرموني الراحة في النهـــــار والنوم في الليل ولذلك سأنهيهم . . أجل وأدمرهم جميعاً لتعمَّ الطمأنينة مرة أُخرى فنستطيع النوم .

غضبت تيامت لما قاله أبسو لأنه ضمر الشرَّ للآلهة وقالت له :

– لماذا تريد هدم ما صنعناه بأنفسنا ، تصرفاتهم كريهة ولكن لابد من التريث .

نطق مُمُّو ناصحاً في غير صالح الآلهة :

– إمحق يا أبي هذه الفوضى . . دمرهم ، كي ترتاح في النهار ، وتنام في الليل .

فرح أبسو وعانق مُمُّو وأجلسه في حضنه وقبله .

وكان الآلهة يتنصتون لهذا الكلام وجلسوا صامتين يائسين وبدأوا يفكرون في ما ينتظرهم من عقاب (تيامت) و (آبسو) ولكنهم تذكروا (إيا) الحكيم . . الخارق الذكاء والمهارة ، (إيا) العليم بكل شيء واستنجدوا به .

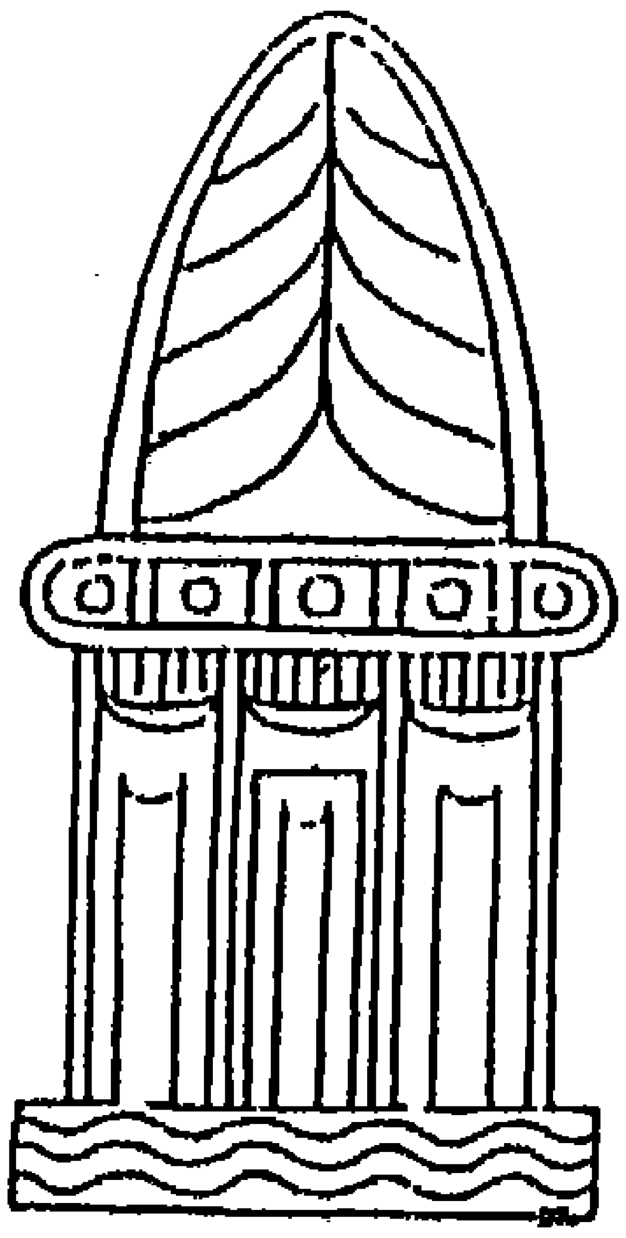

رمز الإله (آنو) (نهاية الألف الثاني ق .م)

رسم : علي محمد آل تاجر

الضباب يربط من أنفه

إذا كانت تيامت تمثل مياه البحار المالحة ، وأبسو يمثل ماء الأنهار العذب ، فإن مُمُّو الذي يوصف بأنه حاجب أو وزير أو إبن أبسو يمثل الضباب الذي يخيّم على اختلاطهما .

وواضح أن هذه الصورة مأخوذة من مصبي دجلة والفرات (آنذاك) في الخليج العربي وربما في الأهوار كما يُلّمح النص لذلك .

إن قتل (إيا) لأبيه (أبسو) هي أول إشارة لفكرة قتل الأب التي ستكرر صداها في أساطير الخليقة ونشوء الآلهة .

رمز الإله إيا (حوالي ١٨٠٠ ق .م)

رسم : علي محمد آل تاجر

بحكمة العليّ (إيا) وبنفحة من نفسه المدبرة أدرك خططهم فكّون مقابلها النظام المقدس ، ووضع (إيا) بفائق مهارته رقيته المقدسة الغالبة وتلاها ثم القى بها في الماء ، فأخذت (آبسو) سِنَةٌ من النوم وشلّت حركته في تلافيف الارض فانهزم في الينابيع فلاحقه (إيا) فنام ، فسلبه تاجه وضربهُ بطعنة قوية وترك جثته تهوي في جوف الارضِ وتختفي ، وأهال عليها التراب واقّام من التراب مسكنهُ .

ورأى (إيا) أن يأسر (ممّو) حاجب (آبسو) وظله فأسره وربط أنفه بسلسلةٍ طويلةٍ قويةٍ .

إيا ينجب مردوخ

اختار (إيا) هيكل المصائر لسكناه .اختار (إيا) (دام ـ كينا) الآلهة زوجة له وأنجب منها ولده العظيم مردوخ ، شمخ كالطود كان مديد القامة ، نظراته كالبرق ومشيته كالفحل ، عندما رآه (أنو) فرح وامتلأ قلبه بهجة وحبوراً ، رفع شأنه بين الآلهة وزادَ قدره عليهم فكان أرفعهم مقاماً واسبقهم في كل شئ ، بفن بديع تشكلت أعضاؤه لا تدركه العقولُ ولاً يحيط به خيال ، أربعةٌ كأنت آذانه واربعة عيونه وتتوهج النيران كلما تحركت شفتاه اتسعت آذانه الأربعة كلما اتسعت عيونه فأحاط بكل شئ . . كان الاعلى بين الآلهة ، ما لهيئته نظير ، هائلة اعضاؤه سامقةٌ قامتهُ ، عظّموه ، بجلّوه الإبن الشمس ، شمس السماوات ، مَثَلُ نوره كنور عشرة آلهة معه ، الجبار العتيّ ، أُسبغت عليه الجلالة النورانية المهيبة ، خلق (أنو) الرياح الأربعة وأنشأها وأسلم أمرها لسيد الرهط ، (مردوخ) الذي أحدث الأمواج فأضطربت لها (تيامت) قلقة . صارت ، تحوم على غير هدى ونسيت الآلهة القديمة الراحة ، وفي خضّم العواصف أضمروا الشر في سرائرهم وجاءوا إلى امهم (تيامت)

قائلين :
ـ عندما قتلوا زوجكِ (آبسو) لبثت هادئة دون أن تمدي له يداً ، وعندما خلق (آنو) الرياح الاربعة اضطربت أعماقكِ وغابت عنا الـراحـة ، تذكـري (آبسـو) زوجكِ ، تذكـري (ممّو) المتهـور واندبي وحـدتكِ ، لم تعـودي أمّـاً لنا ، تهـيـمين على غـيـر هدى ، حـرمـتنا عطفكِ وحنانكِ ، أنظري عيوننا أثقلها السهد نحن لا ننام يا أمنا ، الراحة هربت منّا فافعلي شيئاً أمام الآلهة الصغار هؤلاء واجعليهم نهباً للرياح .
أصغت (تيامت) إلى قول الآلهة وأبهجها كلامهم وسرّها منظرهم محتشدين حولها فقالت لهم :
ـ دعونا نعلن الحرب على الآلهة الفتية ، دعونا نثأر منها .

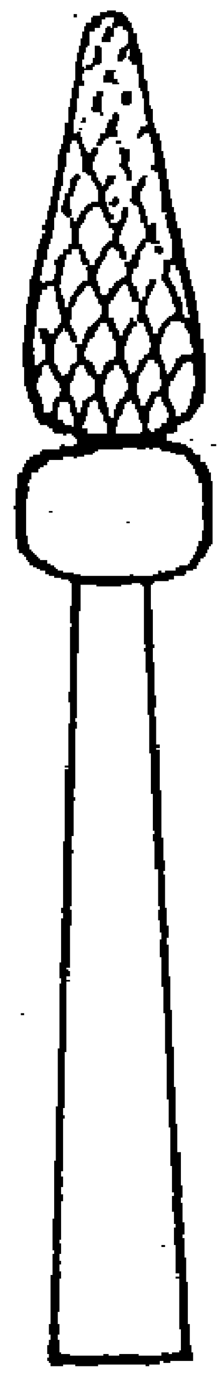

رمز الإله مردوخ (العصر الأكدي)
رسم : علي محمد آل تاجر

أحد عشر سلاحاً

فـالتـفّـوا حـولهـا وبـدأوا يضـعـون الخطط بدأب ليل نهار يتهيأون للحرب في هياج وثوران ، عقدوا مجلساً وخططوا للصراع ، الأم الهـور خـالقـة الاشـيـاء جـمـيـعـاً أتت بأسلحـة لا تقـاوم ، أفـاع هائلة حـادة اسنانها ، مريعة أنيابها فملأت اجسادها سُمـاً بدل الدم ، وأتت بحـيّـات ضـارية

تشير الأسطورة إلى أن تيامت تنجب هذه الأسلحة أو الكائنات المسخ الرهيبة دون حاجة إلى ذكر وقد يوحي هذا بأن هذه الكائنات هي باطن تيامت المليء بالشرور والمسوخ .
ومعروف أن الأسطورة عندما تصم الإلهة الام البابلية الأولى بالشرور هكذا فإنها تشير إلى ماض أمومي مقيت بالنسبة لمؤلفيها ويكتمل هذا الأنقلاب

الذكوري تماماً عندما سيقوم مردوخ بقتل تيامت وتفسيخ جسدها .
هذه النظرة للأم والماضي الأُمومي غير موجودة عند السومريين ، ولذلك فهي صنع كهنة يعكسون طبيعة العقل السامي المتميز بالذكورية والمركزية وحبّ السلطة .

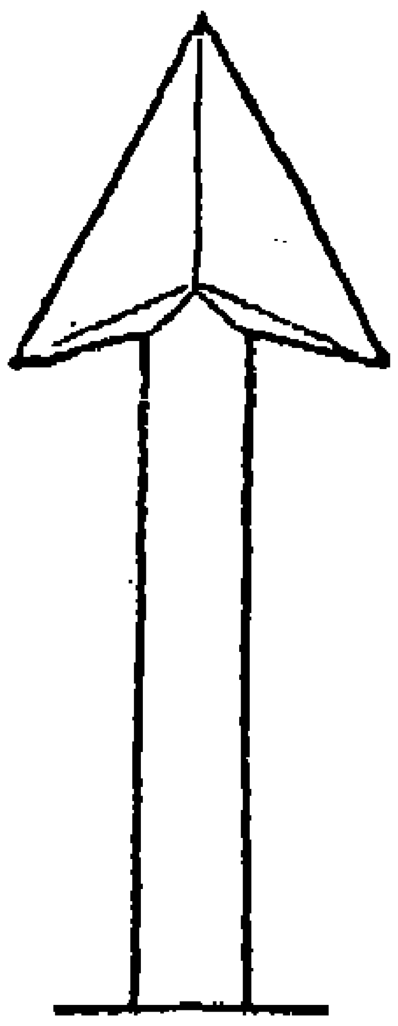

رمز الإله مردوخ (العهد البابلي القديم)
رسم : علي محمد آل تاجر

تبعث الهلع توجتها بهالة من الرعب وألبستها جلالة الآلهة يموت الناظر اليها رعباً حتى اذا انتصب لم تخنع ولم تدبر وخلقت الثعابين والتنانين وأبا الهول والأسود والجبابرة والكلاب المسعورة والعقارب وعفاريت العاصفة والذباب العملاق والجواميس الشرسة خلقت أحد عشر نوعاً من هذه الحيوانات مسلحة باسلحة لا تُرد ولا تَهابُ احداً ، ومن الآلهة الاولى ، الآلهة الغاضبة ، في مجلسها إختارت (كنجو) وجعلته علياً ومعظّماً ووضعته أمام جيشها قائداً فهو الذي يشهر السلاح للمعركة ويبدأ الصراع ، إنه الآمر الأعلى للمعركة ، سلّمته الامانة وأجلسته في الجمع قائلة :
ـ لقد قرأت عليك تعويذتي وجعلتك عظيماً في مجلس الآلهة وأسلمت إلى يدك قيادة الآلهة جميعاً فلتكن عظيماً يا زوجي الفذ وليعلُ اسمك فوق جميع آلهة الأنانوكي .
أسلمت إليه ألواح القدر وزينت بها صدره قائلة (سيكون أمرك نافذا وكلمتك ماضية) ، وبعد أن أجرىَ تنصيب (كنجو) وتسليمه السلطة العليا قام بتقرير مصائر الآلهة من حوله :

- سيكون لكلماتكم قوة الموت وستذل الأسلحة القاهرة ، فليطفئ لهاثكم نار مردوخ وليمت سُمَكُم كل عدو لكم . .

الآلهة يتراجعون

يبدو أن خوف وتراجع الآلهة الجدد كان مقدمةً لجعل مردوخ بطلاً ويّوضح هذا أيضاً جعله إله بابل القومي حيث تصبح الآلهة في المحيط ، بينما يصبح مردوخ في المركز وهذا هو ما يسميه علم الأديان بالتفريد Henotheism وهو مرحلة دون التوحيد وفوق التعدد . ويمثلها هنا مردوخ خير تمثيل .

إن ألواح القدر الذي يذكرها النص هي حسب التصور الأكدي ألواح مكتوب عليها مصير وحياة البشر والعالم ، ومن يستطيع امتلاكها فإنه يستطيع حكم العالم والكون .

وعند السومريين كان الإله إنليل هو الذي يملكها . أما عند البابليين فقد كانت أولاً ملكاً للإلهة تيامت ثم تسلمها وزيرها كنجو ثم أصبحت ملك مردوخ واستلمها (نبو) إبن مردوخ الذي سيظهر فيما بعد وكأنه هو الذي كتبها . وهناك ألواح قدر خاصة بالعالم السفلي مؤلفتها والمسؤولة عنها الإلهة (بلت صيري) ويمكن أن تكون حاوية على أسماء الموتى ومصائرهم .

المراجع :
١- المراجع السابقة
٢- آذزارد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ٠٤٩

بعد أن أعدت (تيامت) عدتها تهيأت لبدء الصراع مع ذريتها من الإلهة ، أعدت كل شئ أنتقاماً لـ (آبسو) . فسمع (إيا) الخبر وصعق ، تخدرت أعضاء جسمه من الخوف وجلس حزيناً كئيباً وبعد أن قلّبَ الأمر وسكنت ثائرته مضى إلى جده (أنشار) فلما صار في حضرة جده (أنشار) كرر على مسامعه ما تخطط له (تيامت) :

- يا أبي ، إن (تيامت) التي ولدتنا ، تكرهنا ، انها مهتاجة غضبى وقد عقدت اجتماعاً فقصدها الآلهة حتى من خلقتهم أنت أنضموا اليها ، كلهم غضبى وبلا كلل يتآمرون في الليل وفي النهار تحضروا للقتال وكلهم سخط وهياج ، عقدوا اجتماعا ووضعوا خطط المعركة والأم (الهور) خالقة الاشياء جميعاً أتت بأسلحة لا تقاوم ، حيّات هائلة حادة اسنانها لا ترحم ملأت أجسّادها سُمّاً ، أتت بتنانين ضارية وخلقت أحد عشر نوعاً من الوحوش المسلحة وجعلت (كنجو) الآمر الأعلى للمعركة وسلّمته ألواح القدر وجعلت كلمته أعلى من كل كلمة .

فلما سمع (أنشار) ذلك وعرف بثورة (تيامت) ضربَ فخذهُ وعضَ على شفتيه ، كان حزنه عظيماً واضطرابه بالغاً كان داخله يتماوج ، تظاهر بالجلد والتماسك ونادى (إيا) قائلاً :

- قم يا بني وتأهب للقتال ، واحمل الأسلحة التي صنعتها أنت يا من قتل (آبسو) قم واقتل (كنجو) الذي يتقدم جموع الآلهة ، قم يا سيد الحكمة وسنقوم معك . فقام مالك سلطة الخلق والإبادة وتوجه إلى جموع (تيامت) و (كنجو) وعندما رأى الجحافل الشيطانية هذه ذُهل ، عندما رأى أسلحتها واشكالها اصابه الرعب وعاد مسرعاً إلى (أنشار) معتذراً عن القيام بهذه المهمة فصرخ (أنشار) بغيظٍ عظيم وتوجه بالنداء إلى ابنه (آنو) :

- يا أول أبنائي ، أيها البطل الرائع ، يا ذا القدرة الفائقة الضربات الجريئة إمض الأن وقف أمام (تيامت) لعل روحها تنفرج وقلبها علّهُ يسكن فإن لم تصغ لكلماتك سمعاً فُه لها بكلماتي علّ ثورتها تخمد .

فلما سمع (آنو) كلام أبيه ذهب إلى (تيامت) وعندما اقترب منها وعرف ما تدبره أدرك عجزه عن مواجهتها وعاد من حيث اتى ومضى في رعب إلى أبيه (أنشار) ولفظ أمامهُ ما تمتمه في سرهِ لما رأى (تيامت) :

- إن ذراعيَّ لا تكفيان لإخضاعها .

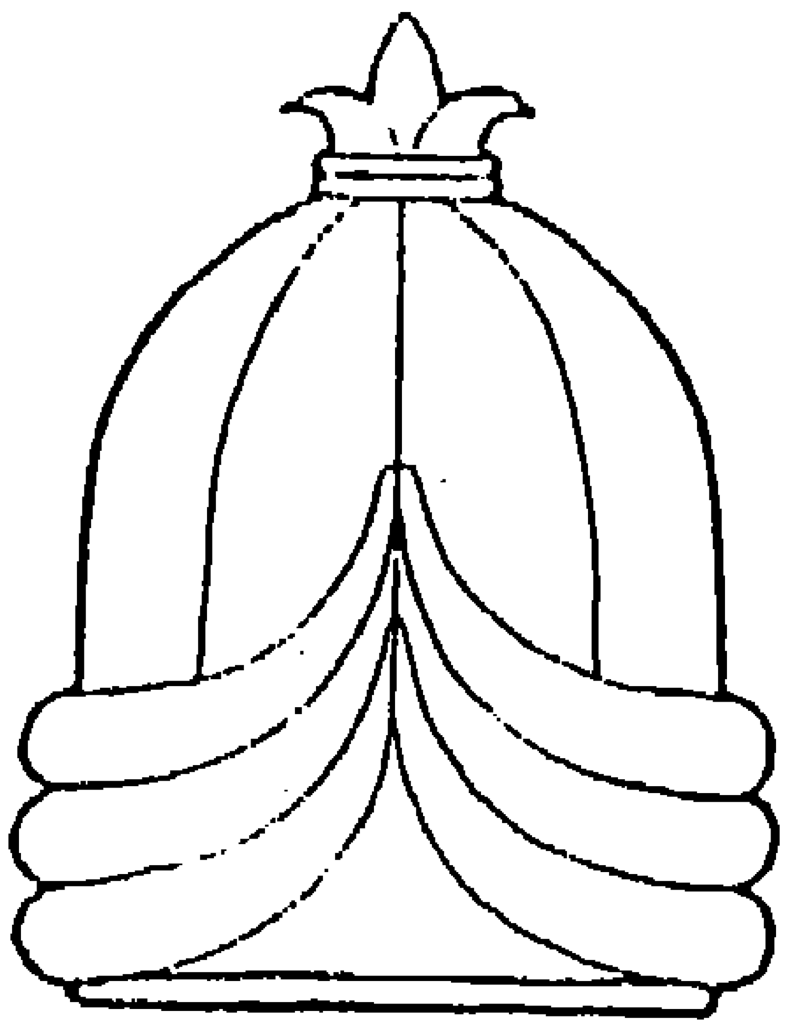

رمز الإله آنو (حوالي ٨٧٩ ق .م)

رسم : علي محمد آل تاجر

مردوخ الذي سيفعلها

كان الأصل السومري للإله مردوخ هو (أمار – أوتوك) ويعني (عجل إله الشمس) أو (ثوير الشمس) . وهناك من يرى أنه (مار – دوكو) أي (إبن الإله دوكو) .

وقد ورد ذكره في نص تدشين وحيد في عصر الملك ميسليم حوالي ٢٦٠٠ ق.م ، وعرف كإله لمدينة بابل في عصر أور الثالث . وقد تمت مساواته مع الإله (أسارلوحي) ابن الإله (إنكي) وهو إله سومري كان مسؤولاً عن التعاويذ . وكان إله الغيوم . ولكن اسم مردوخ يشير إلى قربه من إله الشمس ، أي أنه كان إلهاً شمسياً .

المراجع : المراجع السابقة

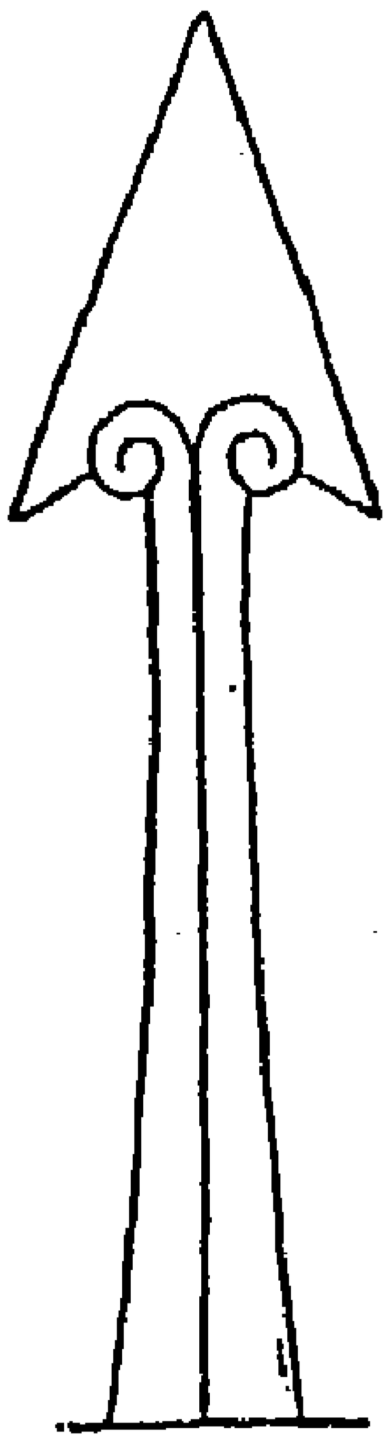

رمز الإله مردوخ (نهاية الألف الثاني ق.م)

رسم علي محمد آل تاجر

سقط على (أنشار) سكون عميق وأطرق إلى الارض ، هزَّ رأسه . اجتمع مجلس الآلهة وأطبق الآلهة أفواههم وظلّوا صامتين ، فما من اله يمضي لقتالها ويأمن العودة سالماً من لقائها . ثم نهض (أنشار) أبو الآلهة بعظمة وجلال ليفضي بما في نفسه وقال :

- إن من سينتقم لنا ، هو صاحب العزم المتين الجريء في ساحة الوغى إنه (مردوخ) الشجاع ، مردوخ الذي سيفعلها .

فقام (إيا) باستدعاء (مردوخ) إلى غرفته الخاصة ونصحه قائلاً :

تهيأ يا مردوخ للقتال

اي مردوخ فكر فيما أقول لك وأنصت لابيك يا ولدي الذي يُفرِح قلبي . إمض إلى حضرة (أنشار) في عدة الحرب الكاملة وقف أمامه منتصباً عندما تكلمه فستهدأ الخواطر .

فرح (مردوخ) بكلام أبيه ومضى إلى (أنشار) وأنتصب امامه بعدة الحرب الكاملة فامتلأ قلب (أنشار) بهجة لرؤيته وقام اليه وقبّلهُ وقد تلاشى منهُ الخوف فبادره (مردوخ) :

- أي (أنشار) لا تصمت ، بل افتح ، فمك

سأمضي قدماً واحقق ما يصبو اليه فؤادك ، نعم (أنشار) لا تصمت افتح فمك ، اي الرجال قد أشهر سلاحه ضدك أم تراها (تيامت) وهي أنثى قد فعلت ذلك؟ أبي ، أيها الإله الخالق ، لتسعد ولتبتهج فقريباً سوف تطأ عنق (تيامت) .

- أي بني ، يا صاحب الحكمة الواسعة إسكت (تيامت) بتعويذتك المقدسة التمس طريقك اليها ، على عربة العاصفة السريعة ردها على أعقابها .

مردوخ ملك الآلهة

تذكر مقدمة حمورابي أن مردوخ هو إبن الإله (إنكي) ، وهي أقدم وثيقة ثقافية معروفة تتحدث عنه ، وتقول أن الإله (آن) والإله (إنليل) حمّلاه الإنليلية ليحكم بواسطتها البشر . ويفهم من هذا الكلام أن مردوخ هو الوريث القومي البابلي في الصفات للإله إنليل الذي كان الإله القومي للسومريين . يعتقد أن هذه (الإنليلة) هي ألواح القدر التي كانت بحوزة إنليل ، رغم أن الإله مردوخ يظهر هنا فائزاً بألواح القدر بقوته من (كنجو) حاجب تيامت الذي كان يحملها .

زوجته هي (صربنيتو) التي تطابق صفاتها الإلهة (نانايا) التي ذكرت وثائق أور الثالثة ، وقد سكنت معه معبد الـ (إيساجيل) في بابل وأنجبت منه اله الحكمة (نبو) .

المرجع : أنظر المرجع السابق .

سُعِد (مردوخ) بكلام أبيه ، طرب فؤاده والتفت اليه قائلاً :

- يا ربَّ الآلهة وسيد مصائرهم اذا كان لي أن أنتقم حقاً فأقهر (تيامت) وأحفظ حياتكم فإنني أطلب اجتماعاً في (أبشؤكنا) يعلن فيه اقتداري ، وعندما تلتقون جذلين في قاعة الاجتماع اجعلوا لكلمتي قوة تقرير المصائر ، بدلاً عنك ، وليبقَ ما أخلق لا يزول وما أنطق به من أوامر ماضياً ، أعلن أني مطلق التصرف بكل شئ .

فتح (أنشار) فمه وقال لوزيره (كاكا) :

- (كاكا) يا وزيري الذي يفرح به قلبي

سأرسلك إلى (لخمو) و (لخامو) فأنت واسع الادراك مجيدُ الحديث ، ادعُ آبائي الآلهة للحضور إليَّ وليأتِ معهم جميع الآلهة فيجلسون إلى مأدبتي ونتحدث ، سنأكل خبزاً نشرب خمراً وإلى (مردوخ) المنتقم فليسلموا مقاديرهم ، أي (كاكا) أنطلق وامثل امامهم ، أنقل لهم ما أنا محدثك به : (أنشار) ابنكم أرسلني اليكم أوكلني أن أنقل اليكم مشيئة قلبه فـ (تيامت) التي ولدتنا تكرهنا إنها مهتاجة غضبى وتريد حربنا وقد أرسلت اليها (أنو) فلم يقدر على مواجهتها وايضاً (نوديمود) خاف ، تراجع ثم تقدم (مردوخ) ، ابنكم (مردوخ) احكمُ الآلهة وأشجعهم الذي حَفَّزَ فؤاده الجريء للقاء (تيامت) وطلب مني أن اجتمع بكم فنسلمه المصائر ونعطي لكلمته السيادة فيذهب للقاء عدوكم العنيد .

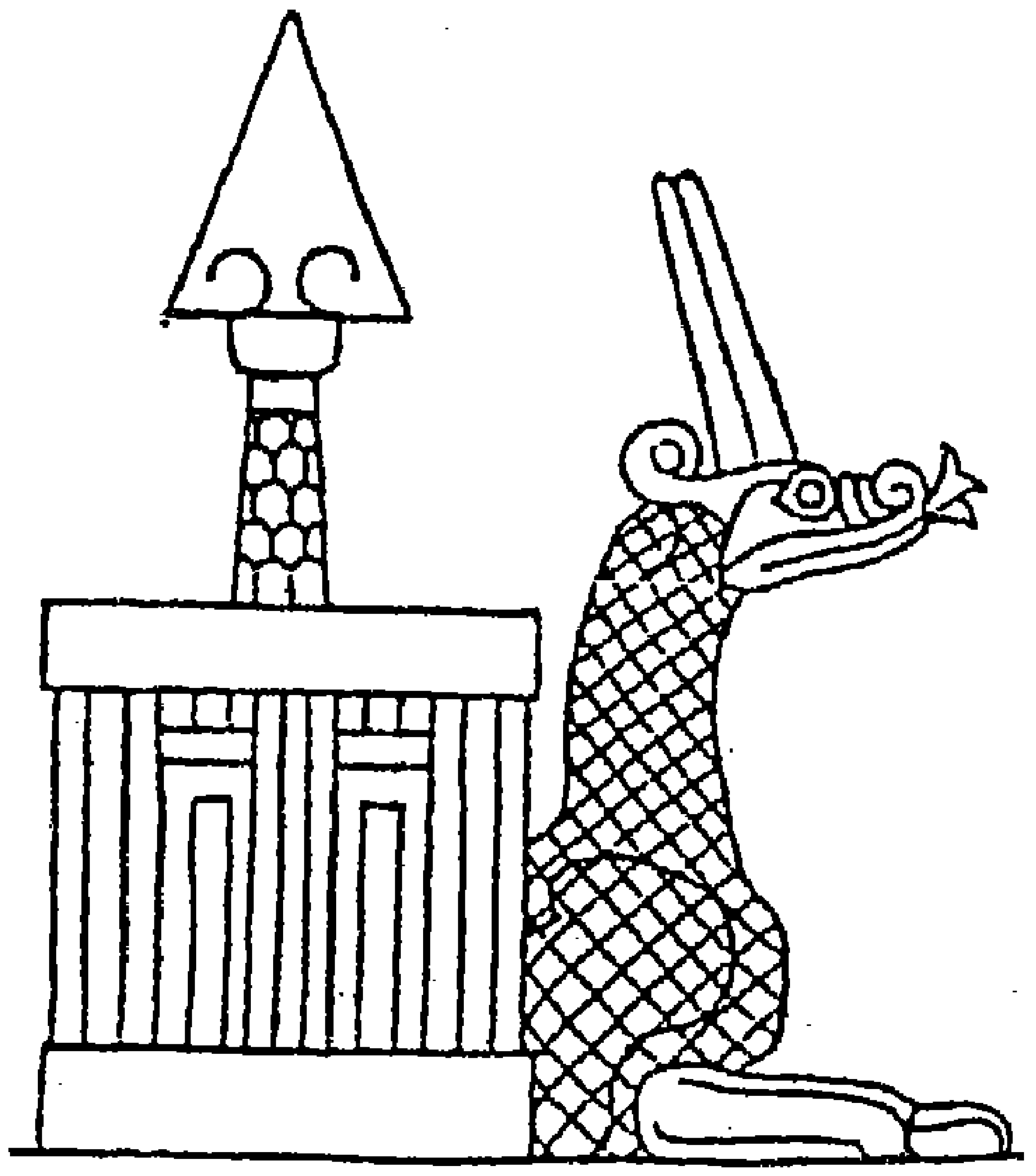

رمز الإله مردوخ (القرن الثامن ق .م)

رسم : علي محمد آل تاجر

كلمته الخالقة تمحق

أنطلق (كاكا) إلى (لخمو) و (لخامو) أجداد الآلهة وأسياد الطمى الأول وقال لهم ما قاله (أنشار) فلما سمعا ذلك صرخا بصوت عال وكان مجلس الآلهة حاضراً معهما فبكوا جميعا بحرقة قالوا (ما الذي الجأها لمثل هذا القرار، إن

سلوكها لا يُفهم) ثم جمعوا بعضهم وانطلقوا ، كل الآلهة التي تقرر المصائر أنطلقت والتأم الشمل في (ابشؤكنا) في حضرة (أنشار) فامتلأت قاعة الاجتماع وقبلّوا بعضهم حين تلاقوا ، وجلسوا للمأدبة يتحاورون ، وأكلوا خبزاً وشربوا خمراً فبدد الفرح مخاوفهم وانتشت اجسامهم بالشراب القوي ، زال الهم عن قلوبهم وسمت أرواحهم ، ولمردوخ المنتصر أسلموا المصير واقاموا منصة عرشٍ ربانية واتخذ مكانه قبالة آبائه لتلقيً السيادة :

- أنت الاعظم شأناً بين الآلهة الكبرى ، لا يدانيك احد وأمرك من أمر (آنو) ، ومن الآن أمرك نافذ ولا يرد أنت العزيز وأنت القهّار حين تشاء ، كلمتك العليا ، وقولك لا يخيّب ، ما من إله يقارب حدودك ، في كل هيكل لك نصب فأنت سيد هياكل الآلهة ، أنت المنتقم . ملّكناك علينا وفي المجلس المقدس لن يفتح إله فمه ، لتكن أسلحتك فتاكة ، إحم من وضع ثقته بك ، اقتل من مشى في رَكاب الشر .

ثم اتوا بثوبٍ فوضعوه في وسطهم وقالوا لبكرهم (مردوخ) :

- سلطانك ايها الرب هو الاقوى بين الآلهة ، لتفنِ النجمة بكلمة من فمك

رمز الإله مردوخ (القرن ٦ -٧) ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر

ولترجع إلى حالها الاول بكلمة أخرى من فمك .
فأمر بفناء النجمة فزالت ثم امر بها فعادت ثانيةً فلما رأى آباؤه الآلهة قوة كلمته الخالقة ابتهجوا وأعطوه ولاءهم (مردوخ الملك . . مردوخ الملك) وعلى رأسه وضعوا التاج وعلى كتفيه وشاح الملك وفي يده سلاحاً فتاكاً وقالوا له (اذهب الآن واصرع تيامت واجعل الرياح تذري دماءها وتنشر بقاياها في زوايا الدنيا الأربع) .

مردوخ يصنع أسلحته

إذا بحثنا في أسلحة مردوخ فسنجد أن الرياح أو العواصف هي التي تسيطر عليها ، وقد تنوعت هذه الأسلحة تنوعاً فاق أسلحة تيامت كمّاً ونوعاً ، فأسلحته من الرياح هي :

الرياح الرباعية ، الرياح السباعية ، الرياح الشريرة ، الرياح العاصفة ، الرياح الإعصار ، الرياح الداهمة ، مركبة العاصفة الرهيبة التي تجرها أربع كائنات .

إذن هناك سبعة أنواع من الرياح أما أسلحته الأخرى فهي :

القوس والنبال ، البرق ، الشبكة ، الطوفان المتجهم ، القاتل ، المقاتل ، الدرع ، الهالة ، الرقية الحمراء في يده ، العشبة السحرية في فمة .

هذه الاسلحة العشرة كانت معه إضافة لأنواع الرياح .

صنع (مردوخ) قوساً وشد الوتر ووضع نبالاً وجعبةً علّقها على كتفه وأرسل البرق أمامه وجعل اللهب ينبعث من جسده ، صنع شبكة يصطاد بها (تيامت) وصرف الرياح الأربع لتمسك بها من جميع أطرافها ، ريح الجنوب وريح الشمال وريح الشرق وريح الغرب ، خلق الرياح الشريرة رياح (امخلو) والريح العاصفة ، الريح الاعصار ، الريح التي لا شبيه لها ، الريح الرباعية والريح السباعية والزوابع والريح الداهمة ثم أفلت الرياح السبع التي خلق ليعصف بها اعماق (تيامت) فهبت من خلفه ومشت اثره ،

ويتضح لنا أن مردوخ سيستعمل السحر ضد تيامت بالإضافة إلى الأسلحة ، سيتقي سحرها الأسود بالرقى والأعشاب .

المراجع : أنظر المراجع السابقة .

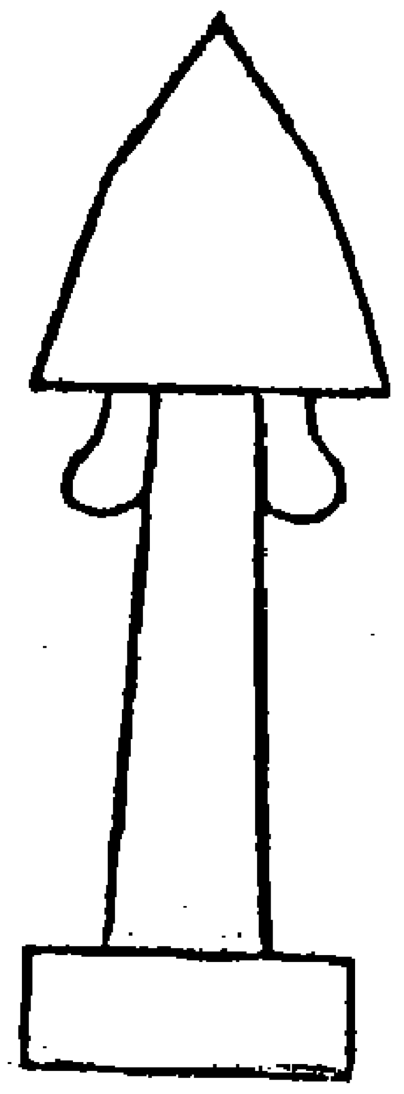

رمز الإله مردوخ (ما بين ٨١٠ -٨٧٢) ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر

اطلق الطوفان سلاحه الهائل ثم اعتلى سفينة لا تقهر ، سفينة العاصفة الرهيبة وشدّ لجرها مخلوقات أربعة مجنحة هم : المدمر لكي يخرب ويهدم والقاهر لكي يظلم ويقسو والساحق لكي يدوس ويسحق والقاصف لكي لا يُلحق به ، اسنانها حادة وفيها سم ، وقد تمرست بالدمار سريعة لا تجارى ووضع عن يمينه (المتجهم في الاشتباك والقاتل الجلى في النزال) وعن يساره (المقابل الذي يُسقط الطوابير) الذي يؤجج الحماس ، وبدرع وقى صدره واعتمر بهالة تشيعُ الرعب والذعر وحمل بين شفتيه رقية حمراء وبيده عشبة تحفظه من السموم ، وقد حفت به الآلهة ، حفّت الآلهة به وقد تدافعت حوله الآلهة ، تدافعت آباؤه الآلهة .

عراك الكون بين تيامت ومردوخ

الصراع بين البطل والتنين موضوع أثير في عموم أساطير العالم وملامحه .

ومن أجل تمجيد مردوخ كانت الآلهة الأولى (عصر البدء) ، وعلى رأسهم تيامت ، مثقلين بالقيم الشيطانية . إن تيامت ليست فقط المجموعة العمائية البدائية التي تسبق كل نشكونية Cosmogony, بل ظهر أيضاً أنها صانعة الغيلان التي لا حصر لها .

اقترب من (تيامت) ، دنا ليسبر غورها ويكشف خطط زوجها (كنجو) واذ رآه (كنجو) واللهب ينبعث من جسده فزع ، صعق ، فارقته شجاعته زايلته الفطنة أما (تيامت) فقد زأرت غضباً ولم تُحرك رأسها فقالت له (لمصلحتك أم لمصلحتهم هبط جميع الآلهة إلى منزلتك

إن ابداعيتها سلبية تماماً . ذلك هو ما تثيره الأينوما أيلش ، فالتقدم الخلاق تعرض في وقت مبكر جداً للخطر برغبة أبسو إعدام الآلهة الشباب ، أي باختصار لوقف الكون في بذرته engerme .

صارت تيامت المصدر الأول للسحر الأسود عند البابلين بسبب جيشها العفاريتي وأسلحتها الشيطانية وسمومها ، ويتضح لنا من الأسطورة أنها استعملت السحر في أول وهلة للصراع بينها وبين تيامت ويبدو أن قتال مردوخ حصل بالدرجة الأساس مع تيامت ، وما أن صرعها حتى هرب جندها فأسرهم ثم أسر قائدهم كنجو الذي سيكون الإله المذبوح . . مادة جسد الإنسأن عندما تقرر الآلهة خلق الإنسأن .

المراجع : ١) أنظر المراجع السابقة .

٢) الياد ، مرسيا : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج١ ، ١٩٨٦ : ٩٦,٠

وساروا معك) فرفع (مردوخ) سلاحه الرهيب الطوفان بوجهها وخاطبها :

- تختفين وراء حجاب الحرص ، وفي قلبك يغلي بالشّر ، أخطاؤكِ أبعدتهم . (كنجو) اقمته قائدا وزوجاً ومنحته منزلة (آنو) وسعيتِ بالشرور لـ (أنشار) وآبائي الآلهة ، فليستعد جيشكِ ليتولد سلاحه أما أنت فابرزي لي وحدكِ أنا أنازلك وحدي .

فاهتاجت (تيامت) وفقدت صوابها وارتجف جسمها ، قوائمها هزت اعماق الأرض وراحت تتلو رقية نفثتها في وجه (مردوخ) مراراً وبينما آلهة المعركة يشهرون اسلحتهم ، تقدما من بعضهما (تيامت) و (مردوخ) واشتبكا لوحدهما فنشر (مردوخ) شبكته عليها ففتحت فمها وحاولت أن تبتلعه لكنه أرسل الرياح في داخلها الرياح العاصفة ، الرياح الاعصار هبت نفخت في داخلها فلم تستطع أن تطبق فمها ، أنتفخ بطنها وفتحت شدقيها ، إذّاك رمى قلبها بسهم فأنشق قلبها واجهز (مردوخ) عليها فخرت بين يديه فطرحها أرضاً واعتلى جثتها الهامدة ، وإذ رآه جند (تيامت) خافوا وهربوا لكن لا مهرب من غضبه ، أمسكهم وأوثقهم بسلاسل ، رماهم في

شباكه المخلوقات الهائلة التي أوجدتها (تيامت) وأعدتها لمنازلة (مردوخ) : الرياح ، الثعابين ، العقارب ، كلها وقعت في الاسر (كنجو) زوج (تيامت) كبلّهُ واسلمه إلى اله الموت (اوجاي) سجيناً نزع عن صدره ألواح القدر المغتصبة ختمها (مردوخ) بخاتمه وعلقها على صدره وسيطر على عدوه المتكبر العنيد بسط سلطان (أنشار) على أعدائه وعزز نصره وحقق آمال (نوديمود) ، مردوخ الشجاع شدد الحراسة على الآلهة الحبيسة .

مردوخ يقاتل تيامت

(ربما كان أدد يقاتل تنينا؟) .

من جسدها صنع الكون

يبدو أن الكون البدئي قد انتهى دوره الآن بعد أن أظهر لنا الآلهة ، وها هو الإله الشاب مردوخ يصنع الكون من جديد ، إن مادة صنع الكون هذه المرة لم تكن من المادة الهيولية الكاؤسية الأولى ، بل من جسد تيامت ، ولذلك تكون مادة الكون مادةً شريرة قابلة لقذف الشرّ في أية لحظة .

لكن مردوخ لا يصنع السماء والأرض . فقد تكونا قبله بل يصنع من جسد تيامت (شقها العلوي) السحاب ، ومن شقها السفلي البحار ، والسحاب والبحار يتناسبان مع الطبيعة المائية لتيامت .

ويقرر موقع الآلهة : فالسماء لآنو والأرض لإنليل ومياه الأعماق لإيا وتراه بعد أن نظم النجوم

عاد إلى (تيامت) المقهورة ووقف على نصفها الاسفل وبهراوته القوية فصل رأسها وقطع شرايين دمائها التي بعشرتها ريح الشمال تنثره في زوايا الارض فلما شهد آباؤه ذلك طربوا له وابتهجوا وقدموا له نفائس الهدايا تقدمة ولاءٍ ثم اتكأ الرب يتفحص جثتها المسجاة ليصنع من جسدها اشياء عظيمة : شقها نصفين فانفتحت كما السمكة رفع نصفها الاول وشكّل منه السحب سقفا وضع تحتها الاعمدة وأقام الحرس وأمرهم بحراسة مائها ولا يتسرب ثم عبر السماوات

والكواكب يتجه لتنظيم الزمن من خلال القمر الذي يعتبر مصدر تنظيم الزمن في العراق القديم بسبب من طبيعته المتغيرة التي تؤشر تغير الزمن .

إن الكون ينقسم إذن إلى طبيعة مزدوجة : مادة شيطانية ومادة إلهية و القبة السماوية مشكّلة من نصف جسد تيامت ، ولكن النجوم والأفلاك تصبح مقرات أو صوراً للآلهة . وإن الأرض ذاتها تضم النصف الثاني من تيامت ، وأعضاؤها المختلفة ، ولكنها تقدست بالمدن والمعابد وبنتيجة الحساب فإن العالم يظهر حصيلة لخليط من (أولية) عمائية وشيطانية من جهة ، وإبداعية حضور وحكمة إلهية ، من الجهة الأخرى . وهذه قد تكون الصيغة النشكونية الأكثر تعقيداً التي توصل إليها التفكير والتأمل البابلي .

المراجع : أنظر المراجع السابقة

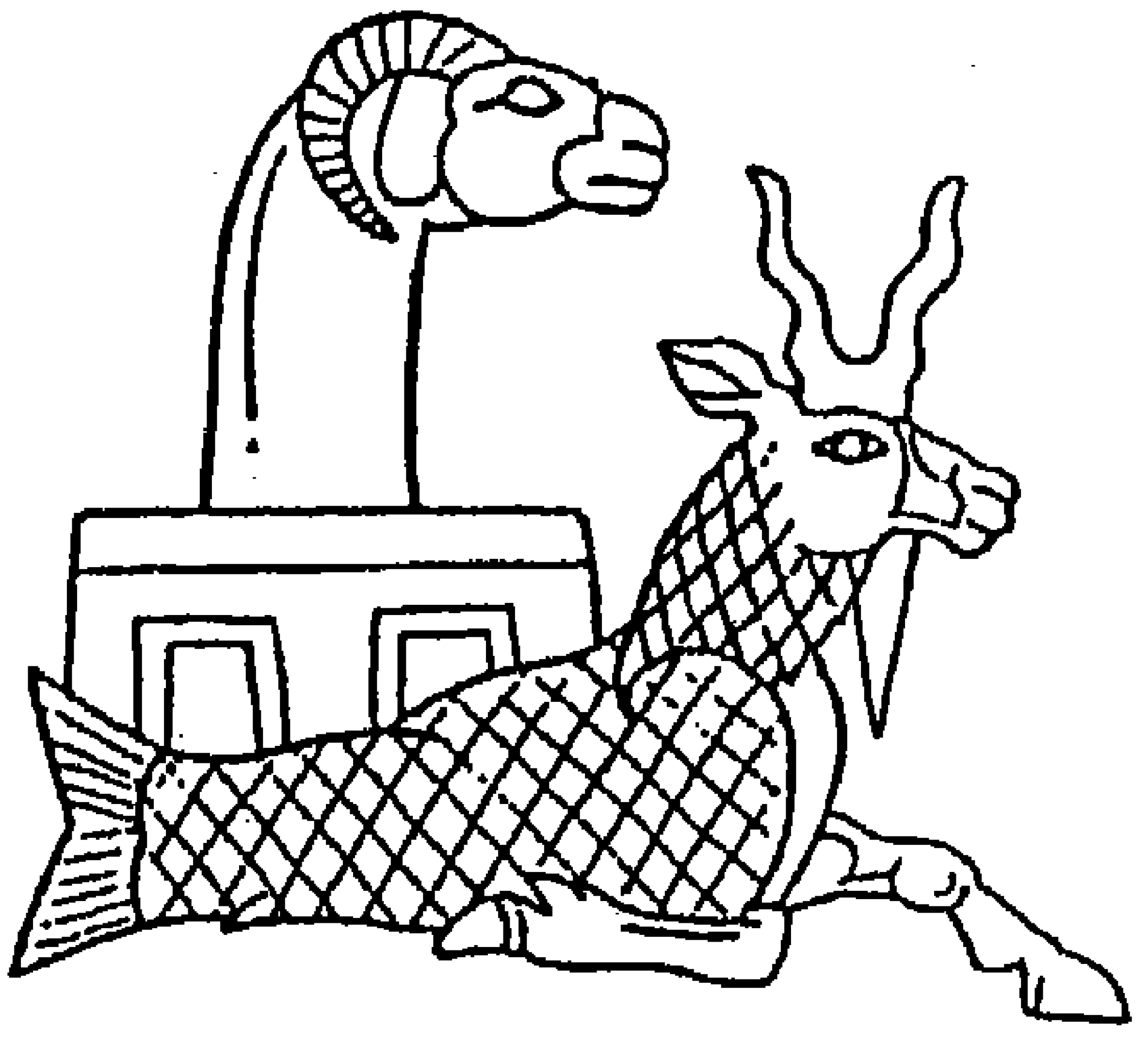

رمز الإله إيا (القرن ١٢ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

فاحصاً أرجاءها ، ووضع نصفها الاول في الارض وشكّل منه البحار ، وتوغل في الـ (آبسو) وقاسه ورأى مقام (إيا) عليه وأقام لنفسه ضعفه نظيراً له بناءً هائلاً اسماه (إيشارا) جاعلاً إياه هيكلاً له كالظلمة فوق الـ (آبسو) ثم قرر هياكل الثالوث المقدس : (آنو) و(إنليل) و(إيا) وقرر مواضعهم وخلق للالهة النجوم محطات يستريحون بها ، حدد الأزمنة جعل السنة فصولاً ولكل شهر من أشهرها الإثني عشر ثلاثة أبراج حدد الأيام بابراجها ، خلق كوكب المشتري (نيبيرو) مكانا سماوياً له ليحدد المجاميع السماوية ولكي لا يتجاوز احدهما الحد ولا يقل عنه وعلى جانبيه وضع هيكلين لـ (إنليل) و(إيا) فانقسم حزام المجرة إلى قسمين شمالي وجنوبي فتح في كل منهما بوابة واحدة لمشرق الشمس واخرى لمغربها وثبّت الفتحتان بأقفال قوية ووضع في منتصف السماء سمتاً ثم خلق القمر (نانا) فسطع بنوره وأوكله بالليل وجعله حلية له وزينة ولتوقيت الأيام وقال له :

- اطلع كل شهر بتاجك دون انقطاع وسيكون لك قرنان عندما تشرق اولَ الشهر يعينان ستة ايام وفي اليوم السابع يكتمل نصف تاجك وفي منتصف الشهر

ستغدو بدراً في كبد السماء وعندما تصل الشمس (شمش) قاعدة السماء إنقص من ضوئك التام وابدأ بانقاص تاجك وفي فترة اختفائك في درب مقارب لدرب الشمس وفي التاسع والعشرين ستقف في مقابل الشمس مرة أخرى ، لقد عينت لك إشارة فاتبع دربها وتضاءل . وفي يوم التعتيم اقترب من مسار شمش لتستطيع من جديد في اليوم الثلاثين الدخول في اقتران معه .

مردوخ ينظّم الطبيعة

يواصل مردوخ صناعة وتنظيم الطبيعة من جسد تيامت ، وأصبحنا نعرف أن نهري دجلة والفرات ينبعان من عينيها وأن كلّ جزءٍ من جسدها له علاقة بالطبيعة ، ولنلاحظ أن الإله (إنكي) أو (إيا) هو الذي ينظم الطبيعة في سومر ، أما الإله إنليل فيعتني بالكواكب والظلام والأنواء .

لكن مردوخ هنا هو الذي يقوم بهذا الدور كاملاً .

وستصبح استعادة لحظة أو حادثة الخلق هذه من خلال العيد البابلي (أكيتو) هي عماد هذا العيد حيث يتضمن هذا السيناريو الأسطوري – الشعائري التمجيد للملك وأسر مردوخ (ويرمز هذا الى إرتداد العالم للعماء ما قبل (الكوني) . وفي مقبرة مردوخ كان الكاهن الأكبر يجرد الملك من شاراته (الصولجان والخاتم ، والسيف والتاج) . وكان خروج مردوخ إلى

رسم لها دورتها كل يوم ، رسم لها دورتها كل عام . وبعدها فصل بين تخوم النهار وتخوم الليل واخذ من لعاب (تيامت) وخلق منها الغيوم وحملها بالمطر والزمهرير وأوكلها إلى (أدد) ودفع الرياح وأنزل المطر وخلق من لعابها الضباب ، ثم عمد إلى رأسها فصنع منه تلالا وفجّر في أعماقها مياهاً فاندفع من عينيها نهرا دجلة والفرات ومن فتحتي أنفها البحيرات وعند ثدييها رفع الجبال السامقة وفجّر منها عيوناً وأحيا آباراً لوى ذيلها وثبته في الاعالي وشق بطنها فانفتح شقّاها : شقٌ ثُبّت في السماء فغطاها جميعاً وشق رسخ ارضاً وفي

العالم هو بدء خلق الكون من جديد .

المرجع أنظر المراجع السابقة .

٢- إلياد ، مرسيا : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ١٩٨٦ :٠٩٨.

وسطها أسال مجرى عظيماً ثم نزعَ عنها شبكته تماماً وقد تحولت إلى سماءٍ وارض رسخت بينهما الحدود وبعد أنْ أحكمَ شريعته وأرسى طقوسه صنع المعابد وأسلمها لـ (إيا) أما ألواح القدر فأعطاها لـ (أنو) ثم ساق أمامه الآلهة الأسيرة أما المخلوقات الإحدى عشر التي صنعتها (تيامت) والذي حطّم أسلحتهم وربط أيديهم ببعض ، فقد جمّدها ونصبها تماثيل عند فوهة الـ (آبسو) قائلاً (ليبقى ما حدث لهم خالداً لا يمحى ولا يزول) .

مردوخ الملك

يرى الباحثون أن صعود الإله مردوخ الى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود إلى أسباب سياسية محضة ، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي أستطاع أن يمّد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن القامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقاصي حدود عالم الشرق القديم ، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية ، ومركز إشعاعها الحضاري .

وعبارة (ملك الآلهة) هي الإفصاح الدقيق عن مذهب التفريد الذي خطّه الكهنوت البابلي متأثراً بتفريد إنليل عند السومريين ولفظ (لوكال . دمر . آن .

سُرَّ الآلهة بما رأوا سروراً عظيماً وعبر اليه كل آبائه ، (لخمو) و (لخامو) و (أنشار) الملك وقف مُرحباً أما (آنو) و (إنليل) و (إيا) فقد قاموا بتقديم الهدايا وأمه (دومكينا) قدمت له هدية سّرت فؤاده وأرسلت له تقدمات أضاءت لها قسمات وجهه فعهد إلى (اوسمي) الذي حمل هداياها لسدنة الآبسو وخدمة الهياكل ولما اكتمل حشد (الايجيجي) ركعوا امامه وقَبّلَ كل من (الأنوناكي) قدميه وقدموا له فروض الطاعة وأنحنوا جميعا وهتفوا (مردوخ الملك . . مردوخ الملك)

كي . أ (Lugal Dimmer An .Ki. A)
تعني حرفياً (ملك آلهة الما فوق والما تحت) وهو لقب التفريد كما نرى .

المراجع :

١) المراجع السابقة

٢) إذزارد : قاموس الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ١٢٦

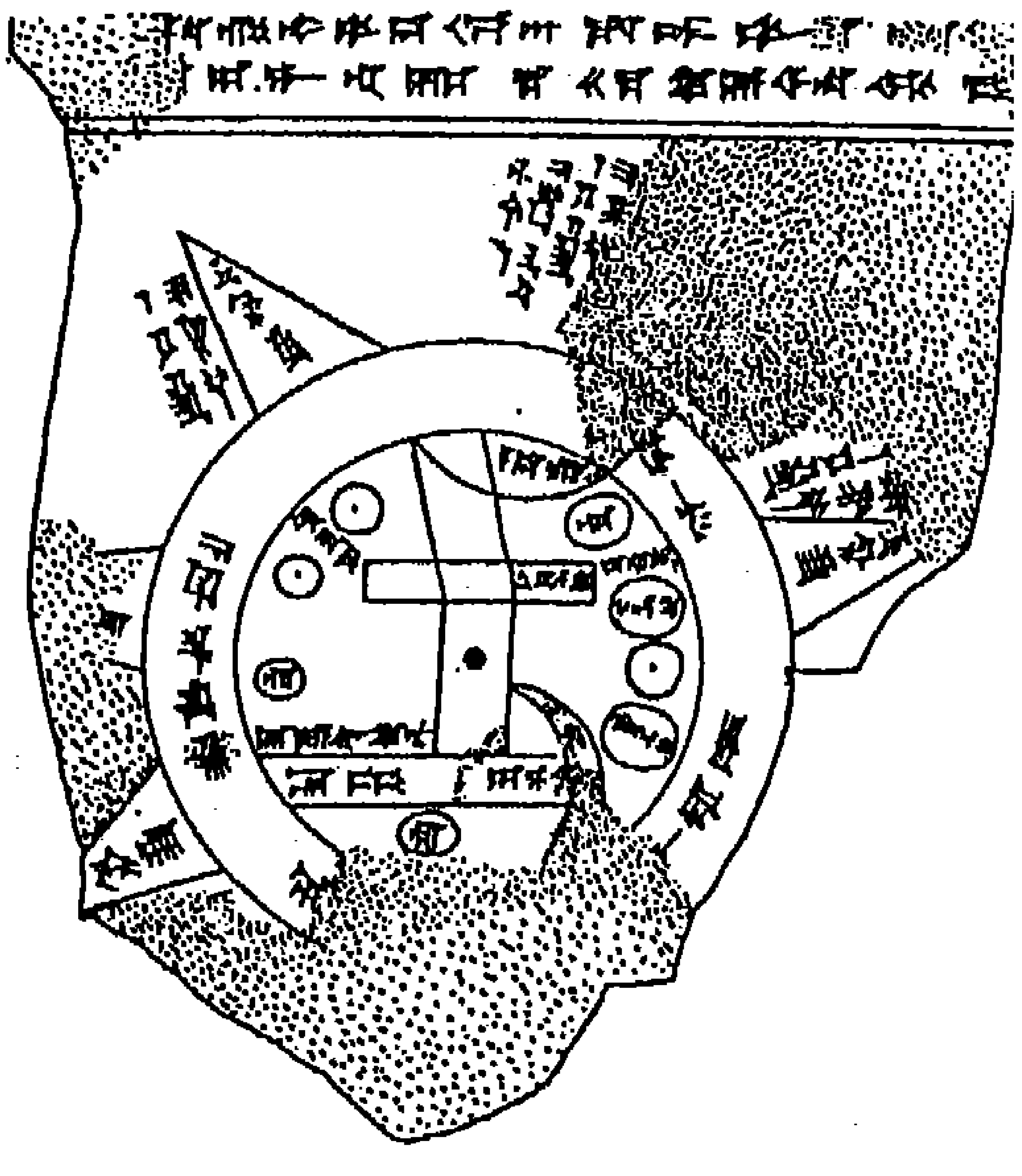

خارطة بابل والعالم المحيط بها

(عن رقيم بابلي)

وبعد أن متع آباؤه أنظارهم ، اقتادوه إلى العرش وهو بكامل عدته وصعد مردوخ العرش وجلس عليه فتلألأ وأضاء المكان وسطع جلاله فقال والداه لمجلس الآلهة الكبرى :

ـ فيما مضى ، لم يكن مردوخ سوى إبنٍ محبوبٍ ولكنه الآن ملك عليكم فنادوه باسمه ثم اعلنوا بصوت واحد سيكون اسمه ، (لوكال ديميرانكيا) به آمنوا .

وبعد أن وهباه السيادة والسلطان توجها بالحديث اليه :

ـ أنت من يحمي حمانا منذ الآن ولك سنصدع بما تأمر .

فقال (مردوخ) لآبائه الآلهة :

ـ فوق (الإيشارا) التي بنيت سأمهد مكاناً صالحاً للبناء هناك ابني بيتاً وهيكلاً به قدس الاقداس رمز جلالتي وعندما تصعدون من الـ (آبسو) للاجتماع سيكون مفتوحاً لاستقبالكم ، وبه تبيتون أو تهبطون من السماء للاجتماع سيكون مفتوحاً لاستقبالكم وبه تبيتون ، سأدعو اسمه بابل أي بيت الآلهة الكبرى وسينهض لبنائه أمهر البنائين .

فقال الآلهة لمردوخ :

ـ لمن ستوكل سلطانك فوق الأرض التي خلقتها لمن ستوكل حكمك وبابل التي منحت له ا اسما مجيداً وجعلتها مقراً لنا

أبد الدهر ألن تستخلف أحداً فيها
يجلب لنا طعام يومنا؟ .
ـ سأنظم كل شئ وأمر بابل سيوكل
لكم .

ملك الآلهة يقرر المصائر

كان المفروض أن تحتوي هذه الفقرة من الملحمة كيفية خلق الإنسان ، ولكننا اجتزأنا هذه الفقرة ووضعنا في بداية الفصل الثاني (نصوص الإنسان) وذلك لتخصص هذا الفصل بـ (نصوص الآلهة) ولنبين بدءاً من الفصل الثاني كيف خلق الإنسان وترعرع ونمت ممالكه .

يظهر مردوخ هنا وهو يوزّع آلهة الأنوناكي (وهم آلهة السماء والأرض) .

ثم يبني مركز الأرض (آنذاك) بابل ، ويبني في مركز معبده (إيساجيل) الذي يضم الآلهة الخمسون العظام وآلهة المصائر السبعة .

ركع الآلهة أمامه وقالوا له :
ـ فيما مضى ، لم يكن الرب سوى ابنا محبوباً ولكنه الآن مليكنا فنادوه باسمه لقد اعطتنا تميمته المقدسة الحياة ، إنه رب الصولجان المقدس . وسيضع لنا (إيا) المتمرس بكل حرفة ومهارة الخطة وسنكون له عُمّال البناء .
ثم قام (مردوخ) ، ملك الآلهة ، بتقسيم جمع الأنانوكي فجزء في الاعلى وجزء في الأسفل وأوكلهم لـ (آنو) ليعملوا على طاعته ، وضع في السماء ثلاثمائة لحراستها وثلاثمائة في الارض لحراستها وبعد أن انتهى كل تنظيم وقّدر لكل من الهة السماء والارض نصيبه فتح الأنوناكي فمهم وقالوا لمردوخ :
ـ الآن أيها الرب ، يا من خلصتنا من العمل المفروض ، ما الذي يليق شكراً وعرفاناً تعالوا نبني له هيكلاً مقدساً ، مكانا يسكن به ويستريح ، هناك سننشيد لك منصة وعرشاً ، وكلما أتينا المكان نلجأ اليه لنستريح .

فلما سمع (مردوخ) ذلك انفرجت أسارير وجهه كما النهار وقال :

- فلتكن بابل كما اشتهيتموها ، لنشّرع بتجهيز الحجارة ولنسّمها الهيكل فأقيموا الأفراح على أرضها وأملأوا جميع الساحات .

تناول الأنوناكي معاولهم وعملوا الحجر الازم لبنائها على مدى عام كامل ومع مجيء العام الجديد رفعوا معبد مردوخ ذا البرج العالي المدرج (الإيساجيل) الذي وصلت أساساته الأبسو وارتفعت أبراجه عالياً ، بنوا في داخله مسكناً لـ (مردوخ) و(إنليل) و(إيا) ، ثم جلس (مردوخ) أمامهم في جلال ونظروا من الاسفل لقرون البرج الرائعة العظيمة ، ثم قام الأنوناكي ببناء مقامات الآلهة جميعاً والتقوا في حرم (مردوخ) المقدس أمام مأدبة عظمى (هذه بابل مكان سكناكم فاصدحوا في أرجائها) فصدحوا وفرحوا وأكلوا وشربوا وتوزعوا على الارض والسماء فرحين مستبشرين كأنهم ملائكة عظام فيما بقي في مقام (مردوخ) المقدس الآلهة الخمسون الكبار وكذلك بقي آلهة المصائر السبعة .

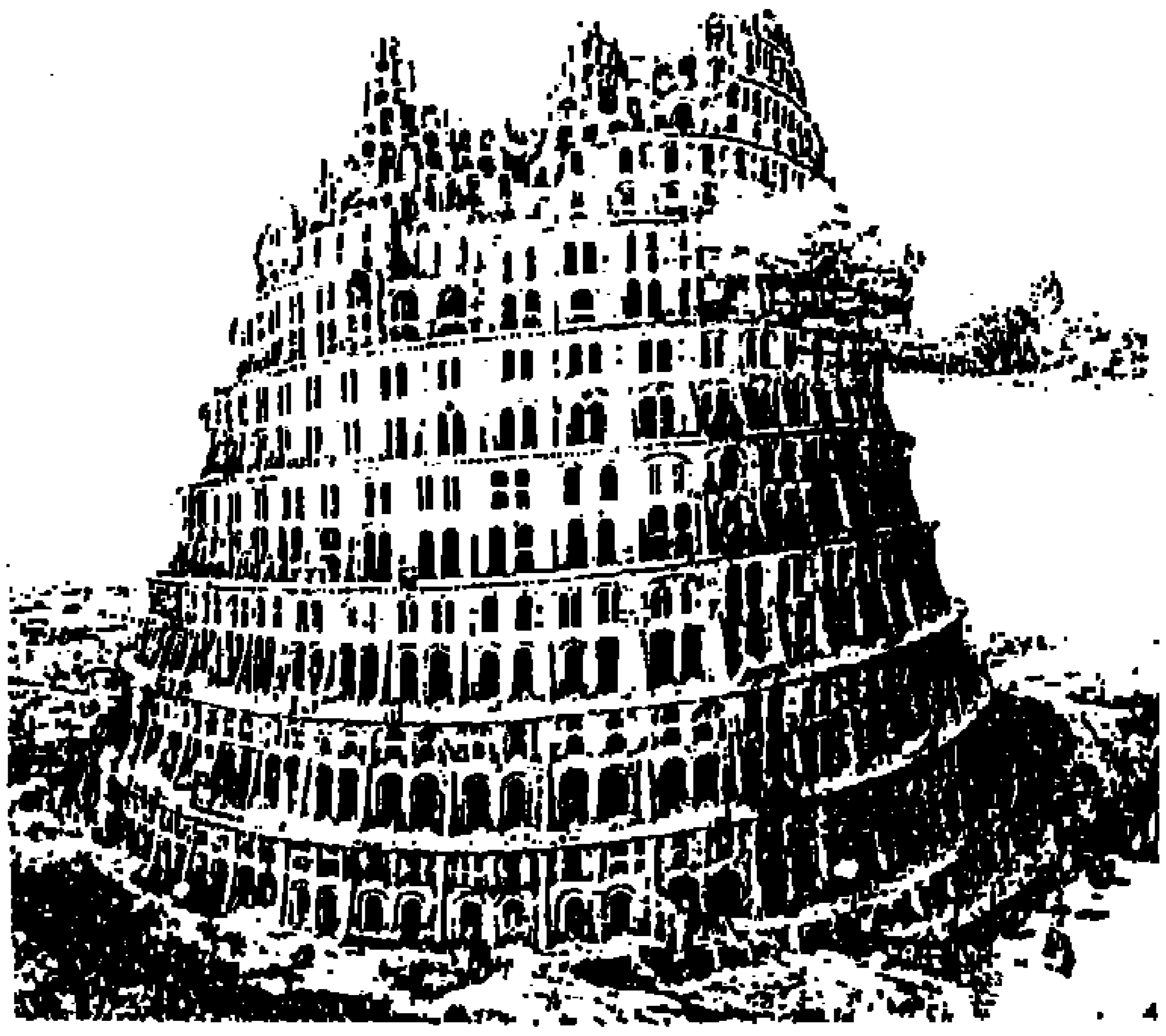

برج بابل كما تصوره بيتر بروجيل

القوس ولدي

يعطي مردوخ أهمية استثنائية لسلاح القوس، ويصفه بأنه إبنه ويعطيه ثلاثة ألقاب، لأهميته في قتل تيامت .

ولا بد أن ننوه هنا أن أساطير قصيرة عن خلق الكون كان بطلها مردوخ ومنها تلك المقدمة الخاصة برقية لتطهير معبد بابلي تروي أنه في البدى لم يكن شيئاً، لا قصبة ولا شجرة ولا حجرة ولا بيتاً ولا معبداً ولا مدينة ولا أحياء وأن (الأراضي كلها كانت بحراً) ثم خلقت الآلهة وأنشئت بابل، وبعد ذلك خلق مردوخ إطاراً من قصب فوق سطح المياه، وخلق الناس بعون الأم الإلهة أرورا، ثم خلق حيوان السهل ونهري دجلة والفرات والحشائش واليراع والقصب وأعشاب الحقل الخضراء والمنافع وأجام القصب والبقرة وصغيرها من الشاه وحملها وغنم السياج، وبذلك كانت تلك الأرض اليابسة وأنشئت المدن مثل نيبور وأوروك مع معابدها وبيوتها من اللبن المشكّل في القوالب .

المراجع :

١- المراجع السابقة

٢- كريمر: صموئيل نوح : أساطير العالم القديم ١٩٧٤ : ٩٩،

رفع (إنليل) القوس سلاح (مردوخ) ووضعه أمام الجميع والشبكة التي وضعها كانت محط أنظار آبائه، ولما أنتهوا من تأمل القوس ودقة صنعه أثنوا على فعله ثناءً حميداً ورفع (آنو) القوس وقال :

- هذا القوس ولدي سأمنحهُ الأسماء التالية (قوس العود الكبير، القوس الدقيق الخفيف، قوس النجوم المشع في السماء) ورفع (آنو) العرش أمام الآلهة وأقسم مع الآلهة بالماء والزيت أن يحفظوه ووضعوا عليه (مردوخ) وأعطوه حق الالوهية المطلقة وتسيير السماء والارض وقالوا : (دعونا نسجد بخشوع لربنا حالما يذكر اسمه وحين يتكلم اصغوا له دعوا كلامه يسمو في الأعالي وفي الأسافل، إن ولدنا رفيع المقام أنتقم لنا فدعوا سلطته تسمو فلا ينافسه أحد، واذكروه بالقرابين والرقى والتسابيح ودعوه يسبغ الرحمة على الآلهة جميعاً دعوه يصلح الأرض ويعلي السماء فَلَكَ العبادة ايها السيد المجلى أيها الإله الاسمى ذو العقل الذي لا يمكن تجاوزه، أنك حينما تنطلق إلى الحرب تتهاوى السماوات وحينما ترفع الصوت يضطرب البحر وحينما

تستل سيفك يتقهقر الآلهة لا احد يقاوم احتدام غضبك أيها الرب المرعب الذي لا يضاهى في مجمع الآلهة إنك تنبثق في السماء اللامعة مجيداً وتلتهب أسلحتك في العاصفة ، لهيبك يلاشي اكثر الجبال وعورة ويهيج امواج البحر الصاخب ، فدعونا نذكر أسماءك الخمسين ولتبقَ مسالكك واعمالك مضيئة إلى الابد .

أسماؤه الخمسون

تأتي فكرة الأسماء الخمسين للإله مردوخ من أن الرقم الرمزي أو السري لهذا الإله هو (٥٠) ، وسبق لنا أن عرفنا أن الرقم السري للإله إنليل هو (٥٠) ، وبذلك يتأكد لنا من أن مردوخ ورث صفات إنليل السومري . وكان الإله إنليل يترأس مجلساً إلهياً يسمى (الأنونا) اي مجلس الخمسين إله . ويبدو أن استبدال مردوخ بالإله إنليل عند البابليين وإمعاناً في تفريد مردوخ جعلهم ينسبون لمردوخ أسماء هؤلاء الآلهة ، بدليل أن اسماءهم في هذه الفقرة ترد باللغة السومرية ، ولها معاني خاصة . إن إعطاء الإله مردوخ هذه الأسماء هو نوعٌ من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مرودخ .

وتظهر لنا أسماء مرودخ وكأنها مقسّمة الى مجاميع كبيرة وصغيرة ، فالمجموعة الكبيرة الأولى تضم (٣٥) إسماً من (١ -٣٥) مقسمة إلى عشرة تتراوح عدد

١- مردوخ : هو اسم مولده الذي دعاه به جده (آنو) ، واهب المرعى وموارد الماء ، مالئ العنابر بالمؤن ، من بسلاحه الرهيب ، طوفان المطر ، هزم الاعداء ، الذي أنجد آباءه الآلهة وقت محنتهم ، إنه الساطع ابن الشمس وفي ألق ضيائه يرتع الآلهة على الدوام ، حرر الآلهة ووضع لهم من يخدمهم ، فلتكن في كلماته الخلق والفناء والسلوان والرحمة وليرفع الجميع أبصارهم اليه .

٢- مار - أوتو : إبن الشمس لأنه يشع ، ولأنهم يسبحون بنوره الساطع وهم في ذهاب وإياب أبدي ، والبشر كائناته التي منحها الروح سُخّروا من أجل

الأسماء في كل واحدة بين (٢ -٦) أسماء وهي كما يلي :

١) مجموعة (مار) Mar أي الإبن ولها الأسماء من (١ -٥) وكلها أسماء تنويعية لإسم مردوخ وهي اسماءً شمسية .

٢) مجموعة لوگال دمر أنكي) -Lugai - Dim mer ,. An. ki وهو لقب (ملك آلهـة الما فوق والما تحت) الذي منحه إياه الآلهة وتشتمل من (٦ -٧) . وهي اسماء ملوكية .

٣) مجموعة (أسالّوحي)Asalluhi وهو الأصل السومري للإله مردوخ ويعني (اله الغيوم المرعد) وتشتمل من (٨ -١٠) وهي أسماء لها علاقة بالغيوم .

٤) مجموعة (أسار) Asar والتي لها علاقة بأعمال المساحة والقياس ومعنى (سار) زراعة الحقول وتشمل من (١١ -١٣) وهي أسماء زراعية .

٥) مجموعة (توتو) Tutu وهي مجموعة لها علاقة بالحكمة والمعرفة ويعتقد أن الإله (تحوت) المصري مأخوذ من هذا الاسم السومري . وتشتمل الأسماء من (١٤ -١٨) . وجميعها له علاقة بالحكمة والمعرفة .

٦) مجموعة (شازو) Shazu وتشتمل الاسماء من (١٩ -٢٤) .

٧) مجموعة إينبيلولو Enbilullu وهي مجموعة لها علاقة بالمياه وتشتمل الاسماء من (٢٥ - ٢٨) وجميعها آلهة مائية .

الآلهة الذين تحرروا من العمل . الوجود أو العدم ، العفو أو العقاب . . كل ذلك طوعاً لرغبته والناس ليس بوسعها سوى التأمل بهذه العظمة .

٣- ماروكا : هو الإله الحق خالق كل شئ ، من أفرح قلوب الأنوناكي وحرر الإيجيجي وطمأن خواطرهم .

٤- ماروتوكا : هو الملجأ والملاذ ، سند العباد . الذي يسبحون بحمده .

٥- ماراشاكوشو : المكين القابض زمام الارض كبير القلب العطوف الرحيم .

٦- لوجال ديمرأنيكا : هو الاسم الذي دعوناه في مجمعنا ، أمره سابق على آبائه رب الآلهة اجمعين ، ملك يخشاه من في السماء ومن في الارض .

٧- ناديلوجالدي ميرأنكيا : من شملت عنايته كل الآلهة الذي مكن السماء والارض في زمن الشدة وخصص للأنوناكي والايجيجي محطات راحة ، هو الذي لذكره يرتجف الآلهة في مساكنهم .

٨- أسادلوحي : الاسم الذي دعاه به جده (آنو) ، حقاً أنه نور الآلهة وهو الامير الجليل الروح الحارس للالهة والارض ، أنقذ ديارنا من يوم الشدة .

٩- أسالّوحي - نامتيلاكو : الذي يحيي

٨) مجموعة سرسر (Sir sir) وهي مجموعة لها علاقة بالأفق وتشمل الأسماء (٢٩، ٣٠) .

٩) مجموعة غلّيم (Gillim) وتشمل الأسماء (٣١، ٣٢، ٣٣) .

١٠) مجموعة زولوم (Zulum) وتشمل الاسماء (٣٤، ٣٥، ٣٦) .

أما المجموعة الكبيرة الثانية فتشمل (١٤) إسماً من (٣٦ -٥٠) وهي أسماء منوعة تشمل آلهة وألقاباً معروفةً في البانثيون السومري .

وبذلك يبدو الإله مردوخ وكأنه ملتهم الآلهة السومرية وهذا هو المقصود من منحه هذه الأسماء ، ليتم الانتصار النهائي لبابل على سومر وإرثها .

ولا شك أن هذا التقسيم وهذه الاسماء ومعانيها تتضمن أسراراً لاهوتية عميقة لا تتسع الفرصة هنا لدراستها تفصيلياً لكننا نكتفي بالإشارة إلى ذلك .

وتعتبر أسطورة الإينوما إيليش مادة خصبة للكثير من التحليلات والأفكار عن العالم القديم ومعتقداته فهي تتضمن صراع مفاهيم عقليةوفلسفية كثيرة معبر عنها بأسماء الآلهة . ونجد صداها التكويني في أكثر الأديان وفي أعرق الفلسفات كما أنها تعتبر تاريخاً روحياً مكتنزاً لأنها تعبر عن العصر الأمومي الذي أفل وكيفية حصول الأنقلاب الذكوري .

بل ونحصل منها على الكيفية التي وصم بها الرجل التاريخ العريق للمرأة ودورها الرائد في الزراعة والحضارة .

كما يمكن لهذه الاسطورة أن تشكل مدّونة نفسية جمعية لا وعية يتم تحليلها وفق رموز الأعماق التي تضج بها .

الموتى ، الذي بعث الروح في الآلهة البائدة كأنما خلقهم من جديد ، الرب الذي بتعويذته المقدسة بعث الآلهة الميتة القاهر فوق الخصوم الماكرين فلنلهج بذكر شجاعته .

١٠- نامرو - أسالوحي نامشوب : الاله الوضاء الذي ينير لنا الطريق .

١١- أسارو : واهب الارض الخصبة ومالئ عنابر القمح ، منبت الحبوب والبقول ومحيي الاعشاب .

١٢- أسار أليم : المسيطر على المجلس الراجح رأيه ، الذي يحترمه الآلهة ، الذي لا يخاف .

١٣- اساراليمنونا : الجليل نور آبائه الذي يصوغ قرارات (آنو) و(إنليل) و(إيا) وحده القائم بإمورهم الذي وقف لهم مساكنهم الذي أفاضت حربته صيدا وفيراً .

١٤- توتو : بطل خلاصهم ونجاتهم ، فليطهر هياكلهم ويتركهم ينعمون ويجعل لهم تعاويذ تطمئن بها نفوسهم فاذا اضطربوا أنزل سكينة عليهم إنه المجد بين الآلهة لا يدانيه منهم أحد ولا يقرن به .

١٥- توتو - زيوكينا : به يحيا كل الآلهة الذي جعل لهم سماءً وضاءةً ، مالك مصائرهم وسيد مسالكهم . حي ابداً

وهي وثيقة سياسية نادرة تفصح عن صعود مدينة بابل وسلطتها وإخضاعها للدول والممالك التي حولها . بل أنها توضح مركزية وجبروت وسلطان الملك البابلي من خلال مركزية مردوخ نفسها .

هذه الاسطورة لا تشير مطلقاً إلى مرحلة أكدية ، بل هي حصراً ضمن المرحلة البابلية منذ بداياتها الأمورية وحتى أفولها على يد الآشوريين ، حيث احتل آشور مكانة مردوخ وبنفس الصفات والقوى . وقد حاول مردوخ منذ القرن الرابع عشر ق.م نشر مراكز عبادته داخل الدولة الأشورية مزاحماً آشور الا ان آشور أخذ مكانته ، وزحف إلى آشور اله عبده الناس بحب هو إبن مردوخ (نبو) إله الحكمة .

المراجع :

١- المراجع السابقة

1-Lamnbert.s: **The Bablonian Epic of Ceration** 1923 .

في قلوب عباده ، لا ينسون نعمته عليهم .

١٦- توتو - زيكو : رب القداسة . . إله النسمة الخالقة ، سميع مستجيب الدعوات هو المعطي دون حساب الذي حقق رغباتنا وأفاض ، الذي تنسمنا أنفاسه أيام البلوى فلنذكر ذلك محتفلين به ولنعني مدائحه .

١٧- توتو - اجاكو : رب التميمة المقدسة الذي بعث الموتى والذي رأف بالآلهة المقهورة وأزاح عن أعدائه من الآلهة عبء العمل المفروض هو الرحيم الذي يهب الحياة ، كلماته باقية لا تنسى .

١٨- توكو : الذي تردد الشفاه تميمته المقدسة التي اقتلعت الاسرار .

١٩- شازو : المطّلع على أفئدة الآلهة وعالم الأسرار لا يهرب من بطشه الأشرار ، أسس مجمع الآلهة وأفرح قلوبهم وبسط حمايته وأخضع العصاة ، امام العدل ، ووضع حداً للغو الكلام ، أحق الحق وازهق الباطل .

٢٠- شازو - زيسي : الذي اخرس المتمردين وآمن آباءه من خوف شلّ أجسامهم .

٢١- شازو - سوحريم : الذي أفنى

بسلاحه كل الخصوم واحبط الخطط وجعلهم نهباً للرياح وقضى على من تصدى له من الأعداء فليمجده الآلهة في مجلسهم .

٢٢- شازو - گوزيم : الذي خلق آباءه من جديد وجعل لهم مكانة ، استأصل شأفة الاعداء وقطع دابرهم ، حطم تدابيرهم ولم يبق منهم على أحد فغنّ باسمه يا بلادي .

٢٣- شازو - زاحريم : رب كل شئ الذي محق الاعداء جميعاً والذي يجزي بالخير ويجزي بالشر ، أعاد الآلهة الأبقة إلى مساكنها فليبق اسمه على مر الازمان .

٢٤- شازو - زاحجوريم : قاهر جميع الأعداء في ساح الوغى .

٢٥- إينبيلولو : واهب الخيرات هو الجليل الذي أعطى لكل إله اسمه ، نظم المرعى ومورد الماء وفجّر الأرض عيوناً وأجرى المياه أنهاراً .

٢٦- إينبيلولو - ايبادون : الذي يروي الحقول حاكم السماء والارض ، موزع الزرع والكلأ الذي نظم السدود والقنوات ورسم خطوط الحراث .

٢٧- إينبيلولو - جوكال : حاكم مزارع الآلهة ، رب الغلال الوفيرة والمحاصيل الكثيرة واهب الثروة الذي أغنى

المساكن ، مانح البذرة ومنبت الشعير .

٢٨- إينبيلولو - حيكال : الذي يتولى أمور الخزن ويسقي الأرض بمطر من السماء فتنبت العشب .

٢٩- سرسر : الذي اقام جبلاً فوق (تيامت) والذي بسلاحه اقلق جسدها الراعي الامين وحامي الديار الذي عبر البحر الغاضب في آبائه وكجسرٍ مر إلى ساح المعركة .

٢٩- سرسرً - ملخ : البحر مجاله والموج مطية له .

٣٠- غيليم : الذي يكدس القمح اكواماً خالق الذرة والشعير واهب البذور للارض .

٣٢- غّليما : خالق الاشياء الباقية يحفظ تماسك العائلة مصدر كل امر حسن .

٣٣- أغليما : الذي مزق تاج المياه الذي سخر السحاب فوق المياه ورفع السماوات .

٣٤- زلوم : مقسم الأرزاق الذي يسهر على الطعام .

٣٥- زولوم أومّر : خالق السماء والارض ومجري السحاب الذي طّهر السماء والأرض لا يدانيه في قوته أحد بين الآلهة .

٣٦- جيشنوموناب : خالق البشر اجمعين أتباع (تيامت) وصنع من أجسادهم البشر .
٣٧- لوجلادبور : حطم صنيع (تيامت) فلّ سلاحها الذي رفع أساساته الراسخة من خلف ومن قدّام .
٣٨- باگال گوإينّا : ذو الصدارة في كل البلاد لا حد لقوته ، العليّ بين اخوانه الآلهة وسيدهم جميعاً .
٣٩- لوجال دورماخ : رباط الآلهة ، الملك ، سيد الدورماخ ذو المقام الاعلى في منزل الملك الظاهر على الآلهة .
٤٠- أرأنونا : مشير (إيا) وباعث آبائه الآلهة لا يدانيه في الصفات الملوكية إله مهما علا .
٤١- دومودوكو : الذي جدد مسكنه المقدس في الـ (دوكو) ، الذي لا يقطع (إنليل) برأي دون مشورته .
٤٢- لوگال شوأنّا : الذي اجتاحهم جميعا في الميدان ملك الحكمة كلها واسع الفهم عميق .
٤٣- إرأوگّا : الذي سجنهم داخل تيامت ، وامتلك كل معرفةٍ ، ولا حدود لذكائه .
٤٤- اركينجو : الذي سحق كينجو في المعركة ، رقيب الآلهة ، موجههم

واضع اسس المملكة .
٤٥- كينما : قائد جميع الآلهة ، مسدي النصح والمشورة ، لذكره يرتعش الآلهة فرقاً ولإسمه وقع العاصفة .
٤٦- ايسكور : الا فليتبوء مكانا عاليا في بيت العبادة ، الا فليتقدم الآلهة بالهدايا أمامه ومنه فليأخذ كل مهامه وصلاحياته وبدونه لا يقدر أحد على الخلق المبدع ، سكان الأقاليم الأربعة من صنع يديه ولا إله غيره يعرف يومهم الموعود .
٤٧- جيبيل : صانع الاسلحة الذي خلق في الصراع مع (تيامت) الأشياء البديعة واسع الفهم ملتمع الفكر خافي السريرة ، لا يستطيع الآلهة مجتمعين سبر أغوراه .
٤٨- آدو : سيكون اسمه يغطي مساحة السماء ، تمزق السحاب لرعوده ويعطي للناس الحياة .
٤٩- أشارو : الذي يأخذ بيد آلهة الاقدار وسعت عنايته الناس والآلهة اجمعين .
٥٠- نبيرو : القيّم على مسالك السماء والارض فكل ضال عن طريقه ، من أعلى ومن أسفل يأتي اليه ، هو النجم الساطع في السماء اتخذ مكانه في نقطة تغير الفصول فارفعوا نحوه

الإله مرودخ مع حيوانه
الموشخوشو

ابصـــاركم وهو الذي يقطع عـــرض
البحر دون توقف ، اسمه نبيرو يشغل
مكأن السمت ، الا فليحفظ مسارات
النجوم في السماء .
ويرعاها مثل الشياه ، ألا فليُخضع تيامت
وينكد عيـشـهـا ويذلّ حـيـاتهـا حـتى
الإنطفـاء ، وعلى مـدى الأيام لتـفـرّ من
أمـامـه ولا يمسك بهـا ، أن تختـفي إلى
الأبد .

سبّحوا بأسمه

لم يكتف كـهنة بابل باذابة خـمسين إله في صلب مـردوخ ، بل إنهم أخـذوا من إنليل (المهـمش في الاسطورة) إسـمـاً لمردوخ ، ومن إيا اسم إيا نفـسـه وبذلك أصـبح عـدد اسـمـاء مـرودخ (٥٢) وبذلك تكتمل حلقات التفريد ، فيصبح (آنو) إلهاً كونياً عالمياً يمثل التوحيد وقد مثله عند السومريين في صيغة (آن) ويصبح (مردوخ) الذي يليه إلها قومياً لبابل ومن يقع تحت سلطانها . وهذا برأينا أقدم وأوضح حالة تفريد سـبقت كـثيراً تفريد (يهوه) أمام (إيل) بل أن هناك توضيحاً مفرطاً لذلك يشرحه النص بالتفصيل .

المراجع :

١- المراجع السابقة

2- Bitht , E. The Bible and the Ancient Near East 1961 .

أعطاه إنليل فـوق هذه الأسـمـاء أسم
(إينكور) سيد الجبل لأنه خلق السمـاء
وصنع العالم الأسفل .
تلك أسـمـاؤه التي عـددها الإيجـيـجي
طويلاً .
حين سـمـعـهـا (إيا) ابتـهج وفـرح وقـال :
للذي مجّد آباؤه أسماءه ، سيكون اسمه
كذلك (إيا) اسمي ، ليرفع من شأن عالمي
ويشرف على مهامي .
حـينمـا خصّ الآلهـة مـردوخ بأسـمـائه
الخـمـسين أعطوه مكانةً عـاليـة ، فليـتم
حـفظها وليـقم بتلاوتهـا الناس ويتأملون
بمدلولها ، الحكماء منهم والعلماء والآباء
والأبناء . ليـفـهم أسـرارها الملوك ، وان لا
يتـهـاونوا تجـاه مـردوخ ، إنليل الآلهـة ،

ليزدهر ملكهم ويبقون في عافية وسلام .
كلمة مردوخ أبدية لا تعديل لمسارها ، لا يبدل أي إله ما يخرج من فمه .
نظرة مردوخ لا يجابهها أي إله .
قلبه لا يُسبر غوره ، إدراكه واسع يقف أمامه المذنب والخاطيء .
هذا ما حصل وما يجب أن يتعلمه القادمون وتلك مآثر مردوخ الذي خلق الإيجيجي فلتتلَ .
وليسبح باسمه ، ويرتل نشيده مردوخ الذي حاز السلطة العليا بعد أن قتل تيامت .

آلهة دنّو

يمكننا أن نطلق على هذا النص الاسطوري النادر (الثيوغونيا البابلية) فهو بحق نموذج للولادات الإلهية وأصل الآلهة ، ونرى أن هذا لنص كان الأساس الذي بنى عليه الحوريون ثم الحيثيون (ثيوغونيا كوماربي) الإله الحوري الذي يقابل إنليل السومري حيث نرى سلسلة من الولادات الإلهية بعد نزول الملكية السماوية ومن الألو إلى آنو ، ومن آنو إلى كوماربي . وقد كانت ثيوغونيا كوماربي هي الأساس الذي بنى (هسيود) الشاعر اليوناني الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد قصائدة (الأعمال والأيام) و (ولادة الآلهة) وهي الـ (ثيوغونيا اليونانية) المعروفة التي تخص نسل الآلهة اليونانية .

في ذلك الزمان . . في (دنّو) ضرب المحراث (خاراب) الأرض عدة ضربات فولد لهما أماكاندو ، فبنوا مدينة (دنّو) ذات المعقلين التوأمين وأصبح خاراب سيد مدينة (دنّو) .
وإذ التفتت الأرض نحو إبنها أماكاندو وقالت له : تعال أضاجعك . فضاجعها وقتل أباه خاراب ودفنه في دنّو ، وصار هو سيد المدينة واتخذ من إخته البكر (البحر) زوجةً له .
ولد (لاخار) إبن أماكاندو الذي قتل أباه ، وفي دنّو دفنه ، واتخذ من أُمه البحر

وأكثر ما يميز هذا النص طريقة تسلسل هؤلاء الآلهة، وتسوده فكرة قتل الأب والزواج من الأم أو الأخت، وهي الفكرة التي جسدتها اسطورة أوديب اليونانية التي اتخذ منها فرويد مادة أساسية للتعريف بعقدة اوديب التي تقول بنشوء كراهية بين الابن والأب يقابله حبّ بين الابن والأم . وكذلك اسطورة ألكترا التي كانت اساس عقده الكترا .

وقد أتى النص مهشماً في رقمه الطينيه .

ولولا ذلك لتعرفنا على سلسلة متواترة فيها التناسق المدهش لظهور الحيوانات البرية والبحر من المحراث والأرض، ثم ظهور الماشية المدجنة والنهر، ثم ظهور المروج ثم ظهور الكرمة، ممثلةً بآلهتها .

المرجع :١ . الشواف، قاسم : ديوان الأساطير ١٩٩٧

2- Grayson, A.K : **Babylonian Theogony, ANET** 1969 : 517 .

زوجةً . وذبحت البحر أمها الأرض .

وفي السادس عشر من شهر كسلم أصبح لاخار سيد المدينة .

واتخذ إبن لاخار أخته النهر زوجةً له، وقتل أباه لاخار وأمه البحر ودفنهما في القبر نفسه، وصار هو سيد المدينة .

وقام حفيد لاخار وتزوج اخته المروج (أوا- إيداك) فنبت العشب من الأرض وامتلأت الزرائب بالماشية . ثم قتل أمه النهر ووضعها في القبر وأصبح سيد المدينة .

وولد ابنه خارخانوم الذي تزوج من كرمة السماء (نين - جشتينّا) اخته، وقتل أباه وقتل أمه المروج ووضعهما في القبر، وفي السادس عشر من الشهر أصبح سيد المدينة .

وولد إبن خارخارنوم الذي اتخذ له زوجةً ثم أصبح سيد المدينة .

وتكاثر الآلهة وظهر الإله إنليل ونوسكو وننورتا .

أبناء مردوخ

ما زال تكاثر الآلهة وتوالدهم وتكوين شجرة نسلهم وتعيين مناصبهم ومسؤولياتهم هو العمل الأساس .

فأبناء مردوخ من زوجته صربانيت (الذي يعني أسمها الفضة اللامعة، وتلقب بـ (أروى) ، ومعناه

أنجب (مردوخ) من زوجته (صربانيت) التي تسمى (بيليت بابيلي) الإله نبو وعيّن له مردوخ مدينة (بورسيبا) وأنجب منها الإله (سين) إله القمر الذي عيّن

بالبابلية (ذربنيتو) أي بازدة الذرية وخالقة النسل ، ويقابله بالآشورية شرويا زوجة الإله آشور .

شكلّوا في أغلبهم آلهة الكواكب حيث سين (القمر) وابنهُ نبو (عطارد) ومن سين ظهر شمش (الشمس) وعشتار (الزهرة) ، وظهرت أرشكيگال التي ستصبح فيما بعد إلهة العالم الأسفل .

أي أن مردوخ يلد النور والظلام ، والنور يتجسدُ في الكواكب أما الظلام فيتجسد في ما يحيط بهذه الكواكب وفي العالم الأسفل الذي يقع تحت الأرض . وتبدو فكرة النور والظلام هذه (السومرية الأصل مع إنليل) هي أساس الديانات الثنوية التي ظهرت بشكل خاص في الديانات الفارسية المجاورة ثقافياً للديانات العراقية القديمة والتي أخذت منها الكثير . واذا كانت الديانات العراقية القديمة قد امتازت بـ (التعددية) والتفريدية والتوحيدية) فإن الديانات الفارسية امتازت بـ (التعددية ثم الثنوية) .

المرجع :

1- Stephens F.J : **Psalm to Marduk,** 1969 : 389

مردوخ له مدينة (اور) وتزوج الإله سين من الآلهة (ننجال) فأنجب ولده العظيم (شمش) اله الشمس ، الذي عين مردوخ له مدينة (لارسا) واخته الهة الحب والجمال (عشتار) ، التي عين مردوخ لها مدينة (أوروك) ، واختها (اريشكيجال) التي عين لها مردوخ مدينة (بوتي) ، يحكمون الآلهة الصغار بالعدل والحق ، فتبارك مردوخ في علاه ، تباركت أيها المعظم في سماك ، المبارك الذي تلهج بذكره الآلهة ، قسمّ الآلهة درجات فوضع الأنوناكي في السماء والأرض وجعلهم مسؤولين عن اقدار الكون ومصائره وخفايا العالم الاسفل ووضع الايجيجي في السماء والأرض وجعلهم مسؤولين عن شؤون الارض ، جعل لهم خدماً كثيرين من الآلهة الصغار الشأن يدبرون شؤون العمل جعلها تحمل المعول والسلة وتحرث وتزرع وتبني المدن ، مردوخ جعل الحياة طبقات ويسّر الزرع والحيوان للآلهة وجعلهم في خدمتهم وخلق الطبيعة من أجساد الآلهة القديمة وجعل لكل مظهر منها إلها قديرا وحباه بالرفعة ويقول الرب الإله (مردوخ) ان الآلهة مظاهري واشكالي ويقول أنا الذي أعطيتها الظهور والقوة . (مردوخ) التفاتة البرق والمطر إلى الارض الجدبة وهو

رقيم عن الآلهة

الصواعق على الأعداء وهو النسيم العليل للأعالي ، هو النور والمحبة ، أنجب أولاده الكواكب من البزر الذي أنبت كواكب السماء وطلعت من رحم الفضاء ولدت وأنتعشت ، فحبا ولده نبو بالحكمة وسين بالكشف ، أعطاهم أسرار السحر والفنون ، والنبوة والسناء هو المدبر الحكيم الذي منح حفيده شمش الميزان وسلّمه حلقة العدالة .

ترتيلة شمش

الإله الشمس (شمش) هو امتداد للإله السومري (أوتو) ، ولكنّ الأكديين اتخذو منه الإله القومي لهم (أي أنه يقابل مردوخ عند البابليين) وظلّ محافظاً على مكانته المقدسة هذه حتى مع مجيء الأموريين الذي استبدلوه تدريجياً مع ظهور بابل وصعودها بالإله (مردوخ) .

ولأن أشعة الشمس تنفذ إلى كل مكان وتطلع على كل شيء ، فقد أصبح إلهاً للعدالةِ وإحقاق الحق ، وبصفته بصيراً يرى كلّ شيء اتخذه الأكديون حامياً لطقوس الكهانة وعلم الغيب ، واستبعدوا تأثيره على أشعة الشمس الكاوية في فصل الصيف ، وجعلوها من إختصاص الإله (نرگال) أو إله النار (جبيل) .

وقد كان السومريون يرون أن سبب ظهوره في قبة السماء خلال النهار واختفاؤه في الليل هو أنه يقطع السماء تجوالاً نهاراً ويركن إلى حضن البحر ليلاً

الكون بنوره ، فهو نور الآلهة العظام ونور الأرض ومضيء اقاليم العالم . . أنت ايها المبجل في السماء والأرض أيها القاضي العظيم يا من لا تنفك عن الوحي فتقرر أقدار السماء والارض كل يوم ، شروقك نار وهّاجةٌ تحتجب بسناها نجوم السماء . . أنت متفرد بسناك فلا يضارعك فيه إله من الآلهة أنت وأبوك (سين) تعقدان محكمة العدل وتصدران الأحكام ولا يعقد (آنو) و(إنليل) قراراً من دون رضاك ، أنت معتمد أيا مقرر الأحكام في الأعماق ، الكهنة المرتلون يخشونك ويتبتلون اليك ليذهب عنهم الشر ، ولك يقدم كهنة النور ويضيؤن مسالك العقول . يا منير الظلمات ويا من يمحو

ليظهر ثانيةً من خلف الجبال صباح اليوم التالي ، أما الأكديون فقد جعلوا جبل (ماشوم) الأسطوري نقطه خروجه ورجوعه .

ولذلك صرنا نرى شمش مصوراً على طبعات الأختام الاسطوانية الأكدية صاعداً من خلف الجبال حاملاً أشعة الشمس على ظهره ، واضعاً رجله اليمنى فوق جبلٍ ، ويقوم إلهان واقفان أمامه بفتح أبواب السماء ، وهو يحمل بيده آلة المنشار التي يقص بها الظلام والتي أصبحت أحد رموزه .

أما في الليل فيختفي من قبه السماء ويقوم برحلةٍ إلى العالم الأسفل ليزود الأموات بالضوء والطعام والشراب ، وتصفه المدائح الإلهية على أنه (شمس الأرواح الميتة) . وإذا كان شمش قد لعب دوراً قليلاً في الحياة السومرية (باستثناء ملوك اوروك الأوائل في عصر البطولة السومري) فإنه لعب دوراً هاماً عند الأكديين وفي العهد البابلي القديم .

وكانت أهم أماكن عبادة الإله الشمس في (زيبار) شمال بلاد الرافدين و(لارسار) في جنوبها . وكان له في آشور معبد مشترك مع الإله القمر (سين) .

المراجع : Stemphen , F. j: **Hymn to shamsh,** in **ANET** 1969: 321.

٢- لابات ، رينيه : **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين** ١٩٨٨ : ٣٢١ .

الشر في العلى وفي الدنى ، أشعتك كالشبكة تنتشر على الارض والجبال والبحار وأنت تمسك بأطراف الارض المعلقة من وسط السماء وتحرس كل ما خلقه (إيا) فأنت راعيهم ، أنت راعي العالم الاسفل وحامي العالم الأعلى أنت يا شمش دليل كل شئ ونوره ، لا أحد من الآلهة يجهد نفسه مثلك على الدوام تجتمع آلهة البلاد عند شرودك ويطغى سنا نورك على الارض . من ذا الذي بوسعه أن يتغلغل إلى أعماق البحار غيرك أنت ، الذي تحاكم الأشرار وتختبر الأخيار وأحكامك عادلة لا ترد ولا تبدل ، أنت الذي تأخذ بيدك مسالك البحر الذي يضج بالموج وتقود خطى الصياد في الطرقات التي لا يعرف مسالكها ، إن شبكتك منشورة لتمسك بمن تشتهي . أنت تحكم في مصير من يغشون في الوزن والحساب وتعاقب القاضي الذي لا ينهج محبة العدل ، والمرتشي الذي يضلل طريق العدل ، أنت الذي تنصف الآلهة الضعفاء وتدافع عنهم وأنت الذي تجزي من لا يأخذ خيراً على صنيعه ، ما عسى أن يحصل المرابي الذي يشتط في فائضه؟ إن هو الا كذّاب غشاش ، أما من يقرض بفائض عادل فإنه يبعث السرور في (شمش)

ويكسب المال الوفير ومن قسط الكيل والوزن فإنه يرضي (شمش) ويحصل على المال والذرية الدائمة ، بعدالة (شمش) وقوة (مردوخ) عاش الآلهة العظام (آنو) و(إيا) و(إنليل) بسلام ، إنك تضيء الكون والجبال وتكشف الأسرار . كل ما خلقه إيا أوكله إليك حتى الشياطين في العالم الأسفل المقيدين بالسلاسل يحصلون على ضوئك . لم تتأخر يوماً عن أخبار السماء وأنت تعرف أفكار الجميع ، فلك التجلة من الآلهة العظام الذين خلقوا العالم العلوي وأداروا في فلكه القمر والشمس وبنوا عليه المدن بعد أن قضوا على آلهة الظلام القديمة ، الآلهة الذين أقاموا الحد بين العالم العلوي المضيء والعالم السفلي المعتم . . عالم الأموات الذاهبين بلا عودة هذا العالم الذي كان يميد بين وقت وآخر ، فبقاياه ما زالت هناك منذ أن قُتلَتْ (تيامت) وقوى الظلام تصرخ في الليل رغم أن سين يضربها بالسوط ولكنها ما زالت تصرخ ، بين حين وآخر كان العالم السفلي يقذف بالشرر إلى العالم الاعلى ، بين حين وآخر كان ينتفض كلما ساد الأمان عليه فهو

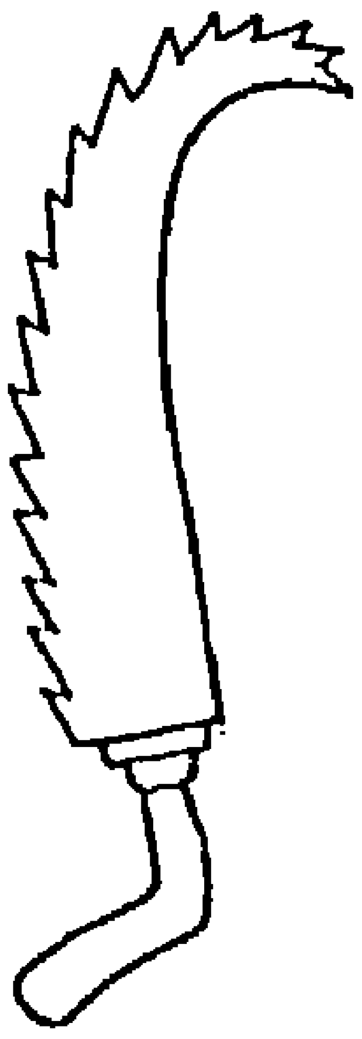

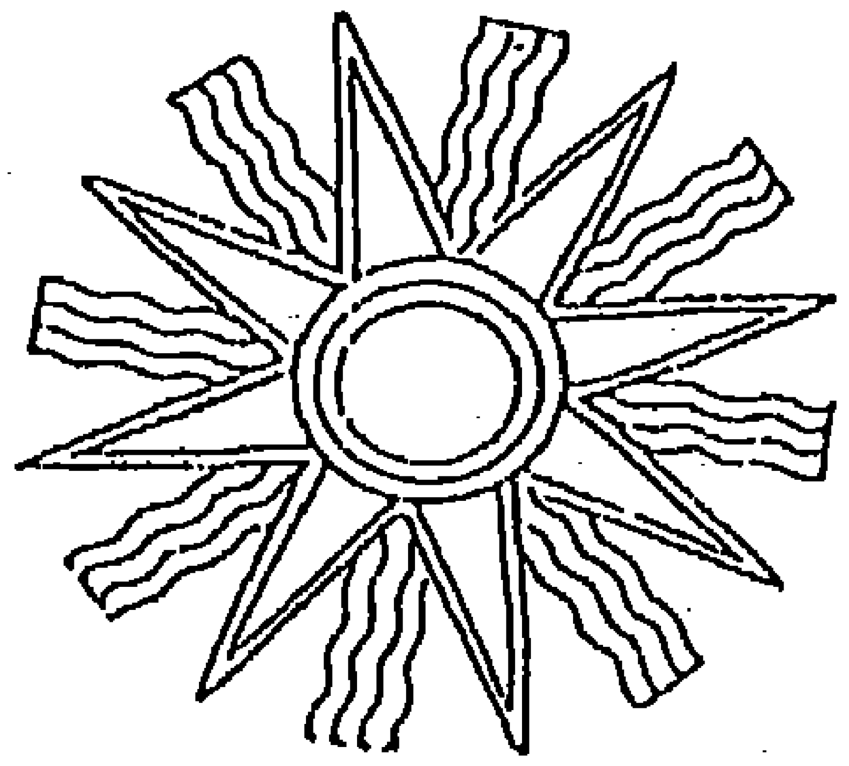

رمز الإله شمش منذ العصر الأكدي

رسم : علي محمد آل تاجر

بقايا (تيامت) وثعابينها ، بقايا البحر المظلم الذي كانت تسبح فيه قوى الخفاء الشريرة .

(زو) يسرق ألواح القدر

(زو) هو طائر العاصفة الذي كان يطلق عليه عند السومريين (أمدوجد) ويصوّر على شكل نسرٍ برأس أسد وقد خرج من الأبسو وهي المياه الباطنية العذبة التي لها علاقة بإيا حيث هي مقره ، ثم يصعد هذا الطائر من هذه المياه إلى جبل (خيخي) الذي يعتقد أنه جبل البشري شمال شرق سوريا وهو مؤلف من الرمل والزفت . وكان عندما ولد يملك منقاراً على شكل منشار (وهذا يتناقص مع رأسه الأسدي) . وينصح إيا الإله إنليل أن يضمّ هذا الطائر إلي خدمته لكن إنليل عندما رآه قال (ترى من الذي أتى إلى الوجود بهذا الكائن الخاص ؟ وما السبب أن يكون له شكلٌ بهذه الغرابة ؟) ويجيبهُ إيا (إنها مياه الفيض وآلهة الأبسو ؟) .

إن اختيار الآلهة (أدد ، جيرّو ، ننورتا) لقتال (زو) يعني تراجع (المطر ، النار ، العاصفة) أمام هذا الوحش الخرافي ولأن ننورتا يجمع هذه الصفات معاً فقد حاول ذلك مرةً وفشل ، لكنه نجح في المرة الثانية .

وهناك ألواح تصفُ (ننجرسو) بأنه قاتل (زو) وهو بطل هذه الأسطورة ، بل أن هناك نص تراتيل الصلوات للملك آشوربانيبال يصف (مردوخ) بأنه هو الذي

خرج (زو) طائر العالم السفلي من عشه في العالم الاسفل وشق الأرض ، لقد شهدت عيناه سر سيطرة (إنليل) وقوته رأى تاج ملكهِ ورداء الوهيتهِ ورأى الواح القدر ، وتملاها مرار وكلما رأى أبا الآلهة رب (الدورناكي) كلما حدثته نفسه في مركز انليل (سأحصل على ألواح القدر وأتحكم بمصير الآلهة والكون لانها سر الوجود ، سأمسك بمصائرهم جميعا وسأرسي دعائم ملكي وأتحكم بالاقدار ، سأحكم فوق جميع الايجيجي) وانتظر (زو) طائر الصاعقة طلوع النهار عند باب غرفة (إنليل) وحين مضى إنليل ليستحم في الماء الصافي خلع تاجه ووضعه على العرش اختطف (زو) ألواح القدر فاغتصب السلطة والسيادة والملك ثم طار (زو) حيث اختفى في جباله فساد الوجوم وعمّ الصمت وشلت حركة (إنليل) ذي السيادة فالحرم المقدس سرقت هيبته وتبددت محاسنه ففتح (آنو) فمه وقال مخاطباً أبناءه الآلهة :

هشم رأس (زو) .

ومع وجود كل هذه النسخ البابلية والآشورية لا نشك مطلقاً بوجود أصلٍ سومري لها ، ونرجّح أن يكون ننورتا هو الذي قتل زو كما في هذه النسخة الأكدية .

المراجع : السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى ١٩٩٦ : ٢٢-٢٣ .

2-Speiser , E.A : **The myth of Zu ANET** **1969** : 111 .

3- Grayson, A.K. : **The myth of zu ANET** **1969** : 514 .

ختم اسطواني من العهد الأكدي القديم يمثل إله العاصفة وإلهة على التنين المجنح

- ليقم واحد من الآلهة فيصرع زو ويجعل اسمه عاليا في العالم المعمور .

فاختار الآلهة (أدد) إله الصاعقة العلوي مقابلاً لـ (زو) إله الصاعقة السفلي وقرروا أن يكون هو البطل وهو ابن (إنليل) الذي سيثأر لأبيه فقال له (آنو) :

- أدد . . أيها القوي الجليل ليكن انقضاضك حاسماً ولترسل بسلاحك البرق فتصرع زو ليغدو اسمك عالياً في مجمع الآلهة ، العظام ولا نظير لك بين اخوتك الآلهة ، وستبنى لك المعابد وتشاد في جهات الأرض الأربعة وستقام هياكل لعبادتك وستبنى هذه الهياكل حتى في (ايكور) فتكون جليلاً في حضرة الآلهة ويعلو اسمك .

فأجاب (أدد) متحدثاً الى (آنو) أبيه :

- من يستطيع الاقتراب من تلك الجبال الرهيبة وهل بين الآلهة ابنائك شبيه لزو؟ لقد أمسك بين يديه الواح القدر واغتصبت السلطة والملك والسيادة وطار بعيداً مختبئاً في جباله فكلمته اليوم نافذة ككلمة رب الدورناكي من يعترضه يؤول الى تراب ورؤيته تثير في الآلهة الرهبة والقنوط .

جيّرو وشارا يخافان

الإله جيّرو (جيّرا) هو الشكل الأكدي للإله السومري (جبيل) وهو إله النار السومري . ويفيد الإله جيّرو الكهنة في مضادات السحر الأسود لأن النار تمحق فعل هذا النوع من السحر ، كما يفيد هذا الإله السحرة الضارين في عمل هذا النوع من السحر ، وهناك تعاويذ كثيرة له .

وحين يصعد الإله (إيا) الى السماء (في اسطورة سومرية أكدية) فإن جبّرا يرافقه ليكشفا سرّ العفاريت الشريرة السبعة (سبيتو) ، ويصبح الإله جيّرو (جبيل) وسيطاً بين إيا / إنكي وابنه أسالوحي لعمل التعاويذ المضادة لهذه العفاريت .

أما الإله (شارا) فإنه ابن الإلهة عشتار وهو إله مدينة أوما السومرية ، وهو إله حرب وعواصف ، كما تصفهُ المدائح الإلهية أنه بطل (آن) .

المراجع :

١- المراجع السابقة

٢- إذرزاد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ٨٤ .

أصاب الآلهة الهلع حين سمعوا أدد ، ثم صرخوا : لنكلّف جيرّو إبن أنونيت .
فنادوه وقال له آن : جيرّو ياذا القوة العظيمة ، جيرّو الرهيب لا تجفل . إذهب واصعق زو بسلاحك ، ستكون معروفاً بين الآلهة ولن يكون هناك من يشبهك . ستبنى لك الهياكل ، وتقام لك المحاريب في العالم كله ، سيكون لك محراب حتى في الايكور . ستتمتع أمام الآلهة بالمجد والقدرة الجبارة .
قال جيرو لآنو :
يا أبي ، ذلك الجبل الذي لا يصل اليه أحد ، من من الآلهة سيغلب زو ، امتلك ألواح القدر وصارت القدرة معه وطار الى جبله ، ومنذ ذلك الوقت صارت كلمته تضاهي كلمة إنليل . وبكلمة واحدة منه يتحول إلى عدم من يحمّله لعنته .
أصاب الآلهة الهلع حين سمعو جيرّو ، ثم صرخوا : لنكلف شارا إبن عشتار وقال له أنو :
ـ شارا أيها المنتصر الجبار إذهب الى زو وانقض عليه فتحصل على المجد عالياً بين الآلهة العظام ولا يكون لك نظير بين أخوتك الآلهة ولك ستبنى المعابد وتقام ، وفي جهات الارض الاربعة ستقام لك

الهياكل حتى في إيكور فتكون جليلاً في حضرة الآلهة ويعلو اسمك .
فاجاب (شارا) متحدثا الى (آنو) :
- زو ! زو الذي يتحكم الآن بأقدار الكون ، لقد اغتصبت السيادة ومن يعترضه يموت ولا احد يستطيع ان يمضي لمحاربته .
فطلب (آنو) من (شارا) ان لا يمضي لمحاربة (زو)

ننورتا هو البطل

يعني اسم (ننورتا) بالسومرية (سيد الأرض) وقد تسرب إلى الديانة الأكدية وحافظ علي شكل اسمه السومري ، وهو إبن الإله إنليل وشاركه في أماكن عبادته في نفّر ، وصارت زوجته إلهة الشفاء (جولا) أو مساويتها في المرتبة الإلهة (بابا) زوجة الإله ننجرسو . والإلهان (ننورتا) و (ننجرسو) شكلان لأصل أو إله واحد فكلاهما يقوم بمهمتي الخصب والحرب في آن واحد .

كان ننورتا يجسد الخصب في مراحله الأولى حيث جعل زرائب القطعان والماشية خصبة ومنح الحقول وأحواض السمك بركاته ، وهو فلاّح أبيه (إنليل) وفي المراجع الأدبية القديمة يعظ ننورتا إبنه الفلاح في نصوص حكمة ووعظ . اكتسب شخصيته القتالية في وقت لاحق حين بدأت الشعوب الجبلية تهدد أمن واستقرار الدولة البابلية ، وهو لا يستخدم صفته

صمت الآلهة وعدلوا عن تكليف أحد ووجم الإيجيجي وتحيروا ، لكن (إيا) الفطن الماهر المتدبر وقال لآنو :
ساقول لكم أمراً يزيل الهمّ عنكم ، وأمام مجلس الآلهة سأعيّن لكم من ينتصر على زو .
هجم الإيجيجي على أقدامه وقبلوها .
ففتح إيا فمه وقال :
استدعوا سيدة الآلهة وكبيرتهم ، وامنحوها سيداة المجلس ، امنحوها الجلال . وسأخبرها بما دبرتُ .
جاءت سيدة الآلهة ومنحت السيادة على المجلس ، منحت الجلال ، قال لها إيا :
في الماضي كنتِ تسمين مامي ، ومن

القتالية هذه ضد شعبه مثل أبيه إنليل ، وإنما يصب جام غضبه على الأعداء المغيرين ، ومن ألقابه المعروفة (الآخذ بثأر إنليل) ، وربما كان المقصود بهذا اللقب مكافحته للأعداء الذين دنسوا أماكن العبادة في بلاد بابل .

وكان رمز الإله ننورتا في نهاية الألف الثاني ق.م عبارة عن سهم مريش ، ثم تحول إلى حصان .

وقد أظهرت نصوص سومرية (قصيدة گوديا) أن إمدوگد (زو) كان قد قتل عدداً من الكائنات الخرافية مثل الكبش البري ذي الرؤوس الستة والأسد ذي الرؤوس السبعة والتنين الصالح والأسد مرعب الآلهة .

المراجع : المراجع السابقة .

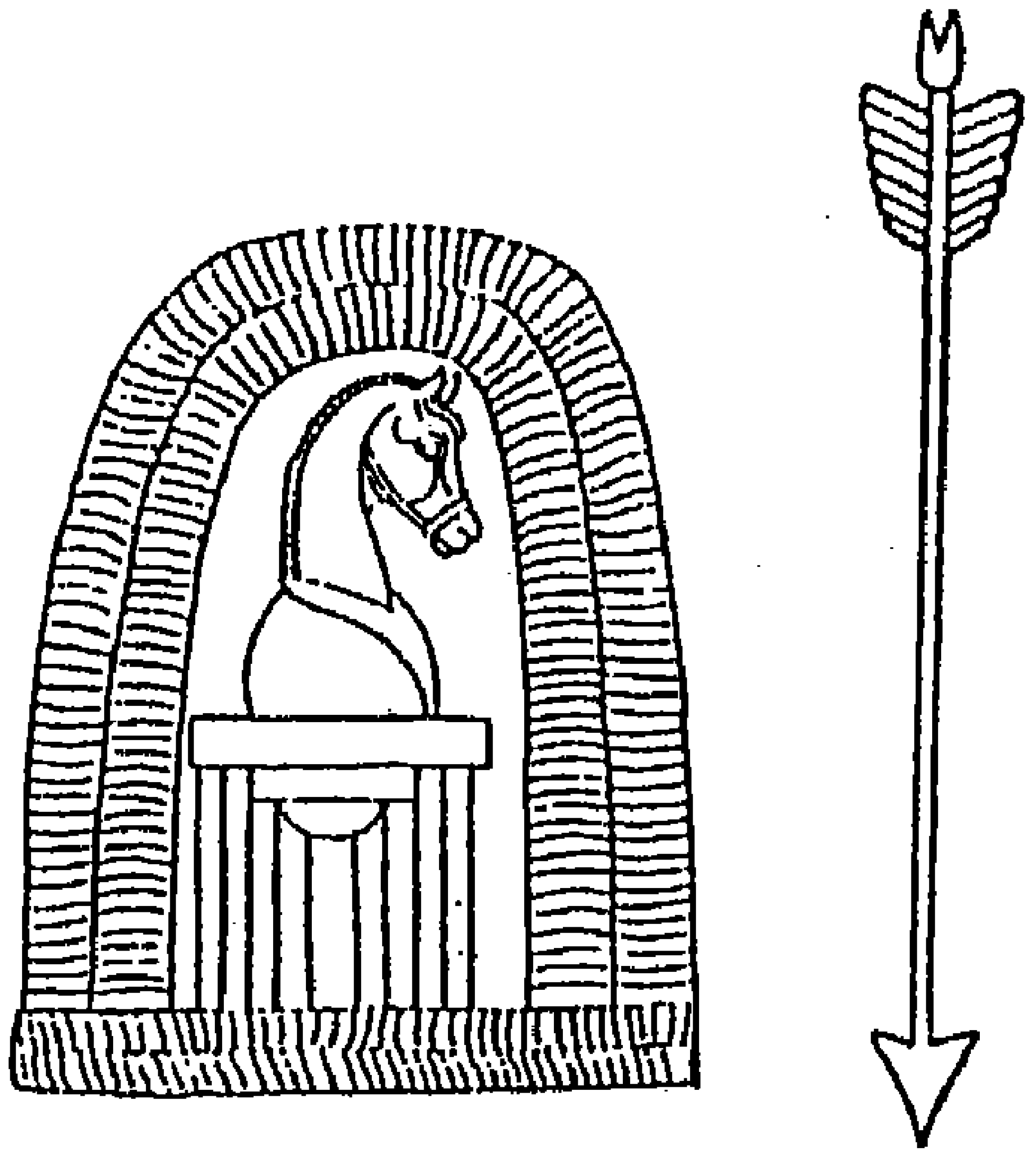

١) السهم : نهاية الألف الثاني ق.م

٢) الحصان : القرن ١٢ ق.م٦٤

رسم : علي محمد آل تاجر

الآن سنسميك (سيدة الآلهة كلها) سيكون اسمك هذا ولكن امنحينا أسم البطل القادر وحده على الانتصار ، إمنحينا ننورتا الذي تفضلين ليواجه زو .

وافقت مامي واستدعت ابنها ننورتا أمام الإلهين آنو وداجان والآلهة . قالت سيدة الآلهة .

تعلم انني ولدت الآلهة وخلقت الإيجيجي والانوناكي ، منحت السيادة لإنليل أخي ومنحت لآن سلطته العليا في السماء ، لكن (زو) سرق ألواح القدر من أبيك إنليل فاقطع الطريق عليه ، وضع له حداً وأعد البهجة لقلوب الآلهة .

ادخل معركةً معه ، خذ الرياح السبع لتأسر (زو) المجنح ، وأرح الأرض التي كونتها ، دمّر جبله وليسقط عليه الذعر ثقيلاً . إطلق عليه أعاصير العاصفة ، هيء قوسك وسمم سهامك حوّل وجهك الى وجه شيطان وانشر الضباب حتى لا يعرفك ، ولتلفهُ أشعتك ، إلبس كلَّ ضوئكَ . شنّ عليه هجوماً فصلاً .

ليتوقف شمش في الأعالي عن توهجه ، ليكن النهار ليلاً ، إقهر زو واحمل العاصفة لجناحيه ، اكتسح وخرب جبله وحقوله ، إقطع رقبته لتعود الملكية الى الإيكور والسلطات الإلهية إلى أبيك .

وسنخصص لك الهياكل لتكريمك ، والمحاريب في العالم ،سيكون لك محراب حتى في الايكور وستكون لك الغلبة بين الآلهة .

زو يسحر سهام ننورتا

إن إسطورةً أكدية غامضة تشير إلى أن ننورتا صالح (زو) بعد قتالهما وأن ننورتا لم يكن راضياً عن ما منحه له الآلهة . وهذه إشارة عميقة على تطابق خفّي بين ننورتا وزو وننجرسو . وأن روايات مختلفة هي التي فرقّت بين هؤلاء الثلاثة .

وهناك أختام أكدية وبابلية وآشورية كثيرة ترسم الطائر زو أما وهو في حالة صراع . ومن ألقابه السومرية والأكدية (ملك الصواعق المرعبة الرائع)

المراجع :

١) المراجع السابقة

٢) ادزارد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ١٢٩-١٤٠ .

أحد الآلهة (ربما كان آشور أو مردوخ) يقاتل أسداً مجنحاً

انتشى ننورتا وملأت قلبه الشجاعة وتقدم نحو الجبل كبطلٍ ، حبس في جبته الرياح السبع والعواصف السبع وحاملات الغبار وتقدم في قلب الجبل ورأى (زو) يزأر ويتوهج ويرعد ، وحين رأى ننورتا قال له : معي سلطات الآلهة . . فمن أنت .

قال ننورتا : انتخبتني الآلهة آنو وإنليل لمجابهتك وسحقك .

صرخ زو فعمت الظلمات واستتر وجه الجبل وأظلم النور الإلهي شمش . وهدر الرعد بعنف . وبدأت المعركة .

تغضب صدر (زو) بالدماء ، وأمطرت الغيوم الموت وتساقط منها السهام .

أطلق ننورتا سهمه الصارخ . لكن (زو) أعاد السهم إلى مكانه ، وأعاد القوس إلى خشبة ، وأعاد الوتر الى جوف الضأن ، وأعاد جناح السهم الى ريش العصفور .

ننورتا يبتر جناحي زو

من الأمور الغريبة ملاحظة أن ننجرسو الإله السومري الذي يطابق في صفاته (ننورتا) كان يرمز له في العصر السومري بطير الصاعقة الذي هو الطائر (زو) النسرُ برأس الأسد وقد لاحظنا في هذه الأسطورة أن ننورتا يقتل هذا الطائر. وهذا يشير إلى أن أصل الاسطورة سومري وأنه بعد أن قتل (زو) أصبح رمز زو هو نفسه رمز ننورتا .

ولكن رمز ننورتا في القرن الثالث عشر هو رمز مزدوج فهو يشير الى طير مع إله قوي ،أو أنه يقدّم مقصوص الأجنحة إلى إلهٍ كبير .

المراجع : المراجع السابقة .

أحد الآلهة يقود (زو) إلى الإله إيا

لوح الأقدار فعل كل هذا وتوقف رمي السهام وتوقفت المعركة . . ولم يقدر ننورتا على هزيمة زو .

أخبر ننورتا أدد بما حصل وقال له توجه الى (إيا) واخبره . فلما أخبر أدد إيا قال إيا :

إخبر سيدك بأن ينهك (زو) تماما ، إجعله يتعرض لعصف الريح فيخفض جناحيه فيبترهما ننورتا فيرتبك ولا يتكلم . سيطلب منه جناحاً فيبادره بسهم كالبرق وسقهره .

أخبر أدد ما نصح به إيا فتقدم ثانيةً بعدته الى الجبل وواجه (زو) واطلق ريح الشمال وريح الجنوب وريح الشرق وريح الغرب .

أنهك ننورتا (زو) بزخّات الرياح ، أخبره أن يخفض جنحيه ، وبدلاً من السهام استعمل سكيناً وبترهما ، شوّه يمينه . . . شوّه شماله . فتعطلت رؤية زو وتوقفت الكلمة في فمه . ثم أطلق ننورتا سهاماً عليه . وسقط زو .

أعطى ننورتا إشارة النار لآلهة العالم السفلي وساكني الأبسو . اجتمع الآلهة ورأوا جثة زو وباركوا ننورتا .

أعـــلا ننورتا لوح الأقـــدار الى إنليل .
واقيمت لننورتا الهياكل والمحاريب .

زو المقصوص الاجنحة مقاداً إلى الإله إنكي أو آنو

تنين اللابو يصرخ

كـان الإله (تشبـاك) أو (يتـشـوب) من أصل غـيـر معروف ولكنه دخل مجمع الآلهة الاكـدية ، وهناك من يرجح كونه من أصل حوري أو عيلامي .

وقد ورد ذكره في النصوص إلهاً لمدينة (إشنونا) في منطقـة ديالى . وحلّ مـحل الإله (ننازو اله الطب السومري) في العـصر البـابلي القـديم . ومن ألقـابه الأكـدية (سـيـد الجـيـوش) وله صـفـات الإله أدد الطقسية وقد كـان يحمل أحياناً شوكته الصاعقة ويركب على ثورة .

ربما أشارت هذه الأسطورة الى خوف البابلين من صورة (درب التبّانة) المرسومة في السمـاء فوصفوها بأنها تشبـه حيواناً خرافـياً ناهضاً من العـالم الاسفل هو

مر زمن طويل سعدت فيه الآلهة وفرحت وتكاثر نسلهـا واصـبـح (مـردوخ) الملك شيخاً يحكم بالعدل والسلام لكن قوى العـالم الاسـفل كـانت مـثل بقـايا الجـمـر تحت الرماد . قررت ان تعيد غزوها للعالم الاعلى ، خــــرج وحش (اللابـو) الذي يرقـد تحت مـيـاه الظلام وانتـعـشـت قـواه واقضّ مضجعه سكون المياه الطويل وقام من الميــاه الأولى قــام من بحــر الظلام وخرج ليهدم مدن الآلهة وليقتل كائناتها فـاختـار مـدينة أور أولاً وتنهـدت المدينة التي قام ليـدمـرها تحت غـبـار الموت ولم

(لابو) لأن إنليل يرسم شكل هذا الإله على السماء مطابقاً لدرب التبانة .وربما تشير هذه الاسطورة الى إمكانية الصواعق والبروق (التي يمثلها تشباك) بصرع هذا الحيوان الخرافي ، أو الشكل المرعب لدرب التبانة .

المراجع : السواح ، فراس : مغامرة العقل الاولى ١٩٨٦ : ٢٢٥-٢٢٧

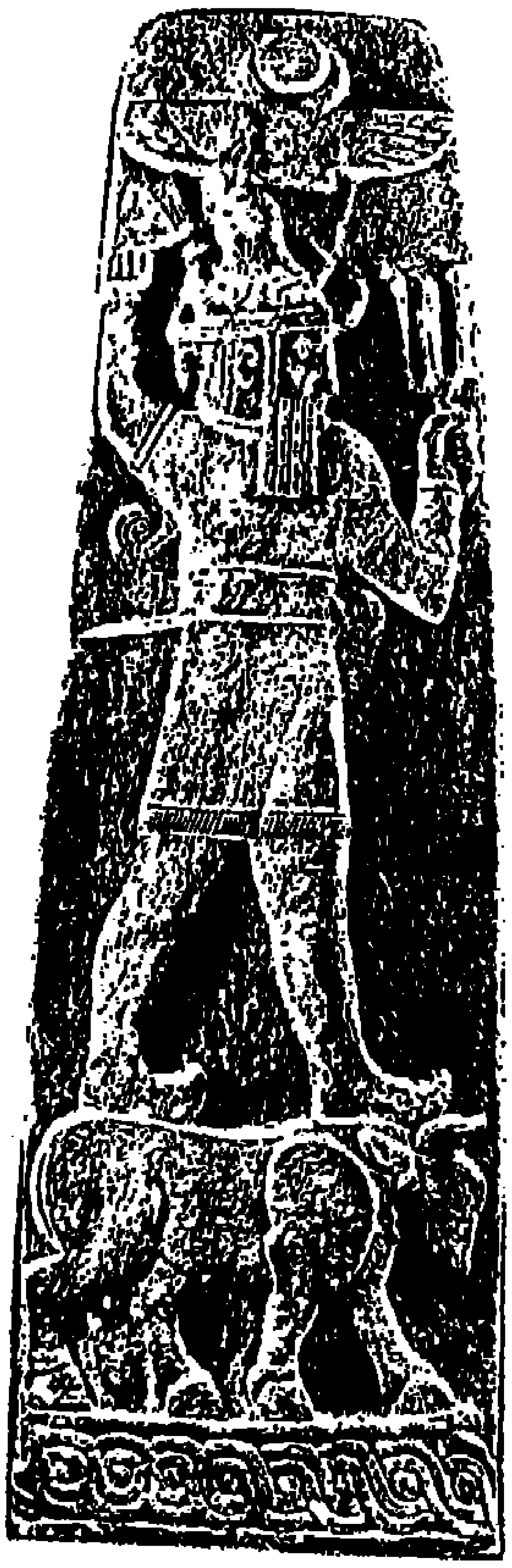

الإله تشباك (يتشوب) يحمل الصاعقة ويركب على ثور

يكن أحد يستمع لنواح كائناتها وصراخهم ، من ترى أنجب هذا الثعبان ، التنين ، من أنجب (اللابو) . فاضطرب الآلهة وقام (إنليل) لرسم شكل (اللابو) في السماء بشكل يطابق درب المجرة فكان طوله خمسين ساعة مضاعفة وارتفاعه ساعة مضاعفة وكان اتساع فمه ستة أذرع واثنتي عشر ذراعاً أما محيط أذنه فستة أذرع وكان يستطيع صيد الطيور على بعد ستين ذراعاً وتسعة أذرع في العمق يستطيع الغوص تحت الماء ، كان يرفع ذيله ، وجميع آلهة السماء اختاروا إله القمر (سين) إله أور ليتدبر لهم الأمر ، سجد الآلهة أمام الإله (سين) في السماء وقالوا له :

ـ من ذا الذي سيمضي لقتل اللابو وتخليص الارض الواسعة فتكون له السيادة من بعد على الجميع .

فقال الإله (سين) :

ـ إمض يا (تشباك) واقتل اللاوبو ، خلص الأرض الواسعة من شره فتكون لك السيادة من بعد على الجميع .

ـ ولكني لا أعرف ما مدى قوته فكيف يمكن أن أصرعه .

ـ استعد يا تشباك أيها البطل لقتاله فهو أضعف منك ومن قوتك ، حرك الغيوم واصنع زوبعة ، ضع خاتم حياتك أمام

وجهك واطلق سهماً واصرع (اللابو) .
فتهيأ تشباك وأعدّ عدته الحربية وقام لملاقاة (اللابو) فحرك الغيوم وصنع زوبعة ووضع خاتم حياته أمام وجهه ، وأطلق سهما وصرع (اللابو) ولثلاث سنوات وثلاث اشهر . . ليل نهار جرى دم (اللابو) .
وسبّح الآلهة باسم إنليل الذي وضع الخطة وباسم (سين) الآمر بقتله وباسم تشباك قاتله .

الطاعون إيرا يقوم من الظلام

هناك من الباحثين من يرى أن لا علاقة بين العالم الهيولي القديم الذي كانت تمثله تيامت ومخلوقاتها ، وبين العالم الأسفل الذي أصبح عالم الموتى وتسيدت عليه الإلهة أرشكيگال .

ولكننا نرى أن العالم الأسفل هو امتداد للعالم المائي الهيوليّ ذاك ، ودليلنا على ذلك هو أن العالم الأسفل في شكل الكون السومري والبابلي محاطٌ بالأعلى بمياه الـ (أبسو) العذبة ومن الأسفل بمياه تيامت أو نمّو . وهي المياه الأولى . وهذا يعني أن هذا العالم ورث ما آلت إليه مادة العالم الهيولي خصوصاً أن الاثنين يشيران إلى الأمراض والشرور والظلام . والفرق بينهما هو أن العالم الأسفل ترابي ، بينما العالم الهيولي مائي .

إن كائنات العالم الأسفل قد تكون مائية مثل (كور)

لم تهدأ قوى العالم المظلم فقام تنين الطاعون والاوبئة القاتلة المدجج ذو الأسلحة كان سلاحه المدمر (سيبي) يخز نومه ولا يدعه يرتاح طلباً منه أن يثأر من مدن الآلهة ومن الآلهة أجمعين الذين انشأوا ممالكهم على أجساد آلهة العالم السفلي فخاطب (سيبي) الإله (إيرا) :

ـ انهض وسر قدما أيها المتسكع في أرجاء المدينة ، المتسكع كعجوز مريض أيها الزاحف كطفل كبير في الدار ، لقد ذللنا يا إيرا وسلب آلهة العالم الاعلى أبطالنا وخنقوا حياتنا وسدوا منافذ النور عنا ، لقد بتنا نأكل الطعام الرديء ، وصرنا

وهوائية مثل (زو) ونارية مثل (إيرا) وترابية مثل أرواح الموتى (أطمو) .

وفي حالة (إيرا) الذي يرافقه وزيره (إيشوم) نشاهد هذا الحيوان الخرافي وهو ينشر مرض الطاعون ويفتك بالناس والمدن . وهنا لا يتصدى أحدٌ لهذين الكائنين ، بل إنهما ينتهزان فرصة غياب أو إبعاد مردوخ عن مكانه لخلخلة العالم الأعلى وتدميره .

وتصف بعض النصوص (إيرا) على أنه إله أكدي(ربما من أصل حثّي) .وكان يشارك الإله (نرجال) في معبد واحد اسمه (إيسلام) في مدينة كوثا شمال بابل (الكوت) .

وعندما وجد (إيرا) طريقه الى مجمع الآلهة البابلي أصبح إبناً للإله (آن) وزوجاً للإلهة (مامي) ، وهي غير الإلهة المعروفة . وربما كانت قرينة نرجال (ماميتوم) .

ويبدو أن علاقة (إيرا) هذه بنرجال هي التي حوّلته فيما بعد إلى كائن شيطاني شرير . إذ أنه أبعد من الألوهية فسقط مباشرةً في مجمع العفاريت .

أما إيشوم فهو إله سومري في الأصل كان يسمى (بطل سومر وحامي حمى النظام) .

وبقي عند الأكديين على شكل إله ، وذكرته الأساطير الأكدية على أنه اخ إله الشمس (شمش) ، وبطل مستشار نرجال واله الطاعون إيرا ، وبشكل عام بطل الآلهة وناظرها ، وهو على عكس سيده (إيرا) طديق للبشر ، يعمل دائماً على تدهئة (إيرا) وتطييب خاطره .

نخاف الوغى كمن لم يحارب يوماً فانهض أيها البطل إنهض وسترتعش الآلهة حين تسمعك الشياطين ستسمع مآثرك وتهاب جبروتك وسيسمع كل عظيم إسمك ويرتعد ، ستسمع بك البحار المتلاطمة وتضطرب ستسمع بك الجبال الراسيات وتضطرب ، أي إيرا لقد قلت كلمتي فهل سمعت ، القوس مشدود والسهام حادة والسيف مسلول فماذا ستفعل .

نهض (إيرا) من رقدته وصاح وزيره (إيشوم) قائلا له :

ـ افتحوا أبواب العالم السفلي فاني سأقتحم الدروب وإلى جانبي سيمشي (سيبي) سلاحي الذي لا قرين له ، ومن خلفي ستمشي أنت يا مساعدي .

فانتفض (إيشوم) وأخذه الغم وقال لـ (إيرا)

ـ أيها الإله لقد نويت على شر كبير وقد أضمرت للأرض دماراً وللآلهة رداً عنيفاً ، فهل من وسيلة لردك الى مكانك ، إهدأ يا سيدي إهدأ .

ـ صمتاً يا (إيشوم) . . صمتا يا (إيشوم) وانصت لما اقول ، دعني أُنبئك بمصير الأرض ومستقبلها الذي رسمته لها ، في السماء سأكون الفأس الوحشية وفي الأرض الأسد الغالب وفي البلدان

المراجع :
١- سعيد ، خليل : معالم من حضارة وادي الرافدين ١٩٨٤.
٢) اذزارد : قاموس الآلهة والأساطير ١٩٨٧ .

جنّي أو شيطان على حصانه
القرن الثامن من آشور

الملك ، أنا جليل الآلهة والمقدام بين (الايجيجي) والقوي بين (الانوناكي) .
كان ملك الآلهة (مردوخ) في بابل فصعد إليها (إيرا) وتوجه إلى قصره (الإيساجيل) قصر السماوات والأرض ومثل أمامه وفتح فمه وقال له :
ـ أيها الملك ، إن الآلهة النورانية رمز الوهيتك المشعة أبداً كنجم سماوي قد كسدت وخبا لونها ومال عن رأسك تاج سيادتك ووهن جسدك وانك لفي حاجة الى مكان آخر اعددته لك تطهر ناره عباءتك وتستحم به فتتجدد قواك لتحكم الآلهة والعالم بصورة أفضل والاّ كيف ينال منك الكبر يا مولاي وأنت خالق الدنيا ومجدد مخلوقاتها ، إذهب يا مولاي الى البيت الذي تطهر فيه النار مآزرك ويقع في جبلٍ شرق ممالكك .
فاطرق (مردوخ) طويلًا ثم قال لـ (إيرا) :
ـ أخشى إن تركت (الإيساجيل) مركز الكون في بابل أن يفلت زمام العالم وأن ترتبك قواه ، أخشى أن يعود العالم الى الفوضى وأن ترجع قوى العماء وأن تفيض أرواح العالم السفلي ، أخشى أن ينهض آلهة العالم الاسفل فيأسرون العالم الأعلى ويسلبون قوته وأن تدمر الخليقة .
اضطرب إيرا وخاف أن تنكشف حيله فقال مسرعاً :

ـ إطمئن يا مولاي سأكون مكانك أرعى ما ترعاه وأدبر ما تدبره حتى تعود من مكانك فتجد كل شئ في عهدتك .

اقتنع مردوخ بكلامه وقال له :

ـ حسناً يا إيرا خذ مكاني طيلة غيابي وحافظ على الامانة .

رحل (مردوخ) الى مكانه الجديد وأخذ (إيرا) مكانه على عرش (مردوخ) فاستدعى (ايشوم) وقال له :

ـ لقد حان اليوم وأزفت ساعة الخلاص ، سآمر الشمس فتترك شعاعها وأُغطي بالظلام الدامس وجه النهار سادفن بالجفاف من ولدته أمه في يوم ماطر وسأقود على الرمال من مضى فيً طريق مروية خضراء ، أما أنت يا (مردوخ) الذي انطلت عليه الحيلة فاقبع في الجدار التي هيئتها لك وسأسهر على شرائعك وقوانينك لن تسمع صراخ أبنائك ، سأضع نهاية لجميع مراكز الحياة فأحيلها الى ركام ، سأدمر كل المدن وأحيلها الى خراب ، سأهدم كل الجبال وامسح عنها القطعان ، سأزلزل المحيطات وسأقتلع الأشجار وبساتين القصب سأسحق كلّ عظيم وأمحق كل شئ حي .

إيرا يدمر بابل

كانت بابل قرينة بمردوخ ، وكان غياب مردوخ عنها يعني غياب سيادتها ، ولذلك أصبحت مسرحاً لتخريب إيرا .

وفي هذه الأسطورة لا نلمح مخلّصاً مثل تنورتا أو تشباك . بل تكون عودة مردوخ من فترة غيابه هي الكفيلة بهرب إيرا وإيشوم وعودة الحياة الى توازنها .

ويمكن أن تكون هذه الأسطورة أساس فكرة غياب مردوخ وأسره في العالم الأسفل اثناء احتفالات رأس السنة البابلية (الاكيتو) حيث يختل نظام الكون ويعبث في بابل الفساد والمرض والدمار . وكان (نبو) إبن مردوخ هو الذي يقوم باسترجاع مردوخ الى بابل . وفي هذا العيد كان يعاد تمثيل الصراع بين الإله مردوخ وتيامت وهو الصراع الذي جرى في بداية الخليقة ، وانتهى بانتصار مردوخ . لذلك تتم استعادته في هذا العيد ، كما تتم استعادة غياب مردوخ عن بابل وتدميرها من قبل (إيرا) .

المراجع : المراجع السابقة .

وبدأ إيرا بتنفيذ خطة دماره ، فدمر بابل وقضى على من فيها ثم دمر أوروك وقضى على من فيها وتوجه الى المدن الأخرى ففزعت الآلهة وهربت من فتكه ، ورأى ايشوم أن سيده إيرا قد تمادى وقد يناله غضب (مردوخ) أن علم فتوجه الى (إيرا) وقال له :

- سيدي العظيم إيرا لقد فتكت بالمدن ودمرت الالهة ، أما يكفيك أنك انتقمت .

- المزيد من الأمراض والخراب يا إيشوم ، ساستلب روح الإبن وأدفن أبوه ثم روح الأب ولا يجد أحدا ليدفنه ، فمن بنى لنفسه بيتا وقال هذا مكان راحتي فاني جاعل بيته هذا مستقرا لي ، وعندما تحملني الأقدار اليه فألبث في وسطه حاملا الموت لصاحبه ثم أدمر بيت الراحة وإقامته فإذا صار خرابا وهبته لشخص اخر .

- إيرا أيها الجليل لقد سقيت التقي الردى ، كما سقيت الضال الردى وسقيت الخاطئ الردى كما سقيت الطاهر الردى ، قد سلبت حياة من بجّل الآلهة العظام وسلبت حياة من حكم من الآلهة ، سلبت حياة صغار الآلهة وهاانت

ترفض ان تستريح وتقول لنفسك (سأسحق كل عظيم واقتل كل ضعيف ، سأهدم البيوت العالية ، سأمحق ثراوات المدينة سأخلع الصواري فتضل السفن سبيلها وأمزق الأشرعة فلا تصل سفينة شاطئها سأمزق الجبال إربا ، رافعا عنها راياتها ، ساجفف الصدور حتى يموت الصغار واجفف الينابيع حتى تتوقف الأنهار عن الجريان ، ساطفئ نور الكواكب والنجوم وأتركها دونما رعاية ، سأتلف جذور الأشجار فلا تنمو بعد الأوراق ، سأخلع أساسات الجدران فتهتز اعاليها والى مسكن ملك الآلهة سوف أمضي فلا يعارضني احد) .

- لقد خلعت ما يكفي يا إيرا واخشى ان يعود مردوخ وينتقم منك فدعنا نعود الى العالم الاسفل بعد أن تركنا العالم الاعلى خرابا .

- ما زال أمامي مدن كثيرة لادمرها وآلهة عديدون لاقتلهم

- ستغضب الآلهة فيبحثون عن مردوخ ويشتكون إليه

- حسنا يا إشوم ايها الحكيم حسنا يكفينا ما فعلناه وهيا نهرب الى العالم الاسفل ، هيا يا إشوم

هرب إيرا وإشوم الى عالمهما وتركا خراب الأرض . تركا الآلهة يندبون

مشهد اسطوري لإلهين راكبين على حيوانين خرافيين

ويولولون حتى إذا ما عاد مردوخ من رحلته وجد الدمار والخراب وقد حل بالعالم العلوي فحزن وتأسف على ان إيرا قد خدعه فبحث عنه ولم يجده وأدرك أنه قد بدأت تنطلي عليه حيل وقوى العالم الاسفل وأن ما فعله (إيرا) سيكون بداية الحرب الطويلة مع العالم الأسفل ، وبدأ بصبر يعيد كل شئ الى مكانه ، البيوت المدمرة يعيد بناءها ، المدن ، السفن ، الجبال ، البحار ، الارض ، لكنه كان حزينا وكذلك الآلهة لان قوى العالم الاسفل لم تنته وقد تعود بين آونة واخرى .

كور يخطف إريشكيكال

(كور) يعني الجبل ويعني الشرق ويعني العالم الأسفل ، وقد ظهر كور في المثولوجيا السومرية وكأنه المياه القذرة المنبعثة من الأرض حيث قام ننورتا وإنانا بصدها ومحقها . أما في المثولوجيا البابلية فيظهر كور على أنه جبل العالم الأسفل الذي اختطف اليه (مردوخ) ويظهر أيضاً ككائن تنين عتيق من كائنات العالم الأسفل حيث يقوم باختطاف إريشكيگال من العالم الأعلى الى العالم الاسفل ، لكنه لا يذكر بصحبتها ، أما أريشكيگال فهي (سيدة الأرض الكبيرة) ولها عدة أزواج منهم (جوجال أنا – ثور السماء الكبير) و (إيرا) و الإله نرجال ، وتعتبر

حزم كور أمره لاختطاف (إريشكيكال) فانفتح العالم الاسفل له وخرج الى الاعالي وفي الليل اختطف إريشكيكال ووضعها في عربته واتجه بها نحو العالم الاسفل حيث اقام له العفاريت والشياطين حفلا كبيرا وهللو لقدومه بإريشكيكال سيد الارض وفرحوا ونصبوا كور ملكا للعالم الاسفل وإريشكيكال ملكة عليه لكن كور العجوز مات تلك الليلة فحزنوا عليه وبقيت إريشكيكال في قصرها سجينة العالم الاسفل وملكته

أريشكيگال الوجه الآخر لعشتار فهي اختها ومنافستها وإلهة العالم الأسفل الذي هو عالم الموت .

المرجع :

Grayson, A.K.: **Nergal and Ereshkigal - Additions, ANET** 1969: 507.

فتقدم لها الجن والعفاريت والشياطين والهة العالم الاسفل وقالوا لها :

- أنت ملكة عالمنا فاحكميه بالعدل وسنسعى لخدمتك ، سنُعلي شأنك بين الآلهة وسنمنحك كل اطراف العالم الاسفل ، سنعطيك الولاية عليه والامر علّك تعيدين تنظيمه وتدبير شؤونه .

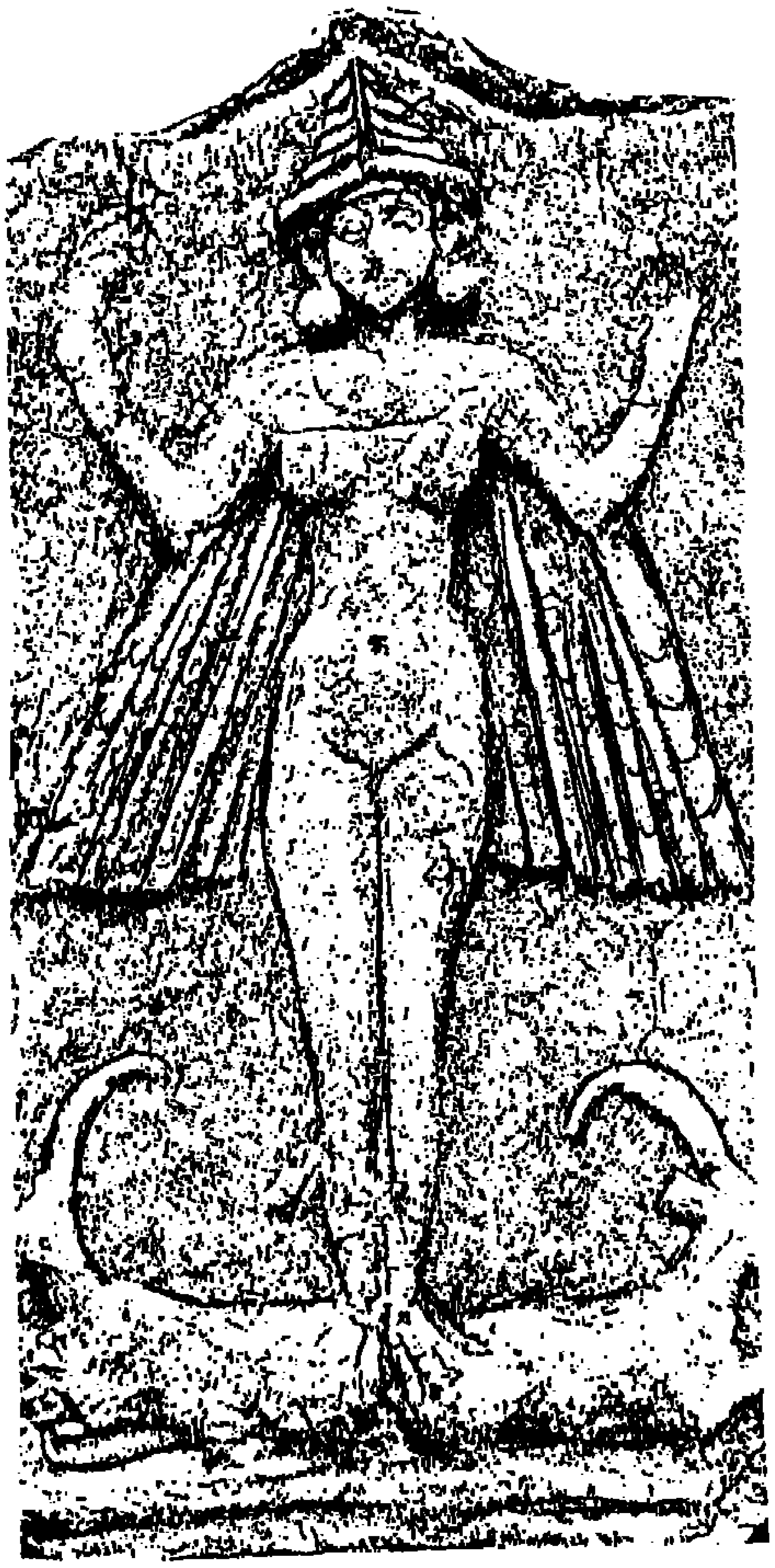

إلهة مجنحة تقف على جديين
يعتقد أنها إريشكيگال

إريشكيكال تنظم العالم الأسفل

يعتبر العالم الأسفل (عالم الأبدية) بالنسبة لأرواح الموتى في اللاهوت السومري والبابلي ، ففيه تقيم أرواح الموتى التي تنزلُ من القبر على شكل طيور لها ريش تشبه شكل صاحبها وتجتاز نهر العالم الأسفل ثم أبوابه لتصل الى مستقره وترقد هناك الى الأبد تأكل الطين وتشرب الماء العكر . والعقائد العراقية القديمة لا تتضمن العقاب والثواب بعد الموت ، ولا الجنة والنار بل هناك أرواح تعيش محبوسة في هذا العالم الى الأبد .

بالإضافة لأرواح الموتى من الناس ، كان العالم الأسفل مقراً لإقامة آلهة الموت والأمراض واتباعها من صغار الآلهة والشياطين الموكلة بتنفيذ أوامرها . وكان هذا العالم مكاناً لإقامة بعض الآلهة التي ذكر موتها ، أو التي تؤسر أسراً مؤقتاً مثل مردوخ ، أو التي تذهب اليه بشكل دوري مثل تموز ، أو التي تعاقب بالنفي إليه مثل إنليل بسبب اغتصابه لننليل .

ولكن العالم الأسفل هو مصدر الشياطين المؤذية والأشباح الشريرة ومنها أرواح الموتى التي حرمت من الهدوء والسكينة .

المرجع : حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت ، ١٩٨٦ : ١٦٩-٠٢٣٠

قبلت إريشكيكال ماقرره مردة العالم الاسفل واعتلت عرش الملوكية ووضعت تاجها على راسها وأمسكت الصولجان وقالت (لأتدبر شؤون هذا العالم ولأضع نواميسه وخرائطه فهو لي وانا سيدته وسيكون لي شأن اكبر من شأني في العالم الاعلى) ، واجتمعت بمردة العالم الاسفل واخبرتهم بخطتها في تسيير شؤون العالم الاسفل على أن يعملوا فيه ليل نهار ليجعلوه عالما عظيما يليق بآلهة مثلها ، فانطلق المردة والعفاريت والشياطين يعملون ، احسنوا حفر حدود العالم الاسفل الذي تجثم على سقفه مياه آبسو ، وحفروا مجرى نهره العظيم (خبر) الذي يمتد من سطح العالم الأعلى محيطا بالعالم الاسفل وعينت الإلهة إريشكيكال (خمط تبال) الذي يحمل على عجل عباراً لهذا النهر ورأسه يشبه راس الطائر (زو) حيث يحمل روح الإله الميت في قاربه . . ويحمل (اطمو) ويسير بها من العالم الأعلى الى باطن العالم الاسفل ، وبعد النهر العظيم بنوا أسوار العالم السفلي السبعة وفي كل سور باب عظيم يقف عليه إله حارس جبار عتيّ وسموا الباب الاول (كانسرو) وعينت

الملكة الإله (نيدو) حارساً عليها رأسه يشبه رأس الاسد وأرجله ارجل الطائر . ثم بنوا أسوار العالم الستة الباقية وعينت الملكة الإلهة الاخرين عليها (كشار) للبوابة الثانية (وانداشرما) وزوجته (ننداشرما) للبوابة الثالثة و (إنرا) للبوابة الرابعة و (اندككا) وزوجته (ننككا) للبوابة الخامسة و (اندشبا) للبوابة السادسة و (انكيكي) للبوابة السابعة وعينت شرطة من المردة والعفاريت أسمتهم الـ (كالا) يطوفون بين الاسوار ، وبعد السور السابع بنوا للالهة (إيرشكيكال) قصرا عظيما لا نظير له شيدوه من حجر اللازورد واسموه قصر العدالة (ايجال كينا) وسكن معها الآلهة الصغار والشياطين وبنوا قصورا صغيرة للكهنة من الالهة والشيوخ وبعد ان نظمت الإلهة (إريشكيكال) مداخل العالم الاسفل منحت المراتب والأوسمة وقررت الأشكال والخلق والمناصب لمردة العالم الاسفل فعينت (نمتار) مقدر المصير وزيرا لها ووضعت في يده سيفا وامسكته زمام ستين نوع من الامراض والاوبئة . (نمتار) الذي يشبه رأسه رأس التنين وزوجته (نمتارتو) التي يشبه راسها رأس الكوريبو وكان لباس راسه تاجا وأرجله مثل أرجل طائر ويدوس بقدمه

شيطان بابلي (١٩٠٠ ق . م)

كانت هذه الشياطين بشكل عام تملك أجنحة وكان لها أجسادٌ مركبة من الحيوانات المختلفة أو من الحيوان والإنسان .

وكانت ليليث شيطانة الليل المعروفة التي اكتسبت شهرة في الميثولوجيا السامية عموماً .

ليليث (ليليتو) من كالح (نمرود)

اليسرى على تمساح ، اما (آلوخابو) المختطف فكان له رأس اسد واربع ايدٍ واقدام بشرية ، وكان لنصير الشر رأس طير وكانت اجنحته مبسوطة وهو يطير ذهاباً واياباً وله ايدٍ واقدام بشرية وكان لـ (اوتوكو) الشرير رأس اسد ويداه وقدماه ، مثلما هي عند طائر الزو أما (شلاك) فقد كان بهيئة اسد منتصب على اطرافه الخلفية وكان لـ(ماميتو) راس عنزة وايدي واقدام بشرية ، وكان (ممو ـ لبنو) كل ما هو شر له رأسان احدهما رأس اسد وكانت له ثلاثة أرجل ، الاماميتان مثل ارجل الطائر والخلفية مثل أرجل الثور . وعينت الاله (ايشوم) وزير إيرا بمنصب الرسول العظيم ومشير الآلهة وزوجته من الالهة (ننمك) وقسمت حشود الشياطين والمردة الذين يجوبون العالم الاسفل ويحرسونه الى اقسام فمنهم الآخذ والمتربص والخرب وروح الليل أو شيطان الليلو وانثاه ليلتو وكانوا ليسوا ذكورا ولا إناثا ، انهم الرياح الهابة المهلكة ليست لهم زوجات ولا ذرية ولا يعرفون شفقة ولا رحمة ولا يستجيبون لتضرع ولا دعاء انهم كالخيول الجامحة في الجبال يناصبون الاله (إيا) العداء انهم حاملو عرش الآلهة يقفون في الطرق ويلوثونها ، إنهم شر وكل الشر

سبعة وسبعة ، انهم سبعة مضاعفة ، انهم عبر الاسوار العالية السميكة يمرون كالطوفان يمرقون من بيت لبيت لا يمنعهم باب ولا يصدهم مزلاج منهم ينسلون عبر الباب كانسلال الافاعي ويمرقون من فتحته كالريح ينتزعون الزوجة من حضن زوجها ويختطفون الطفل من على ركبتي ابيه ويأخذون الاله من بين اسرته وكل واحد منهم يهاجم عضوا من اعضاءه ، (اتكو) يهاجم البلعوم ، (آلو) يهاجم الصدر ، (اطمو) يهاجم الخاصرة ، (رايبصو) يهاجم الجلد ، (أشاكو) يسبب الصداع ، والشيطانة (لبرنو) تسبب الكوابيس والاحلام المزعجة و (لباسو) يسبب الصرع . واطلقت إرشيكيكال الاسماء العظيمة على مملكتها عدة أسماء فهي الارض العظيمة كيكلو ، وأرلي والقبر وكماخو وأرصيتو ، والارض السفلى أرصيتو ، شبيلتو والارض الوسطى أرصيتو قبليتو والارض الفسيحة ارصيتو ربشتو وارض اللاعودة كرنوكي ، والارض البعيدة ارصيتو رومتو ، والارض الحصينة كيباد ، وارض الموتى ارصت مينوتي ، وارض النحيب ارصت تانيخي ، والصحراء صيرو ، والخرابة خربوا والبادية نساتي ، والقفراء نموتي ، والجبل شدو وخرشانو . اعلنت

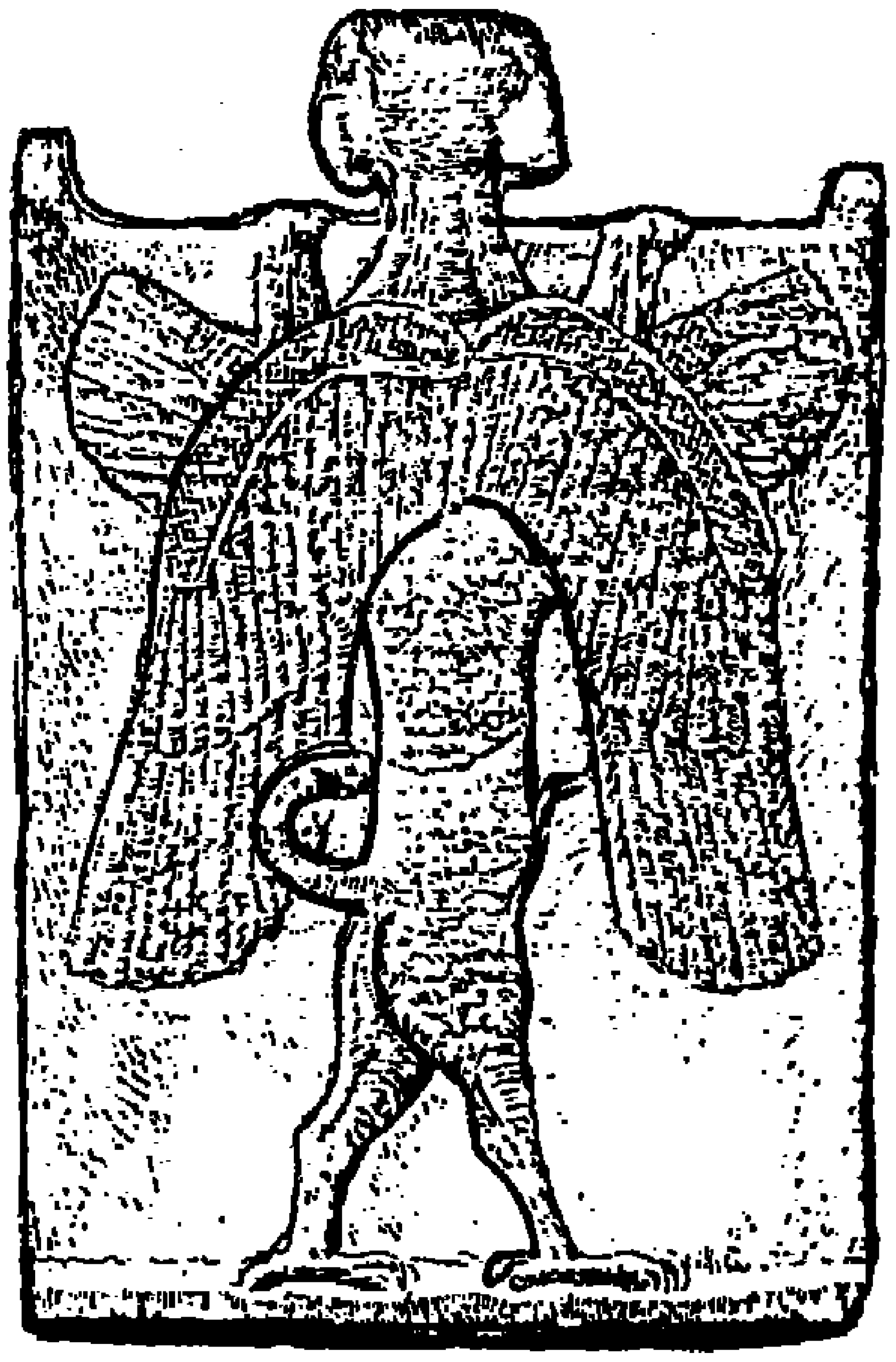

الشيطانة لامشتو على تميمة برونزية

الوجه : تظهر طقوس طردها من جسد المريض

القفا : تظهر اجنحتها وذيلها وأقدامها ذات المخالب

اسـماء مملكتـهـا الى المردة والشـيـاطين فـهـتف هؤلاء باسـمـهـا واعطوها القـابا جديدة سموها الآتو واركالا ولاز وماميتم ونكرا ، واخـاتو ربيتـو اختـهم العظمى ، ورباتو صيرتو اميرتهم السامية والتو ربيتو الهـتـهم العظمى وشـرت ارلو وشـرت ارصـيـتي ملكـة ارلو ، والارض وتامـتـو وبعلة ارصيتي سيدة الارض هتف الجميع باسم بركـاتهـا وجبـروتها وقـوتها واعطت السـيـادة المطلقـة على الارض السـفلى ووصلت اخبـار الآلهـة ارشـيكيكال الى العالم الاعلى الى الآلهة آبائها واخواتها ففرحوا بما اصبحت عليه من سيادة وغلبة واحـتـفلوا بذلك وعـملوا وليـمة عظيـمة وارادوا ارسال حصتها من الوليمة فبعثوا لإريشيكال رسولاً قال لها :

ـ لاننا لانـسـتطيع النزول اليك وانت لا تسـتطيـعين الصـعـود الينا ، إرسلي من يتسلم نصيبك من الطعام .

أحد شياطين العالم الأسفل برأس أسد
(شيطان أمراض)

نرجال المغرور

نصف لنا هذه الأسطورة كيفية هبوط الإله نرجال ليكون زوجاً للإلهة إريشكيگال، فقد ارتكب معصية عدم إحترامها وهي سيدة الأرض السفلى فلذلك قررت نزوله ولكنه كان يمكن أن يرفض النزول ولذلك نزل بقوة وبسالة وأراد أن يلقنها درساً وحين شعرت بيأسه طلبت منه الصفح والغفران ثم الزواج .

ونرجال إله شمسي في الأصل وله عدة أسماء وظواهر وألقاب منها (مسلمتايا، لوگال جيرا، لوگال جودا، لوگال أبياك، ملك كوتا أو أبياك)، وقد عبد في مدينتين رئيسيتين هما كوتا وأبياك وفي الرواية الأكدية يكون هو إبن الإلهة (بلت إيلي)، وتذكر الروايات الأكدية له عدة زوجات أخريات غير إريشكيگال مثل (لا - أصو) أو (لامخر) وهي إلهة عالم سفلي، و (ماميتو) أو (ماميتوم) وهي زوجة الإله (إيرا) أيضاً، وننشوبر وهي وزيرة إنانا (عشتار) .

ويجسد نرجال أيضاً وظيفة الشمس المحرقة (وهذا يذكر بأصله الشمسي) ويجسد نرجال الأوبئة والأمراض .

ومعنى اسم نرجال الحرفي (سلطة المدينة العظيمة) أي العالم الأسفل .

ويفسر الباحث ساكز بأن أسطورة نرگال وايريشكيگال تعبر عن تغير في مكانة المرأة في مجتمع بلاد وادي الرافدين القديم، إذ إن إنفراد إلهة انثى وهي ايرشكيگال بحكم العالم الأسفل وفق التصوير السومري لم يكن أمراً مقبولاً من قبل الأكديين

أرسلت إريشكيكال وزيرها (نمتار) الذي صعد الى السماء العالية ودخل الموضع الذي كان الآلهة مجتمعين فيه وما ان حل بينهم حتى رحبوا به ونهضوا إجلالا له وتكريما لإختهم الاّ ان (نرجال) ابى واستكبر، فاخجل ذلك التصرف الآلهة ولكن (نمتار) امتعض وقرر ان يخبر سيدته بذلك وسرّ بحفل الآلهة واكل وشرب ثم اخذ حصة إريشكيكال ورحل عائدا الى العالم الاسفل واستقبلته سيدته بالترحاب فقال لها :

ـ لقد خصك الآلهة جميعا بالسلام والمحبة ولكن واحدا منهم لم يرحب بي ولم يقف مسلما عليّ .

ـ من يكون هذا الآثم يا نمتار .

ـ اسمه نرجال يا سيدتي .

ـ ارجع يا نمتار الى مجمع الآلهة في السماء واطلب منهم ان يسلّموك هذا الآثم . إحضره لي الى هنا ، فتش وحين ترى الإله الذي لم يقم لك ، هاته الى حضرة سيدتك .

صعد نمتار إلى الأعالي يحمل وصية سيدته إلى مجمع الآلهة فوجدهم جالسين ونهضوا للسلام عليه مستغربين سرعة عودته فلم ينهض نرجال ثانية ، لم

الساميين الذين كانت مكانة المرأة عندهم أقل من مكانتها عند السومريين فوضعوا هذه الأسطورة التي تجعل للإلهة أريشكيگال شريكاً ذكراً في حكم العالم الأسفل وهو زوجها الإله نرگال .

المرجع :

1- Speiser, E.A. : **Nergal and Ereshkigal , ANET** 1969:103

٢- حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت ١٩٨٦ :١٩٨٠

رمز الإله نرجال (القرن ١٢ ق .م)

رسم : علي محمد آل تاجر

يسلم على نمتار فغضب نمتار وقال :

ـ الا يرى الآلهة ما يفعله هذا الآثم .. انه لا يقيم الى ربة العالم الاسفل مقدارا وهو عندما يفعل ذلك فإنه كمن يشتمها وكمن يحمل في قلبه سوء لها .

قال ذلك وعيونه محمرة من الغضب وهو يزبد ويرعد فهدأ الالهة من روعه وقالوا له :

ـ ما الذي أعادك يا نمتار؟

ـ عندما سمعت الإلهة اريشكيكال بما قام به امرتني ان اطلب منكم تسليمه الى عالم الاموات ليحتجز فيه .

ـ لكنه اله حر في العالم العلوي .

ـ الالهة الحاكمة تطلبه هناك .

ارتبك الالهة فيما بينهم ووجدوا ان لابد لهم من تسليم نرجال الى ربة العالم الاسفل خوفا من غضبها فقال الإله (إيا) لولده :

ـ اذهب هناك واعتذر منها فلعلها بعد ذلك تعيدك الينا .

فامتعض نرجال وقال :

ـ انها حين تراني فلن تتركني حيا .

فقال الاله (إيا) :

ـ لا تخف سأجعل سبعا وسبعين حارسا معك .. سأرسل معك حراس الاوبئة فانت إله الاوبئة انت المسيطر عليها ، خذ معك (موتا بريقو ، شارابدو ، رابيضو ،

تيـريـد ، اديبـتـو ، بينو ، سـيـدانو ، ميقيت ، بيلوري ، امو ، ليبو) سيذهبون معك .
هيأ نرجال نفسه وغادر مدينة (كوتو) وحـينمـا وصل نرجـال الى بوابة اريشكيكال نادى :
- ايها الحاجب ، افتح البوابة وارفع المزلاج لانني اريد الدخول الى حضرة سيدتك واني المطلوب منها .

نرجال يجر إريشكيكال من عرشها

إنفتح باب القصر ودخل اربعة عشر بابا ثم قطع القـاعـة بحـزم وقـوة ورأى إريشكيكال متربعةً على عرشها فهجم عليها وامسك بها من شعرها وانزلها من عرشها وجرها على الارض لينحر رأسها فصرخت :
- لا تقتلني يا أخي ، دعني أقول لك كلمة واحدة ، كن زوجي وأكون زوجك وساجعلك ملكا على العالم الاسفل الكبير ، سأضع لوح الحكمة في يدك ستكون السيد واكون السيدة .
تراخت يد نرجال فبدل غضبه وانحنى عليها وقبلها ومسح دموعها وعانقها واستراحت في حضنه وقالت له :

ماذا يعني ، مثولوجيا ، أن يذهب إله شمسي مثل نرجال الى العالم الأسفل ويبقى هناك الى الأبد؟
نرى أن شمش ونرجال هما الشمس في السماء ، والشمس في باطن الأرض على التوالي . ولأن الشمس تقضي يومها بين السماء (نهاراً حيث تكون شمش) وباطن الأرض (ليلاً حيث تكون نرجال) فقد كان لابد من وضع هذه الموازنة أسطورياً .
والشمس في السماء رفيقة الحب والحياة ولذلك كان شمش أخاً لعشتار ، ونرجال في باطن الأرض رفيق الموت والظلام فهو زوج إريشكيگال .
ولذلك كانت إريشكيگال أيضاً ، الوجه الآخر لعشتار . فقد كانت عشتار البابلية تدعو نفسها في بعض النصوص بـ (سيدة الليل) و(سيدة النواح) ومن ألقابها (الجمة العويل) التي تختطف الأصحاب وتفرق

بين الأحباب ، ومن ألقابها (سيدة المعارك) . وتصورها الاعمال الفنية في عدة الحرب الكاملة ، تعتلي مركبة تجرها سبع أسود وفي يدها قوسها المشدود .

المراجع :

١- المرجع السابق .

٢- السواح ، فراس : لغز عشتار ١٩٨٥ :٢١٣.

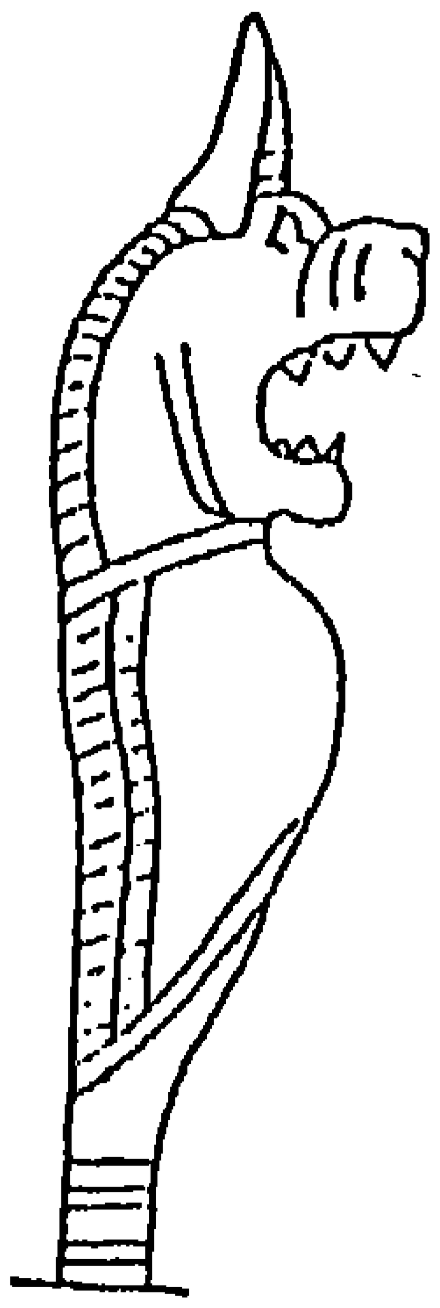

رمز الإله نرجال (العصر الكاشي)

رسم : علي محمد آل تاجر

- ايها السيد القوي السامي الابن البكر لحاكم الانوناكي ، اله الحرب يا ذرية الآلهة (كوتوشار) الملكة العظيمة ، نرجال أنت الاقوى بين الآلهة ، محبوب الآلهة (ننمينا) امك ، أنت المتألق في السماء اللامعة وذا المقام السامي ، أنت العظيم في عالم الاموات وليس لك من منافس ، مشورتك في مجمع الإلهة مسموعة كمشورة الإله (إيا) أنت مشرق في السماء مع الإله سين ابوك الإله يثق بك والاحياء وحتى دواب الحقل وكل المخلوقات في يدك ان عينيك هما الالهين انليل وننليل وحدقتيهما الاله سين ، ردفيك الالهين آنو و أنتو واسنانك هي الآلهة السبعة (سبتو) واذنيك الالهين (إيا) ودام كينا ورأسك الإله أدد ورقبتك الإله مردوخ وصدرك الإله نبو ، لك قرنا ثور وعرف متهدل على ظهرك ولك اقدام أسد اربعة ، ولك جناحان .

نرجال يتزوج إرشيكيكال

كانت رموز الإله (نرجال) تتمثل بالقضيب الذي ينتهي برأس أسد ، كما كان يرمز له بصولجان له رأس تنين ، واعتبرت المطرقة رمزاً له ، وكان حيوانه الخاص هو الأسد . ورمز إليه عند الآشوريين بالأسد المجنح ، ويوصف بأنه (حامل سيف إنليل) . وكان كوكبه

تزوج إرشيكيكال ونرجال ومنحته ألقاب السيادة والقوة ومنحته اسم سيد شجرة الصفصاف واسم الموقد المقدس وغضب الارض السفلى والمفجع واللاكلا واللامو وبل - تشا وبعل صيري والعديم الشفقة

(المريخ) ويشير الى الموت والمرض والشر .

المراجع :

١- المراجع السابقة .

٢- حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت ١٩٨٦ : ٢٠١.

إريشكيگال المجنحة العارية

والذي لا يتـرك والرجل المرعب وملك البحار السفلى والملك المسبب لكوارث الشمس ، والملك المحارب ، وملك غروب الشمس ، وملك المحتوم ، وملك الطريق الطويل ، وملك المدينة الغريبة ، والملك الممتقع والمحرق ، وبطل المدينة العظيمة .

العالم الأسفل يخطف الآلهة

السلالة الإلهية للعالم الاسفل بعد (نرجال وإريشكيگال) تستمر لثلاثة أجيال أخرى وتنتج (ننگشزيدا ، ننازو ، دامو) وكل هذه السلالة ترتبط بالأشجار من ناحية وبالطب والشفاء من ناحية أخرى .

ويمكن أن يُفسر هذا بعلاقة الاشجار والنباتات والاعشاب بالطب والشفاء . فقد كان أغلب العقاقير من أصل نباتي .

أصبح العالم الاسفل قوياً ، وحكمه ملكان قويان انجبا بعد زواجهما الاله (ننكشزيدا) سيد الشجرة الطيبة ، القوي ، الثعبان ، الذي لا يخاف وتزوج ننكشزيدا الالهة (ننازيموا) فانجبا ولدهما الاله (دامو) اله الشفاء الذي صعد من الارض الى نسغ الاشجار وحل في لحائها . . الاله الذي يظهر من النهر

ويشير أمر الآلهة المخطوفين أو النازلين الى العالم الأسفل في المثولوجيا السومرية والبابلية أسئلة كثيرة عن أسباب نزولهم وتفسيره في الطبيعة ، ونكاد نلمح عاملاً مشتركاً في طبيعة الآلهة الذين ينزلون دورياً الى العالم الأسفل وارتباط ذلك بإنعاش وتجديد قوى الطبيعة وعلاقة الربيع بالصيف ، أو الخصب بالقحط . . . وغير ذلك .

أما الآلهة المخطوفين فيرتبط ذلك أيضاً بأحداث طبيعية مثل الاختفاء الدوري الشهري للقمر ، أو حصول بعض الكوارث وعلاقة ذلك باختفاء مردوخ .

إن اختطاف ننورتا وجد في نص من مدينة (اداب) وتذكر أحد ألقابه باسم (ليل) ويوصف رثاؤه من قبل أمه الإلهة ننخرساج واخته الإلهة أغيم أو أكيمي ، وحقيقة الأمر هو أن لننخرساج زوج اسمه شولبي أو شولباه الذي يعني اسمه (الشاب البهي الطلعة) ويصف أحد المدائح الإلهية هذا الإله بأنه إله حرب وقتال مثلما هو إله خصب ونمو وأنه كوكبه هو (المشتري) وهو كوكب مردوخ .

وقد أنجب شولباه من ننخرساج (أشرّجي ، موليل ، اغيم) وموليل هذا هو (ليل) الذي نشك أن يكون مطابقاً لننورتا . فهو أحد الآلهة الذين ينزلون دورياً الى العالم الأسفل .

أما هجوم السبيتو على الإله سين فهو ما يفسر خسوف القمر ، وكان طور المحاق الذي يسمى (بوبلّو) سببه أيضاً هجوم الأرواح الشريرة على القمر .

المراجع :

١- حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت ١٩٨٦ :٧٠-٧١٠

٢- إذزارد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٨٧ :١٠٨٠

ويدخل في كل شجرة ، فلما مضى وقت طويل على عظمة العالم الاسفل اسرت اريشكيكال لزوجها خطة دبرتها لاختطاف آلهة العالم الاعلى اجمعين لكي يتم لها السيطرة على العالمين الاعلى والاسفل فتصبح ملكة الكون دبرت خطة محكمة لذلك وهيأت لها وزراءها وجنودها ومردتها واختطفت ستران اله مدينة دور ايلو وحجزته في العالم السفلي ثم اختطفت الاله ننكرسو اله الحرب اله مدينة لجش فأعادته زوجته باو ثم اختطفت الإله آبو ثم اختطفت الاله آشور ثم اختطفت الاله تشباك ثم اختطفت الاله ننورتا فناحت عليه امه ننخرساج واخته اكيمي وندبته (قم من قبرك يا اخي فامك في لهفة عليك امك في لهفة عليك انها تتلهف لسماع شفتيك العذبتين انها تستمع لفمك اللبق . . ايها الفتى لا تدع امك تجلس باكية لاتدعها تجلس نادبة قم من قبرك ولا تجلب عليها الويل قم من قبرك يا انليل ولا تجلب عليها الويل فيجيبها ننورتا من سجنه (حرريني يا اختي ، لا توبخيني يا اختي فما انا بالطويل الذي يمكن رؤيته لا توبخيني يا أكيمي فما انا بالطويل . ان قبري من تراب العالم الاسفل واني اضطجع بين الاشرار إن

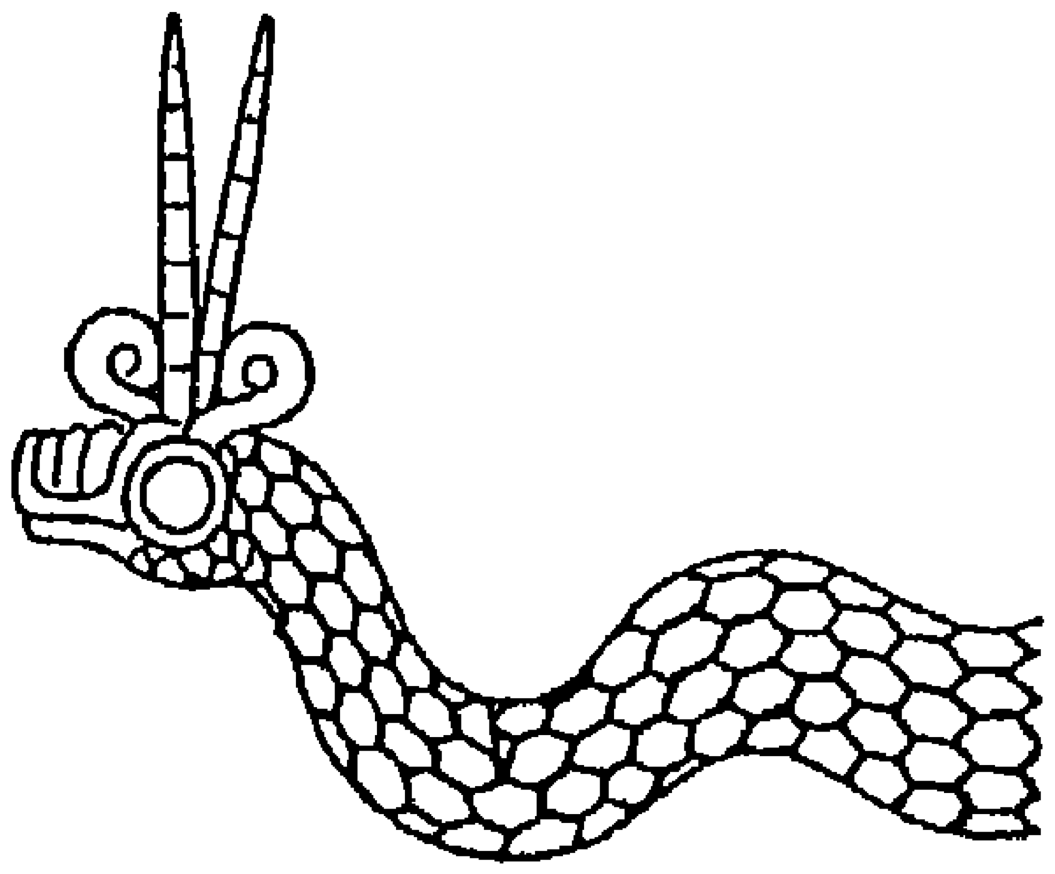

رمز الإله ننگشزيدا (القرن ١٢ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

نومي كرب واني اضطجع بين الاشرار يا اختي اني لا استطيع القيام من قبري) . ثم اختطفت اريشكيكال وزوجها الاله أدد اله الرعد ثم اختطفا الاله سين اله القمر حيث أرسلا له سبعة اشرار تجمعوا بغضب حوله فاظلم في الليل والنهار ولم يقم من مقامه فلما رأى انليل عتمة البطل سين في السماء أمر وزيره نسكو (أيها الوزير نسكو بلغ رسالة الى العمق ، انقل الى إيا خبر ابني سين المتألم في السماء) فلما سمع إيا في العمق هذه الرسالة ضرب فخذه واطلق من فمه مناحة وطلب من مردوخ انقاذ سين لكن اريشكيكال كانت تحتجز مردوخ بضعة ايام كل شهر .

مردوخ في العالم الأسفل

كان اختطاف (مردوخ) الى العالم الأسفل موضوعاً متأثراً بالطقوس التموزية الشعبية ، ولذلك ظهر في الأساطير البابلية ما يشير الى اختطافه هناك . بل إن هذا الموضوع تسرب الى عيد الأكيتو البابلي (عيد رأس السنة) حيث تتضمن طقوس هذا العيد اختفاء مردوخ وذهابه الى الجبل وربما مصرعه المؤقت (حيث يعاد بطقوس سحرية الى الحياة) . ويشير هذا الاختطاف في أعماقه الى محاولة لاستعادة زمن

فرضت إريشكيكال على الآلهة عقاباً وطاب لها ان تختطف ملك الآلهة مردوخ من قصره العلي ففعلت ذلك وأسرته في جبل خرسانو فهاج الآلهة وبحثوا عن مليكهم بحثوا عن سيد الآلهة وبحث عن ابنه نبو وبحث عن زوجته بنليت بابيلي وما ان مر يوم على اختطافه فك نفسه مردوخ من السجن في

الخليقة الأول وموتاً لعناصر الزمن الحالي ، حيث تتجدد بموت مردوخ وبعثة الحياة ويعود الخصب ومن الواضح في هذا أن مردوخ (الإله الرسمي لبابل) أخذ طقس تموز (الإله الشعبي) لكي يجعل الناس يعيشون حميمية عيد رأس السنة . وبذلك ستكون أعياد رأس السنة البابلية قد أبعدت تموز وقصته مع عشتار من الاحتفالات الرسمية ، ورسخت نهائياً الاحتفال بمردوخ ، بل وأصبح الملك حقيقةً هو بطل الزواج المقدس ولم يعد نائباً عن الإله دموزي أو تموز كما كان في عهد السومريين . وهذا يشير ، بطبيعة الحال ، الى تبدلٍ جوهري في الدين .

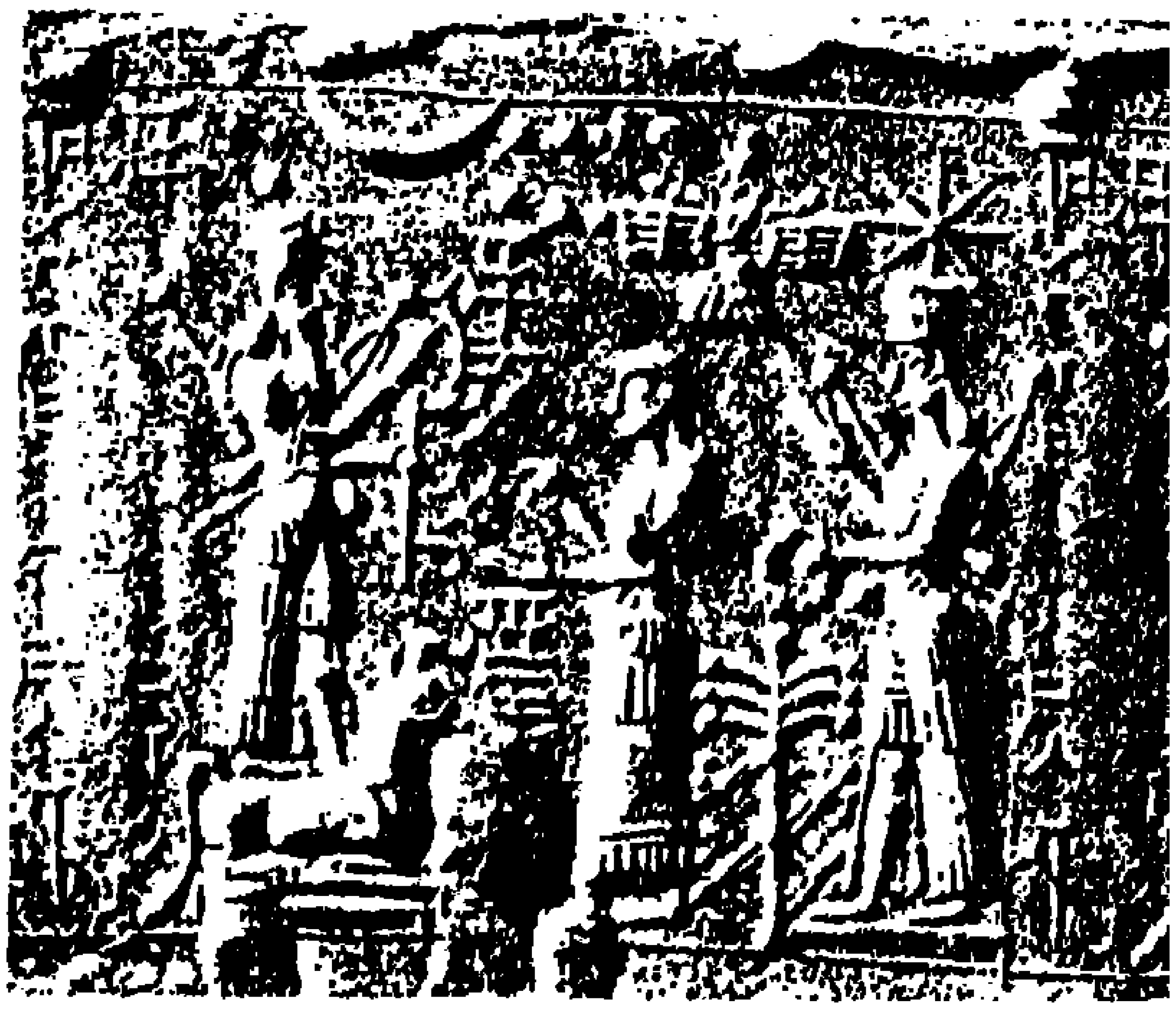

الإلهة عشتار (صاحبة التاج) يواجهها الإله مردوخ (وربما أشور)

بداية العام الجديد فاقيمت الاحتفالات وصرخ الألهة بمجد مردوخ اقاموا حفلا لعودة مردوخ وشفائه من سجن العالم الاسفل اقاموا حفلا لدورة السنة الجديدة وهلل مجمع الألهة بالاله مردوخ والاله سين لخلاصهما وجلست بالقرب من سين ابنته الألهة (عشتار) ترفل في عز ابيها ومجده ، كانت مشرقة مثل سين فالحمد لها وللالهة ، الحمد لاكثر الآلهة رهبة والاجلال لسيدة الاقاصي الاعظم بين الايجيجي الحمد لعشتار لأكثر الإلهات رهبة والاجلال لسيدة السماء ، لأعظم آلهة بين الايجيجي لقد أُلبست السرور والحب وحملت بالحيوية والسحر والرغبة عشتار قد لبست السرور والحب وعند ظهورها يكتمل السرور هي الجليلة وعلى رأسها وضعت التاج المقرن ، وعيناها مشرقتان ، الإلهة وفي يدها تمسك بمصير كل شئ وفي نظرتها تجد الفرحة والعظمة والإله الحافظ والملاك الحارس ، إنها تركن إلى الرحمة والمودة وتهتم بهما وإلى جانب ذلك فهي راضية تصون الانثى سيدة أم عبدة أم والدة ، من ذا الذي يوازيها في العظمة ، عشتار - من ذا الذي يوازيها أحكامها قوية ومعظمة وجليلة ، هي المنشودة بين الألهة مقامها عظيم وكلمتها محترمة وسامية بينهم

عشتار مقامها عظيم بين الآلهة وكلمتها عظيمة وسامية بينهم ، هي مليكتهم وهم بأستمرار ينفذون أوامرها كلهم يسجدون أمامها ويستقبلون نورها ، كلمتها في مجلسهم ، إنها العليا عشتارتسندهم امام آنو مليكهم تركن الى العقل والفطنة والحكمة إنهما يتبادلان المشورة هي وسيدها وفي قاعة العرش يجلسان سوية ، في القاعة المقدسة منزل الفرح يأخذ الآلهة أماكنهم أمامها ويصغون بإمعان الى أقوالهما .

عشتار تختار تموز زوجاً

كان الإرث السومري حول دموزي وإنانا هو أساس مثولوجيا تموز وعشتار في بابل وآشور وقبلهما أكد . لكن هناك تعديلات كثيرة جرت على هذه المثولوجيا سنتطرق اليها في حينها .

إن الأساطير البابلية لا تمدنا بمعلومات كثيرة عن بداية علاقة تموز بعشتار .

وتظهر عشتار في الأساطير البابلية وقد استحوذت على صفات الإلهة الأم ، ولذلك توصف بالخصب وتبدو وكأنها ترضع العالم من ثدييها .

تطلعت عشتار بين الآلهة ولم يرق لها سوى تموز الاله لراعي القوي الجميل الذي يكاثر في حظائره قطعان ابقاره واغنامه . . (تموز) راعي آنو البهي الذي ملأ عيني عشتار وعقلها فتغنى قلبها به وخفقت اعماقها له ، تموز الذي اصبح زوجها وحبيبها الإبن البكر لإيا الذي من النهر كان ينهض ويبتهج ، من النهر كان ينهض الإله الباري الذي يحمل الآنية بيديه ومنه تطلع النوافير ، الإله ذو الجدائل الذي تتوزع ثلاثة على متونه ، لحيته منتشرة كالمروحة في طفولته نام تموز

في زورق غامض ولما كبر غاص في القمح ونام هناك الإله الجميل الذي احبته عشتار وذابت في خصاله ، الانثى التي من هي ليست بالانثى بل تفوق ، الانثى التي من هي انثى بل تفوق .

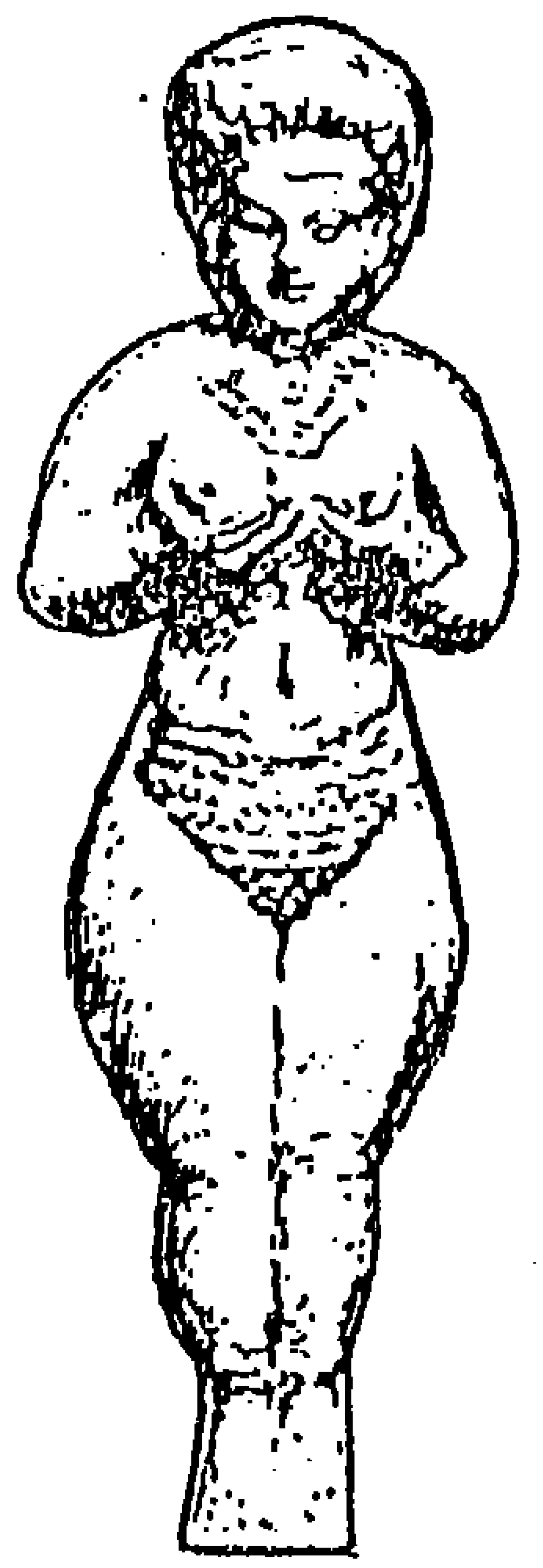

عشتار (الهة الحب) وهي ترضع العالم من ثدييها

إريشكيكال تخطف تموز

إن أحد الاختلافات الجوهرية بين الأساطير السومرية والبابلية حول تموز وعشتار هو حول كيفية وسبب هبوط تموز الى العالم الأسفل ، وهناك ما يشير الى أن إريشكيگال هي التي تخطف تموز في الأساطير البابلية وبذلك تظهر عشتار مخلّصةً له ، وهو عكس ما ذهبت اليه الأساطير السومرية .

حيث وجد البابليون تموز (بشكل مسبق) في العالم الأسفل وفق ما كان متواتراً في العراق القديم(منذ سومر) ، فقد جعلوا من نزول (عشتار) اليه من أجل

الاله الذي خرج ذات يوم من ايام الربيع يغني ويصدح بمزماره فراق منظره الى الهة العالم السفلي إريشكيكال ، وحسدت عشتار على حبيبها ، حسدت اختها على تموز الجميل النضر العذب الاغاني فأرسلت له خنزيراً من العالم الاسفل خرج اليه في البرية .. خرج الخنزير من الجحيم واتجه نحوه وطعنه . الاله الذي خرج الربيع من غنائه سال

إنقاذ زوجها منه ، تلك الرغبة التي ظلت دفينة عندها وكانت تفصح عنها بتهديداتها المتكررة في النصوص البابلية ببعث الموتى كلهم لكي يكون (تموز) من بينهم فيعود لها .

المرجع : حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت ١٩٨٦ :٠٦٦

دمه على الارض سال دمه وغاب عن العالم العلوي ، سقط الملك الراعي في العالم الاسفل سرقوه أعوان إريشكيكال التي أسرت الآلهة كما تُأسر الطيور في الشبك ، احمرت ازهار السهل من دم تموز وبكت ، بكت الحظائر والوديان وسمعت عشتار نواحها . . لقد عاد العالم السفلي الى قوته ولابد من وضع حد لذلك لقد ذهب حبيبها الى مملكة الموت ولم يكن الخنزير سوى وحش من الوحوش ، الجحيم ضرب حبيبها وسفك دمه ، غادر سيد الخضرة من الارض .

عشتار تقرر غزو العالم الأسفل

كان يعتقد أن شهر نزول إنانا الى العالم الأسفل هو شهر آب ، الاّ أن البابلين جعلوه في تموز ، وكان هذا الشهر يوصف عندهم بـ (شهر هزيمة تموز) . ويعتقد أن هذا الشهر هو شهر (نزول عشتار الى العالم الأسفل) وليس شهر (موت تموز) . أي أنه شهر نزولها هي وليس هو ، لأنه كان موجوداً في نظر البابليين هناك دائماً . وبذلك يؤدي غيابها الى حلول العقم والذبول التدريجي والجفاف في الطبيعة ، وكانت مهمتها تفشل بل أنها تموت هناك لولا تدخل الإله إيا .

إذا كان سبب نزولها في الرواية السومرية طمعاً في الاستيلاء على العالم الأسفل ، فان الرواية البابلية

ظلت عشتار وحيدة اسيرة بكائها ، حزنت طويلا ولكنها إلى أرض اللاعودة تطلعت وعزمت على اقتحام العالم الاسفل ، تطلعت أبنة الإله سين الى مملكة اختها إريشكيكال ، الى غيهب الظلمة السحيقة ، وتطلعت الى موطن (اركالا) اختها الى البيت الذي لا يخرج منه من يدخله ، الى الدرب الذي لا عودة منه ، إلى المكان الذي لا يرى سكانه نور ولا ضياء حيث الغبار طعامهم والتراب معاشهم يسبحون في الظلام فلا بصيص

تنطلق من نتائج الرواية السومرية حيث يكون سبب النزول هو تخليص تموز من العالم الأسفل . وكان ذلك يدعوها للبس بزّة الحرب والنواميس الخاصة بذلك .
المرجع : المرجع السابق : ٠٦٧

عشتار كإلهة للحرب والسلطة
وفي يدها اليمنى رمز السلطة
(العصا والحلقة)

ولا شعاع عليهم اجنحة تنقلهم كالطيور بين ارجاء مسكنهم الذي علا الغبار ابوابه ومزاليجه وعندما وصلت عشتار الى بوابة ارض اللاعودة نادت حارس بوابة الجحيم وقالت له :

ـ افتح الباب يا حارس البوابة ، افتح الباب ودعني ادخل ، فأن لم تفتح الباب لأدخل منه سأحطمه وأكسر مزاليجه ، سأخلع عوارضه وأرمي مصاريعه واطلق الموتى الى سطح الارض فيأكلون سكانها ويزداد اعدادهم .

ففتح حارس البوابة فمه وقال :

ـ رويدك سيدتي لا تحطمي الباب ، انني ذاهب الى الملكة إريشكيكال أبلغها بقدومك .

ومضى الحارس الى سيدته ودخل عليها قائلاً :

ـ ان اختك عشتار واقفة بالباب ، ذلك التي تقود ترعى كبرى الطقوس وتحرك المياه السفلية امام إيا .

إريشكيكال تخاف

يتضح من كلام إريشكيگال هنا أنها تخاف الموت (رغم أنها إلهة الموت وفي عالم الموت) ويبدو أن الموت سيدفعها من مكانتها هذه الى مكانة أرواح الموتى حيث يلتهمون التراب ويشربون الماء العكر .

سمعت اريشكيگال هذا الكلام ، شحب لونها حتى اصبح لونها مثل لون شجرة مقطوعة واسودت شفتاها حتى غدتا بلون القصبة الزرقاء (ما الذي دفع قلبها

اليّ؟ ما الذي ساق روحها الى هنا؟ ما الذي قاد فكرها اليّ؟ هل بسببها سأشرب الماء مثل بقية الانوناكي ، وبدل الطعام سألتهم التراب وبدل الجعة الماء العكر ، اذن سأبكي الفتيات اللواتي انتزعن من احضان محبيهم ، واندب الطفل الضعيف الذي مات قبل اوانه ، والازواج الذين خلفوا وراءهم زوجاتهم ، ستثأر عشتار مني وتطلق سراح هؤلاء .. من سيقدم القرابين اذن وماذا سآكل واشرب؟)

ـ امضِ يا حارس وافتح الابواب لها وعاملها وفق شرائع العالم الاسفل الازلية .

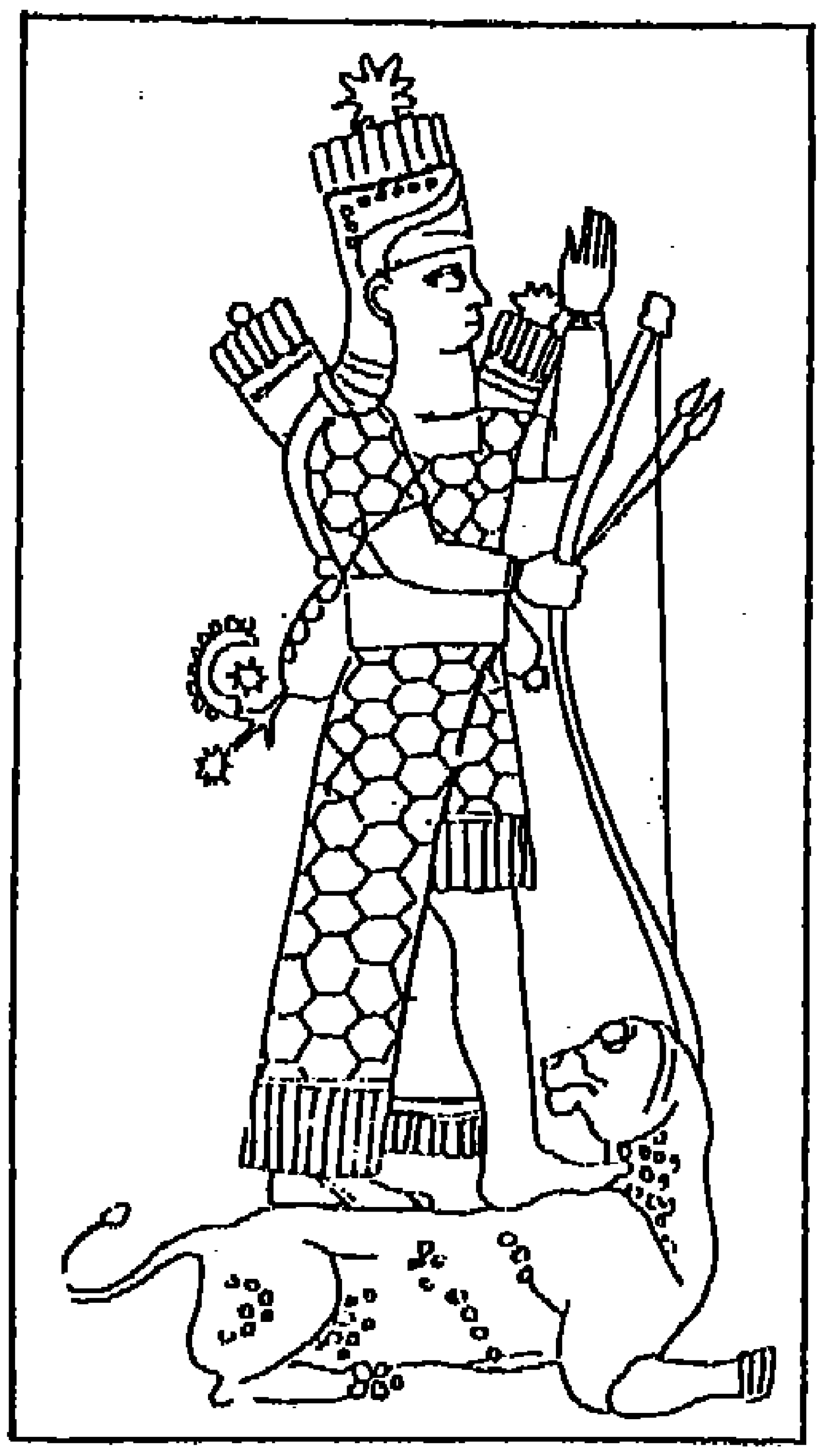

عشتار وهي تحمل عدة الحرب
(القوس والسهام) وتقف على لبوةٍ أو أسد

عشتار الأبواب السبعة

تشير عملية سلب عشتار من ملابسها وحليّها ونواميسها الى أمرين أولهما تجريدها من قوتها الإلهية وجعلها ضعيفة دون قوة ، والأخرى ضرورة أن تدخل الى العالم الأسفل عاريةً وهو ما يشير الى ضرورة أن يدخل كل كائن الى عالم الموت وهو عارٍ .

ولأن أختها كانت عارية في العالم الأسفل لذلك وجب أن تكون هي كذلك ، وربما أيضاً لتتهيأ للموت أو لاستقبال الامراض الستين التي ستطلق عليها ، وتحولها الى جثةٍ .

إن نزول عشتار الى هذا العالم كان هو سبب الحرب

مضى الحارس وفتح لها :

ـ ادخلي سيدتي فالعالم الاسفل يحييك بسرور وسيبتهج بك قصر اللاعودة .

ففتح لها الحارس البوابة الاولى ورفع عن رأسها التاج العظيم فغضبت عشتار وصاحت به :

ـ لماذا رفعت أيها الحارس التاج العظيم عن راسي؟

ـ ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الأسفل .

في العالم ، ولكن النواح كان على تموز بسبب استمرار التقليد السومري في ذلك .

المرجع :

Speiser, E.A. : **Decent of Ishtar to the Nether world: ANET** 1969: 109.

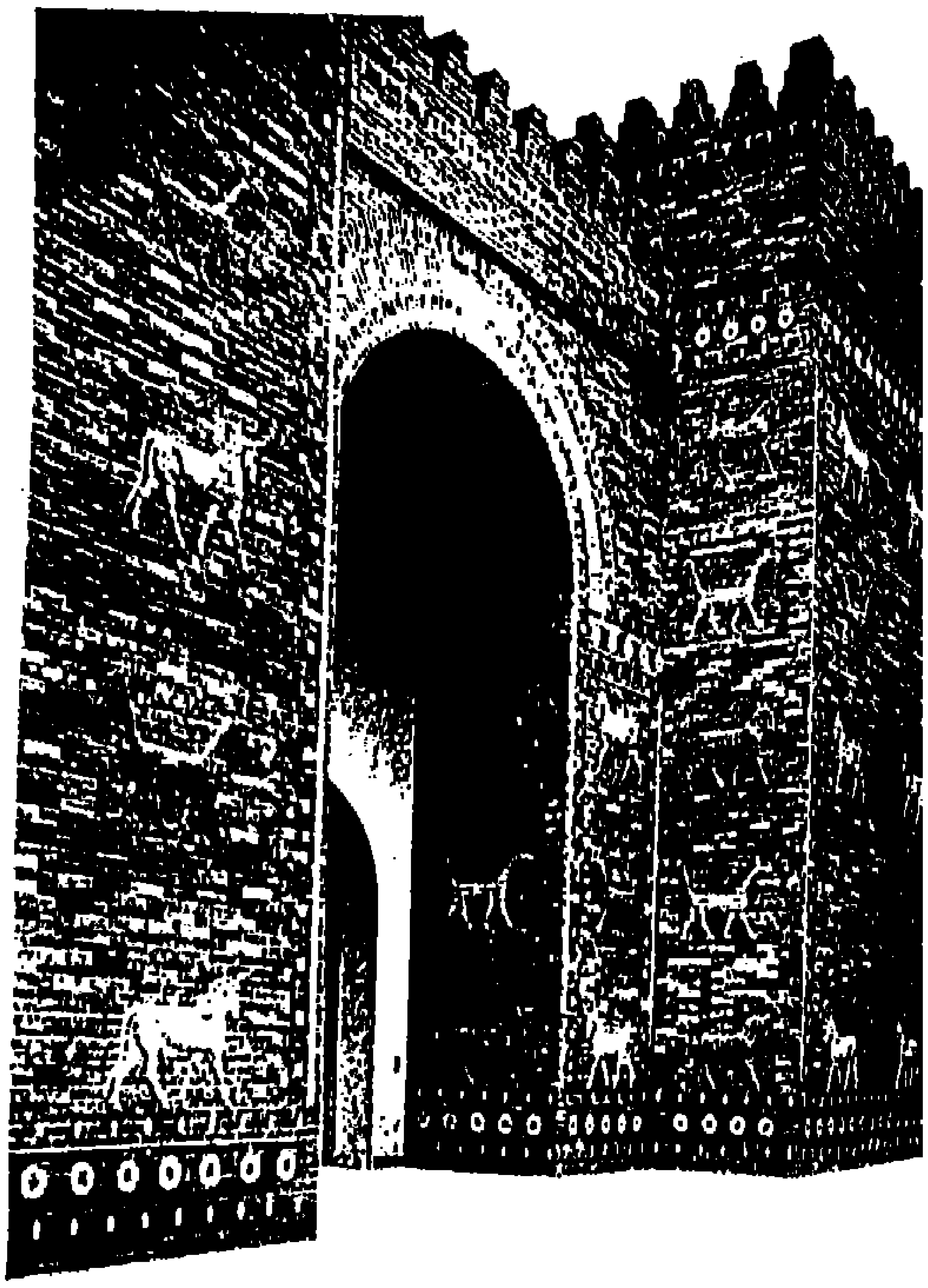

بوابة عشتار في بابل

ولما مر بها عبر البوابة الثانية أخذ من أذنيها أقراطها

ـ لماذا يا حارس أخذت من أذني أقراطي؟

ـ ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الأسفل .

ولما مر بها عبر البوابة الثالثة رفع عن جيدها العقود .

ـ لماذا يا حارس البوابة رفعت عن جيدي العقود؟

ـ ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الأسفل .

ولما مر بها عبر البوابة الرابعة نزع عن صدرها الحلي .

ـ لماذا يا حارس البوابة نزعت عن صدري الحلي؟

ـ ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الاسفل .

ولما مر بها عبر البوابة لخامسة انتزع عن خصرها زنار تعويذة الولادة المرصع بجواهر الميلاد .

ـ لماذا يا حارس البوابة انتزعت من خصري زنار تعويذة الولادة المرصع بجواهر الميلاد ؟

ـ ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الاسفل .

ولما مر بها عبر البوابة السادسة نزع

الأساور من يديها وقدميها
- لماذا يا حارس البوابة نزعت من يديّ وقدميّ الأساور؟
- ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الاسفل .
ولما مر بها عبر البوابة السابعة نزع منها ثياب جسدها .
- لماذا يا حارس البوابة نزعت عن جسدي ثيابي؟
- ادخلي سيدتي فهذه شرائع العالم الاسفل .

عشتار تقتلها الأمراض الستون

كان إطلاق ستين نوع من الأمراض يعني الموت ، لأن هذا العدد يمثل الكمال ونهاية أو دورة الأشياء . وكان موت الإلهة عشتار بالأمراض يعني نهاية النصف الحي الذي يقابل النصف الميت الذي تمثله إريشكيگال . وبهذا تنطوي أشكال الحياة العليا في سباتٍ سفليّ .

لما صارت عشتار في قلب العالم الاسفل وقع نظر إريشكيكال فهاج غضبها ولكن عشتار اندفعت نحوها دون ان تفكر ففتحت إريشكيكال فمها لوزيرها (نمتار) :

- إذهب يا نمتار واسحبها في قصري ثم إطلق ضدها . . إطلق ضد عشتار ستين مرضاً ، أمراض العيون على عينها ، وأمراض الاحشاء على أحشائها امراض الرأس على رأسها ، أمراض الجلد على جلدها .

العالم يدخل في الجدب

تمثل هذه الأبيات الخاصة بما يحصل للخصب على الأرض جوهر الأسطورة ، لأنها تعطي سبب هذا الخصب لشخصينة عشتار وليس لتموز . إن هبوط عشتار توكيد لحق الانوثة ودورها في مجتمع يتجه نحو (الأبوية) المطلقة في كل مظاهره .

إن الإله تموز لا يلعب في هذه المأساة الاّ دوراً ثانوياً . فهو على أية حال راعٍ ، ولا يمكن أن يكون له دورٌ اساسي في مأساة محورها الزراعة .

وفي الواقع فان الطقوس والعبادات التي سميت تموزية من قبل الباحثين خطأ فهي طقوس وعبادات عشتارية . وليس النواح على تموز في مواسم أعياده الاّ مشاركة من العباد لعشتار في أحزانها .

ومن الامور التي تتميز بها الأسطورة البابلية هو وجود إله واحد يخلقه الإله (إيا) الإله (أصوشنامير) كان جميلاً بحيث أنه يغوي إريشكيگال ، ويحمل هذا الإله ماء الحياة كوسيلةٍ لبحث عشتار من الموت .

وقد كانت الرواية السومرية تحمل مخلوقين يخلقهما إنكي ، أحدهما لماء الحياة والآخر لطعام الحياة . في حين اقتصرت الرواية البابلية على ماء الحياة . ولا نعرف على وجه الدقة ما هو المصير الذي قررته إريشكيگال لهذا المخلوق ، وربما في وصف الأسطورة ما يشير الى الصعلوك أو الشاعر أو المغني ، وربما كان المجنون .

ويقوم نمتار هنا (وليس أصوشنامير) برش ماء الحياة عليها .

بعد أن نزلت عشتار الى العالم السفلي لم يعد الثور مع البقرة ولم يعد الحمار مع الحمارة وافترق كل ذكر عن انثاه واجدبت الارض واكفهرت الآلهة ، اكفهر وجه (بابسوكال) كاهن الآلهة العظام ووزيرها ، وحزن ولبس ملابس الحداد ونشر شعره الطويل وذهب الى الاله سين والى إيا وبكى امامهما وقال :

ـ نزلت عشتار الى أرض اللاعودة فلم يعد الثور مع البقر والحمار مع الحمارة وافترق كل ذكر عن انثاه واجدبت الارض .

قلّب إيا الحكيم الامر على وجوهه وخطر له خاطر ، (اصوشنامير) المخلوق الخصي المشرق الوجه الجميل وقال له :

ـ قم يا (اصوشنامير) واذهب الى بوابة الجحيم ، إذهب الى بوابة أرض اللاعودة وستفتح امامك بوابات ذلك العالم وستراك إريشكيكال وتتهيج لخصويتك فاذا هدأت خواطرها نحوك واغويتها واستلطفتك فدعها تقسم بجميع الآلهة العظيمة لكي تلبي ما تريد ثم ارفع راسك وحول نظرك الى قربة ماء الـ(حالزاكو) واطلب منها جثة عشتار .

فعل ذلك اصوشنامير وقال لسيدته :

- سيدتي هلا أمرتِ لي بقربة ماء الـ(حالزاكو) فأشرب منها!
ناولته قربة الماء فشرب منها ثم قال لإريشكيكال :
- أريد أن اطلب منك طلبا ، أريد جسد عشتار الذي يعود الى الحياة وترجع الى مكانها .
فضربت فخذها بكفيها وعضت على أصابعها :
- لقد ابديت رغبة ما كان لك ان تبديها ، سالبي لك ما تريد ولكني سألعنك لعنة عظيمة فيكون طعامك من مجاري المدينة ابد الدهر وترد بالوعات المدينة لكي تشرب وستتخذ من ظلال الحيطان مسكناً دون البيوت ومن عتبات الابواب ملجأً ، عطشانا خائفا ستعيش أبد الدهر .
ثم التفت إريشكيكال الى وزيرها نمتار وقالت له :
- امض يا نمتار واقرع باب قصر العدالة الـ(ايجالكينا) وزين الباب بالمرجان واستدع الانوناكي ودعهم يجلسون على عروشهم الذهبية ثم أنثر جثة عشتار بماء الحياة وخذها خارج العالم الاسفل .

المراجع : ١- المراجع السابقة .
٢- السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى ، ١٩٨٦: ٠٣٤٢.

قامت عشتار من موتها

تقوم عشتار من موتها دون أن تقوم بمهمتها في بعث تموز القتيل هناك ولكنها تنجو بحياتها من أجل أن لا يموت الخصب على العالم الأعلى وبذلك تعود الى هذا العالم ، بينما تترك زوجها تموز ميتاً في العالم الاسفل لمحاولة أخرى .

ولأن تموز كان إلهاً أو نصف إله أو ملكاً فانه يكرم من قبل الهة العالم الاسفل ولذلك نراه يلبس عباءته الحمراء ويعزف على نايه اللازوردي .

فعل نمتار ما أمرته به سيدته وعادت الحياة الى عشتار فقادها الى ابواب الجحيم فلما عبر بها البوابة الاولى اعاد إليها ثياب جسدها ولما عبر بها البوابة الثانية اعاد الاساور الى يديها وقدميها ولما عبر بها البوابة الثالثة اعاد الى خصرها زنار تعويذة الولادة المرصع بالجواهر ولما عبر بها البوابة الرابعة اعاد الى صدرها جميع الحلي ولما عبر بها البوابة الخامسة اعاد الى جيدها العقود ولما عبر بها البوابة السادسة أعاد الى اذنيها اقراطها ولما عبر بها البوابة السابعة أعاد الى رأسها التاج العظيم .

ثم امرت اريشكيكال ان ينهض تموز حبيبها ويعود الى العالم الاعلى امرت بغسله بماء طهور وتطييبه بالعطور ، امرت بان يلبس عباءة حمراء ويعزف مثلما كان بنايه اللازوردي ، أمرت الكاهنات ان يزفنه الى هناك .

حسرة عشتار

كانت أناشيد عشتار التي تشير الى حسرتها لعدم عودة الحياة تموز، وعدم قدرتها على بعثه، مادة الليتورجيات الطقسية البابلية.. ومنها هذه المرثاة الحزينة التي تنذيله فيها وكأنه قد قام من الموت.

المرجع: كريمر، صموئيل نوح: طقوس الجنس المقدس، ١٩٨٦.

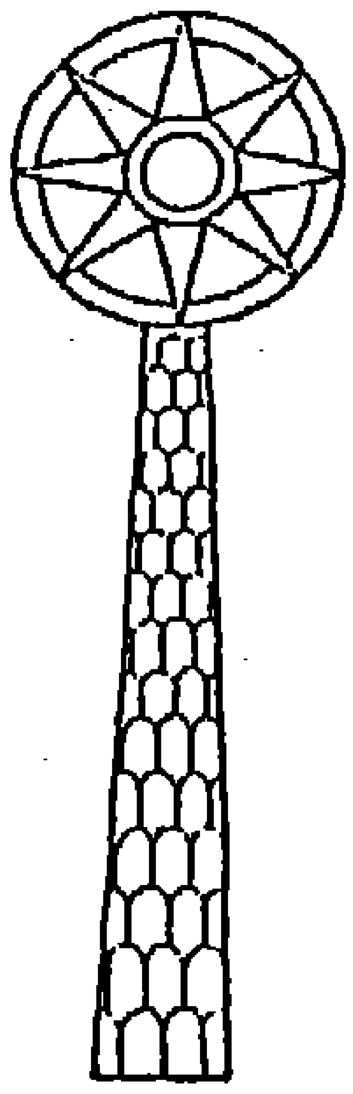

رمز الإله تموز منذ الألف الثالثة ق.م

رسم: علي محمد آل تاجر

كانت عشتار تبكي وتندب تموز وتصرخ في البرية:

- قم من قبرك يا اخي، فأُمك في لهفة عليك، امك في لهفة عليك، متلهفة لسماع شفتيك العذبتين، أنها تستمع لفمها اللبق، يا فتاي لا تدع أمك تجلس باكية لا تدع أختك، لا تدع أمك نادبة، قم من قبرك ولا تجلب لها الويل، قم من قبرك قم من قبرك يا حبيبي، قم من قبرك، قام صاحب ناي اللازورد، قام لابس الخواتم، قام موفر الطعام، قام مدفق الماء، قام ملاقح الثور والبقرة، قام مهيج الطلع، قام حبيبي، قام الحزانى معه.. قام من مات معه، قاموا يشمون البخور.

عشتار سيدة النواميس

هذه القصيدة، التي تستكمل في الفقرات اللاحقة، هي قصيدة أنخيدوأنا (Enheduanna) إبنة سرجون الأكدي (٢٢٧٠-٢٣١٦ ق.م) التي اشتهرت في

تقدمت كاهنة عشتار العليا وتلت لسيدتها:

سيدة النواميس الإلهة كلها، الضياء

المصادر التاريخية كأول أميرة تشغل مركز الكاهنة العليا (أنتو) للإله سين (نانا) إله القمر في أور . وقد بقي مركز الكاهنة (أنتو) مقتصراً من بعدها على الأميرات من بنات وأخوات الملوك لسنوات عديدة . وتعتبرُ قصيدتها هذه أول قصيدة موقعة بإسم في التاريخ ، أي أنها أول عمل أدبي يحملُ اسم كاتبه ، فقد وصلتنا جميع الأعمال الأدبية والدينية للام القديمة وهي منسوخة عن أصول مجهولة وتحملُ اسماء نسّاخها . أما قصيدة (أمدوحة لإنانا) فتحمل اسم كاتبتها الكاهنة (أنخيدوانا) . ويمكن تقسيم هذه القصيدة الى عدة محاور أو مقاطع هي :

١- إنانا والنواميس
٢- إنانا وآنو
٣- إنانا والليل
٤- إنانا والشكر
٥- إنانا والأنونا
٦- إنانا وإيبيخ
٧- إنانا والوركاء
٨- ابتهال إنانا
٩- عرض مشكلة أنخيدو أنا (مكون من خمس مقاطع)
١٠- تمجيد إنانا
١١- تركيب الترنيمة
١٢- إرجاع أنخيدوانا وبعدها تسبيحة الشكر

المراجع :

1- Kramer, S.N. : **The Adoration of Inanna in Ur ANET**, 1969: 579-582.

اللامع ، التقية التي تتسلح بالإجلال ، محبوبة السماء والأرض ، عزيزة آنو ، صاحبة الحلي العظيمة ، صاحبة التاج الفتان اللائق بكرسي الكهانة العالي ، أنت التي نالت يداها النواميس السبعة يا سيدتي ، أنت حارسة النواميس الإلهية العظيمة كلها ، أنت من التقط النواميس أنت من علقها على يدها ، انت من جمع النواميس ، أنت من احتضنها الى صدرها ، لقد ملأت البلاد غيضا كالتنين ضد الاعداء ، أنت يامن ترعدين كاله العاصفة فتختفي الخضرة ،أنت كالسيل المنحدر من الجبل يا صاحبة المقام الاول عشتار السماء والارض أنت يا من تنزل لهيب النار على أعدائها كالمطر ، أنت التي منحها الاله آنو النواميس التي تمتطي ظهر البهائم وتقرر القرارات بموجب اوامر الاله آنو المقدسة ، يا صاحبة كل الشعائر العظيمة ، من يستطيع سبر أغوارها غيرك يا مخربة بلاد الاعداء أنت من اعطتها الرياح اجنحة يا محبوبة الإله إنليل ، أنت من جعلتها العاصفة تهب على البلاد ، أنت من ينفذ أوامر الإله آنو ، يا سيدتي إن بلاد الأعداء تنحني هلعاً من صرختك عندما يمثلون أمامك هلعين خائفين من اشعاعك الوهاج فإنهم ينالون

٢- عقراوي ، ثلماسيان : المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ١٩٧٨ : ٢٧٣-٢٨٣٠

عشتار وأمامها كاهنتها

منك جزاءهم العادل وهم يقدمون أناشيدهم الحزينة ويبكون أمامك ويسيرون اليك عبر طريق دار الاحزان العظمى ، في خضم المعركة يتحطم كل شئ أمامك يا سيدتي انت .

تكتسحين كل شيء بجبروتك

رغم أن هذه القطعة الأدبية هي الوحيدة الى الآن التي تذكر فيها أنخيدوأنّا اسمها الصريح ، الاّ أن هناك مجموعة أخرى من القصائد التي يرى العلماء بأن مؤلفتها كانت إنخيودوانا كذلك ، وقد أثرت هذه القصيدة وغيرها في نفوس الشعراء الذين جاءوا بعدها . فقد عثر على عدة نسخ من هذه القصيدة ، وهناك الكثير من تعابيرها في الأعمال الأدبية اللاحقة .

وقد حذفنا من هذه القصيدة الجزء الخاص بمشكلة انخيدوأنا ، لأننا قصدنا من وضع هذه القصيدة في هذا المكان خاتمةً لمديح عشتار تنهي به هذا الفصل الخاص بالآلهة ، ولم يكن قصدنا تثبيت الأعمال الأدبية كما هي . ويبدو أن أنخيدوأنّا تشكو في قصيدتها الى الإلهين (سن) و (آنو) مما لحقها من ظلم

تكتسحين كلّ شئ بجبروتك ، على هيئة ريح عاصفة تعصفين ، ومع الزوبعة العاتية تزمجرين ، ومع الرعد ترعدين ، ومع كل الرياح الشريرة تخورين ، قدماك لا تستقران تجعلين الاناشيد الكئيبة تنطلق من قيثارة الأحزان ، ياسيدتي إن آلهة الانوناكي ترفرف هاربة منك كالخفافيش إلى الكهوف وهي لا تجرؤ على الوقوف أمام نظراتك الرهيبة ، ولا تجرؤ على التقدم أمام سلطانك العظيم ، من يستطيع ان يهدّيء قلبك الثائر؟ قلبك الحاقد على الاعداء الذي هيهات أن تلين ، أنت السيدة التي ترخي العنان ، السيدة التي تفرح القلوب السدة التي

على يد لوگال أنّا ، ولكن دون جدوى ، فترجع بعدها الى إلهتها المفضلة إنانا وتطلب منها أن تنزل جام غضبها على مدينة الوركاء وحاكمها الثائر . ويظهر أن إنانا إستجابت لطلبها . فنرى في نهاية القصيدة أنخيدوأنّا قد رجعت الى مركزها الكهنوتي وهي تسبح للإلهة إنانا .

ولوگال أنّا هذا ثائر سومري استطاع أن يستولي على أور وأوروك ويطرد آنخيدوأنا من منصبها ولذلك حذفنا هذا الموضوع من القصيدة لتعارضه مع سياق نموّ النصوص في هذا الكتاب .

ويتضح من القصيدة أن إنخيدوأنا تعمل على رفع مقام الإلهة إنانا لدرجة مفرطة فهي بعد أن تقرنها بآنو وتجعلها الزوجة الملكة ، فانها تجعل الإله آنو يمنحها النواميس المقدسة ويجعلها مقررة المصائر .

ثم أنها ترفع مقامها بين الشعوب كلها ، بل وتصفها بسيدة السماء والأرض وتقول بأن جموع آلهة الـ (أنونا) كانوا يهربون أمامها كالخفافيش خوفاً من عظمتها وسطوتها .

غيّرنا اسم إنانا في القصيدة بـ (عشتار) إنسجاماً مع السياق أيضاً .

المراجع : انظر المرجعين السابقين .

لا تهدأ ثورتها يا ابنة سين الكبرى ، السيدة العظيمة في الأرض ، من يستطيع نكران الولاء اليك حلت اللعنة على الزرع في الجبال ، حيث امتنع الاعداء عن طاعتك وحولت بواباته العظيمة إلى رماد وصارت أنهاره تجري دما بسببك ولم يعد لهم ما يشربون واقتيدوا للاسر طوعا أمامك واجتاحت العاصفة الهوجاء أماكن لهوهم ، في المدينة التي تعلن الولاء لك تكون الأرض ، لك والتي لم تعلن الولاء لك تكون لوالدك الذي انجبك لقد وعدت بكلماتك المقدسة ولكنك عدلت عنها وابتعدت عن زرائب الماشية ، ولم تعد الانثى تتحدث مع زوجها عن الحب ، وفي الليل لم يعد بينهما وصال ولم تعد الأنثى تكشف له عن أسرارها ، أيتها البقرة المتوحشة يا ابنة سين العظيمة ايتها السيدة التي تسمو على آنو من ينكر الولاء اليك يا خليقة الرحم المقدس ، أسمى من الام التي ولدتك العالمة الحكيمة سيدة جميع الارضين ، يا رازقة الحشود ها انا أنشد أغانيك المقدسة إنه لفخر أن ينادى باسمك أيتها الرحوم ايتها الصالحة المتألقة ها قد عددت لك بصدق نواميسك وحملت سلة الشعائر وعلا صوتي بالهتاف فدعونا نرتل لها

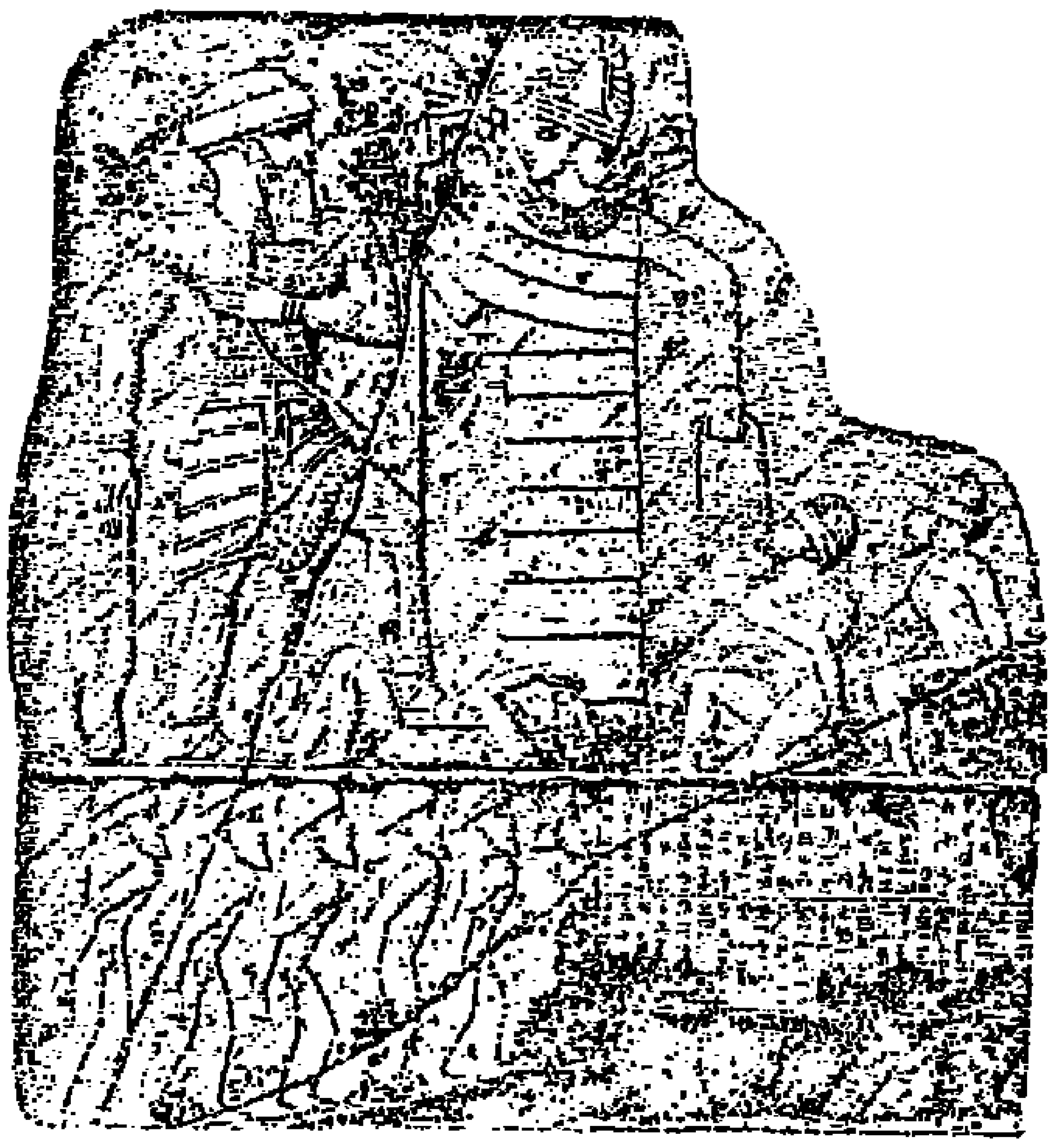

عشتار المحاربة

الصلوات دعونا نذرف الدمع السخي شرابا زُلالاً لعشتار .

رفعت الكاهنة يدها الى عشتار ووضعت المبخرة امامها مع خشب الصنوبر وسكبت شراب العصيدة ، رفعت اليد مرة ورفعت اليد ثانية ورفعت اليد ثالثة وانحنت ورتلت :

ـ أيتها البطلة العظيمة عشتار ، طاهرة الالهات ، مشعل السماء والارض ، وشعاع البراري ، الإلهة سيدة السماء بكر سين الأخت التؤام لشمش إنك تحكمين السماء مع انليل الواسع الفهم ، تنصحين بالكلمة يا خالقة طقوس وشعائر غسل الأيدي عندما تكون هناك محادثة فإنك مثل شمش تنصحين ، إنك تغيّرين الاجال فيصبح الحدث السئ حسنا ، لقد ناشدتك من بين الآلهة ، التوسلات اقدمها إليك . لقد جئت إليك من بين الإلهات برغبة وقدمت التضرع إليك أمامك الجني الحامي شيدو وخلفك الجني القاسي لاماسو على يمينك العدالة وعلى شمالك الطيب ، وقد طوقت جوانبك الحياة والرفاهية .

الإلهة الحامية (لاما) أو (لاماسو)

ما أحسن الصلاة اليك ما أبرك أن أسمع من قبلك لمماتك مقابلة ، كلامك هو النور ، اعطفي عليَّ ايه عشتار إصدري أمراً بالسعادة إنظري اليَّ بثبات واقبلي ابتهالي .
لقد حملت نيرك فابعثي السكون لنا لقد بحثت عن ضيائكِ فليكن وجهي مضيئا ، لقد توجهت الى سلطانك فليكن الحياة والعافية ، لي ليكن لي شيدو مفضل كالذي امامك ليكن لاماسو كالذي يذهب وراءك ، لعلي اكسب الرفاهية من يدك اليمنى لعلي أحصل على الفضل من يدك اليسرى .. أطيلي ايامك . امنحينا الحياةَ دعينا نشم الهواء هواءك دعينا نعلن عن قدسيتكِ .

ليرقد قلبك المقدّس المتعالي

في هذا المقطع دمجنا مدائح وأناشيد أخرى لعشتار مع قصيدة إنخدوأنا . وذلك لانسجامها مع بعضها . ووصولاً الى (تمجيد عشتار) في السطور الأخيرة .
وبختام هذا المقطع ، نصل الى نهاية نصوص الآلهة التي بدأت بالخليقة وانتهت بنزول عشتار للعالم الإسفل ثم خروجها ومدائحها . وقد تبدل خلال ذلك الكثير من نواميس وقوانين وعالم الآلهة فقد كان قتل تيامت ودفن العالم الهيولي مدعاة ، فيما بعد ،

يا اعظم سيدةٍ يا حبيبة الاله آنو ، فليرقد قلبك المقدس المتعالي يا عروسة الإله تموز ، المحبوبة أنت الملكة العظمى لأسس السماء وقمتها ذعنت لك آلهة الانوناكي الآلهة العظيمة ، يقبّل الهة الانوناكي الارض بشفاههم خضوعا لك يا سيدتي يا محبوبة الإله آنو عسى ان يشفق قلبك يا سيدتي لقد رفعتك عاليا ، أنت ممجدة

لابتلاع العالم الأسفل للآلهة وحلول الجدب على الأرض .

المراجع :

١- انظر المرجعين السابقين .

2- Stephens, F. J: **Hymen to Ishtar, Prayer of Lamentation to Iahtar, ANET.** 1969: 383 - 385.

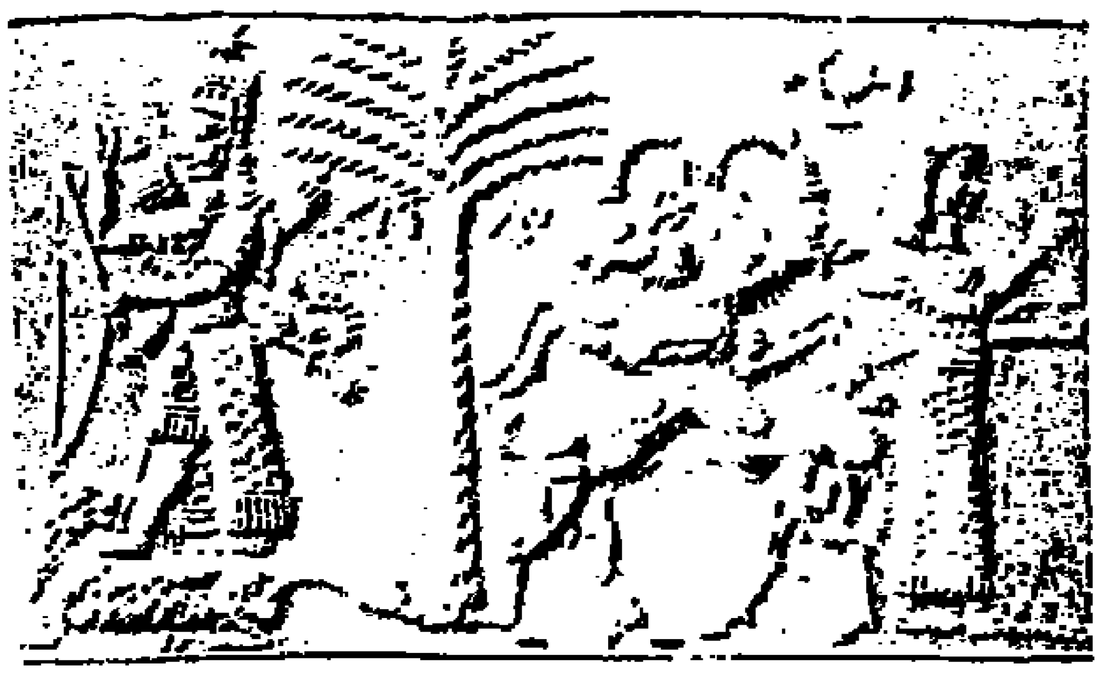

عشتار المنتصرة

وحدكِ يا محبوبة إلاله آنو لقد تحدثت بحق عن غضبك . ملئت الجمرة بالفحم واقيمت الشعائر غرفة نومك بانتظارك فليهدأ قلبك من أجلي ، كفاني ، هذا اكثر من طاقتي ، جئت إليك يا سيدتي العظيمة بهذا الترتيل ومن أجل زوجكِ الذي كان أسيرا ، زوجك القائم بين الاموات تموز ، طفلك الأسير زاد غضبك وثار قلبك ، السيدة الاولى عماد قاعة العرش ، لقد استجيبت صلواتها وارتاح قلب عشتار ، اليوم يوم سعيد لها وهي ترتدي ثيابا فاخرة ممتلئة فتنة وجمالا وكم كانت فاتنة فيما كانت تخزنه من جمال ، كأنه ضوء القمر النير ، عندما بزغ القمر سين بكامل بهائه . حمد جميع الآلهة ننكال والدة عشتار وصاحت عتبة السماء :

ـ مرحبا! الكاهنة العظيمة ذات الاوامر المبجلة ، المجد لخربة البلدان المعادية التي منحها الاله آنو النواميس الالهية ، الى سيدتي التي تتشح بالجمال ، انت شهيرة ان ما انشده لم يكُ من اجل احد سواك .

أنت سامية كالسماء فليعرف الجميع .

أنت واسعة كالارض فليعرف الجميع .

أنت تدمرين البلاد الثائرة فليعرف الجميع .

أنت تعـصـفين على البـلاد فليـعـرف
الجميع .
انت تضربين الرؤوس ، فليعرف الجميع .

انت تفزعين بنظراتك المرعبة ، فليعرف
الجميع .
انت نظراتك براقة فليعرف الجميع .
انت تحرزين النصر فليعرف الجميع .
انت التي تحديت العالم الاسفل ودخلته
فليعرف الجميع .
انت التي حـررت حـبـيـبك تموز منه
فليعرف الجميع .

نصوص الإنسان

فيما مضى كانت الآلهة

فيما مضى كانت الآلهة قوية في سمائها وفرحة في أرضها ، فيما مضى كانت الأرض مسكن الآلهة وكانت المدن مراتع لها ، ومن يوم تجاسرت قوى العالم الأسفل على الآلهة واختطفوها ، من يومها قلّ مرح الآلهة وقلّ سرورها . . ومن يومها تجاسرت قوى العالم الاسفل واختطفت راعي الآلهة وموفر طعامها وشرابها تموز ، ومن يومها نزلت عشتار وأجدبت الأرض ، ومن يومها حزن الآلهة وناحوا من يومها قلت راحتهم وتململوا في حياتهم ، فالطعام لا يكفي والشراب لا يكفي ، من يحرث ، من يزرع؟ من يسقي؟ من يحصد؟ من يعلف الحيوانات؟ من يحمل المعول والسلة؟ .

من يومها ، فيما مضى ، كتب على الآلهة العمل وتوجب عليها تحضير الطعام والشراب . . الآلهة العظام تراقب العمل والآلهة الصغار تحمل السلال آلهة السماء تنظر من عل وآلهة الأرض تكدح ، تحمل المعول والسلّة وتحيي المدن ، من يومها فيما مضى صار الآلهة مثل الخدم ووجب عليهم العمل وحمل السلة ، كانت سلتهم كبيرة وكان عملهم شاقاً وفي حرالي لامس الآلهة التراب من اجل شق القنوات وكانوا يعملون ليل نهار .

أردنا من هذه المقدمة الإيحاء بجدب الأرض (بسبب نزول آلهة الخصب للعالم الأسفل) ، مما ضاعف العمل على الآلهة الصغار ، وسيكون هذا الأمر مبرراً لثورة هؤلاء . . . يخلقُ بعدها الإنسان ليقوم بأعمال الآلهة وليخدمها .

وهكذا تبدو الأرض في بداية هذا الفصل مجدبة ، يكدح فيها الآلهة الصغار ليسعدوا الآلهة الكبار ، وهو ما يشكل عبئاً على الآلهة الصغار .

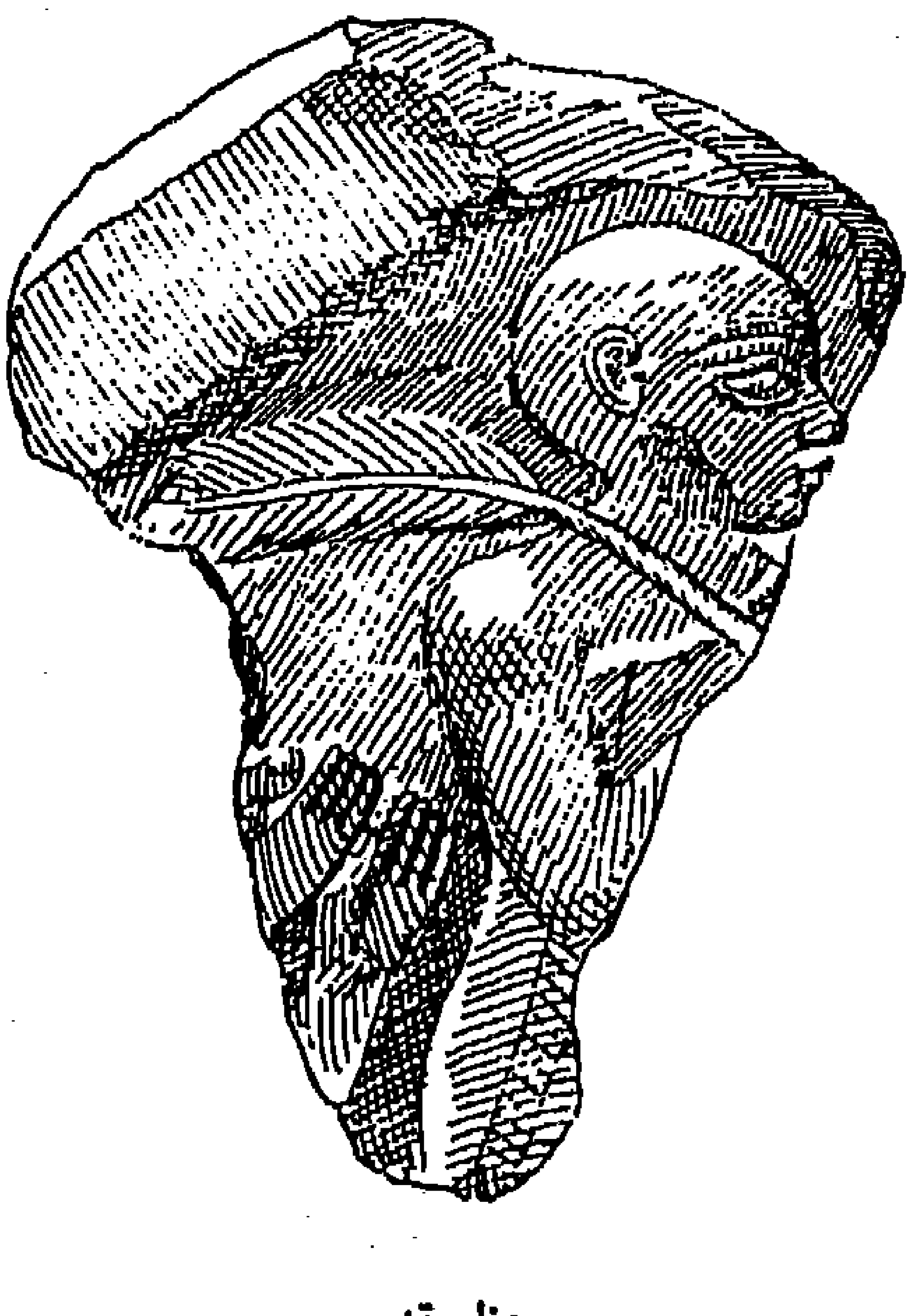

منظر قديم

ربما للعمل أو الحصاد

الآلهة يثورون على العمل

تبدأ قصة خلق الانسان البابلية من ثورة الآلهة الصغار ومطالبتهم للآلهة الكبار برفع العناء عنهم ، وخلق كائن يقوم بخدمة الآلهة والعمل بدلاً عنهم .

وقد جمعنا في هذه الفقرة أكثر من اسطورة بابلية في خلق الانسان ووضعناها في سياق واحد ، منها الجزء الخاص بخلق الإنسان في إسطورة الخليقة البابلية وحقيقة الأمر أن خلق الإنسان (أنثروبوغونيا) البابلي يتم بعدة طرق منها خلق الإنسان من الطين ودم الآلهة ، وعن طريق الكلمة . ولكن الاسطورة الشائعة هي خلقه عن طريق مزج دماء آلهة العمل مع الصلصال .

ولا يأخذ الإله إنليل دوراً في هذه الاسطورة ، في حين يأخذ مردوخ هذا الدور واضحاً في ملحمة الخليقة البابلية ويبدو أنه هو ، الذي رسم لإيا كيفية خلق الإنسان .

وتبدو حركة الآلهة التمردية وكأنها حركة تمرد حقيقية ، تشبه ما يصنعه الإنسان وهذا بالطابع يؤكد أحدى صفات الألوهية عن البابلين وهي تشبيه الآلهة بالانسان (Anthropomorphism) .

المرجع : رشيد ، فوزي : خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية ١٩٨١،

بعد أربعين سنةمن العمل كان الآلهة يئنون . . يبكون . . يصرخون . . فقرر الذين يعملون منهم إعلان العصيان فذهبوا متظاهرين إلى مسكن إنليل ، ذهبوا إلى إنليل يتقدمهم إله قوي متمرد يثير في نفوسهم الحماس ، وحين وصلوا إلى بيت إنليل قرروا أن يعلنوا الفزع فأضرموا النار في معاولهم ومساحيهم وسلالهم وحملوها مشتعلة إلى باب البيت ، في الليل احرق الآلهة ادواتهم امام الباب الإله إنليل وعند منتصف الليل أحاطوا معبده ولم يكن هو يعرف ذلك ، لقد أحاطوا (إيكور) وعندما رآهم الإله الخفير (كلكل) من باب المعبد أصابه الذعر فزلّج الباب وأخذ يراقب ثم أيقظ كلكل الإله نسكو وزير إنليل وأخذا يصغيان إلى الضجيج ، قام نسكو من فراشه وأيقظ إنليل وقال له :

- إن معبدك محاصر يا سيدي وإن الحرب قد وصلت بابك يا إنليل ، إن معبدك محاصر وإن الحرب وصلت بابك .
- إذهب بسرعة يا نسكو واغلق الأبواب وتقدم بسلاحك أمامي .
- إن هؤلاء ابناؤك فلا تخف .
- ليجتمع آلهة الأنوناكي حالاً ولنبحث

في الامر .
وحين حظر آلهة الأنوناكي واجتمعوا فتح إنليل فمه وقال :
- إني أرى أن واحداً من الآلهة الأنوناكي وراء هذه الثورة ، لنأمر وزيرنا نسكو ليتطلع الامر .
خرج نسكو ورأى الآلهة تشعل النار غاضبة وتحمل السلاح .. رأى أنها مصممة على إنهاء الظلم الذي أحاط بها وقال نسكو لهم :
- من منكم حرّض على هذه الفتنة؟
فأدرك الآلهة أن إنليل يريد إنزال القصاص بواحد منهم وإخماد نار الثورة .
فهتف الجميع :
- كلنا نريد خوض المعركة ، لقد أنهكنا العمل الشاق ، أنهكنا الشغل .
عاد نسكو إلى مجلس الآلهة وأخبرهم بما رأى وسمع فتململ الآلهة وأدركوا كبر معاناة الآلهة فوقفوا إلى جانبهم .. ووقفوا في صف الآلهة المتمردة وأيدوا وقالوا للإله إنليل إن عملهم شاق حقاً وأن أصوات بكائهم كأنت تسمع من بعيد .
رق قلب إنليل وسالت الدموع على وجهه إشفاقا عليهم وقال :
- دعونا نتدبر حلا لمشكلة أبنائنا .

أوعية (إيا) وماؤه الذي خلق به الإنسان

ففكر كبير الآلهة وقال :
- لماذا لا تذهبون إلى (إيا) الحكيم فهو المدبر الخارق الذكاء!

إيا يقرر خلق عبداً للآلهة .

إيا يرسم خلق الإنسان

ذهب الأنوناكي والآلهة الثائرون إلى (إيا) ذهبوا إلى (اينكور) الوعاء الذي يتدفق منه الماء والمكان الذي لا تستطيع الآلهة دخوله ، كان (إيا) يضطجع في غرفة نومه غرقاً في سباته والآلهة تبكي وتنوح ، لم يستطيعوا الدخول اليه ولم ينهض هو من نومه فاخبروا أمه التي أنجبت الكثير من الآلهة .. أمه الكبرى ، الأم التي تفوق الجميع فذعرت وأيقظت الإله (إيا) من نومه وقالت له :

- يا بني إنك نائم حقاً فالآلهة العظام تضرب أجساد الآلهة الصغار يابني قم من فراشك وتدبر الامر ، إنك تدرك من خلال حكمتك كل فن فاصنع بديلا عن الآلهة يحمل السلة عوضا عنها .

نهض (إيا) من رقدته .. نهض بعد أن سمع كلمات أمه وضجيج الآلهة ودخل القاعة المقدسة ، وأخذ يضرب فخذه وهو يفكر ، الحكيم ، العليم ، البصير الذي

تثير قضية خلق الإنسان البابلية إلتباساً كبيراً ، يتمثل جانبه الأول في دور إيا والإلهة الأم التي نرجح هنا أن تكون (ننخرساج) وقد كانت عند السومريين (نمو) . أما الجانب الثاني فسنلاحظهُ في العلاقة بين إيا ومردوخ .

ففي حين يرسم الإله إيا تصوره لخلق الانسان وشكله وهيئته ، تقوم الإلهة الأم ، بمساعدة آلهات الولادة ، بولادته وليس بخلقه وبذلك فهو مخلوق بكلمة إيا ، ومولود من الإلهة الأم .

ولا ترد على لسان إيا فكرة ذبح إله صغير أو معاقب أو إله عمل .

والإلهة الأم التي هي ننخرساج تظهر هنا أشكالها الامومية والخالقة مثل مامي = الام ، ننماخ = السيدة الكبيرة المسؤلة عن خلق الانسان ، ننتو = آلهة الولادة ... الخ وتقوم بتهيئة الطين الذي سيخلق منه الإنسان .

المرجع : انظر المرجع السابق .

يدرك كل شيء وكل فن ، المدبر خطرت له فكرة ، لقـد صنع الآلهـة المدن والأدوات والزرع والحيوان والمطر فلماذا لا يصنعون كائنا على هيئتهم يكون خادما لهم ، لماذا لا يملئون به الأرض ويحمل عنهم عناء العمل وحمل السلة والفأس ، يوفر لهم الطعام والشراب ، ففرح وقال لنفسه (سأصنع الإنسان فما الذي من الحكمة فيه ، سأصنع وأي الإيادي ستصنعه؟ ومن وماذا ؟ وكيف) .

ونادى أمه إلى القلعة المقدسة وقال :

ـ أمي . . المخلوق الذي صنعته إربطي به عمل الآلهة فبعد أن يخلط من الطين الذي ناخذه من مياه الأبسو ونصبغ جسده سيكون ، عسى أن تساعدك في ذلك الآلهة (مامي وننماخ واورور ونندااما وايكزأنا وننمادا ونبرا وتنمرك وسارساردو وننكينا) بنات الإلهات التي أنجبتهن ، عساهنّ يساعدنك عند العمل ، قرري يأ أمي مصير الإنسأن ، نادي أولاً على إلهة النسل (مامي) للحضور فهي الإلهة الموكلة بالخلق والولادة هي ام الالقاب الكبرى ، هي سيدة الولادة (ننتو) هي سيدة الآلهة (بيتيت بابيلي) نادي عليها أولاً ، نادى الإلهة (مامي) فهي الرحم الخالق وقالوا لها :

ـ أنت الرحم خالقة البشر ، إخلقي الإنسأن الأول من أجل أن يحمل النير ،

إلهة مع رموز إلهية

ليحمل النير خادم الإله إنليل ، سلة
عمل الآلهة يجب أن يحملها .
قالت الآلهة (مامي) :
ـ ليس بمقدوري أن أفعل ذلك ، إن القدرة
بيد (إيا) فهو بإمكانه أن يجعل كل شئ
طاهراً ، ليته يعطي الطين لاعمله .

في أوزموا خلق الإنسان

نظر السومريون الى منطقة (أوزموا) في نفّر نظرة تقديس ، فقد اعتبروها منطقة رباط الأرض والسماء وآخر مكان انفصلت عنه السماء عن الأرض وهذا يعني أنها كانت (سرّة الأرض) .

ويبدو أن التقاليد الأكدية أبقت على هذا الأرث ، لكن التقاليد البابلية جعلت من بابل هي مكان خلق الإنسان . وجعلت من مردوخ هو الإله الذي يرسم خطة الخلق رغم أن الإله (إيا) هو الذي نفّذ هذه الخطة . وفي هذا المقطع مزج بين الرواية في العصر الأكدي وملحمة الخليقة البابلية .

المرجع : انظر المرجع السابق .

في أوزموا التي هي رباط السماء
والأرض ، أوزوموا المنطقة التي ما زالت
الأرض تتصل فيها بالسماء ، في منطقة
دور أنكي ، في اليوم الاول والسابع
والخامس عشر من الشهر ، في اوزوموا
قال الإله (إيا) :
ـ ساقيم طقوس الغسل ، ساقيم الحمام
وليذبح الآلهة إلهاً من بينهم إذ لابد
للطين من روح ، جسد الأرض سيكون
من الأبسو ، نفسه ، روحه ستكون من
اله .
كان الآلهة يدورون وراء (إيا) و (مامي)
يذهبون إلى حيث يذهبأن يتطلعون إلى
قرارهما وعملهما ، كانوا كالزنابير على
قطعة العسل فهمّوا وتداركوا الامر
وفكروا بالإله الذي يذبحونه فقال مردوخ
لـ(إيا) :
ـ عظم رأيك يا (إيا) وعلت مشورتك

ولكن أيتهـا الآلهـة . . أيتهـا الآلهـة العظيمة .
فانتبه الجميع إلى مردوخ وأعطوه آذانا صاغية فقال :
- أريد منكم قول الحق . . وأقسم أني سأنفذ ما عليّ ، من الذي بدأ أول الإضطراب في نواميس الخلق والآلهة ، من الذي خلق النزاع والثورة ، من الذي بسببه لم يهدأ العالم الاسفل حتى الآن ومن بسببه أصبحتم تحملون السلة والفأس؟ أعني من دفع (تيامت) للثورة وأعدّها لقتالنا؟

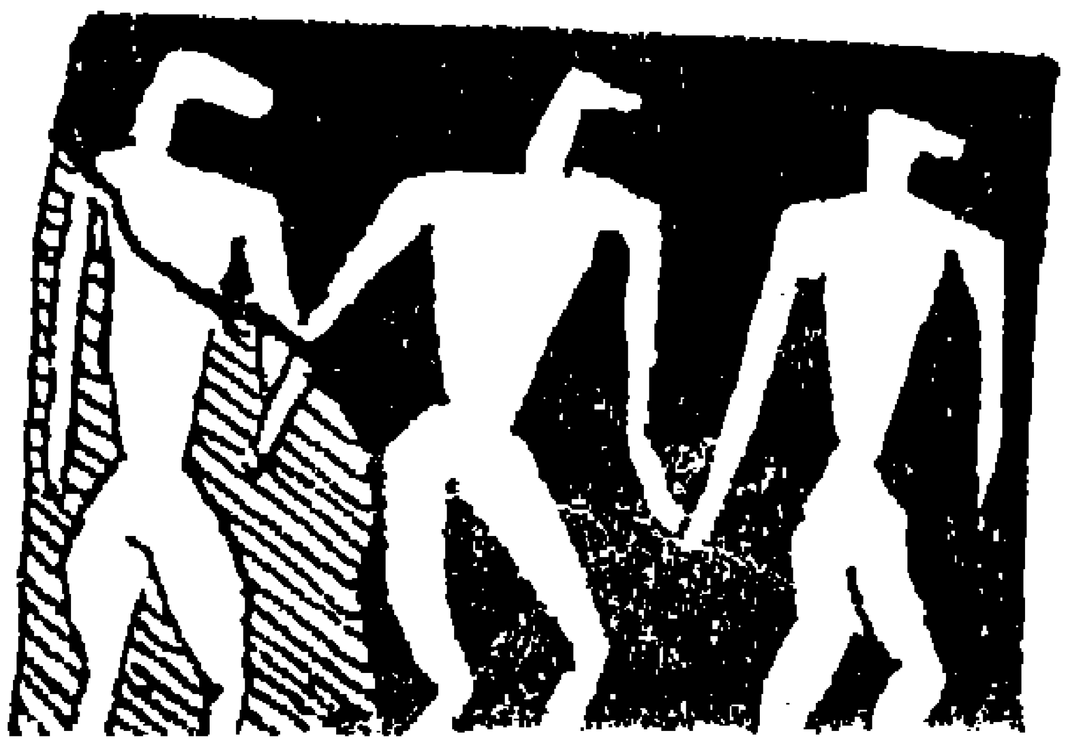

أشباح آلهة قديمة

من دم كنجو ومن الصلصال

تقضي فلسفة خلق الإنسان من دم إله معاقب ، بأن روح الإنسان أو دمه من منشأ ألهي وأن تلاقي هذه الروح عقاباً بعد الموت (كأنه عقاب الإله المخطيء) يقضي بأن تحبس في العالم الأسفل الى الأبد . أما الموت فيبدو أن سببه الجسد البشري الذي هو من الطين حيث يتحلل هذا الجسد ويعود الى التراب أو الطين .

وتبدو عملية الخلق خليطاً بين الصنع اليدوي والولادة من قبل الإلهة الأم ، وفي هذا ما يشير الى أن الإنسان هو إبن الآلهة . ولكنه ابن محكوم عليه بالموت الجسدي والعمل ولا سبيل الى خلاصه من

تحيّر الآلهة وعبثاً حاولوا معرفة من يقصد وصاح بهم :
- هل نسيتم كنجو هل نسيتم زوج تيامت الذي دفعها للقتال .
صاح الآلهة :
- ليذبح كنجو ، ليذبح كنجو ، لتكن دماؤه سببا في ظهور المخلوق الذي يحمل عنا العناء . . المخلوق الذي سيحمل المعول والسلة وإلى الأبد .
فذهبوا وأخرجوه من سجنه وقيدوه ووضعوه أمام (إيا) وأنزلوا به العقاب

مصيره هذا .

وتمثل الاصوات البشرية الأولى هنا . . أصوات الطفل وهو ينطق بأول الكلمـات . . . وهكذا يكون خلق الإنسان قد اكتمل ، وتقرر مصيره وكيفية ولادته في كل مرة وهور ما تفعله الإلهة (مامي) في آخر الأمر وكأنها تقرر أمراً أزلياً يخص كيفية ولادة الأم .

المرجع : ١- المرجع السابق .

2- Speiser, E . A: **Creation of man by the mother Goddess. ANET** 1969 : 99.

وقبل ذلك اغتسلوا . . تطهروا في الحمّام ثم ذبحوا كنجو ومن دماء شرايينه . . من دمائه التي سالت خلطت الإلهة (مامي) كمّاً من طين الصلصال في بيت المصير وبدأت تقرأ تعويذة الخلق وقد جلس إيا بجانبها يلقنها التعاويذ من حين لآخر ، فقرأت ثم صاغت أربع عشر قطعة من الطين ووضعت سبعاً منها إلى اليمين وسبعاً منها إلى اليسار وفصلت ما بين المجموعتين بآجر اللبن ، وبصقت في قطعة طين من المجموعة الأولى واسمتها (اوليكار) فكان رجل الخير وبصقت في قطعة طين المجموعة الثانية وأسمتها (زالاكار) فكانت إمراة الخير وأسمت الاثنين (لولّو) الذي سيكون اسمه الإنسان فتحرك وفتح عيونه ونطق بأولى الاصوات :

أ . . أ . . أغا . . أغو . . ب . . ب . .
با . . با . . با . . بابا . . د . . د . . دا . .
دا . . دادا . . أ . . أ . . اغا . . أ . .
أ . . أما . . أما . . ما . . ما . . ماما . .
ادا . . اما . . اوو . . ادا . . اما . .
اما . . ادا . . اما . . ابا . . داد . .
ماما . . بابا . . اغا . . اغو . . ادا . .
ادا . . ماما . . بابا .

فَغَر الآلهة أفواههم لكلامه . . هللو وفرحوا واستبشروا . . وتلقت (مامي)

من إلهات النسل نصائح الحمل فشهور الحمل بعد الجماع ، تسعة ، ثم ينفخ الرحم فتقوم الآلهة بوجه مشرق ورأس معصوب بإجراء الولادة ثم تشمّر عن ساعديها وهي تردد التبريكات لتخط صورة المولود بالطحين ثم تقول لقد خلقته . . لقد صنعته يداي .

ليكن العمل مقررا على الإنسان

قال الآلهة العظام :

ـ دعونا نستمع إلى الطبل من أجل مصير الأيام القادمة ، وبسبب لحم الإله نوّد أن يسكن شبح الموت جسد الإنسان ليذكره بالموت ، ليت شبح الموت يسكن الإنسان حتى لا يكون بالامكان نسيانه .

ثم فتحت الإلهة مامي فمها وقالت مخاطبة الآلهة العظام :

ـ لقد عهدتم اليّ عملاً فأكملته وما دمتم قد ذبحتم إلهاً رغم قدسيته رفعت عنكم عناء أعمالكم الشاقة وجعلت الإنسان يحمل سلة العمل ، وها أنتم قد دفعتم صراخكم إلى البشرية ، وها أنا قد حللت عنكم النير وحررتكم من الواجبات .

رفع الآلهة أصواتهم وأيديهم بالجلال والعرفان للإلهة (مامي) ورددوا :

ـ زمان كنا نسميك مامي ، والأن ليكن

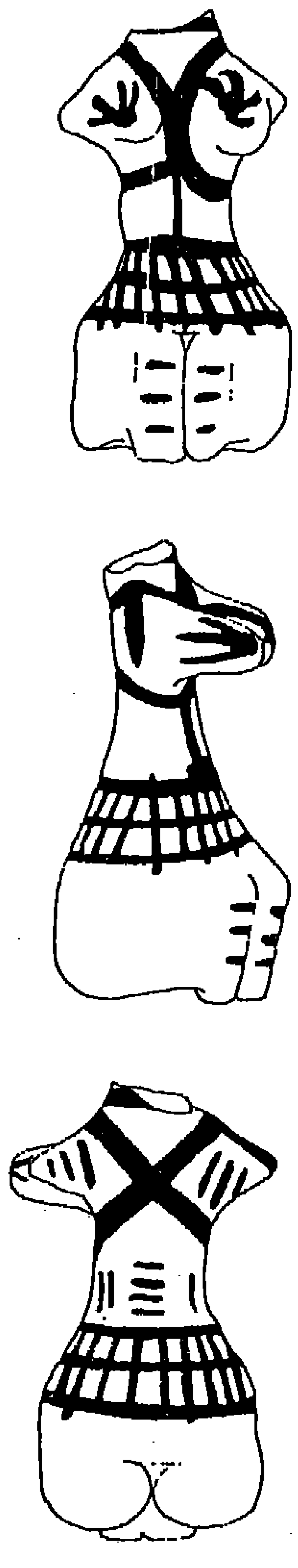

تماثيل طينية للإلهة الأم

اسمك (سيدة الآلهة) وراعية الخلق ،
بفضلك تحرر الآلهة من العمل والفأس
وبفضلك حفظت الآلهة مقامهم وخلقت
العبيد من بني البشر يقومون على
خدمتهم .

دود السوس في فم الإنسان

تعتبرُ تعويذة دودة السوس التي تسبب تسوس الأسنان من التعاويذ الخلقية الكونية لبدايتها المتصلة بهذا الأمر (والتي تجاوزناها هنا) ، وتعتبر من التعاويذ الطبية لأنها تتضمن طرد هذه الدودة وموقف إيا منها لأنه إله السحر والتعاويذ .

وقد وضعناها هنا لأنها تمثل تحدياً للإنسان المخلوق تواً ، ويعمل إيا (صديق الإنسان) على طردها من لثة الإنسان .

المرجع : Ibid: 100

وعلى الأرض ساد البشر وتكاثروا ،
والأنهار خلقت القنوات ، والقنوات
خلقت المستنقعات ، والمستنقعات
خلقت دود السوس الذي مضى إلى
(شمش) باكيا وذرف الدموع في حضرة
(إيا) وقال :
- ماذا تعطيني لطعامي ، ماذا تعطيني
لشرابي؟
فقال (إيا) :
- سأعطيك شجر التين الناضج أو اعطيك
المشمش
فقال السوس :
- ماذا يفيدني شجر التين الناضج وبِمَ
يفيدني المشمش ، دعني أصعد وأتخذ
لي مسكناً بين اسنان هذا المخلوق الذي
خلقته ، أعني الإنسان بين أسنانه وعظام
الفك حيث أمتص دمه وانخر فيها عند
الجذور .
فقال لها (إيا) :

ـ لأنك نطقت بذلك فليسحقك (إيا) بجبروت وعزم يديه وعلى الآلهة أن تطوّع حيوانات ونباتات الطبيعة لك أيها الإنسان عليها أن تخضع واحدة بعد الأخرى لك . .

الإنسان مع الحيوانات يرعى

في تلك الازمان . . وعلى تلك الأرض كانت الإلهة (أنشأن) الإلهة الشعير لم تولد في نفس الوقت ولم يكن قد نبت الشعير بعد والإله (شمش) لم يخلق الخيط في البلاد بعد ، ولم يحفر الحفرة بعد ولم تخلق النعجة بعد ، ولم تتكاثر صغارها ولم تلد النعجة توأماً بعد ، ولم تلد العنزة ثلاثة توائم بعد . آلهة الأنوناكي العظام و (أنشان) المليئة بالطهارة لم يخلقوا النعجة بعد ، شعير (شيكوشو) ذو الثلاثين يوماً لم يعرف بعد ، شعير (شيكوشو) ذو الاربعين يوماً ، شعير (شيكوشو) ذو الخمسين يوما ، ولم يعرف الشعير الصغير ، شعير الجبل ، شعير (أدمكو) لم يعرف بعد ، الملابس التي يرتديها المرء لم تعرف بعد ، (اين ممكيري) و (اين كلكل) لم يولدوا بعد ولم يذهب الإله (سموقان) إلى البلاد الجافة بعد ، البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد ولم يعرفوا إرتداء

قبل أن يُنزل الآلهة الملوكية من السماء الى الإنسان ، أنزلوا من التل المقدس الذين يسكنون عليه زراعة الحبوب وتربية الماشية . وتشير هذه المقطوعة الى هذا الحدث الذي ظلّ راسخاً في اعماق الإنسان حتى عبّر عنه بهذا الشكل . وهو يشير في حقيقة الأمر الى بدايات تربية الحيوان والزراعة وهو الأمر الذي حصل في حدود الألف التاسع قبل الميلاد .

وبذلك تنبؤنا الأساطير بتاريخ عميقٍ لا يتعارض مع التاريخ الأركيولوجي (الحفري) الذي نعرفهُ . فبعد الزراعة عرف الإنسان العمل وبذلك يكون الفأس قد نزل أيضاً ، ثم عرف الإنسان الحكم والملوكية وهو ما سيحصل قبل بدء الطوفان .

ويشير هذا النص أيضاً الى الأصل الحيواني للإنسان حين يصف الإنسان القديم مثل الحيوانات في اكله وشربه وعدم ارتدائه للملابس وكيف كان يمشي على أربع .

المرجع : رشيد ، فوزي : خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية ١٩٨١،

الملابس بعد وكانوا يسيرون على أيديه
وأرجلهم ، وكـانوا كـالخـراف يعلفـو
الحـشـيش من القنوات ويشـربون الماء
آنذاك في المكأن الذي كانت فيـه الآلم
تعيش على الأرض ظهرت النعجة وظه
الشعـير بأنواعـه وفي المكان الذي يؤك
فيه الخبز تجمعوا وفي المكان الذي ظهر
فيه النعجة تجمعوا وفي المكان الذي ظه
فيـه الشعير تجمعوا ، وأكل الأنوناكي
أكل الآلهة على التل المقدس لكنهم ا
يبلغوا مرحلة الشبع ، والمشروب اللذي
شربته آلهة الأنوناكي آلهة التل المقدس
ولكنهم لم يبلغـوا مـرحلة الارتواء ، وفي
حظيـــرة الأغنام الطاهرة تركـــوا مـ
يسعـدهم . حينهـا أفـاق الإله (إيا) وقا
لإنليل :
- أيهـا الأب إنليل إن النعـجـة والشعـي
ظهروا في التل المقدس فلم لا ننقلها إل
الأرض ليسعد بهما خادمنا الإنسان .
فـاسـتـجـاب (إنليل) له ونقل النعـجـ
والشعـيـر من التل المقدس وكـذلك نق
المعـول والسلطة من التل المقـدس إل
(أوزوموا) وقرروا واجبات وعمل الإنسا
ومصيره .

منظر اسطوري لنباتات وحيوانات

الإنسان يبني الأرض

كان فن المناظرات السومري أساساً لمثيله البابلي ، وقد ظهرت مناظرات عديدة بين الطيور والاسماك ، والثور والحصان ، والمعزق والحراث ، والثعلب والذئب . . . الخ .

وقد اخترنا هنا المناظرة بين شجرتي الأثل والنخلة ، ولا شك ان النخلة هي التي تفوز بهذه المنافسة ، وقد قدّس السومريون والبابليون النخلة وجعلوا منها (شجرة الحياة) . وذلك لفوائدها الكثيرة .

ويعتبر فن المناظرات أو المنافسات المسمى (أدمندوكا) واحداً من أكثر الفنون الأدبية انتشاراً في أدب العراق القديم .

المرجع : باقر ، طه : **مقدمة في أدب العراق القديم** ١٩٨٦ .

كان الإله إنليل ينظر إلى شعبه والأنوناكي بجنبه يضعون أيديهم في أفواههم ويتقدمون بالصلوات لإنليل فقد أنتشرت الحياة على الأرض وقام الزرع والحيوان وعمل الإنسان فبنى المدن واشتعلت الغابات بالخضرة ونمت شجرة الأثل نمت النخلة وغرس الإنسأن ذات يوم في بيته شجرتا الأثل والنخلة فلما كبرتا اقيمت الوليمة في ظل شجرة الأثل فازدهرت هذه الشجرة ونابزت الأخرى فقالت النخلة (يا شجرة الأثل أنت من الأشجار التي لانفع فيها فما فائدة أغصانك ، إنها خشب لا يثمر ، وهاهو البستأني يجزل الثناء عليّ لأن فيّ الخير والنفع للصغير والكبير على السواء) فقالت لها شجرة الاثل (تأملي في أثاث البيت وعددي الأخشاب التي أخذت مني لصنعه ، فالإنسان يتناول على منضدتي ويشرب من الكؤوس المصنوعة من خشبي) فقالت النخلة (لنحتكم إلى الإله إيا فهو الذي قدر مصائر النبات وجعل الأشجار تملأ وجه الأرض) فذهبتا إلى الإله إيا وقالت النخلة (إن شجرة الأثل تنتقص مني وتدعي أنها الأفضل) فقال الإله (من قال

ذلك وأنت الشجرة التي حبتك الآلهة ودعتك ، أنت المليئة بالخير فمن سعفك تصنع السلال ومن ثمرك التمر نأكله ومن جذعك نصنع البيت ولك أكثر من ثلاثمائة فائدة اخرى ، أنني أدعوك يا شجرة الأثل أن تتواضعي أمام النخلة ، وأن تتقدمك هي بالمنزلة والفائدة) هكذا حكم الرب بين مخلوقاته بالعدل ففعل مثل ذلك بين شجرة الصفصاف والدفلى وانتصر لشجرة الصفصاف وفعل مثل ذلك ما بين الشعير والقمح وانتصر للشعير وفعل مثل ذلك ما بين لثور والحصان وانتصر للثور وفعل مثل ذلك ما بين النسر والحية وانتصر للنسر وفعل مثل ذلك ما بين الكلب والذئب وانتصر للكلب .

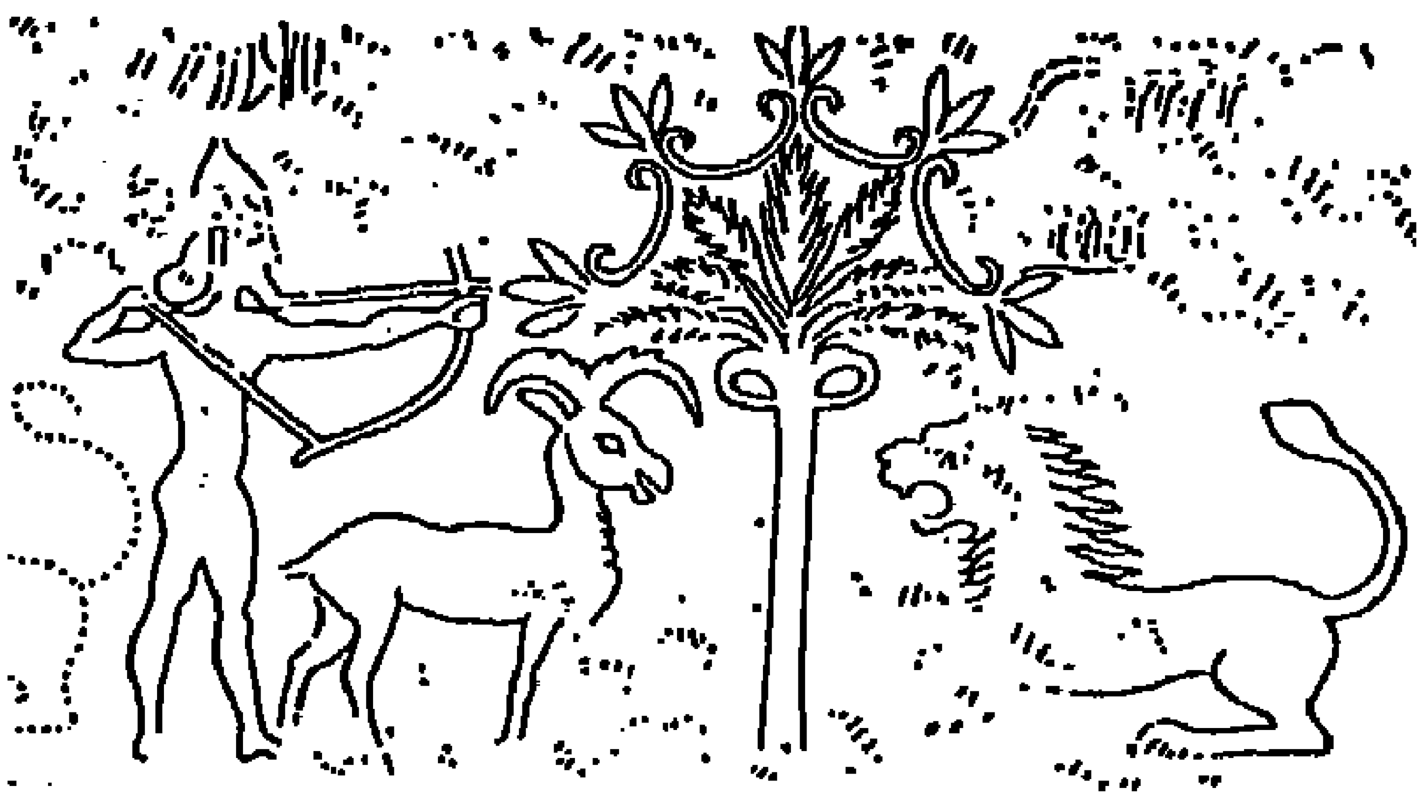

النخلة التي تمثل هنا شجرة الحياة تفصل أسداً عن وعلٍ بينما يصوب الرامي سهمه نحو الأسد

زمن الفردوس الأرضي

إن فكرة الفردوس الأرضي ، أو جنة عدن التي أشرنا لها في إنجيل سومر تعطي انطباعاً عن امكانية نشوء عصر ذهبي للإنسان . ولكن هذا العصر لا يمكن تحديده ، وربما أمكن معرفة مواصفاته ومنها الحياة العادلة الهانئة لكن نصاً بابلياً يوحي لنا أن الإنسان كان فيما مضى لا يموت موتاً طبيعياً بل يموتُ بسبب غضب الآلهة عليه ،لكنه بعد الطوفان أصبح كذلك . وبتفتح وعي الإنسان يبدأ معرفته بالآلهة وإحساسه

هكذا وزع الإله (إيا) عدله بين المخلوقات وهكذا ساد زمن سعيد ،ساد الزمن الذي بنى فيه الإنسان ، مدنا ساد فيها العدل وساد فيها السلام . وكان الإله (إيا) يرعى بحكمته حياة الإنسان الذي يعمل بجد للالهة ويمجدها وقد بنى معابد ومزارات لها . . الإنسان الذي خلقه (إيا) بحكمته كان وريث الآلهة على الأرض

بها ، وكذلك إتخاذه إلهاً حمياً له . وكان هذا النوع من الآلهة يعمل على حراسة ذلك الشخص أو ممتلكاته وقد سمي بـ (لاماسو) أو (شيدو) . . . وهي آلهة صارت فيما بعد تحمي المدن والدول .

الإله الحامي (الشيدو أو اللماسو)

فساد الخير وكان الإبن يحترم أباه والبنت تحترم أمها والأخ الصغير يحترم الأخ الكبير ،والجاهل يخشى العارف ويهابه . كأن المرء يحجم على السفاهة ويكرم الصغار وكأن يظهر الإحترام جلياً بين البشر . وعلّم (إيا) الإنسان ضرورة الحكمة والإحترام وقال له (أيها الإنسان إسمع كلمة أمك كما تسمع كلمة أبيك ، إحترم أخاك الأكبر واسمع كلمة اختك الكبرى كما تسمع كلمة أبيك ولا تغضب قلب أُختك الكبرى) وكان الإنسان يتخذ له إلها خاصاً يعينه ولم يكن بمقدوره دون هذا الإله أن يكسب عيشه ولا بمقدور الفتى أن يحرك ذراعه ببطولة في العراك ، وحين كان يختط مستقبله فإن الهة يعينه وعليه ان يسبّح بعظمته ويطيعه بكل جوارحه . خاطب الرب أباك وقل له حين يضيق صدرك (لم اهملتني؟ من ذا الذي ياتيك بواحد يحل محلي؟) حين تكون في ورطة أكتب إلى الإله مردوخ فأنت اثير لديه لعله يكسر قيودك ويحل عقدتك فترى وجهه وتبل قدميه ، واذكر له شأن عائلته صغارا وكبارا ، وابتهل له بالرحمة واذا ساد الظلام حياتك فصلِّ لرب الشمس (شمش) وقل له (خلاصي بيدك فاحكم بيني وبين من ظلمني ، انطق بالحكم واطرد الظلام من جسمي وجسم غيري) .

أُخذة كش

يعتبر نص (أُخذةُ كش) أقدم نصٍ أدبي في العالم فهو يعود الى عصر السلالة الأكدية القديمة أي ما بين القرنين (٢٤ - ٢٢) ق.م .

وهو عبارة عن تعويذة سحرية كتبها رجل من منطقة (كيش) في وسط العراق ، لكي يستعطف ودّ امرأةٍ يهواها ويميل قلبها اليه .

ويبدأ النص بقيام الإله (إيا) إله التعاويذ والسحر باستحضار كائن إلهي اسمه (يرحم) وهو أحد أبناء عشتار وربما كان (شارا) المعني بالزواج ، ويقوم الرجل بإدخال شفاعة عشتار إلهة الحب وإشخارا إلهة المواثيق والعهود ، ثم يقوم بذكر فعل (الأخذ) وهو نوال الشيء والحصول عليه .

وفي نهاية التعويذة يقوم الـ (يرحم) بأخذ الفتاة وجلبها للرجل ، ويقسم عليها المعوّذ بأن لا ترتاح حتى يلتقيان ويتعانقان .

وفي هذا النص حلاوة وجمال وسحر ، ربما بسبب أوصافه الحسّية الرائعة ، وربما كونه يمثل نمطاً أدبياً سحرياً خاصاً هو (فن التعاويذ) .

المرجع : النقاش ، البير فريد هنري وحسني زينة : **أخذة كش (أقدم نص أدبي في العالم)** ١٩٨٩ : ٤٦.

الإله إيا يستحضر اليرحم ، اليرحم إبن عشتار القائم في المحراب يتجلى ببخور المرّ .

بشفاعة البتولين الحسنتين (عشتار وإشخارا) ، في كرم بخور المرّ اليرحم طيب ودّك .

أَخذتُ فمَك ذا الرقّة

أَخذت عينيكِ الزرقاوين .

أخذتُ عروتك ذات الثنية .

ذهبتُ الى كرم الإله سين وقطعت غَرَبَة الفرات ، فلتذكريني طول الدهر بالتمجيد ، يوماً بعد يوم ، كالراعي يلازم الضأن ، والعنزة تلازم جديها ، والشاة حملها والأتان مهرها .

هبتانِ يداه .

دهنٌ وطيبٌ شفتاه ،

دهن الأرز اللائق في كفيه ، دهن الأرز اللائق في فوديه .

زمزم اليرحم عليها ثم فتنها ،

أخذتُ فمك الحبيب . . .

أقسمتُ عليك بالإلهة عشتار والإلهة إشخارا الاّ ترتاحي قبل أن يتعانق عنقه وعنقك .

أمي عقيق أحمر

هذه واحدةٌ من الرسائل الأدبية النادرة في الأدب البابلي من شخصٍ إلى أمه وهو يتغنى بأوصاف ومزايا أمه وكأنها حبيبته ، وقد وضعناها هنا كنوعٍ من التعبير عن السياق الخاص بما أسميناه بـ (العصر الذهبي) للإنسان حيث يبدي الانسان احتراماً هائلاً لأهله ومن حوله .

ويتضح لنا من العلامات الأربع المتداخلة في صفاتها أن أم هذا الشخص البابلي سيدة رائعة الجمال ولها مركز اجتماعي رفيع ولها اخلاق عالية . . . الخ .

وقد استعمل مؤلف هذه الرسالة اسلوباً أدبياً شائقاً وتشبيهات جميلة متدفقة . تعكس تطور التأليفات الأدبية في العصر البابلية .

المرجع :

William, :L. Moran, S.J **Leter from aboy to his mothor**. ANET 1969: 629.

هكذا كانت الحياة فردوساً إلهياً يحيط بها السلام والعدل ويعمل فيها الإبن على احترام والده وتداول الناس أخبار ولد سافر إلى بعيد وحين طال به السفر قال لرسوله (سلّم هذه الرسالة إلى أهلي سواء وجدت أمي مستيقظة أو نائمة إذهب إلى مسكنها أيها الرسول دون أن تتفحص تحيتي وضع رسالتي في يديها ، إن أُمي رائعة مغطاة بالزينة فإن كنت لا تعرفها فساعطيك بعض علاماتها ، إن اسمها (شاة عشتار) وإن جسمها ووجهها وأعضاؤها ناعمة الملمس ، وهي سيدة مدينتها ، وتقرر مصيرها منذ طفولتها وترعى الأعراف فتذهب إلى بيت والد زوجها وتقف أمام الآلهة هناك بتواضع وتعرف كيف تُرضي مكان الآلهة عشتار المقدس ، ولا تعصي أوامر سيدها . هي المليئة بالحيوية تجعل أحوالها مزدهرة وهي المحبوبة النبيلة النشطة وهي كذلك كالحمل الوديع والقشطة الفاخرة والزبد اللذيذ الطعم يتدفقان منها . سأعطيك علامة ثانية من أمي ، إنها كالنور البراق في الافق وكالضبية في الجبل وهي نجمة الصباح التي تشرق حتى في وقت الظهيرة ، إنها العقيق الاحمر الغالي

الثمن وهي حجر التوباز الملون وهي ختم حجر النير الكريم وهي حلية رائعة كالشمس ، إنها سوار القصدير وخاتم الحجر الكريم ، وهي الذهب اللامع والفضة وهي الحية النابضة ، رغم أنها تشبه تمثال المرمر الموضوع على قاعدة من اللازورد ، التمثال الحي المليء بالفتنة والإغراء . سأعطيك علامة ثالثة من أمي إنها مطر السماء الذي يروي أحسن البذور ، وهي الحصاد الوافر الذي يقدم محصوله مرتين ، هي شجرة شربين مروية مغطاة بمخاريط الصنوبر وهي الفاكهة المبكرة غلة الشهر الاول هي قناة تجلب الوافر من الماء إلى الجداول ، هي تمر دلمون الحلو الذي تمّ قطعه في موسمه . سأعطيك علامة رابعة عن أمي أنها تملأ الاغاني والأدعية بالمرح وتتألق عيونها في عيد رأس السنة المفرح ، هي الأميرة الغنية الوفرة والثراء تجلب الفرح إلى أماكن الرقص محبوبة ذات قلب شفوق بمرح لا يسري به التعب ، هي الطعام إلى البعيّد الذي يعود لامه . سأعطيكَ علامة خامسة من أمي ، إنها نخلة ذات رائحة لذيذة جداً ، إنها عربة من خشب الصنوبر ، تحفة من البقس ، إنها قارورة مليئة بالزيت الطيب الرائحة ، وهي عنقود الفاكهة ، إكليل الزهر وافر النماء

تفيض بالدهن المعطر عندما تقف امام طلعتها البهية ، إذكر العلامات التي قدمتها لك يا رسولي وقل لها أن ولدك يقرؤك السلام .

سأحيط بكِ كالسياج

هذا نموذج آخر لعلاقة بين حبيبين ، حيث يدور حوارٌ بين عاشقين يفصح عن مدى الحب والإخلاص بينهما .

ونلاحظ في جميع هذه القصائد والرسائل ظهور الإلهة (عشتار) باعتبارها راعية الحب والعلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة .

وكانت عشتار تمثل الحب الحسّي والحب المثالي وجميع أنواع الرغبات بين الرجل والمرأة . وكانت عشتار تمثل العذراء والزوجة والأم والإبنة وسيدة الأسرار وباختصار شديد فقد كانت تمثل انوثة الكون وعالمه الباطني السرّي . وكان العشاق وكهنة الأسرار يلجأون اليها لأنها تمثل هذا كله .

هكذا كان يخاطب الإبن أُمه ويفرح بصفاتها النبيلة ذلك لأن الحياة كانت احتفالا كبيراً كانها الفردوس ، والإله كان ينصت لحوار البشر الخيّرين ، كان يحب العشاق ويفرح بهم وكان العشاق يتصالحون بعد اي خصام . كانت الحياة أوسع والقلوب أطيب وأرق . ومما يذكر ذلك الزمن أن عاشقا غضب على حبيبته وقال لها :

ـ اتركي حواسك لا تتكلمي كثيراً . أصحيح أن من يتفرغ لصحبة النساء مثل الذي يدخر الريح؟

فقالت له حبيبته :

ـ سيدوم إخلاصي لك والإلهة عشتار شاهدة ، عليّ ، وسيبقى حبي مشرفاً ، ويكون الخجل نصيب من افترى عليّ .

ـ أصحيح ماتقولين؟

ـ أنا متمسكة بك وسوف أوفق بين مقامينا بالدعاء إلى الآلهة وساحصل

على رضاك يا سيدي كهدية لي إلى الأبد .
- سأحيط بك كالسياج وأجعلك محمية بي .
- ستصيب الآلهة من لا يحبك ، ستأخذه بالأرق وتلقي به في الليل دون معين .
- سوف لا أصغي إلى أحد غيرك .
- صرت أتحسس موطن جمالي وفتنتي ، لقد غدت شفتي العليا رطبة والسفلى ترتجف ، سوف اعانقك وأقبلك ، وأنذاك سوف أنتصر على من افترى عليّ وأعود سعيدة إلى البيت ، أقسم لك بالآلهة إي اقول لك ما أشعر به نحوك ، إن حبك يعني عندي أكثر من قلق وإغاضة .
- وحيدتي وواحدتي إن ملامحك فتانة كما عهدتهن ، أنني أقف إلى جنبك وأسند رأسك عليّ يا من كان اسمك حبيبي وما زال .
كان العشاق يملأون الأرض والعدالة تسود ، كان الراعي يحب حقله والفلاح يحب أرضه ولم يكن هناك سيد وعبد ، ولم يكن هناك حاكم ولا محكوم ، في تلك الإيام لم يكن هناك ما هو شرير ، ولم تكن الحيوانات شريرة ولم يكن هناك خوف ولا رعب ، لم يكن للإنسان من ينافسه .

دبّت الشرور

قدّم التراث العراقي القديم وصفاً لذلك العالم الذهبي وحدوده ، فقد كانت أرض سومر وبابل في جنوب هذا العالم الذي يحده الخليج (البحر الأسفل) أما شرقه فكانت جبال حمازي التي تمتد الى جبال شوبور الشمالية وكان شماله أرض أوري التي عرفت فيما بعد بأرض أكد وآشور ، وكانت (مارتو) هي الأرض الغربية التي تمتد الى سواحل المتوسط آنذاك قبل أن تبدأ الحروب وحركات الغزو والهجرات الكبرى .

وسيبدأ العصر الذهبي بالأفول ويبدأ عصر الشرور الذي سينتهي بالطوفان ، وقد اخترنا مجموعة من القصص والأساطير التي تؤيد هذا ، فبدأنا بواحدة من القصص البابلية الشهيرة التي ذكرها المؤرخون والشعراء الاغريق . وهي قصة (بيرام وتسيبا) التي تحكي قصة عاشقين أدت بهما العداوات العائلية الى الموت .

ونرى أن هذه القصة هي الجذر القديم لقصة (روميو وجولييت) فهناك تشابه واضح بين القصتين . وقد أعدنا كتابة قصتهما بطريقة جديدة وأضفنا من عندنا بعض الحوارات الشعرية والقصائد ، فهذه القصة لم تصل لنا عبر الرقم الطينية بل وصلت عبر الرواية اليونانية والرومانية . وقد اعتمدنا بشكل أساسي على رواية الشاعر الروماني أوفيد (٤٣ ق م - ١٨م) ، ولكننا تصرفنا في بنائها وعرضها من جديد .

ويرى بعض الباحثين أن هذه القصة تدور حول الحب

في تلك الإيام كانت (شوبور) أرض المشرق ارض الوفرة والشرائع والعدل و (سومر) أرض الجنوب ذات اللسان الواحد وأرض الشرائع الملكية و (أوري) أرض الشمال التي يجد فيها كلٌّ حاجته و (مارتو) أرض الغرب أرض الدعة والأمن ، وكان العالم أجمع يعيش في انسجام تام وبلسان واحد يسبّح الكل ويحمد إنليل ، لكن دم (كنجو) الشرير تحرك في الإنسان وبدأت الشرورتلعب في جسد الإنسان ، وبدأ الإنسان يكيد لأخيه الإنسان ويقتله وكره الإبن أباه وكاد الأخ الصغير لاخيه الكبير وخان العاشق حبيبته ، وبدأ الكيد ينهض في الصدور حتى اتفق الناس بينهم على تعيين الحكام والأمراء . لكن الحكام فسدوا وكذلك الأمراء وأنتشر الظلم أكثر وكانت الأرض تضج بالفساد . جدف الإنسان بحق الآلهة وهجر عبادتها كان يشك أن الذي خلق هذه الحياة وخلقه هو اله ولم يعد أي أثر للآلهة في نفسه ، لقد صعد دم كنجو فيه . الحيلة والفساد والظلم والخوف كلها تظهر بين الناس ، واختفى الحب بين الناس وكان كل من يتعلق به يقتل كانت الطبيعة

الممنوع وأنها نوع من مثولوجيا الأصول لانها تفسر وجود التوت الشامي أو الرومي الأحمر القاني بعد أن كان أبيض بسبب الدماء التي سالت من العاشقين . . وحقيقة الأمر أن هناك جذوراً أبعد لهذه القصة البابلية ، فهي تمتد بجذورها الى تموز وغيابه في العالم الأسفل وسفك دمه . وربما كانت حكاية أدونيس أو (أدون النعمان) المأخوذة عن مأساة تموز هي الأقرب لها .

هذه القصة مأساة بشرية تتشرب فيها الحكاية الإلهية لعشتار وتموز ، وهي هنا تمثل حكاية أو قصةً ولا تمثل اسطورة بسبب غياب الآلهة كمركزٍ لها وحضور الإنسان بدل الآلهة .

ويمكن أن تكون (يوران) في هذه الحكاية ممثلة للإله القمر ، كذلك يمكن أن تكون تصحيفاً للإلهة الأم (اورو) التي تمثل الولادة والانجاب . . واصبحت تمثل الفجر في المثولوجيا اليونانية .

المرجع : اوفيد : فن الهوى (ب .ت) .

تدبر له مكيدة أو يصب الناس جام غضبهم على المحبين ، وهناك في بابل كان الفتى (بيرام) أجمل من رأته العيون يافعا طريا خلع عليه (إيا) أجمل الصفات وزينه بالرجولة والقوة وكانت حبيبته (تسيبا) الشبيهة بعشتار تسكن مع أهلها في بيت يجاور بيت أهل (بيرام) وأهله وكان حبهما يفوق كل تصور ، هاما ببعضهما وطار قلبهما مثل فراشة تحوم حول منزليهما . . كانا يلتقيأن سراًّ في الليل ويتبادلان حبهما لذةً ونشوةً وفرحاً ، كان يقول لها حين يلتقيان (مرحى أنوثتكِ ، مرحى فمكِ ينفتح على أية خلقٍ وينغلق على أية هلاك ، مرحى أنوثتكِ تطبق بشعابينها على جذعي ، مرحى أنوثتكِ قامات في استقبالي ، مرحى أنوثتك تشرب الطعنات وتنتشي ، مرحى أنوثتكِ تشعل الحصاد واحتفالك يكسر الزمن ، مرحى أنوثتكِ تخيط لي الأرض ، مرحاها تترع الكأس وتترنح) ، وكانت تقول له كلما التقته (قبل أن أجيء ، درزت عظامي وشكلت فخذي ، شكلت يدي لكَ ، قبل أن أجيء ، أزهرت بستاني وعطشّت فمي ودهنت عيوني بك ، قبل أن أجيء جعلت وجهي شاحباً وقامتي مثل غصن لأليق بك ، قبل أن أجيء ، أضات

شعري وطيّبته . . جعدته لك وطويت فيه نجوماً وآساً ، ولك دورقت صدري وهيأت مزارع التوت تحت جلدي ، قبل أن اجيء ، ضربت بشرتي بأعواد ووضعت المشاعل في عظامي ، قبل أن أجيء ، أوقفت قلبي عن الدق صدري عن النفس ورأيت أنك ستعيد الدقّ لقلبي أقوى والنفس لصدري أشد) كانا يتناغيان بأجمل الكلمات والأشعار وأحلاها ، وكان عشقهما يثير حسد النجوم والأشجار والليل . يندمجان ببعضهما وتشرب روحيهما الحبّ حتى جاءت ليلة مرت فيه آلهة الحقد ، والنميمة فرأتهما وأرادت معرفة سر حبهما فتمثلت في الليلة الاخرى بزي امراة اسمها (يوران) واتخذت لها داراً يطل على الفناء الذي يلتقي فيه (بيرام) و (تيسبا) واخذت تراقبهما في لقائهما الحار الذي ينضح حبا ونشوة فكانت النار تشتعل في صدرها حتى لم تعد تحتملها بعد أن كان هذا المشهد يتكرر أمامها كل ليلة فأنطلقت (يوران) تحكي قصة العاشقين بين بنات بابل وهوّلت أمرهما واتهمتهما بالفساد والضعة .

حبهما من ثقب في الجدار

أنتقل الخبر إلى أهل بابل كلهم وكان أشد وقعا وعنفا على أهل بيرام وتسيبا في موضعهما . وجر والد تسيبا إبنته من شعرها وأدخلها غرفة مقفلة في بيته ودفع والد بيرام ابنه أمامه وضربه وحبسه في غرفة مقفلة في بيته توسلت عائلة تسيبا أبوها ليزوجها من بيرام لكنه أبى وكذلك فعل والد بيرام . وغرق العاشقأن في همٍّ وحزنٍ طويل . . لكنهما أدركا ذات يوم أن غرفتيهما متجاورتين فحفر كل منهما ثقبا في الجدار الذي بينهما حتى التقت ايديهما وبدءا يتبادلان حبهما من ثقب الجدار فيسهران إلى جواره الليل كله وكان شوقهما يزداد استعاراً كل ليلة ، لم يعد الثقب يكفي فقال بيرام لتسيبا :

ـ لقد أثقل الحب قلبي وأدماه ولم يعد بامكاني تحمّل هذا كله .

ـ حتى أنا يا حبيبي .

ـ اليد التي مددتها ، يدك ، يغلفها الضوء . الكأس الذي هو فمكِ ، حلو شرابه وطعمه لا يزول ، لكني اطمع في أن احرث الأرض التي بيني وبينكِ .

ـ حسنا يا بيرام دعنا نهرب من سجنينا ونعيش بعيدا عن الكراهية والحقد ، دعنا نزرع الحبَّ في أرض أخرى .

إن العناصر التي تحملها هذه القصة توازي أو تناظر العناصر التي احتوتها الرواية البابلية لأسطورة عشتار وتموز ، فلقاءات الخلوة بين العاشقين بعد أن كانت في العراء أصبحت من خلال ثقب في الجدار أي أنها تحولت الى لقاءات سرّية بينهما .

المرجع : انظر المرجع السابق .

- اسمعي يا تسيبا سنهرب الليلة القادمة ونخدع حرّاس السور ونجتاز أبواب بابل ، دعينا نلتقي تحت شجرة التوت خارج المدينة ، تلك التي تشمخ على ضفة الفرات .

- حسنا يا بيرام سنلتقي غداً هناك .

قرب شجرة التوت

يمثل الأسد هنا الخنزير الذي بعثت به أرشكيكال (في الاسطورة البابلية) و برسفونة (في الاسطورة اليونانية)لقتل تموز أو أدونيس أو بيرام في هذه القصة . لكنه هنا يكون سبباً غير مباشر في موت بيرام وتسيبا معاً ، فهو يمرغ منديل تسيبا بالدم ليكون سبباً في إنتحار بيرام ثم انتحار تسيبا .

وهكذا يشير هذا الأسد (أو اللبوة) الى رمز من رموز العالم الأسفل ، حيث بدأت الشرور تنطلقُ من هناك من جديد . إضافة الى أن مدلول الدم الشرير هنا يخدم سياق تسلسلنا حيث كان دم الإنسان هو دم إله معاقب أو شرير .

ما أن حلَّ الليل حتى هربت تسيبا من البيت ووصلت إلى بوابة المدينة فوجدت الحراس يقظين يراقبون كل ما حولهم فاعتصر الحزن قلب تسيبا وبكت فسمعت الإلهة عشتار بكاؤها فتالمت وارسلت رسولتها لتلهي الحراس بعزفها ورقصها ، وتسللت تسيبا من البوابة وخرجت خارج المدينة وذهبت إلى شجرة التوت الكبيرة ووقفت قرب قبر الملك وتلفتت ولكنها لم تجد بيرام فغسلت وجهها من نبع يجري تحت الشجرة ،واستراحت تحت شجرة التوت وكاد النوم يأخذها حتى سمعت زئير أسد عظيم ملأ الغابة ، أرجعت الافاق صدى صوته فارتعدت واختفت بين الأحراش ولكن شالها الحريري سقط من كتفها تحت شجرة التوت وهي تركض صوب الاحراش ومضى وقت قصير جاء

فيه الأسد نحو النبع ليشرب الماء بعد أن شبع من فريسته في الغابة فشرب وأراد العودة إلى الغابة لكنه لمح الشال ولوثه بالدم العالق بمخالبه ثم اختفى في الغابة بعيداً ، فأتى بيرام إلى المكان الموعود ، ولم يجد تسيبا بل وجد منديلها ممزقاً تعفره الدماء فصرخ بيرام مجنوناً ومزق صراخه الليل (يا ليل اخذت حبيبتي ، اخذتها ، هي التي ازهرت في فمي هي التي بها اعيش واشم الهواء ، الطبيعة اخذتها مني ، الغابة اخذتها وتركت شالها لكي تذكرني بفعلتي الشنعاء ، لقد أنتزعتها من فراشها الدافئ ورميتها في فم الموت ولا يستحق الموت احد سواي ساذهب إلى الموت كما أرسلت اليه تسيبا سأذهب اليه) .

بيرام يطعن نفسه

تحت شجرة التوت انتزع بيرام سكينه وطعن نفسه مراراً فنفر الدم ساخنا قانياً على جذع الشجرة وجذورها ونهلته واحمرت ثمار التوت البيضاء بلون دم بيرام حتى سقط بيرام صريع الموت . كانت تسيبا مختفية بين الاحراش خائفة من الاسد ، حتى مضى وقت

تشير شجرت التوت هنا الى الشجرة التي ترمز الى عشتار في أساطير العالم القديم كله ، وتظهر الشجرة باستمرار مرافقة لعشتار أو خلها ، وفي بلاد الرافدين تظهر الشجرة بشكل يومي للناظر وفي الشكل المرفق نرى عشتار حالة وعلى رأسها تاج على هيئة قرنين من خلفها تنتصب شجرة ، وفي حضنها تموز الوليد الذي يبدو منطلقاً من حجرها الى الأمام ، وكأنه قد انبثق

من جذع الشجرة ومن رحم الأم الكبرى في آن معاً . وتظهر الشجرة هنا وهي تشير الى دم عشتار وتموز في صورة تسيبا وبيرام وتذكّر بقصتهما .

المرجع : السواح ، فراس : لغز عشتار ١٩٨٥ : ١١٠ .

اطمأنت فيه فخرجت تسرع إلى شجرة التوت ووصلت اليها واستغربت أن الشجرة تحمل ثماراً حمراء وظنت أنها اخطأت المكان ، لكن القبر والنبع أكدا لها أن المكان هو مكان الموعد ولكن ما هذا الجسد الملقى تحت الشجرة لا تحركه أمواج الليل أهو بيرام؟ ، تقدمت اليه ورأت الدم مازال ينبثق منه وهو جثة هامدة فالقت نفسها عليه تحضنه وتقبله وتصرخ وتبكي ولكن بيرام فتح آخر ومضة من عينيه والقى عليها التحية ومات وفي يده شالها المخضب بالدم وسكينه ، فادركت ماحصل وأخذت السكين وغرستها في صدرها فانبثق شلال من الدم سقى شجرة التوت وما حولها وسقطت تسيبا جثة هامدة قرب جثة بيرام . فبكى الآلهة ورفعوا روحيهما إلى مكان خالد وأثمرت منذ ذلك اليوم شجرة التوت ثمراً أحمر . ودفن أبواهما جثتيهما هناك وعرفوا أن العالم تبدل وأن الإنسان جحد بالحق والخير ، وأن روحه تبدلت واتسخت ، أصبح الناس على غير طبيعتهم يكره بعضهم بعضا وانقسموا إلى حاكم ومحكوم وسيد وعبد فضجر الناس .

جميل ننورتا

استمراراً في ذكر القصص البابلية التي تمثل ركناً مهماً من أركان الأدب البابلي نسرد هنا قصة من الأدب الفكاهي بعنوان (جميل ننورتا) ، وربما ذكرتنا هذه القصة بواحدة من قصص ألف ليلة وليلة .

وتعتمد هذه القصة على سرد الحوادث التي مرّ بها جميل ننورتا مع حاكم مدينة (نفّر) . حيث تستند هذه الحوادث على المفارقات المضحكة حيث يقوم جميل ننورتا بردّ إهانةٍ وجهها له حاكم المدينة وتوّضح هذه القصة الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية في ذلك العصور .

ويعطينا اسم (جميل) هنا إنطباعاً بوجود الأسماء العربية السامية في ذلك العصر أما بشكلها الحالي الصريح ، أو بشكل قريب منها .

اتسعت مساحة الأدب البابلي مع تقادم الزمن ، فقد ضمّ الشعر والملاحم والقصص وأدب الهزل وأدب الحكمة والأمثال وألالعاز والمحاورات والمناظرات .

وتعتبر هذه الحكاية من القصص الهزلي الذي ضم عدة قصص وحكايات بابلية من هذا النوع .

يختلف السرد الحكائي البابلي عن السرد الاسطوري باعتماده اسلوب القصّ الواقعي الذي يستفيد من الحوارات القصيرة . ونادراً ما يجنح الى الخيال والصور الشعرية .

بينما يتمتع السرد الأسطوري بالكثافة الشعرية على كل المستويات فاللغة مكثفّة وملّاحة ، والصور الشعرية حافلة بالتشبيهات والاستعارات . أما الخيال فيلعب

انتشرت الحيل والخدع ، الحاكم يخدع المحكوم والعبد يحاول خداع السيد . ففي (نفّر) كان هناك رجل فقير متواضع اسمه (جميل ننورتا) وهو رجل بائس كان يجلس ضجرا لا ذهب عنده ولا فضة ولا مالاً يفتخر به ، وكان هذا حال اغلب الناس ، ليس في بيته غلة ، واحشاؤه تتمزق جوعا ، وجهه تغير ولم يأكل اللحم أو يشرب الجعة منذ زمن طويل وملابسه ذاتها لم تتغير ، وقد آلمه الجوع يوماً فلم يجد سوى ملابسه هذه فقال لنفسه (أخلع ملابسي وأشتري بها نعجة من السوق) فخلع ملابسه وذهب إلى السوق واشترى عنزة عمرها ثلاث سنوات وقال لنفسه (لن اذبح هذه العنزة في داري ، لن اذبحها دون وليمة ودون جعة فيسمع أصدقائي ويغضبون . بل سآخذها إلي بيت الحاكم وأقدمها له طعاما لذيذاً فعساه يكرمني) فأخذها جميل وجاء بها إلى حاكم نفّر وقال للبواب :

ـ اخبر سيدك بأني أريد مقابلته .

فذهب البواب إلى الحاكم وقال له :

ـ سيدي ، هناك رجلٌ من نفر ينتظر عند الباب وقد جلب عنزةً هدية لك .

دوراً هاماً في السرد الاسطوري ويمتزجُ مع التماعات الواقع ونبضه . تمتاز حكاية جميل نتورتا بحبكة واضحة مبنية بطريقة تعتمد على المفارقة وعلى كوميديا الموقف .

حامل الماعز (نقشٌ نافر)

فقال الحاكم بغضب إقبض على هذا الرجل وادخله اليَّ :

دخل جميل إلى الحاكم مسروراً يمسك رقبة العنزة بيده اليسرى ويؤدي التحية للحاكم باليمنى وقال :

ـ عسى أن يبارك إنليل مدينة نفرّ وحاكمها وأن يكثر أدد ونسكو الخيرات .

فقال الحاكم :

ـ لقد اسأت اليّ عندما جلبت هذه الرشوة .

فقص جميل حكايته للحاكم لكن الحاكم صرخ بوجهه وقال للبواب :

ـ اعط هذا الرجل عظمة وعصبة ، ومن وعائك شربة من الجعة (ثلث الرديئة) ثم اصرفه .

واخرجه من الباب ، ففعل البواب ذلك واخرجه من الباب فالتفت جميل إلى البواب وقال له :

ـ حلّت البركة على سيدك وقل له بأني سأوفيه جزاء العناء الذي سببه لي ثلاث أمثاله .

فطرده البواب وأخبر الحاكم بما قاله فضحك طوال النهار على هذا الأبله .

المقلب الأول

اعتمد المقلب الأول الذي أعدّه جميل تنورتا على استغلاله لطمع وملق الحاكم للملك ومستشاريه فنفذ من هذا ا لموضوع ليكيل للحاكم انتقامه الأول .

ذهب جميل إلى قصر الملك وطلب مقابلة الملك ، فلما دخل عليه قبّل الأرض بين يديه ثم حيّاه وقال :

ـ سيدي يا قوة الشعب ، أيها الملك الذي تباركه الملائكة الحارسة ، مُرهُم يعطوني عربة واحدة ودعني أفعل ما اتمنى ليوم واحد بأكمله وسأدفع عن يومي هذا مناً مر الذهب الخالص .

لم يسأله الملك عن أمنيته بل أمر باعطائه عربة يقضي بها النهار كاملاً فاعطوه عربة جديدة تليق بالنبلاء وحزّموه بحزام ثم ركب العربة الجديدة واتجه إلى دور آنكي فاصطاد عصفورين جميلين ووضعهما في صندوق وذهب إلى الحاكم فخرج الحاكم ليستقبله وقال له :

ـ من تكون يا من كنت تتجول وتصيد الطيور؟

ـ لقد أرسلني الملك يا سيدي فجلبت معي ذهبا إلى معبد أنليل .

فذبح الحاكم نعجة سمينة وأقام عشاءً فتسامرا حتى نعس الحاكم ونام ، فقام جميل في سكون الليل كاللص وفتح باب الصندوق وصاح :

ـ استيقظ ايها الحاكم لقد فتح باب الصندوق وسرق الذهب .

وشق جميل ثوبه وأنقضّ على الحاكم ليوفيه دينه فضربه من رأسه حتى قدمه .

وكان الحاكم يصرخ تحته من الفزع والألم ثم أمر بأن يعوض ذهبه المسروق فاعطوه

شخصٌ يحمل عنزةً

منين من الذهب الخالص وثياباً عوضاً عن ثوبه الممزق وحين خرج جميل من الباب قال للبواب :

ـ حلّت البركة على سيدك ولكن قل له وفّيت قسطاً وبقي قسطان .

فلما سمع الحاكم بذلك ضحك طوال النهار .

المقلب الثاني

ثم جاء جميل إلى الحلاق فحلق شعره كله وذهب إلى بيت الحاكم وقال للبواب :

ـ أريد أن أرى الحاكم .

فقال البواب :

ـ من أنت؟

قال جميل :

ـ أنا طبيب من (ايسن) أعرف كل الامراض فادخل لسيدك واخبره .

وحين دخل جميل كشف الحاكم لجميل كدماته في الاماكن التي ضربها جميل بجسمه .

فقال له جميل :

ـ لا يمكن أن ينجح علاجي يا سيدي الاّ في الظلمة .

فأخذه إلى غرفة خاصة ورمى جميل

أما المقلب الثاني فاعتمد على نتائج المقلب الأول وهي الآلام والجروح التي نتجت عن ضرب جميل للحاكم ، فقد كان الحاكم في وضع مؤلم يحتاج فيها الى طبيب ، وكان من علامات الطبيب أنه كان يحلق رأسه ويلبسُ ملابس بيضاء ويمسك حقيبةً مليئة بالاعشاب .

وهذا ما يوضح تماسك الحبكة الحكائية لاعتماد مفاصلها على بعضها .

شخصٌ من بلاد سومر وأكد
ربما كان طبيباً

المسمار في النار ودق خمسة أوتاد في الأرض الصلبة وشد يديه ورجليه ورأسه واخذ يضرب كل جسمه من راسه إلى قدمه حتى ادماه ، وحين هَمَّ بالخروج قال للبواب :

ـ حلت البركة على سيدك وقل له أني وفيت قسطين جزاء ما سببه وبقي لي واحد .

المقلب الثالث

ورأى الناس ما فعله جميل بالحاكم فتوارى بعيداً عن العيون وبعد وقت أرسل رجلاً إلى الحاكم وقال له بعد أن اعطاه مكافأة :

ـ إذهب إلى باب الحاكم واصرخ باعلى صوتك واجعل الناس يتجمهرون على صراخك من كل صوب وقل له (أنا صاحب العنزة الذي طرده الحاكم) فذهب الرجل إلى هناك أما جميل فقد اختبأ تحت قنطرة يراقب ما يجري ، فلما خرج الحاكم على صراخ الرجل أمر كل الحاشية رجالا ونساء أن يخرجوا وراء هذا الرجل فيمسكوه وحيث ركضوا وراءه بعيداً كأن الحاكم يمشي في الخارج وحده فقفز جميل من تحت القنطرة وأمسك به وأنقضّ عليه فوفاه دينه حين

المقلب الثالث أيضاً اعتمد على المقلبين السابقين ، والمواقف العامة التي نتجت عنها واستثمرت في الوقت نفسه غفلة الحاكم فنفذ جميل من هذا المنفذ واعدّ انتقامه الثالث ، وبذلك يكون قد وفّى بوعده في الانتقام من حاكمٍ سخر منه ومن هديته .

المراجع : الوائلي ، فيصل : من أدب العراق القديم : ١٩٦٤.

ضربه من رأسه إلى قدميه حتى اوجعه
ثم قال له :
- ها أنذا أوفي بعهـدي وأردّ لك دينك
ثلاثة أضعاف ما سببته لي من عناء .
ثم تركه وذهب إلى الريف ، أما الحاكم
فقد دخل المدينة جثة هامدة .

شخصٌ من بلاد سومر واكد
مستعد للقتال

تقلبات السيد والعبد

هذه واحدة من أكثر الحواريات الأدبية القديمة إثارة فهي تحتوي على محاورة سفسطائية بين عبد وسيد تدل على عبث الحياة ومجانيتها وعدم استقرار قيمها ، وأن لا فرق بين حالةٍ واخرى الاّ من الزاوية التي تنظر نحنُ لها .

الحاكم يظلم المحكوم والغني ينهب الفقير والسيد يمتهن العبد ، لقد تبدلت الحياة وحيثما كانت فرصة للمحكوم بضرب الحاكم أو للفقير بالتحايل على الغني فإنهما يفعلان ذلك . حيثما كانت فرصة لتملق العبد للسيد ظهرت حكاية هنا وهناك لقد ضاعت القيم تماما ولم يعد هناك ما ينطق بالعدل ، هل اختفت الآلهة ؟ الم تعد تقدر مصائر البشر والطبيعة؟ هل تخلت الآلهة عن الإنسان . واهتز ميزان شمش؟

٠١ تقلبات السلوك

يتكون النص من عشر موضوعات جرى الحوار عليها بين سيد وعبده تناولت الموضوعات الأربع الأولى حالات من السلوك الاجتماعي للسيد وهي حالات (الذهاب الى القصر الملكي ، أكل الطعام ، الذهاب للبرية ، السلوك مع الخصم) .

وكان السيد يسأل العبد عن رأيه في السلوكين الايجابي والسلبي من هذه الحالات ، فكان العبد يمتدح السلوكين دون أن يشير للسيد بالنصح الحقيقي أما لأنه يتملقه ، أو لأنه كان يرى أن لا فرق ايجاباً أو سلباً من أي قضية في هذه الحياة العابثة الخالية من المعنى .

ويعكس سلوك العبد هذا موقفاً عدمياً من الحياة بسبب مكانته الدونية أمام السيد .

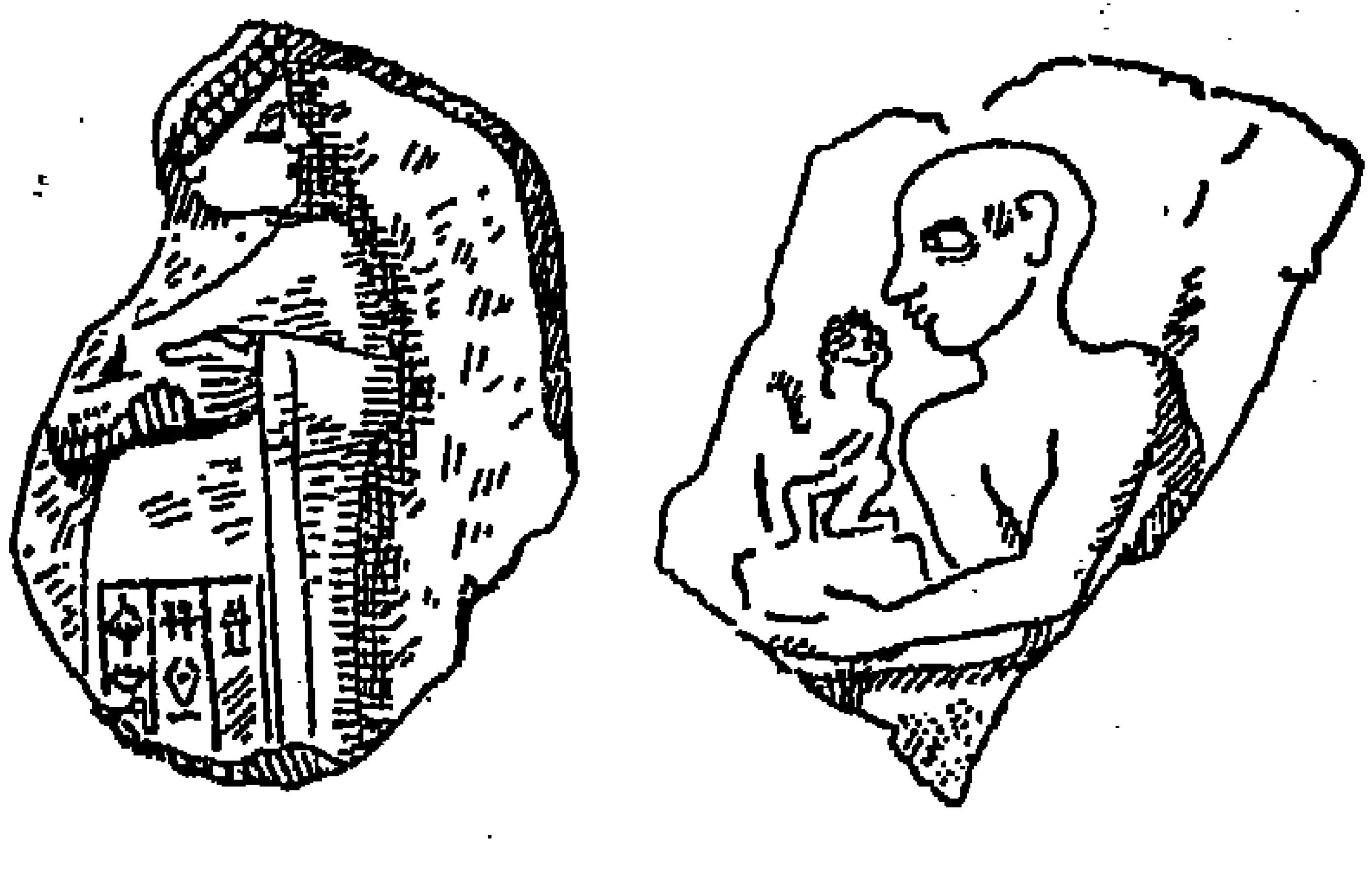

العبد والسيد

السيد يخاطب العبد بالأمر والعبد يخاطب السيد بالملق ، السيد يقول للعبد :

ـ اصغ اليّ يا عبد .

ـ نعم ، سيدي ، نعم .

ـ اخرج العربة حالا واربط الجياد ساذهب إلى القصر .

ـ اذهب إلى القصر يا سيدي اذهب . يكفيك أن تبغي فتفعل ، سيكون الملك رقيقاً معك .

ـ كلا يا عبد لن اذهب إلى القصر .

ـ لا تذهب يا سيدي لا تذهب ، الملك سيرسلك في مهمة بعيدة إلى بلاد مجهولة ، ما الذي يهم الملك إنك تبقى حبيسا هناك متألما ليل نهار .

ـ اصغ اليّ يا عبد .

ـ نعم يا سيدي نعم .

ـ اجلب لي الماء حالاً لأُطهِّر يدي أريد أن آكل .

ـ كُل ، سيدي ، كل ، من ياكل بانتظام يصبح قلبه سعيداً ويبارك الإله شمش من ياكل بشهية وبيدين نظيفتين .

ـ كلا يا عبد لن آكل .

ـ لا تاكل ، سيدي لا تاكل ، شيء ممل لا

ينتـهي ، أن نجـوع فناكل ، وأن نعطش فنشرب .
ـ اصغ اليّ يا عبد .
ـ نعم يا سيدي نعم .
ـ اخرج العربة حالا واربط الجياد إنني راحل لأطوف الصحراء .
ـ ارحل لتطوف سيـدي ارحل لتطوف ، التائه يستطيع مـلء بطنه ، القلب الضائع يقضم عظما ، السنونو التائه يبني عشه ، الحمار البري يجد مرعاه في الصحراء .
ـ كـلا يا عـبـد لن ارحل لأطوف الصحراء .
ـ لا ترحل يا سـيـدي لا ترحل ، التـائه يضجر بعد أن يضيع ، الكلب الضـائع تتكسر أسنانه ، السنونو يمل ويعشعش في حفرة داخل جدار ، والحمار البري يجول في الصحراء بحثا عن طعام .
ـ إصغ الي يا عبد .
ـ نعم يا سيدي نعم .
ـ سأصمت إذا تكلم عدوي .
ـ إصـمت يا سـيـدي إصـمت ، الكلام حسنٌ ولكن الصمت إحسن .
ـ كـلا يا عـبـد ، لن إصـمت إذا تكلم عدوي .
ـ لا تصـمت يا سـيـدي لا تصـمت حين ، لا نرد على العدو يزداد تهوراً .

٠٢ تقلبات القيم

القيم التي يتحاور فيها العبد والسيد هي من النوع الثوري والعاطفي والروحي حيث يدور حوارهما في موضوعات التمرد والحب والايمان بالآلهة .
وهنا أيضاً نجد العبد وهو يمتدح الموقفين السلبي والايجابي للسيد وكأنه يسخر منه في أعماقه .

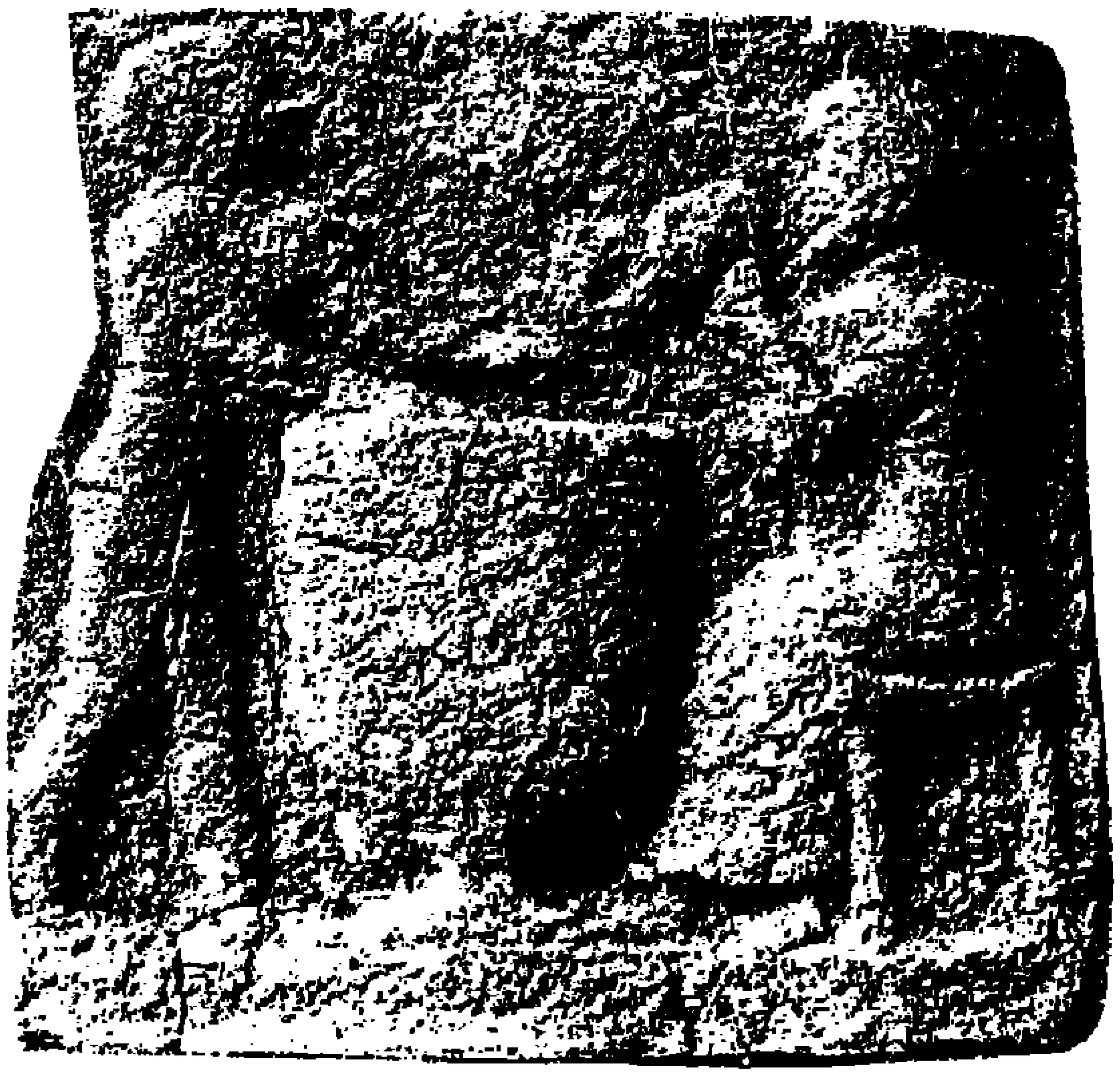

متحاوران

- اصغ الي يا عبد .
- نعم يا سيدي نعم .
- سأتمرد وأحمل السلاح .
- تمرد يا سيدي تمرد ، اذا لم تتمرد فاي مصير سيكون مصيرك ، ومن ذا الذي يعطيك ما يشبعك .
- كلا يا عبد لن احمل السلاح .
- لا تحمل السلاح يا سيدي لا تحمل السلاح ، الذي يحمل السلاح يغامر بحياته او بعضو من أعضاء جسمه أو بحريته .
- إصغ إلي يا عبد .
- نعم يا سيدي نعم .
- أريد أن أحب إمراة .
- حب يا سيدي حب ، الذي يحب ينسى آلامه واحزأنه .
- كلا يا عبد لن احب امراة .
- لا تحب يا سيدي لا تحب ، المرأة شرك . إنها السيف ، سيف بتار يذبح الرجل من عنقه .
- أصغ الي يا عبد .
- نعم يا سيدي نعم .
- إجلب لي الماء فورا لأطهِّر يدي ، أريد أن اقدم قربانا لآلهتي .
- قدِّم قربانا سيدي قدِّم ، سعيد من يقدم

قربانا لآلهته ، إنه ينفق بصورة صحيحة .
- كلا يا عبد لن أقدم قرباناً .
- لا تقدم سيدي لا تقدم ، عوّد آلهتك على الاستجداء مثل كلب صغير (حققي رغباتي أو لا تطلبي مني طقوساً) .

٠٣ تقلبات الأموال

وحين يجري النقاش في موضوعات اقتصادية حول توظيف الأموال والقروض والمساهمة في الأموال العامة لجد العبد في حالة الملق ذاتها ، ولكنه يعبر ببلاغة قلّ نظيرها عن عبثية الحياة في نتائجها الأخيرة حين يقول للسيد (أعلُ فوق الأطلال القديمة ، وتمشَ عليها ، وانظر في جماجم المتأخرين والماضين ، فهل ستعرف أيهم الأشرار وأيهم الصالحون؟) .

- اصغ يا عبد إليّ .
- نعم يا سيدي نعم .
- ساوظف أموالي ، أمنح قروضا بفائدة .
- إقرض أموالك سيدي إقرضها ، الذي يقرض أمواله يصونها ويجني معها ربحا .
- كلا يا عبد لن أوظف أموالي ، لن أمنح قروضا بفائدة .
- لاتوظف سيدي ، لا تقرض ، إن تقرض كأنك تحب امراة وتنجب أطفالا عقوقين والمقترض يلعن المقرض ويسعى إلى أن يجتزىء الفائدة .
- إصغ إلي يا عبد .
- نعم يا سيدي نعم .
- سأسهم في الأموال العامة .
- ساهم سيدي ساهم إن رجل الخير هو ختم ذهبي في شريعة مردوخ .
- كلا يا عبد لن أساهم في الاموال العامة .

ـ لاتساهم يا سيدي لا تساهم ، اعلُ فوق الاطلال القديمة تمشّ عليها وأنظر في جماجم المتاخرين والماضين فهل ستعرف أيهم الأشرار وأيهم الصالحون؟ .

٠٤ نموت أو لا نموت

ـ اصغ اليّ يا عبد .

ـ نعم سيدي نعم .

ـ ما جدوى العيش اذا كأن الامر كذلك؟ الأفضل أن نقتل بعضنا ونترك أجسادنا تتمرغ في النهر ذلك هو الخير .

ـ هل ثمة من طال قامته ثم بلغ السماء بيديه؟ وهل ثمة من اتسعت يده فاحتوى الأرض؟ .

ـ إذن يا عبد ساقتلك وأرسلك قبلي لتستكشف الامر .

ـ هل يعتقد سيدي أنه سيتمكن من العيش بدوني ولو لثلاثة إيام فقط؟ .

يختتم الحوار بين السيد والعبد في الشرك الذي نصبه السيد للعبد حين يسأله عن (الموت) وحين يجيبه العبد بأن الحياة لا تستحق يكاد السيد يوقع العبد في الشرك حين يقول له (إذن دعني اقتلك) . . لكن العبد بذكائه يقول للسيد بأنه لا يستطيع الاستغناء عنه . . وهنا يكشف العبد المأساة الساخرة التي تخفيها هذه الحوارية وهي ان السيد في حقيقته هو العبد لانه لا يستغني عن العبد فهو مقيّد به .

وهذا ما سيكشفه لنا هيجل في القرن التاسع عشر حين يستخدم اصطلاحي (السيد والعبد) ليثبت أن السيد في آخر الأمر هو العبد بعد مناقشة فلسفية مستفيضة لـ (فينومنولوجيا الروح) وهو كتابه الفلسفي الكبير .

المرجع :- Pfeiffer, Robert H: Apessimistic Dialogue between Master and sarvant. ANET 1969 : 437.

٢- الوائلي ، فيصل : من الأدب العراقي القديم : ١٩٦٥.

حوار ساجل - كينامويبيب

تسمى هذه القطعة الأدبية من أدب الحكمة البابلي باسم (الحوارية البابلية) أو (حوار العدالة الإلهية) وقد كتبها كاهن الأشيبو المعزم (ساجل - كينا مويبب Saggil - Kenamoubbib) الذي يقدر أنه عاش في زمن حكم الملك نبوخذ نصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م) ويعتبر هذا الكاهن من (حكماء الأزمنة القديمة) . فاذا أخذنا المقطع الأخير من إسمه (أوبّيب) فإن ذلك يوحي لنا أن هناك بين هذا الاسم واسم (أيوب) ، ويمكن أن يكون كتبة التوراة قد أخذوا بهذا الاسم وصحّفوه قليلاً فاصبح (أيوب) .

ويعتبر هذا النص مع نص (لأمجونّ ربّ الحكمة) من أعظم نصوص الحكمة في العالم القديم وهما يطرحان مشكلة العدالة الإلهية على شكل حوار بين يائس معذب وبين مؤمن . وبمعنى آخر يجسد هذا النص الوجودي مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها عبر حوار مليء بالحيوية والجمال .

كان أدب الحكمة البابلي ، ومنها هذا الحوار ، يركز على مفهوم العدالة الإلهية إنطلاقاً من الحياة الدنيا لا من انتظار الثواب والعقاب في الحياة الآخرة ، فقد كانت العقيدة الدينية البابلية تنظر الى الحياة الدنيا على أنها مسرح حياة الآلهة والإنسان . وكان المفهوم البابلي عن العقاب على السيئات والثواب على الحسنات قاصراً كليةً على الحياة الدنيا ، تماماً مثلما كان المفهوم العبري القديم عن الثواب والعقاب . وكان هذا على خلاف المفهوم المصري عن الحياة في الآخرة

بدل الحب ساد الكره ، بدل العدل سادت الحيلة ، بدل اليقين ساد الشك وأقفرت الحياة من كل خير ، وأمسك الاشرار أمور الحياة ، في ذلك الوقت كان هناك حكيم عارف بالخير وبالشر اسمه (ساجل كينا مويبيب) الكاهن المعزم المخلص للآلهة والملك الذي قال لصديقه الحكيم :

- أنا فان والهمُ خيمتي ، ليس لي سنوى الحزن ، إنني مذ كنت صغيراً أصابني الحزن ومزقني ، لقد أخذ القدر أقرب الناس اليّ وها أنا أذهب إلى نفس المصير إنه قدري الحزن .

- إن ما تقوله محزن وإنك حقا بهذا الطريق متجه إلى الموت بل إلى الشر ، وإن تصرفك هذا يشبه تصرف المجنون ، فقد أحلت وجهك المشرق إلى وجه عبوس ، أحبابك ذهبوا في طريق الموت وهذا أمرٌ لابد منه ، والناس كلهم سيعبرون نهر (خبر) ، الصالح فيهم وليس الغني المتخم من يخدم الآلهة لأنه سيكون عندهم الملاك الحامي ، الذي يخاف الآلهة لا يبدد ثروته .

- إن عقلك نهر لا ينضب ينبوعه وهو البحر اللجب الذي لا ينضب وسأسألك

الذي ينطوي على محاكمة بعد الموت وعلى نعيم أبدي ينعم به في رحاب أوزيريس الذين يجتازون الامتحان بسلام . لكن الفكر العبري المتأخر صاغ نظرة مماثلة امتازت عن النظرة المصرية بطابع روحاني أوضح ، أما المفهوم البابلي عن الحياة الأخرى ، فقد ظلّ حتى النهاية مفهوماً يكتنفه اليأس الكامل .

إن الحوار الذي أمامنا حوارٌ جريء جداً قياساً الى عصره ، كما أنه حوار ذو طابع فلسفي يذكر بحوارات إفلاطون في الآخلاق والعدالة الإلهية .

ويتكون هذا الحوار من حوالي (٣٠٠) سطر موزعة على ٢٧ مقطع شعري يحتوي كل مقطع على (١١) سطراً .

أما موضوعات الحوار فتتضمن سبعة حوارات متبادلة بين (المتشكك) و (المؤمن صديقه) ومقطع ثامن يسلم فيه المتشكك بقدرة الآلهة ويعود الى إيمانه ويبدأ الحوار الأول بطرح فكرة الألم ونشدان النصح والسؤال عن الموت ويكون جواب عن هذا الحوار بان الموت مقدر علينا جميعاً وأننا يجب أن لا نترك روحنا تستسلم لليأس .

أما الحوار الثاني فيكون جوهره حول ذبول الحال وإنهيار الجسد ، ويكون الجواب ان ذلك يمكن استرداده بالصلوات والقرابين .

والحوار الثالث يكون حول سعادة الحيوانات رغم أنها لا تؤدي الصلوات والقرابين . ويكون الجواب بأنها غافلة عن مصيرها .

أما الحوار الرابع فيكون حول الناس السعداء الذين يكونون عادةً من الذين تركوا الدين والآلهة ، فيكون

واصغ اليَّ أنتبه للحظة واسمع كلماتي ، لقد أصبح جسمي حطاماً وخيّم الهوأن عليّ ، لقد أنكسر أملي وفقدت توازني وضعفت قوتي وسعادتي انتهت ، الأنين والأسى سوّد قسماتي وحقولي مجدبة وشرابي الذي هو راحة الخلق لا يُفرح وطعامي لا يُشبع ، فاين هي الحياة المرفهة أين؟

ـ ما أقوله هو الصحيح أيها الحكيم ولكن عقلك هو الذي يدلك على هذه الأفكار ، إنك أعمى أيها الإنسان ورغباتك لا نهاية لها ، اتخذ طريقَ عبادة الآلهة وستطمئن نفسك ، سترى أنك في جادة الصواب وسوف يمنحك الرب عطفاً ورحمة .

ـ ساستوعب حكمتك وأُبجلك ولكني أقول لك شيئا ، هل ينتبه حمار الوحش الذي يملأ بطنه إلى من يعطيه المعجزات الإلهية؟ وهل يجيء الأسد المتوحش الذي ينهش أحسن اللحم بنذر من الطحين حتى يهدئ غضب الآلهة؟ والغني الذي تتضاعف ثروته هل يزن الذهب لاجل الآلهة (مامي) خالقة الإنسان؟ كل هؤلاء بعكسي أما أنا فقد أعطيت النذور وصليت إلى الهي ولفظت التبريك على الاضحيات .

ـ ايها الإنسان يا شبيه الآلهة يا شجرة

الجواب بأن للآلهة خططها وتقديراتها .

أما الحوار الخامس فيؤكد على عزم المتشكك بالذهاب بعيداً عن بيته ومدينته وارتكاب الخطايا .

المراجع :

١- الوائلي ، فيصل : من أدب العراق القديم ١٩٦٤،

٢- فرانكفورت هـ .أ : ما قبل الفلسفة ١٩٦٠،

٣- باقر ، طه : مقدمة في أدب العراق القديم ١٩٨٦،

٤- هوك ، س .هـ : ديانة بابل وآشور ١٩٨٧ : ١٦٨،

5- Biggs, Robert D. : **The Babylonian Theodicy**, ANET: 1969:601.

الثراء الذي أُسبغ عليه الحكمة يا جوهر الذهب ، أنت المكين في الأرض وخطط الآلهة بعيدة ولكنها ملقاة عليك ، أنظر إلى حمار الوحش في السهل لسوف يتبعه السهم وهو ينطح ويدوس الحقول ، تعال فكر في الاسد الذي ذكرته الذي تنتظره الحفرة ، أما الثري الذي يكدس البضائع فسوف يحرق الملك ملكه ، فهل ترغب أن تذهب في نفس الطريق الذي كأن قد ذهب به هؤلاء أم تحصل على مكافئة آلهتك الأبدية .

- إن عقلك هو ريح الشمال والنسيم العليل للبشر ، نصائحك جميلة ولكني أُريد أن أقول لك أن أولئك الذين يهملون الإله يسيرون في طريق الرفاهية . أما الذين يصلون للإله فانهم يصبحون فقراء وتُأخذ أموالهم ، لقد اتبعت اثناء شبابي آلهتي وخشعت لارادتهم ولكن الإله منحني الفقر والذل عوضاً عن الغنى ، لقد غدى الكسول رئيسي والأحمق قائدي والمحتال أصبح أعلى مني وأنا أنزلت درجة .

- أيها الإنسان الحكيم إن افكارك عاقة ، لقد ذهبت بعيداً ولعنت أنصاب آلهتك فعليك أن تحترم شعائر الآلهة وعليك أن تعرف بأن خطط الإله تشبه مركز السماء وعليك أن تعرف أن اوامره ليست بقيودٍ

وافكاره في متناول اليد قريبة .
- سوف أهجر بيتي وما أملك وأتجاهل قوانين الآلهة وأدوس على شعائرها ، لن أنحر عجلاً ولن اقدم طعاماً ، ولسوف آخذ سبيلي وأذهب بعيدا ، سأحفر بئراً وأطلق الفيضان وأجوب الحقول الواسعة كقاطع طريق سوف أذهب من بيت إلى بيت لأبعد أذى الجوع ، وكالشحاذ سأراقب الناس وأنا جائع . . أما السعادة والخلاص فلا أمل لي فيها .

فقدت عقلك يا ساجل

يكون جواب الحوار الخامس بحزم ونصيحة بالعودة للآلهة .

أما الحوار السادس فيؤكد على أن الحياة تسير معاكسة للمؤمن والمتواضع والفقير فيكون الجواب بأن للحياة شرائعها وأعرافها ولا سبيل الى غير ذلك .

ويؤكد الحوار السابع على مضمون الحوار السابق ويحكي عن المحتال والمجرم وغيرهم فيكون الجواب بأن الآلهة عندما خلقتنا فإنها لم تزودنا بالحقيقة كاملةً ، بل طلبت منا البحث عنها .

وتنتهي الحوارية بأن يقوم المتشكك بالعودة تدريجياً إلى إيمانه ، ويطلب من الآلهة مساعدته .

وتقوم هذه الحوارية (عكس حوارية السيد والعبد) على المنهج العقلي لا السفسطائي ، ويبذل المؤمن جهداً واضحاً للإجابة على الأسئلة المحرجة

- لقد فقدت عقلك يا ساجل ، الآلهة خلقتكَ وارتضت لك العمل سبيلاً وعليك أن تقبل به والا فإنك فاقد عقلك لا محالة .
- هل ينبغي عليَّ أن أظل أسير ما خلقت عليه ، هل ينبغي عليَّ أن أحيا وأنجب كما خلقت وهل فعل ذلك الحيوان حتى تريدني أن افعل ذلك .
- الشخص المتواضع الخاضع يفعل هذا .
- إن ابن الملك متسربل بأفخر الألبسة ، أما ابن الفقير والمتشرد فإنه يلبس الخرق ، الفلاح الذي يزرع شعير الجعة لا يعرف الذهب بينما هناك من يحصي ذهبه اللماع بالمكيال ، هناك الذي يعتاش

للمتشكك .

ويبدو أن هناك غاية دينية تعليمية في هذه الحوارية . لقد كتبت في ظروف فقدت الناس ثقتها بمعبوداتها وأصبحت تميل الى الشك والتجديف .

إن الآلهة هنا تبدو في نظر المتشكك غير مبالية بالشؤون البشرية . ومنذ الألفين ، إنفجرت في مكان آخر أزمات روحية مماثلة (مصر ، فلسطين ، الهند ، إيران ، اليونان) مع نتائج مختلفة ، لأن الأجوبة على هذا النموذج من التجربة العدمية قد أعطيت تبعاً للعبقرية الدينية النوعية لكل ثقافة . ولكنها في الأدب الحكمي الرافدي لا تبدو الآلهة دوماً غير مبالية .

المراجع :

١- المراجع السابقة .

٢- الياد ، مرسيا : تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية ١٩٨٦ : ١٠٦ .

على الخضروات وبقايا مائدة الثري وليس ثمة أمل في أن يتغير الحال .

- لا تجّدف ، أنت تحتضن كل الحكمة وتقدم النصائح للناس ، لقد جعلت عقلك يسرح في الضلال وأقصيت الحكمة عنك فأنت تمتهن الأعراف وتحتقر الشرائع وعليك أن تسير في طريق الإله وتحتفي بشعائره .

- الجميع محتال ، إنهم يغشون كل شئ ويكدسون كل شئ .

- المحتال سيختفي ، والغشاش سيقتل ، وأنت ما لم تسعَ إلى إرادة الإله فأي حظ تملك . وأن الذي يتحمل عبودية إلهه فأنه لن يحتاج إلى طعام مهما كان قليلاً فاسعَ من اجل الوصول إلى ريح الإله الطيبة لأن ما تفقده في سنة بامكانك استرجاعه في لحظة .

- لقد نظرت حولي ولم أجد الاّ ماهو عكس كلامك ، فالإله لا يسد طريق الشيطأن ، والأب هو الذي يسحب زورقهُ على طول القناة أما ابنه البكر فمستلق على فراشهُ ويتابع طريقه كالاسد ، وابنهُ الثاني سعيد بكونه سائق بغل ووريثهُ سيطوف في الشوارع وكأنه بائع متجول . أما ابنه الاصغر فأنه سيقدم الطعام إلى المشردين ، كيف إذن أكون قد اتعضتُ لدرجة أنني أنحني لإلهي ، عليَّ أن

أنحني إلى اسفل حتى التقي بمن هو واطئ مثلي أما الأغنياء والمتعالين فليس لي مكان بينهم .

- ما هكذا يا ساجل، أنت دون البشر كلهم عاقل وعارف . فكيف تسبب الآلهة في كربك ، إن كلمة الآلهة لا متناهية البعد كمركز السماوات ولأن ادراكها عسير فالناس لا يعلمونها وإنك لتجد آية ذلك في جميع المخلوقات التي خلقتها (أرورو) فاول عجلٍ للبقرة يكون هزيلاً ونسلها اللاحق اكبر من سابقه بمرتين ، لماذا يكون الطفل الأول ضعيفاً والثاني مقاتلاً بطلاً . إنها حكمة الآلهة والإنسان يمكنه أن يلاحظ ما عسى أن تكون عليه الآلهة لكن الناس لا يفقهون .

- أرجوك أن تتبصر في أفكاري وتنتبه إلى صفوة كلامي ، الناس لا يمجدون كلام القوي ولا يبخسون الضعيف الذي لم يرتكب أيَّ خطأً وهم يحيون الشرير ويضيقون على الشريف الذي يرعى إرادة الآلهة ، إنهم يملأون مخازن الظالم ذهباً ويفرغون حقيبة الشحاذ من مأكولاتها ، إنهم يسندون القوي الذي هو مؤذٍ ولكنهم يحطمون الضعيف ويطردون من لاحول له ولا قوة . إنني أيها الإله (إيا) خاضعٌ لارادة من له مال كثير .

- إن الآلهة الذين خلقوا الإنسان ومنحوه

تمثال لرجل متعبد
خفاجة ٢٦٥٠ ق.م

الكلام هم الذين يقدِّرون مصائرهُ وهم الذين يمنحوه الكذب أو الصدق ، هم الذين يفقروه وهم الذين يغنوه ، هم الذين يقولون (هو ملك) و (الثروات تجري إلى جانبه) هم الذين يمتحنون الفقير بالعذاب ويطلبون منه الصبر .

ـ إنك عطوف يا (إيا) فانظر إلى حزني وساعدني ، أنظر إلى شقائي ، فرغم إني متواضع عارف لم ارَ من يساعدني او يغيثني فلقد عشتُ في مدينتي بنفسٍ عفيفة ولم يرتفع صوتي على احد ولم أرفع رأسي غروراً بل كنت أنظر إلى الأرض فعسى الإله (إيا) أن يعينني ، وعسى الإله شمش راعي الناس كلهم أن يعطف عليّ .

لأمجدنَّ ربَّ الحكمة

هذه واحدة من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي وقد اشتهرت باسمها البابلي أيضاً (لدلول بيل نميقي Ludlul Bel Nemeqi) وترجمت عدة ترجمات .

وسمي هذا العمل بـ (أيوب البابلي وظهرت دراسات عدة حول المقارنة بين (أيوب التوراتي) و (أيوب البابلي) ، وقد سبق البابلي التوراتي بأكثر من ألف سنة .

ويبدو أن صاحب هذا النص أو المقصود بأيوب البابلي

لأمجدنّ ربّ الحكمة ، العليم ، الذي يضرب الليل ويهلل للنهار ، مردوخ ، ربّ الحكمة .

هو الذي يلّف مثل زوبعةٍ كل شيء . هو الذي ينعمُ مثل النسيم .

لا أحد يقاومه ، غضبه كطوفان ، لكن قلبه مفتوح ينضحُ رقةً ، هو الذي لا قدرة للسماء على تحمل ضرباته ، راحته الطمأنينه والتي تحيي الأموات .

هو : شـوبشي مـشـري شكّان (- Shubshi Meshre - Shakkan) وهو رجلٌ عادلٌ ومقربٌ من الآلهة والملك وكانت سيرته وضاءة ، لكنه فجأة تعرض الى تجربة قاسية على المستوى الاجتماعي والنفسي والصحي أدت الى إنحداره تماماً . وقد عرف محاوره الأول من نفّر والثاني من بابل ، وكان لأيوب أيضاً ثلاثة من المحاورين .

وغاية هذا النص إيضاح ما يمكن أن يحصل للمرء عندما يتخلى عنه إلهه ، وكيف أن المصائب تهجم عليه واحدة بعد الاخرى . ولكن عليه أن يظلّ صابراً ، لأن في ذلك امتحاناً له وتجربةً لصموده أمام الشدائد . وسيعود الإله اليه ويزيل عنه كل هذه الكروب شرط أن لا يجدّف ولا يلعن آلهته .

يبدأ هذا النص بتمجيد ربّ الحكمة (وهو هنا مردوخ) ثم يعرفنا الكاتب كيف أن مردوخ وزوجته صربانيت تخليا عنه ثم تخلى عنه إلهه الشخصي الحارس .

وقد شاعت فكرة الإله الحارس (الملاك) في العصور البابلية المتأخرة وكان يطلق عليه بصفة عامة اسم (لاماسو) وهو مشتق من الاسم السومري (لاما) الذي أو التي كانت تتشفع للشخص عند الآلهة الكبرى وتقوم بحمايته اليومية . وقد عبر عنها المصريون القدماء بـ (القرين) ، وفي الأديان الموحدة ظهرت فكرة الملاك الحارس أيضاً . وتبدأ أول انهيارات (شكّان) بأن يترك بيته ويهيم حيث تظهر إشارات تدل على مصيره القاسي ، وهذه الاشارات تكون من الأشياء المرئية حوله ومن الكلام الذي يسمعه صدفة في الشارع ، ويعجز عن فهم ذلك عرافه ومفسر

إلهي ابتعد عني ، والهتي ابتعدت عني وعني ذهب الذي كان معي ، هرب الهي الحامي (ملاكي) وركن الى غيري ، ذهبت عافيتي وأصبحت عارياً من العناية . وظهرت أمامي إشارات المصير فخرجتُ من بيتي ومشيتُ هائماً ، الاشارات كانت مرعبة وأيامي اسودت .

عزفت عن العراف والمفسّر ولم أكن أعرف طريقي ، كلماتٌ كالنذير سمعتها ، وحلمي كان مخيفاً . والملك يد الإله وشمس الناس كان غاضباً عليّ . رجال الملك يتأمرون عليّ ، يقول الأول سأنهي حياته ، يقول الثاني ساحرمه من عمله ، يقول الثالث سآخذ مهماته ، يقول الرابع سآخذ مهماته ، يقول الرابع سآخذ بيته ، يقول الخامس سأخرب حياته ، أما السادس والسابع فقد جعلا ملاكي الحامي يهرب .

السبعة جندوا قواهم كالشيطان ، بفم واحد ينفثون نارهم وحقدهم عليّ لجموا لساني الباسل ، واغلقوا شفاهي المنطلقة . وأخرسوا كلامي . رأسي العالي انحنى نحو الأرض ، وقلبي القويّ أصبح هشّاً . صدري العريض تقوّض ، ذراعاي القويتان شلتا وصرتُ أمشي قرب الجدران وكنتُ أمشي كالسيد .

أحلامه . وتبدأ تحولات الناس حوله خصوصاً زملاؤه في القصر الملكي حتى يطال ذلك خادمه وخادمته بذلك يعزل (شكّان) نفسياً واجتماعياً .

المراجع :

1- Pfeiffer, Robert H. : **I will praise the lord of wisdome.** ANET 1969 : 434.

2- Biggs, Robert D. : **Ludlul Bel Nemeqi,** ANET 1969: 596.

3- Lambert,W.: **Babylonian wisdome Literature** 1960.

تحولتُ الى عبد ، وصرتُ معزولاً . الكلّ يشير اليّ . حين أمشي في الشارع . وحين أدخل للقصر ينظرون اليّ . المدينة كلها تنظر اليّ بقساوة ، وصار بلدي عدواً . وأخي وصاحبي وجاري ابتعدوا عني . خادمي لعنني في الحكمة .

خادمتي شهدت عليّ بأشياء مخجلة . وقريبي حين رآني أنهزم ، وعائلتي تنظر اليّ كغريب .

من أحبني مكروه ، ومن كرهني يرفع الى الأعالي . من يسيء اليّ قريب من الآلهة . ومن يحسن اليّ قريب من الموت . الذي يهجوني يظهر ملاكه الحارس قوياً . لا أحد معي ، لا أحد لي وما كنتُ أملكه لم يعد معي .

طردوا من بستاني لحن الحصاد واحالوه الى الصمت . في المعبر جعلوا غيري يقيم الطقوس . نهاري حسرةٌ وليلي نحيب . شهري أنين وسنتي أسى ، وعمري نواح حمامةٍ ونشيدي شكواي وعيناي دامعتان ووجهي مكفهر .

مَنْ منّا يعرف ما عند الآلهة

في هذا المقطع يبدأ حوار ثيولوجي عميق وكان (شكان) يدرك أن غضب الآلهة عنه هو جوهر ما حصل له . ويعد طبيعة علاقته بالآلهة وكيف أنه كان يؤدي واجباتها .

ويلقي هذا المقطع الضوء على فكرة الخطيئة ضد الآلهة وانواع هذه الخطيئة ، فقد تكون الخطيئة هي تناول الطعام دون ذكر الإله . . وقد تكون جريمة مباشرة موجهة له .

ثم ينتقل النص الى الاسئلة الوجودية الكبرى . (من منّا يعرف ما عند الآلهة في السماء أو في الاعماق؟) .

ويعالج النص القدر وكيف تتبدل أحوال الناس بفعله بين لحظة واخرى .

وفي آخر مقطع هنا يعالج النص فلسفة المرض وكيف يحدث ، حيث نرى أن الأعراض المرضية التي تظهر على الإنسان ما هي الاّ رشقات من مادة العالم الأسفل تصل الى الإنسان بسبب خطاياه . فالزكام خرج من الأبسو والحمى من العالم الأسفل . . .الخ .

وكل هذه الرشقات اصابت الاعضاء فمرضت حتى حوّلته الى إنسان يهذي ويحلم أحلاماً ذات مغزى .

المراجع : Ibid .

مرّ الزمنُ ، سنة بعد أخرى ، ولأيما جهة حوّلت وجهي فالمصيبة تلي المصيبة .
والشرّ يكبر حولي ولا أمل .
صرختُ منادياً إلهي فصدّ وجهه عني .
رجوته فصدّ وجهه ، رجوت الهتي فلم تلتفت ، والعرّاف لم يعرف مستقبلي ، ومفسر الأحلام لم يكشف حالتي توسلت بروح الأموات فلم تأبه لي ، والمعزم لم يحل العقدة .
يقولون : حالته غريبة . وخلفي الخراب مثل شخص لاقرابين عنده ، أو كالذي دعا آلهته للطعام ولم ينحني لها . مثل شخص توقف فمه عن تدويد الأدعية ، ونسي طقوس آلهته ، ولم يعلم أولاده احترام الآلهة ، وكالذي تناول طعامه دون ذكر إلهه . كالذي نسي آلهته .
كان ذكر الآلهة سعادتي ، والدعاء لها حكمتي وتقدماتها واجبي ، والطواف لها تجارتي ، والصلاة لها فرحي ، والاستماع لموسيقاها فرحتي . عوّدت بلدي وأهلي على احترام طقوس الآلهة . واحترمت الملك وعلمت الشعب خشية القصر . وكنتُ أرى ذلك حسناً ، ولكن ما كان حسناً لنا أساء للإله . وما كرهناه كان حسناً للإله .

من منّا يعرف ما عند الآلهة في السماء .
ومن منّا يعرف ما عند الآلهة في الأعماق .
ومن أين لنا معرفة طرق الآلهة .
أنظر من كان البارحة صحيحاً يقف على حافة الموت اليوم ومن كان حزيناً ابتهج لوهلةٍ وغنّى ثم تفجّع . الناس في لحظةٍ يتبدلون . ويصيرون كالجثث حين يجوعون . وكالآلهة حين يشبعون . يحكون عن بلوغ السماء حين يكونون سعداء . وعن الحضيض حين يتألمون .
وأنا أسأل نفسي عن كل هذا .
ولا أعرف ما يجري . أنا مرهقٌ كأن زوبعة ورائي مرضت وهبت ريح نحوي .
الحمى انتشرت حولي من العالم الأسفل ، والزكام خرج من الأبسو ، ومن الجبل ظهر شياطين الاوتوكو ، ومن قلب الجبل نزلت شيطانة اللامشتو ، وكفيض النهر جاءت القشعريرة الباردة ، ومع الخضرة نبت السقم . كل هذه الاوجاع اقتربت مني واصابت رأسي وشدت على جمجمتي ، إكفهر وجهي وهطلت دموعي وزحفت الأوجاع الى عنقي وشلّت رقبتي وأصابت صدري وثديي ، وعذّبت جسدي وأشعلت النار في بطني ، وارتجف جسدي وهدتّ الأوجاع بنائي مثل جدار منهار .

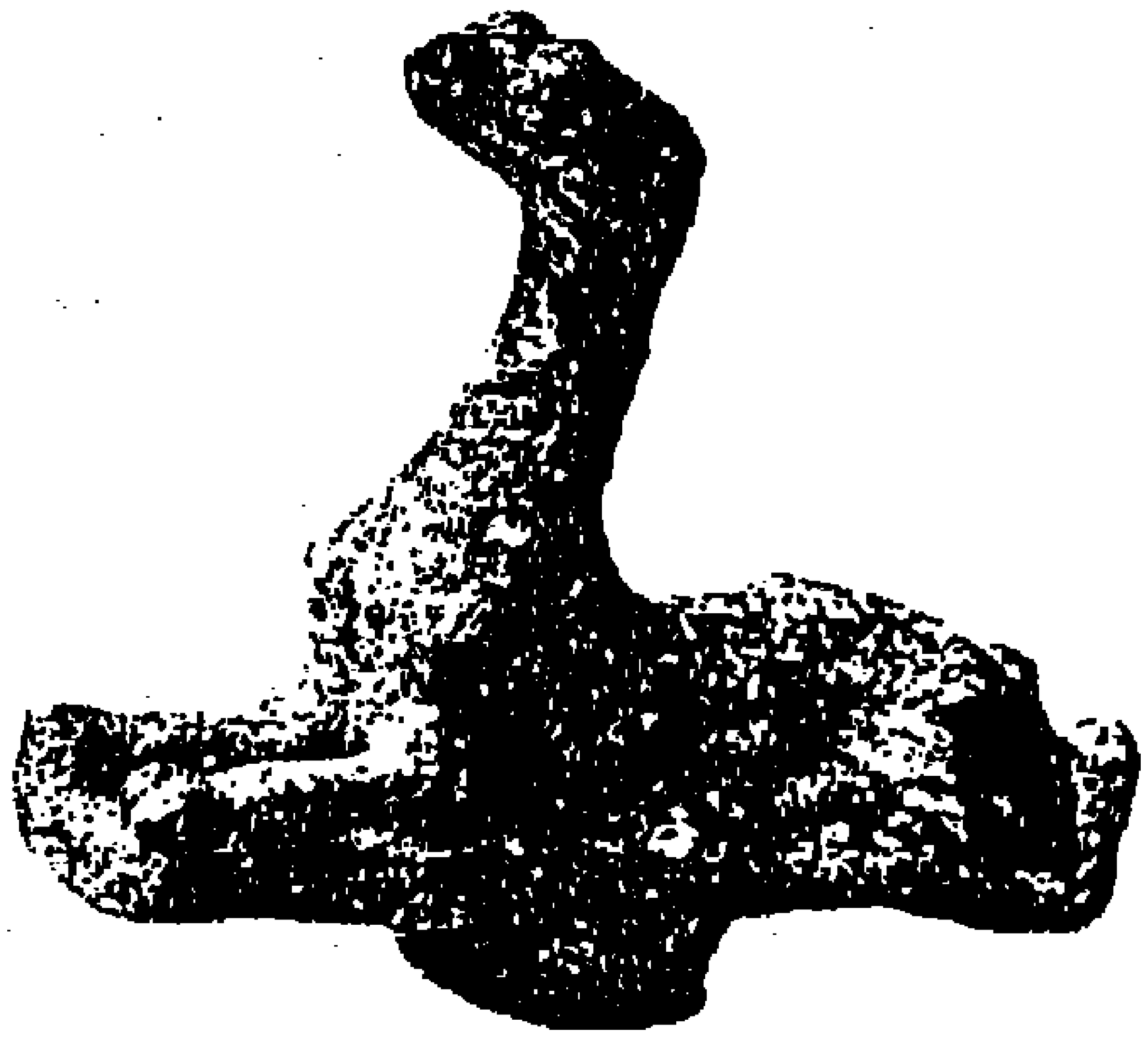
شيطان مرضي من بابل

عـــائلتي بكتني ومـــزلاج بابي أُغلق ،
وطرحتُ في الفـراش ، ولسـعني سـوطٌ
شائك وتقطعت أطرافي ولم يستطع المعزم
كـــشف مـــرضي ، والعـــرّاف لم يحلّ
مرضي . وكان قبري مفتوحاً .
مـرضي افـقـدنـي وعـيي وجـعلني أهذي
واســـتـــمـــر أنيني ، وحلمت في يقظتي
أحلاماً .

أحلام شكّان

حلمتُ أن رجـلاً طويل القـامـة ناصع اللبـاس ، كـان مشعّاً ورهيباً وقف أمامي وقال لي أرسلتني السيدة لأقول لك .

وحلمت حلمـاً ثانيـاً ظهـر فـيـه كـاهن التطهير وكان يمسك غصن الطرفاء المطهر وقال لي : أرسلني (لال أور أليمـا) كاهن نفرّ لأطهرك . وسكب عليّ الماء وقرأ عليّ تعويذة الحياة ودلّك جسمي .

ورأيت في الحلم الثـالث امـرأةً رائعـة الفـتنة ، ملكة الشـعـوب مـثل إلهـة ، جلست قـرب فـراشي فـقلتُ لهـا : من أجلي اطلبي الرحمة . فقالت : لا تخشَ شيئاً سأكون شفيعتك ورتلت : الرحمة لمن آلامـه كـآلامك ، أيّا كـان ، ولكل من أتته هذه الرؤيا .

وظهـر لي (أورندنلوگـا) مـثل شـاب ذي

تنبيء الاحلام الثلاثة للمعذّب شاكان بظهور ثلاثة اشخاص في حلمه،الأول مبعوث الإلهة والثاني كاهنها والثالث الإلهة نفسها وربما كانت صربانيت زوجة مردوخ . وكلها كانت تشير له بالشفاء .

وقد كانت الأحلام نذيراً بالخير أو الشر ، وهكذا كان يفسرها مفسرو الأحلام (الشائيلو) .

المراجع : **Ibid** .

لحيـة وعمـامـة . وفي يده لوحة ويقـول :
أرسلني مـردوخ لأقـول لك يا شـويشي
مشري شكّأن فرجك قريب .

الآلام تتبدد

يجـري شـفـاء المرض ، بعـودة الإله الى المريض ثم مجيء المعزم الذي يعيد مواد العالم الأسفل والأبسو والجبال الى أماكنها عن طريق التعويذة والبخور .

ويختتم هذا العمل بمديح الإله مردوخ وزوجته والملاك الحارس ، وبتنفيـذ نذر المريض الذي شـفي ، وذلك باقامة الطقوس أمام معبد الايساجيل لمردوخ وإقامة مـائدة للطعـام . ويرجع الرجل العـادل الى وضـعـه الطبيعي بفضل مردوخ مجتازاً شعائرياً الأبواب الإثنى عشر لمعبد الايساجيل في بابل .

المراجع : **Ibid** .

أعطأني مـردوخ عـلامـة . إنتـشلني من مـرضي وفك قـيـودي ، إرتاح قلب إلهي وتقـبل صلواتي ومنحني النعـمـة وحلّ عـقـدة خطاياي ، وجـعل الريح تحـمل خطاياي .

وضع المعزم قـربي التعـويذة وطرد الريح الشـريرة الى الآفـاق ، وأرجع الحـمى والزكـام وشـيطأن الاوتوكـو واللامـشـتـو والقشعريرة الى أماكنها . وبدد الخدر مثل الدخـان . وحمـل مصـائبي وتأوهاتي الى الأرض .

وأسـقط من رأسي الألم ومن عـينيّ رواسب الموت ومن أذنيّ الصـمت ومن أنفي الحمى ومن شفتي اللهب ومن فمي الغمام .

مـردوخ الذي اغلق فم الأسـد الذي كـان يفترسني ، مردوخ الذي انتزع مقلاع من كـان يطاردني على ضفاف النهر . دلكت جبهتي وشاهد الناس مردوخ يعيد اليّ الحياة .

فمن سيرى شمسه دون مردوخ ، ومن سيمضي طريقه دونه ، مردوخ الذي يبعث الموتى فأنشدوا له ومجدّوه أيها البشر . وها عدتُ الى متابعة السجود ، وعلى أبوابه ملاكي الحارس عاد ملاكي ، وعلى بوابات الخلاص والحياة والشمس والوضوح والنذير وحلّ الخطايا والمدائح وكظم الآهات والماء الطاهر والخلاص ومنتهى الكمال وقفتُ .
ووضعتُ أمامي البخور العطر وكدستُ القرابين والتقدمات ، وضحيت بثيران سمينة وذبحتُ خرافاً وقدمتُ خموراً وعسلاً ولمردوخ وملاكي الحارس والكهنة والايساجيل فرشت موائد طعام عامرة أفرحت الصدور .

الملوكية تهبط على أريدو

يعتبر نزول الملكية من السماء الى الأرض إشارة لبدء تأسيس المدن والممالك على الأرض ، وقد ترافق هذا مع بداية عصر الكالكوليت (الحجري المعدني) في مطلع الألف الخامس قبل الميلاد حيث كانت أريدو في جنوب العراق أول مدينة على وجه الأرض . وهذا ما يتفق مع النص .

ويظهر الإله آنو (السماء) برمزي العصا والحلقة وهما رمزا الملوك . وهما جزءٌ من النواميس الالهية (مي) التي سنجدها فيما بعد عند الإله (إيا) والتي سيتسلمها مردوخ .

قرر الآلهة أن تهبط الملوكية من السماء لتحل على الأرض وأن تعين الآلهة ملكاً ينطق باسمها ليحكم بالعدل ويزيل الشرور ، قرر الآلهة أن يعينّوا من البشر الحكماء الاقوياء ليلجموا الاشرار وكان قرار الآلهة مقضياً ، فهبطت الملوكية باسم (آنو) الرب من السماء إلى (اريدو) أول مدينة حباها (آنو) بالملوكية ، وكان يعيش في (أريدو) رجل حكيم اسمه (ادابا)

المرجع : Jacobson, Th.: The Sumerian King list: 1939: 74.

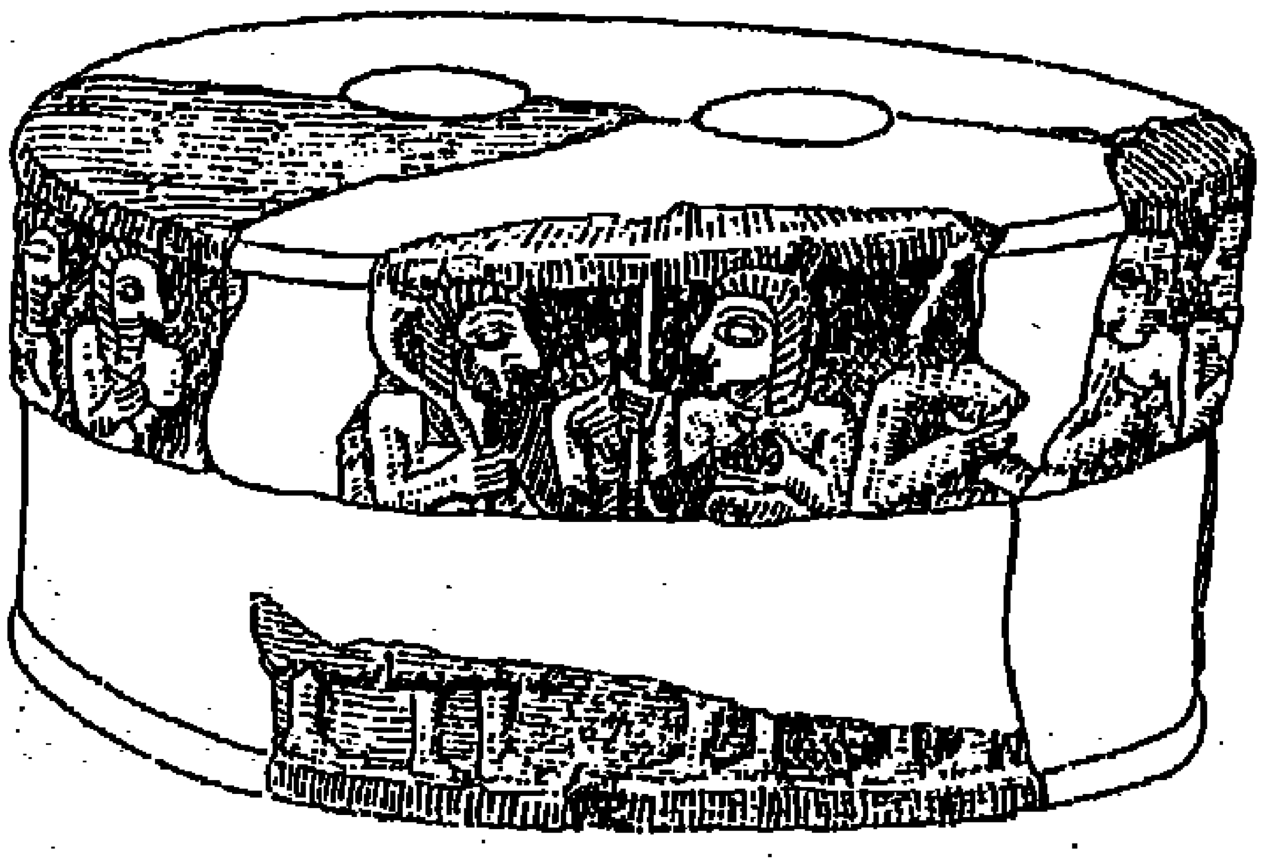

ملوك سومريون قدماء

أمره نافذاً كأمر (إيا) حباه بالفهم الواسع للكشف عن أسرار العالم منحه الحكمة ولكنه لم يمنحه الخلود حكيم مثل أتراحاسس ، في تلك الإيام في تلك السنين خلق الإله (إيا) حكيم (اريدو) وجعله نموذجاً للبشر الحكيم الذي لا يوجد من يستطيع رد امره القادر المدرك العظيم بين الأنوناكي وهو الطاهر ، النظيف البدين ، المعمدان (ادابا) ، المشرف على الخبازين الذي يصنع معهم الخبز في (أريدو) ، هو الذي يوفر الخبز والماء كل يوم في (أريدو) ويرتب بيديه النظيفتين مائدة القربان وبدونه لا تنظف المائدة ، هو الذي يدير دفة السفينة ويصيد السمك .

آدابا يكسر جنح الريح

يعتبر أدابا أول الحكماء السبعة اللذين كانوا يسمون بـ (أبكالو Apkalu) الذين تحدث عنهم الكاهن البابلي برعوشا (Berose) . ويعتبر هؤلاء الحكماء ناقلو النواميس الحضارية من الإله إيا الى الانسان بمساعدة ملوك ما قبل الطوفان تحديداً . وقد أظهر نص مكتوب باللغتين السومرية والآكدية اسماء هؤلاء الحكماء وهم :

١- أدابا (أوان - آدابا) وهو الحكيم الذي صعد الى السماء . ويختلط عادة بشخصية أوانيس

في يوم من الإيام كان (إيا) نائماً في سريره ، وكان (ادابا) يود زيارة معبد (إيا) في (أريدو) واراد أن يرسي قاربه في المرسى المقدس ، مرسى القمر الجديد عندئذ عصفت الريح وجرفت قاربه في اليم العريض ، هبت الريح الجنوبية واغرقته ، جعلته ينزل إلى موطن السمك في اعماق اليم لكنه خاطب ريح الجنوب غاضباً (يا رياح الجنوب سأكسر

Oannes الذي هو كـــائن اسطوري يلبس ملابس السمكة . وهو كائن الإله (إيا) .

٢- نونبيرگال نون گالدم : وهو حكيم مدنية أوروك الذي حكم في عصر ملكها انمركار والذي جلب عشتار من السماء ووضعها في معبدها في اوروك (أي أنا) .

٣- بيرگال نونگال : وهو حكيم مدينة كيش الذي أغضب الإله أوو في السمـاء ، فقـام هذا الإله بحبس الأمطار ثلاث سنوات مـاتت خـلالها النباتات .

٤- بيـرگـال أبسـو : وهو حكيم مـدينة أريدو الذي أغضب الإله إيا أو إنكي في الـ (أبسو) فعاقبه على عمله .

٥- لونانا : وهو حكيم بثلثين فـقط الذي طرد التنين اوشنگالو من معبد عشتار (إنينكار نونا) .

الحكيمان الآخران يصعب قراءة اسميهما .

ويذكر مصدر آخر اسماء هؤلاء الحكماء كما يلي :

١- آدابا Adapa

٢- أوان دوگا U- an - duga

٣- إينمي دوگا En - me - duga

٤- إينمي گلاما En - me- galama

٥- إينمي بلوگا En - me - bulaga

٦- آن إنليليدا An - Enlilida

٧- أتو أبسو Utu - abzu

ويبدو أن هؤلاء الحكماء علّموا ملوك ما قبل الطوفان الحكمة والنواميس الإلهية .

جناحك) وحالما نطق بهذا القول إنكسر جناح الريح الجنوبية وطوال السبعة أيام لم تهب الريح على البلاد فنادى (آنو) وزيره (ايلابرات) وقال له :

ـ لِمَ لَمْ تعصف ريح الجنوب على الأرض هذه الإيام السبعة .

فقال وزيره :

ـ مولاي إن أدبا ابن إيا كسر جناح ريح الجنوب .

وحين سمع (آنو) هذا الكلام صرخ :

ـ الرحمة!

ونهض من عرشهِ صائحاً (ليأتوا به إلى هنا) .

حين ذاك أمسكه (إيا) الذي يعلم ما في السماء وما في الصدور وأمره أن يرسل شعره ويرتدي ملابس الحداد ، حذّرهُ واعطاه هذه النصيحة .

ـ إنك ذاهب يا (أدابا) إلى الرب (آنو) ستسلك طريق السماء وحين تصعد إلى السماء وتصل إلى بوابة (آنو) ستجد (تموز) و (كيزيدا) حارس باب (آنو) ستجدهما واقفين وحينما يرونك سيقولان لك (أيها الرجل من أجل من فعلت هذا؟ يا أدبا من أجل من أنت ترتدي ملابس الحداد؟) فقل لهما (تروني هكذا لأن إلاهين قد اختفيا من أرضنا) فسيقولان لك (من هما هذان

المراجع

1- Dally, S. : **Myths from mesopotamia.** 1989 : 427.

2- Reiener, E.: **The Eteological myth of seven sages**: 1961: 4.

الإلهان اللذان قد اختفيا) فقل لهما (تموز وكيزيدا) اللذان اختفيا من على الأرض) فسينظر احدهما إلى الآخر ويبتسمان وسيتفوهان بكلام طيّب من أجلك أمام (آنو) وسيستبشر وجهه ، وحين تقف أمام (آنو) فسيقدمون لك خبز الموت فلا تأكله وحين يقدمون لك ماء الموت فلا تشربه ، أما اذا قدموا لك ثوباً فالبسه واذا قدموا لك زيتا فادهن به جسمك ، لقد زودتك بهذه النصيحة فلا تهملها والكلمات التي قلتها لك تشبث بها .

آدابا يصعد إلى السماء

يعتبر أدابا واحداً من القلائل الذين صعدوا الى السماء والتقوا بإله السماء (آنو) . فقد ذكرت الأساطير أن الملك أنميدر آنا الذي حكم قبل الطوفان لمدة ٢١٠٠٠ سنة في مدينة سبار استدعى الى السماء لتسليمه أسرار فن كهانه الفأل أو العرافة (Baru) . وقد كان واحداً من بين سبعة ملوك قدامى ذكر عنهم في أحدى النصوص بأنهم تسلموا (سر آنو) لوح الآلهة ، لوح الفأل ، أسرار السماء والأرض وأنه علمه الى إبنه ، وسنرى ايتانا ملك كيش يصعد الى السماء لينال نبات الإنجاب .

هؤلاء الثلاثة اذن هم الذين صعدوا الى السماء : أدابا لينال الخلود وإنميدرأنا لينال ألواح المعرفة وإيتانا لينال

وصل رسول (آنو) إلى الإله (إيا) وقال له :

ـ أين الذي كسر جناح ريح الجنوب ، اين أدبا ليحضر امامي .

فحضر أمامه فأخذهُ وصعد به إلى السماء وحين وصل إلى بوابة (آنو) كأن (تموز) و (كيزيدا) واقفين عند البوابة ولما رأيا (ادابا) صرخا :

ـ الرحمة! أيها الرجل علامَ تبدو هكذا يا (آدابا) لِمَ تلبس ثوب الحداد .

ـ لقد اختفى إلهان من الأرض وارتديت ثوب الحداد من أجلها .

نبات الإنجاب .

أما أدابا فإنه يفشل في ذلك لإحد السببين التاليين : الأول أن الإله (إيا) أعطاه نصيحةً تمنعه من تناول خبز وماء الحياة الذي هو طعام الخلود لكي لا يصبح مثل الآلهة ، اي منافساً لإيا تحديداً الذي كان معنياً بشؤون البشر وبإعطائهم الحكمة على مراحل . أو لأن (آنو) أدرك أن أدابا أصبح عارفاً وان معرفته هذه لابد أن تكتمل باعطائه الخلود لكن طبع الإنسان وتكوينه لا يسمح بذلك فيقوم أدابا برفض تناول الطعام .

وربما كان (تموز وگيزيدا) سبباً في ذلك لأنهما أدركا أن أدابا يريد أن ينضّم اليهما ويكون الهاً حارساً معهما لأبواب السماء .

هذه التفسيرات كلها تلقي الضوء على فشل أول مغامرة بشرية في نيل الخلود وهي ، على أية حال ، تمثل سعي الإنسان الدائم للحياة الخالدة .

المراجع : ١- المراجع السابقة .

2- Jeremias, A.: **The old Testament in the light of the ancient East** 1911:83.

- من هما هذان الإلهان اللذان اختفيا من على الأرض؟

- تموز وكيزيدا .

وعندئذ نظر أحدهما إلى الاخر وابتسما وحين مثل (آدابا) أمام (آنو) الرب اقترب ، فراه (آنو) ثم قال :

- تعال الآن يا (آدابا) وقل لماذا كسرت جناح ريح الجنوب .

- مولاي . . من أجل عائلة سيدي ، كنت أصطاد السمك في وسط البحر . البحر كان صافياً كالمرآة لكن ريح الجنوب عصفت بي ، واغرقتني ، جعلتني أغوص إلى موطن الأسماك ، ومن حقدي عليها لعنتها فكسرت جناحها .

ابتهج (تموز) لكلامه والتمس (كيزيدا) كلمة طيبة من (آنو) فاطمأن قلب (آدابا) ، لكن (آنو) أدرك أنه تعلم الكثير من أسرار الآلهة وأن كلمته اصبحت نافذةً قويةً وقال :

- احضروا خبز الحياة حتى يأكل
واحضروا ماء الحياة حتى يشرب
واحضروا حلّة الخلود حتى يلبس
واحضروا له الزيت حتى يدهن جسمه .

فاحضروا الخبز والماء والحلة والزيت لكن (آدابا) لم ياكل ولم يشرب ولم يلبس ولم يدهن جسمه ، فضحك منه (آنو) وقال له :

- تعـال الآن يا (آدابا) لماذا لم تأكل ولم تشرب ولم تلبس ولم تدهن جسدك؟
- إن إيا ، يا سيدي ، هو الذي أمرني وقال لي لا تاكل ولا تشـرب ولا تلبس ولا تدهن جسمك .
- آه منك أيها الإنسان العنيد ، لن تكون لك الحياة الازلية ، لن تمنح الخلود ، خذوه عني وعودوا به إلى ارضه .

كاهن برداء سمكي

إنتقال الملوكية

حكم ثمانية ملوك قبل الطوفان في خمس مدن وكان تاسعهم في مدينة شروباك والذي دارت حوله قصة الطوفان .

أسمته الألواح السومرية (زيوسدرا) وكان اسمه هذا يعني (الطويل العمر) ، وصار اسمه البابلي (اوتونابشتم) أو (شمش نابشتم) أي (الذي أعطاه اله الشمس الحياة) وقد حكم هؤلاء الملوك لأكثر من ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الزمان) وهو رقم مبالغ

وانتقلت الملوكية بأمر (آنو) من (أريدو) إلى (بادتبيرا) ثم إلى (لرك) ثم إلى (سبار) التي حكم فيها الملك (اينميدر - أنا) واحدا وعشرون الف عام واراد (آنو) منحه الخلود عندما أستدعاه إلى حضرة الآلهة ليسلمه أسرار فن كهانه الفأل والعرافة (بارو) حيث أسرار السماء والأرض هدية له على طاعته وحكمته

فيه ظهر بهذا العدد من السنوات أما لأن السنة كانت تعني عندهم يومـاً أو لأنهم لا يملكون لهـذا الزمن الطويل إلاّ هؤلاء الملوك فأصاب كلّ واحد منهم هذا العدد الكبير من السنوات .

المرجع : علي ، فاضل عبد الواحد : **الطوفان ١٩٧٥.**

فتسلمها وعلمها إلى إبنه ولكنه لم يصبح خالداً كالآلهة .

عقاب المرض

لنتـوقف أولاً عند اسم (أتراحـاسس) الذي يعني (الفـائق الحكمـة) أو (الفـائق الإحـسـاس) وهو اوتونابشتم الذي صار في التوارة (نوح) وتعني كلمة نوح بالعبرية (راحة ، استراحة) وتقابلها بالأوغاريتية (ن و خ) ، وتعني أيضـاً (يستـريح) ، كـمـا أن كلمة (أناخـو) الأكـدية تعني : يتـعب ، يكدح ، يجـهـد ، يغضب ، يغني ، يئن ؛ والكلمة موجودة في السريانية أيضاً وأناخ الجمل بالعربية أبركه .

ونرى أن كلمـة (نوح) جاءت من كلمـة (نفس) التي هي جزء من كلمـة (اوتوناشـتم) أو (أوتانفـشـتي) أو Uta - Napishti ومعناها (وجدت حياتي) حيث كلمة (نفش) تعني حياة أو (نفس) ، اي راحة أو عمر أو حياة ، والى اليوم نقول أخذ نفساً أي ارتاح . وهو ما يتفق مع معناها العبري .

وقد آثرنا هنا عرض (مأساة اتراحاسس) التي تبدأ من تسليط الأمراض على قومه وبيته ، وفي ذلك صدىً لفكرة المؤمن المعذب وامتحانه ثم إنقاذه .

المراجع :

١- المرجع السابق .

أنتـقلت الألوهيـة إلى (شـروباك) التي حكم فيها الملك (أوبار ـ توتو) الذي كان قد أنجب ابنه (أتراحاسس) الذي أصبح حكيماً وحاور الإله (إيا) واراد أن يخلص البشر من مصـيـر الفـقـر والغنى ، الذي أصبح أشد حكمة كلما تقادمت الايام ، الرجل الذي يتسلم الملوكية ولكنه حظي باحـتـرام الآلهـة كلهم وجـعلوه رسـول كلمـتهم العليا إلى البشر والذي امتحنته الآلهـة بالصـبـر ومـا زالت تمتحنه حـتى يصبح جديراً بالقدر الذي كتبته عليه ، في زمنه كـثـر الناس وزادت حـركـتـهم ، لقد توسعت البـلاد وتكاثرت الحيوانات وأصبحت البلاد تخور مثل الثور فانزعج الإله (آنو) من ضـجـيـجـهـم وقـد سـمـع الآلهـة الآخـرون ذلك فـخـاطبـهم (آنو) قائلاً :

ـ لقـد أصبح صخب البـشـر شـديداً وقد حرمني ضجيجهم النوم ، فلترفع الآلهة

٢- الشوك ، علي : الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ١٩٨٧ :١٠٣.

(ننكارك) يدها عن الامراض ولتفتك بهم حتى يقل ضجيجهم وليتولَ اله المصائر (نمتار) مهمة إزالتهم من على الأرض لتفتك بهم كالاعصار .. الأمراض والأوجاع والأوبئة والأرواح الخبيثة .

فوافقت الآلهة على ذلك وأمرت به فكانت الأوبئة تحصد الناس وكان (نمتار) يجمع الحصاد حتى انتشرت رائحة الموت في المدينة وطارت شياطين فوق بيوت كل الناس ، الناس يتساقطون مثل الأرواق اليابسة .

موت الأبناء والزوجات

تعتبر الملحمة الاسطورة التي يمكن أن نسميها (ملحمة أتراحاسس) أول ملحمة بشرية كبيرة تشير الى أقدم الأزمان (منذ الخليقة وحتى الطوفان) وتسمى هذه الملحمة من قبل البابلين أنفسهم (حينما الإله مثل الانسان) أي (اينوما إيلو أويلوم) . وقد قام الناسخ البابلي كسف آيه (Kasap - Aya) أو نور آية (Nur - Aya) ومعنى اسمه (نور الشمس) ، قام بجمعها ونسخها وعرضها كملحمة كبيرة (وهي ملحمة لأن الإنسان بطلها ، ولو كان بطلها إله لأسميناها أسطورة) ويمكننا تقسيم مراحل هذه الملحمة كما يلي :

١- قبل خلق الإنسان وتمرد الآلهة .

طرق الموت بيت أتراحاسس فأخذ منه ولده ، لقد مات ابنه فندبهُ وبكى عليه ومسحه بالزيت ووضعه في الناووس وتلى عليه رقية صد اللصوص والشياطين ثم ادار الناووس باتجاه الإله شمش وختمه ثم وضعه في القبر الذي ضمَّ الأواني والطعام ثم اهال التراب عليه وقدم القرابين السماوية لآلهة الأنوناكي والايجيجي والهة العالم الاسفل . ندبته القنوات واجابتها السواقي . اتشحت الاشجار بالسواد عليه وبكته البساتين ، أرسل أتراحاسس ابنه إلى الموضع

٢- خلق الإنسان من الصلصال ودم ا لإله .

٣- تكاثر البشر وضجيج الإنسان .

٤- ضجر إنليل وإطلاق البلاء الأول : الوباء .

٥- ظهور أتراحاسس وتدخله واستجابة إنكي وعبادة نمتار .

٦- تكاثر البشر من جديد وتوسع البلاد .

٧- البلاء الثاني : الجفاف والمجاعة .

٨- تدخل أتراحاسس واستجابة أدد .

٩- ضجر إنليل واقتراح مشروع الطوفان .

١٠- تدخل إنكي واتفاقه مع أتراحاسيس .

١١- صناعة السفينة .

١٢- الطوفان (البلاء الثالث) .

وحقيقة الأمر اننا عرضنا لهذه المراحل منذ بدء الفصل الثاني ، وقد وصلنا الى الفقرة الخامسة ، ولكننا وسعّنا هذه الفقرة بتفاصيل عن الوباء وكيف أنه نال بيت أتراحاسيس نفسه واستفدنا من مجموعة من الأساطير والقصص الخاصة بحصول الأمراض .

وجعلنا من أتراحاسيس هنا خلاصةً لعذاب المؤمن الحكيم العادل الصابرالذي رأيناه مع بشرٍ آخرين .

البعيد ، الابن الذي ذهب إلى الموضع البعيد ولم تهمل وصايا الأيام السالفة ، لقد مرض الأب الذي مكث في المدينة المنكوبة . إن المتألق الجميل لا وجود له فيها لا وجود له الا في الجبال النائية وأصبح الأب مريضاً ، الذي كان قدسيّ النطق اصبح مريضاً ، من كان حكيم النطق الزاهي في (شروباك) اصبح مريضاً ، من كان رجل الصدق اصبح مريضاً ، الخاشع للالهة لم يعد يأكل لم يعد يذق طعاماً بفمه المطبق ورقد جائعاً مثل لوح من الطين ، المختار من الآلهة لم يحرك قدمه من مرضه ، كان ذاويا من العويل على ولده ، أنه متألم القلب مأخوذ بالعويل . ذرف الدموع ورمى نفسه في الوحل وأنشد عليه من قلبه الملتهب فاضَ بالرثاء (يا بني أيها العزيز الغالي أمك تدور حولك كالعاصفة أندفعت نحوك وفقدت صوابها ، اطلقت صرخة ألم كما لو كانت في المخاض مزقت ثيابها وأخذت تئن كالبقرة اطلقت صرخة ألم وذرفت الدمع السخي وغطت بهاء ما هو صحيح ، بالظلام الذي يختزن الحزن يلمسك القلب وهو مغمور بالهم . كاهنة المعبد القت نفسها في الوحل ومثل اله حزين جعرت ، إن صياحاتها المتألمة غبار في وسط الرواق جعلت

الناس المنتشرين ينثرون حبوبا وماء . كاهنة مزقت ثوبها ارباً ولاجلك طرف ثوبكِ ضمته ، واليوم كلما نشرب الماء او نأكلُ العسل والزبدة نملأ المائدة بالزيت لك ، الدموع التي ذرفوها من اجلك تستحق الرثاء والحداد عليك حداد قلب صاف ، مثل القمح الذابل نحن بدونكٍ) .

امتحنت الآلهة صبر أتراحاسس وارسلت الموت لابنه جعلته يبكي وجعلت النساء يبكين على ابنه وهن يدرن الرحى لكن أتراحاسس لم يجدف ، ولم يكفر بالآلهة ، وظل صابراً على ما فعلته . ودام المرض وضرب المدينة بقسوة فماتت زوجته . يوم الشؤم على الزوجة على السيدة الجميلة الزوجة العطوف ، العين الشريرة وقعت على العصفور وعلى عشهِ وقعت الشبكة ، الأم الولود الأم التي فجعت بابنها وقعت في الفخ على حين غفلة ، البقرة الصغيرة الزاهية ، البقرة الوحشية المخصبة سقطت محطمة مثل الإناء وهي التي لم تقل ابداً (أنني مريضة) ولم تقلق ، وهي التي لم تدس الموضع المقدس ، اطلق الناس عليها الصرخات وغمرهم العطف على نهاية حياتها القاهرة . تألموا لتمددها كتمثال ذهبي فمن الذي ينظر اليها ولا يتملكه

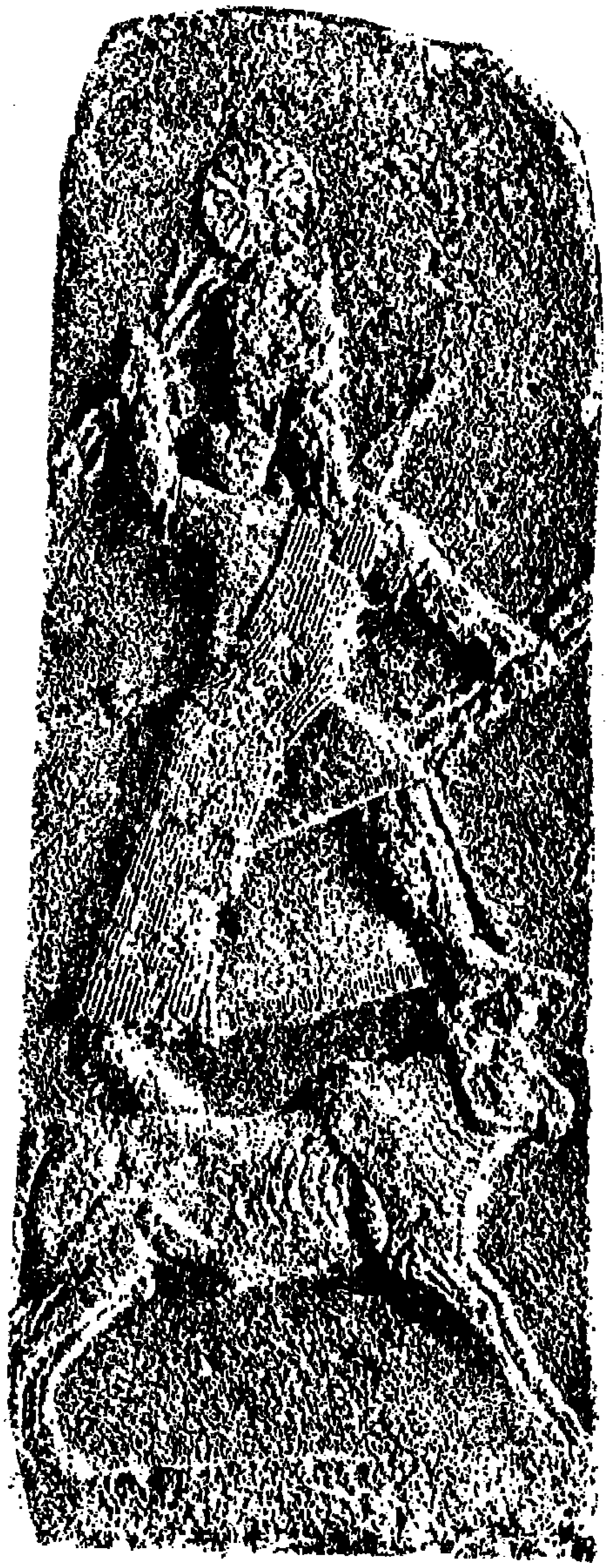

الإله أدد (من آلهة العقاب)

كان الإله أدد (في الغالب) إلهاً للعقاب والغضب الإلهي . وكان صوته المدوي في السماء إنذاراً للناس بالعقاب والدمار ، أما الإله (شمش) فقد غلبت عليه صفة العدالة ، ولم يظهر كإله غاضب مدمر ، وكان الناس يلجأون اليه باعتباره صاحب ميزان العدالة ، وهو الذي يدير حركة الشمس بحكمة والشمس تعبر عن العدالة لأنها ضد الظلام الذي يرمز للخطيئة والانحراف والجريمة .

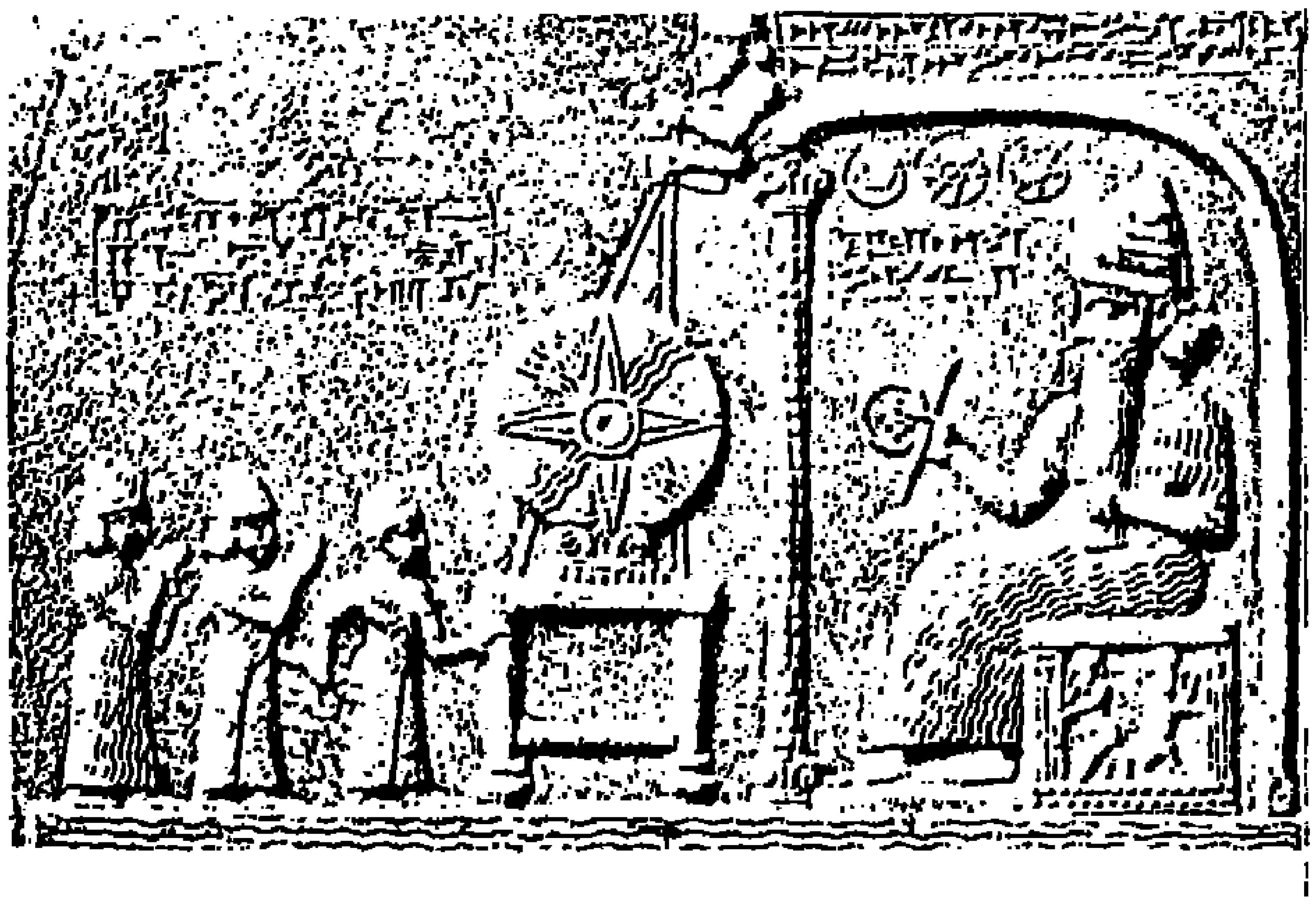

الإله شمش إله العدالة والشمس

الحزن؟ النساء الباكيات رددنَ أروع ترانيم الشعراء ذات الكلمات العذبة والتي أطلقت في كل مكان ندبا ورثاءً لأن إيامها في حضن زوجها لم تطل ، لم ينقطع البكاء لأنها كانت تؤدي ما عليها من شعائر ، الأحجار ضربها المرض الأشجار بكت ، النور في مدينتها من العلى لم يزدد ، زوجها أتراحاسس في (شروباك) دنا منها بقلب جريح واسدلها في الموضع المظلم لكنهم اخذوا يده وقلوبهم حزينة ، بالامس مات ولم يرتدِ ثياباً ، إنه يتألم ويندبها (اواه اين أنتَ الان إنني انعيك . اين الآلهة ميمي الآن والروح الفاتنة! أنني أنعيكِ . أين الفم العطوف الآن الفم الساحر ، الفم الكريم! أنني أنعيكِ . اين سلاحي البهي الآن ، أنني أنعيكَ ، اين أنتِ الآن اشراقتي البهية! أنني أنعيك ، اينَ الاغاني العذبة التي تبهج القلبَ الآن ، أنني أنعيكَ ، اين بيتي الزاهي بكِ ، إنني أنعيكِ ، اين رقصي رقص اليد المرفوعة والمرح! أنني أنعيكِ عسى أن لا يمحى ذكراك في الحياة وعسى أن نذكر اسمك في الإيام القادمة وعسى خطيئة عائلتك تمحى وعسى ديونك توفى ، عسى زوجك يبقى طيباً وعساه يفعل الخير ككل رجل ، عسى عائلتك تتقدم للأمام وعسى يكون

وكان الأذى ينشب من ظهور الكائنات الشريرة في العالم والتي تخرج من العالم الأسفل وتهدد نواميس العالم الأعلى وتهجم على الناس وتسبب لهم الآلام .

كائن شرير

مستقبلها زاهراً ،عسى شمش يجلب لك النور من العالم الاسفل وهو الذي يرعاك ،عسى الآلهة تنكراك أن تطلق كلمة لأجلك ، عساها أن ترفع عالياً لأن الريح العاتية قد هبت ضدك . عسى أن يرجعها الأفق وعسى اللعنة القاسية أن تطلق على الشيطأن الذي مد يده ضدك . ولأنك الزوجة العطوف قد تمددت مشرقة كالنور ادعو أن يرحمك الآلهة) .

ودفن ناووسها في الأرض ، ووضع معه الأواني والأطعمة وذبحَ لها القرابين ووضع على قبرها شاهدة كتب عليها (على الدوام بمرور الازمان في الإيام القابلة ، عسى من يرى هذا القبر أن لا يخربه بل يعيده إلى ما كان عليه ، عسى من يرى هذه الكتابة أن لا يزدريها بل يقول سأعيد هذا القبر إلى ما كان عليه حتى يجزى خيرا على فعله فيعلي اسمه على الأرض وتسقى روحهُ بالماء النقي في العالم الاسفل) كان قبرها مجاوراً لولدها الذي كتب عليه (ايا من تكون حاكما أو قاضيا أم أميراً على البلاد لا ترتكب إثماً بحق هذا القبر والعظام الموجودة فيه بل احفظ موضعه وانشر عليه حمايتك الطيبة ليطيل الإله مدة حكمك ويرعاك بحمايته عساه أن يحفظ

ذريتك ويهبك الحياة الطويلة ، فاذا قمت بارتكاب الاثم بحقه ، فعسى أن يمحو الإله اسمك وذريتك ووارثيك من أحاديث الناس ، وعسى أن يقصر الإله عمرك ، وعسى أن يبيح الإله نرجال حياتك للطاعون والكوارث وسفك الدماء .

صبر أتراحاسس

خسر الإنسان الصابر عائلته وتوالت عليه ضربات الأذى والموت . وكان الموت ينفذ من الكائنات الشريرة التي كانت إلهة الشفاء (گولا) تتصدى لها ، وكان الكهنة يستعينون بها لطرد الأرواح الشريرة من العالم .

ودع أتراحاسس زوجته وابنه ، وبقي وحيداً حائراً يرثي نفسهُ ويرثي الناس الذين يدأو يتناقصون . وكبرت المقابر وترنح الناس تحت وطأة ضربات الموت وينذرون لـ (كولا) الهة الشفاء نذوراً ويقرأون لها التعاويذ والرقى . ويذبحون للالهة القرابين . وكأن الناس يرددون الرقى لطرد الأرواح الشريرة (يا أرواح عائلتي يا أرواح أبي وأمي وأجدادي وأخي وأختي وكل أهلي وأقربائي ، طالما أنتِ مستقرة في العالم الاسفل أقدم اليكِ قرابين الجنائز وأسكب لكِ الماء وابذل العناية لكِ وابجلكِ ، قفي الآن أمام شمش واعرضي قضيتي واحصلي على قرار رأفة بحقي ، ليتسلّم نمتار الروح الشريرة التي في جسدي وأعضائي

وليحرسها (ننكشزيدا) منادي العالم الاسفل حراسة قرية وليمنعها (نيدو) رئيس يوابي العالم الاسفل من العود ثانية خذي هذه الروح إلى ارض اللاعودة ودعيني أنا خادمك حياً مرفهاً لأتطهر باسمك في المناسك ، ساقدم الماء البارد ليشربك فامنحيني الحياة بمديحك) لكن الأرواح الشريرة كانت تتكاثر وتُشاهد مع الأرواح الموتى التي تكاثرت أيضاً كانت أرواح الموتى تمسك بالأحياء وتجرها معها فنصح الحكماء الناس وقالوا لهم (اذا ظهر شبح احد الموتى لشخص وإذا عرفه هذا الشخص أو لم يعرفه فلاجل إبعاد هذا الشبح إصنع دميةً تشبه الميت وضعها فوق فراش المريض وفي اليوم الثالث تكنس الأرض في الظهيرة أمام شمش ، وترش بالماء النقي ، ويقام مذبح صغير ، توضع فوقه كمية من التمر وتنثر كمية من الطحين ثم تشعل مبخرة فيها عصير شجرة السرو وتسكب جعةً من النوع الجيد وبعد ذلك تلعن الدمية (شمش انك دليل هذا الميت في العالم السفلي وفي العالم العلوي وهو مرعب قبيح المنظر بغيض ومخيف ليلاً ، إنني أتوسل واطلب أن تجعله مكاني ، بحياة شمش ليبعد عني) وتكرر هذه الصيغة ثلاث مرات ثم تدفن الدمية في ظلال

كائن شرير

كانت طقوس (الفوهو) أو البديل تجري كواحدة من طرف الشفاء ، وكانت هذه الطقوس تعتمد على أساس سحري واسطوري . حيث يراد انتقال المرض الى دمية أو حيوان يذبح أو يهيء لهذا الغرض .

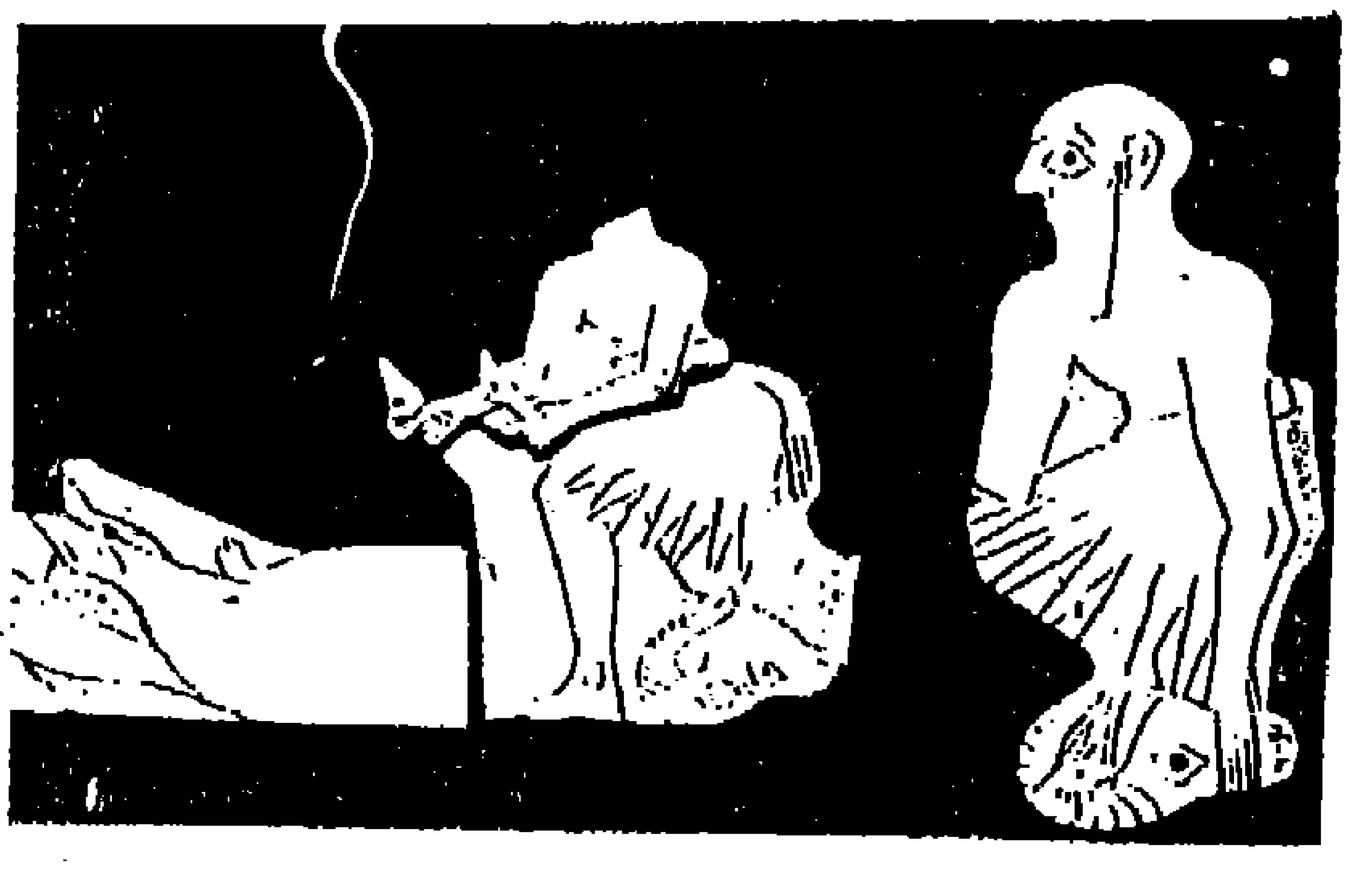

طقوس دينية من ماري

شجرة سدر ذات أشواك . ففعل الناس ما أمرهم به الحكماء فانهزمت ارواح الموتى ، لكن (غمتار) ما زال يختطف أرواحاً جديدة فدخل أتراحاسس معبد الإله (إيا) وصلى له وقال :

ـ من هو الذي لم يرتكب خطيئة؟ إن البشر مهما كانت مراكزهم يرتكبون الخطيئة ، إنني خادمك قد أخطأت مرة وجدفت بالآلهة ولكني لم أعد لذلك الإثم ، ولم أعد أنطق بالشر لم آكل من الطعام الخاص بالآلهة ، ولم أنتهك المحرمات وارتكبت الشر ، ولم اوجه رغبتي نحو ممتلكاتك الواسعة ، لم يتجه طمعي إلى فضتك الثمينة ، ولم اترك يدي تلمس ما لا يمكن لمسه ولم أتطاول بفورة قلبي على قدسيتك ، ولم أرتكب المعصية المعلنة والمكتومة ولم اقترف المخازي ، يا الهي لقد اخذت مني زوجتي ورلدي وجعلت الناس في مدينتي يئنون من المرض فهل كان هذا كافياً ، عسى أن يهـ.أ قلبك وعسى أن تغفر وتسامح وتسأل الآلهة كذلك ، ليكن عطفك الذي عودتني عليه رحمة حقاً ، كانت أخطائي كثيرة ، آه . . حل وثاقي ومضاعفة هي سيئاتي سبع مرات ، لكن عسى أن يهدأ قلبك فالفناء والمرض والدمار والخرائب حلت بي والقلق أوهن

همتي والغضب المتفجر نصيبي ، لقد حلّت بي نقمة كل الآلهة وحنق كل الناس علي إنني أعيش أيام الألم وأشهر الحزن وسني الخيبة ويحيق بي الخراب والاضطراب والهيجان . لقد جعلت الموت والبؤس نهايتي ، إن حاجتي ترهقني ومذلتي تعذبني إلى بيتي وبوابتي وحقولي تدفق الألم وطالما ادار الهي وجهه إلى مكان اخر ، تلاشت قواي وانكسرت همتي وعنفواني لكني اتيت اليك مبتهلاً أن تمحي لعنتي ولعنة شعبي وأن تمحي إساءتي وذنبي وشري وخطيئتي .

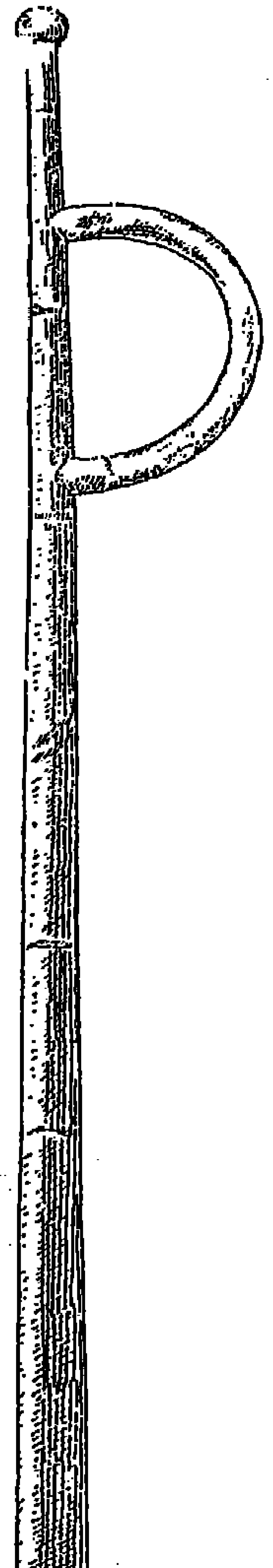

رمز بوابة المعبد والعبادة

عبادة نمتار

تعتبر عبادة نمتار هنا وجهاً من أوجه عبادة الشيطان لتلافي غضبه ، وليس حباً في تقديسه . ورغم أن نمتار لا يمثل الشيطان بالمعنى الدقيق الاّ أنه يشير له . فهو أحد آلهة العالم الأسفل وهو وزير إله والهة الموت . ويوصف بأنه إله الطاعون . ولا يضطر الناس لعبادته أو التبرك به الاّ لصد شروره ، وتقديم الأضاحي له لكي يقوم بالكفّ عن قتل الناس .

و (نمتار) أسم سومري يعني (الشيء الذي يقتطع) ويعني أيضاً (القدر - النصيب) ، وصاحب هذا الإسم هو الإله الذي يجسد قدر الإنسان ونصيبه في الحياة ، ويقوم بدور سفير إلهة الموت أريشكيگال ، وهو وفق نصوص تعاويذ عفاريت اوتوكو الشريرة ابن الإله (إنليل) والإلهة (إريشكيگال) وزوجته هي (خوش بيشا) في الرواية السومرية و (نمتارو) في الرواية الأكدية وهي مؤنث نمتار وتصوره الأساطير الآشورية كأنه عفريت يستل سيفه بيد ، ويقبض شعر رأس أحد ضحاياه باليد الأخرى .

المرجع :

١- اذزارد وجماعته : قاموس الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ١٣٤.

أفاق (إيا) من رقدته ونظر طويلا بعيونه اللماعة الذكية وقال :

- اسمع أيها الشيخ الجليل ، أنني احبك وابجلك من بين الناس ، عبادي البشر ،فاذا كنت راغبا بازالة اللعنة عنهم فاجمع شيوخ المدينة وتدبروا امر بناء معبد الإله (نمتار) وابعث المنادين ليأمروا الناس عن تقديس وعبادة الآلهة الاخرى وأن يكرسوا جل اهتمامهم إلى الإله (نمتار) مقدّر المصائر وصانعها فيقصدون بابه ويقدمون له بسخاء هديةً من دقيق وأرغفة محمصة .

كان الإله إيا يعلم أن الإله نمتار سوف تخجله الهدية فيرفع يده عن الناس . ونفذ الشيخ أوامر إيا فجمع شيوخ المدينة واخبرهم بما يتوجب عليهم وأصغى الشيوخ إلى كلامه فبنوا معبداً للاله نمتار في المدينة وأمروا المنادين فنادوا وصاحوا عالياً في البلاد فلم يرهب الناس الههم ، ولم يصلوا الى الهتهم ولكنهم قصدوا باب الإله (نمتار) وجلبوا امامه الارغفة المحمصة كما كان تقديم الدقيق سراً له فاخجلته الهدية ورفع يده ، وهكذا تركهم الوباء وهبطت ننكارك تداوي الناس وتسهر عليهم .

زال المرض عن الناس وتوارى ، وطابت الحياة لهم فتكاثروا وازداد عددهم فكثر ضجيجهم وسمع آنو أصواتهم ليل نهار فغضب ، وقال للالهة (ازداد عدد البشر ثانية ولا بد من إحلال الجفاف والمجاعة لتناقص عددهم) . فاصدر آنو أوامره إلى الإله ادد اله الرعد وقال له بأن يحبس المطر في جيبه ، واصدر آنو اوامره إلى إيا اله العمق وقال له بأن يمنع تدفق الماء من سراديبه ، واصدر آنو اوامره إلى نصابا الهة الحنطة وقال لها بأن تمنع فيض ثدييها ، وأمر الريح أن تهب وتلفح وجه الأرض ، وتتلبد الغيوم دون أن تنهمر قطرة من المطر .

مشهد أدد

كان الإله (إشكور) السومري إلهاً ثانوياً الاّ أنه اتخذ مكانة عالية تحت اسم أدد في الفترة البابلية وحظي بلقب إبن آنو ، ويظهر أدد على الاختام الاسطوانية للعصر البابلي القديم محاطاً برموزه الصاعقة والثور وأحياناً الأسد والتنين ، وينسب الى أدد إغراق الحقول وتخريب المحاصيل ، وتبرز صفة أدد كصانع للرعد بوضوح ساطع في كل مراحل أدب بلاد الرافدين ، ففي اسطورة الخليقة نجده يملأ السماء وهديره يحوم فوق الأرض . غير أن رعده كان ينطوي غالباً على الدمار إضافة الى أنه كان يرمز الى صفته الحربية ،

حلّ القحط والجفاف على الأرض ، وأنحبس المطر ولم تتدفق المياه الجوفية وماتت المحاصيل فجاع الناس وهلكوا من الجوع ، كانوا يتساقطون مثل الأوراق الصفراء من الشجرة التي لم تسق ماءً دهوراً ، وكان الناس يجفون ويسقطون على الأرض دون أن ينهضوا ثانية ورأى الشيخ ذلك كله فاعتصر الالم قلبه وشكى له الناس حالهم فذهب إلى معبد إيا وصلّى هناك وقال له :

وفي ملحمة الطوفان يجلجل أدد في وسط غيمة سوداء ويستحيل كل نور الى ظلمة ، ولعل هيئة ومناخ السهل الرسوبي في جنوب العراق المعتمد على الري هو وراء عدم شعبية أدد في النصوص الدينية كإله خصب نافع وتصوير جوانبه المخربة وملاحظتها بشكل ملموس في الفيضانات المدمرة والرياح العاتية خاصة وان كثيراً من النصوص الدينية تستند الى أصول جنوبية سومرية .

ولكن أدد أخذ شعبية أكبر في بلاد آشور حيث الزراعة البعلية المعتمدة على المطر فاصبح إلهاً للخصب والمطر ، وقد أدت سمات أدد المدمرة بحجبه للأمطار تارةً أو كشفه عن غضبه على شكل عواصف مدمرة وفيضانات رهيبة طوراً ، ظهور قدرة الطبيعة وعمق أثرها في حياة البشر . وقد كانت رموزه تعتمد على شكل الصاعقة التي تطورت من العصر السومري الى البابلي ثم صارت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد الصاعقة المثبتة على ظهر الثور . ثم الصاعقة لوحدها وكأنها رحم .

المراجع : حداد ، حسني ود . سليم مجاعص : بعل هداد ١٩٩٣ : ٩-١١٠

ـ الاترى عبادك يا إيا لقد تساقطوا مثل أوراق يابسة وأنت تتفرج عليهم ، لقد منعت نفسك الماء عنهم وقد ذهب منهم خلق كثير ، فكُفّ عنهم هذا الموت وادركهم .

فقام إيا من رقاده واجاب الشيخ :

ـ اجمع شيوخ المدينة وابنوا معبداً للاله ادد وادعوا الناس بأن لا يعبدوا الهاً غيرهُ وقدموا له الدقيق والارغفة المحمصة .

فقام الشيخ وجمع شيوخ المدينة ونفذوا ما امر به إيا ، فاخجلت الإله ادد الهدإيا فرفع يده عن الناس وأنزل الطل في الصباح والندى خلسةً في الليل فأنتجت الحقول والبذور خلسة وفاضت زرعاً ومحاصيل فنهض آنو صباحاً ووجد أن الحقول قد اخضرّت والمياه قد عادت وأن الحياة عادت خصبة قوية فادرك أن أحد الآلهة يفسد عليه خططهُ في إبادة الناس ولذلك قرر أن يفرض المجاعة عليهم ست سنوات أخرى ، فامر في السنة الاولى الإله (إيا) بأن يقفل مزلاج البحر وعارضته سويةً مع أخشابه وأعشابه وكائناته وأمر أدد في عليائه أن ينث مطراً نزيراً وفي الأرض أمر بغلق الأنهار وايقاف تدفق الفيضان ، فشحت غلّة الحقول ومنعت الإلهة (نصابا) فيض ثدييها فاصبحت الحقول السوداء بيضاء وأنتجت الحقول الواسعة ملحاً وانكمش

رحم الأرض ، فلم تظهر البقول ولم تصعد سيقان الحبوب ، ونزلت الأرواح الخبيثة على الأرض وأخذت تفتش عن الناس وتخطفهم ، أما أرحام النساء فأصبحت ضامرة ولم تلد مولوداً ، وحين حلت السنة الثانية أصبحوا يعانون من الحكّة ، وعندما حلّت السنة الثالثة تشوهت ملامح الناس بفعل الجوع وعندما حلّت السنة الرابعة أصبحت سيقان الناس الطويلة قصيرة واصبحت اكتافهم الواسعة منكمشة وأصبحوا يسيرون محدودبن في الشوارع ، وعندما حلّت السنة الخامسة أصبحت الإبنة تراقب الأم وهي تدخل البيت غير أن الأم ما كانت لتفتح بابها إلى ابنتها تخلصاً منها وكانت الابنة تراقب ميزان الام عند بيعها وكانت الام تراقب ميزان الابنة عند بيعها ، وعندما حلّت السنة السادسة اتخذوا من الابنة غداءً لهم ، واتخذوا من الابن عشاءً لهم وكانوا لا يشبعون ابداً حتى غطت وجوههم غشاوة كالنبت المصفر وكان الناس أحياءً ولكن على حافة الموت يترنحون ، كانت الامراض تطرق ابوابهم فيفتحونها وتريد الدخول فيحاولون اغلاق الابواب في وجوهها الاّ إنهم لا يقوون على ذلك فتدخل الأمراض بيوتهم ثم تنام في أجسادهم وتسعد .

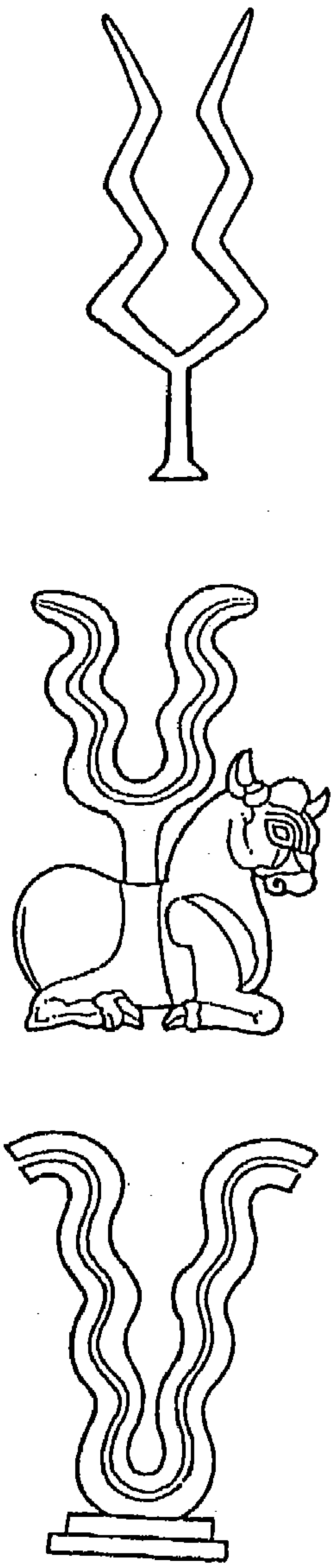

رموز الإله (أدد) في العصر البابلي القديم
والقرن الثاني عشر ق .م والقرن التاسع ق .م
رسم : علي محمد آل تاجر

عقاب الطوفان

لا شك أن ملحمة الطوفان سومرية الأصل وقد وسعّت الرواية البابلية للطوفان تفاصيل هذه الرواية، ونقلتها التوراة بصياغة جديدة.

وهناك ما يشير الى حصول الطوفان في جنوب العراق في حدود ٣٢٠٠ ق.م، حيث فاض نهرا دجلة والفرات بسبب سقوط وابل هائل من الامطار في جبال أرمينيا فغمر الطوفان عدة قرى سومرية تزيد مساحتها على أربعين ألف ميل بعمق ثمانية أقدام من الغرين استناداً الى السير ليونارد وولي في كتابة أور الكلدانيين ولم تسلم من الدمار سوى بضع مدن مشيدة بالآجر.

وقد أشار يوسفوس نقلاً عن بيروسوس وسواه الى آثار حطام السفينة في أرارات (جبل الجودي قرب بحيرة وان)، وذكر بيروسوس أن الأكراد من أبناء المنطقة ما يزالون – أي حتى زمانه – يقتطعون القطع من قار السفينة لاستعمالهم الشخصي (؟) ويزعم فريق من الأميركان أنهم عثروا هنا على جذامات خشبية شبه متحجرة يرقى تاريخها الى ما يقرب 1500ق.م ويطلق المؤرخ الأرمني موسى خورينه على هذا المكان المقدس اسم ناخيذ شوان (أي مكان النشوء الأول).

وتؤكد التوراة صراحة على الأسباب الأخلاقية وراء قرار دمار الإنسان فالأرض قد فسدت وامتلأت بالعنف والشر. أما النص البابلي فيعطي تلميحاً بالأسباب الاخلاقية حيث نجد أيا في آخر النص يخاطب إنليل قائلاً: «حمل المذنب ذنبه والآثم

ذهب الناس إلى أتراحاسس واسع الحكمة والفهم وشكوا له حالهم وطلبوا منه أن يدعو ربه (إيا) لكي يزيل عنهم المجاعة والظلم ففعل ذلك أتراحاسس ولأن (إيا) هو الذي خلق الإنسان واحبه فانه اجاب طلب أتراحاسس ورفع مزلاج البحر العميق وعارضته فتدفق الماء إلى الأرض وروى الحقول وازدهرت الحياة على الأرض فاغاض تصرف (إيا) هذا الإله (آنو) والهة الأنوناكي فقال (آنو):

- إن (إيا) كان يرفع النير دائماً عن الإنسان ويقيم الحرية ويطلق الرخاء للناس وانه برغم الاوامر التي صدرت بسد عوارض مياه العمق الاّ أن (إيا) اطلقها ودفق الماء إلى الأرض وانهى عقاب المجاعة.

فقال (إيا) مدافعاً عن نفسه:

- لقد كسر مزلاج البحر العميق بسبب تراكم الاسماك فيه وقتل الماء المتدفق حرّاس البحر.

فهب الإله إنليل وقال لإيا مناكداً:

- واذا كنت حقاً مخلصاً لاوامر (آنو) فاقسم معنا على ما ستصدره شفتاه من اوامر.

ففتح (آنو) فمه وقال:

- لابد من فناء البشر جميعاً واذا لم تنفع

إثمه . . إمهله كي لا يفنى ولا تهمله كيلا يفسد» وهذا يدل بوضوح على أن غرض إنليل الاساسي من الطوفان كان القضاء على الشرور والآثام فدمر الجميع دون تمييز بين الصالح والطالح ،لكن ملحمة أتراحاسيس تطرح سبباً غريباً للطوفان يذكرنا بالسبب الأساسي للصراع بين الآلهة في اسطورة التكوين فإنليل يشعر بالإنزعاج من صخب البشر وضوضائهم فيقرر إفناءهم بعد أن أعيته الحيل في التقليل من عددهم . ولكنه بعمله هذا يناقض العلة الرئيسية لخلق البشر ، الا وهي حمل عبء الكدح عن الآلهة فهل كان يخطط لخلق جديد يعقب الطوفان؟

المراجع :

١- الشوك ، علي : الأساطير ١٩٨٧ : ١٠٢,

٢- السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى ١٩٩٦ : ١٦١ - ١٨٦٠

معهم الاوبئة والمجاعة فلابد من الماء يا (إيا) ، لابد من اغراقهم جميعاً بطوفأن عظيم يحل على الأرض ويفني كل البشر .

أقسم الإله (آنو) على ذلك ثم اقسم الإله إنليل واقسم معه ابناؤه وأنتظروا أن يقسم إيا على ذلك فقال لهم :

ـ لماذا تريدون ربطي بقسم مثل هذا وكيف يمكن أن أنال شعبي بسوء بيدي هاتين ، فالطوفان الذي تامروني به ما هو؟ إني لا اعرفه ، وكيف يمكن أن آتي أنا بالطوفان وذلك من شأن الإله إنليل ، فليختر هو من يشاء من الآلهة وليسر (شولات) و (خانش) الإلهان النذيران في المقدمة وليقتلع نرجال اوتار المرسى وليذهب ننورتا ويجعل السدود تفيض حزن إيا لأن شعبهُ الذي خلقهُ سيباد وهو الآن تحت أعين آلهة الأنوناكي لا يستطيع أن يفشي قرارات الآلهة السرية إلى البشر عبيد الآلهة فقرر أن يفعل شيئاً حسناً .

وذات ليلة كان أتراحاسس نائماً وظهر له إيا في حلمه وخاطبهُ وقال له (حذار يا أتراحاسس ، المياه . . المياه ستحطم كل شئ فانتبه لذلك وخلص الإنسان بسلطان ، حذار . . حُذار) وفزع أتراحاسس .

سفينة أتراحاسس

لو أننـا حلّلنا ملحمـة الطوفان تحليـلاً رمزياً لخرجنا بنتائج مـدهشـة حقاً ، ولو اكتفينا بتحليل بسيط لها لدرجناها ضمن أساطير الشعوب القديمة دون أ امتياز لها .

إن اسطورة أو ملحمة الطوفان مثقلةٌ بالمعاني الرمزية . . (كما يرى ذلك مرسيا الياد) وان جوهر اسبابها يكمن في ذنوب البشر وفي عجز العالم ، أي أن الكون الحي ينتج ويفسـد تدريجيـاً وينتـهي الى التلف وهذا هو السبب الذي من أجله يجب عودة الخلق . وبعبـارة أخرى أن الطوفان يحقق على المقياس الكوني الكبير Macro cosmic ما ينجز رمزياً أثناء عيد السنة الجديدة : نهاية العالم ، وبشرية آثمة . لتتاح امكانية خلق جديدة .

بإن الطوفـان يمثل عـوداً أبدياً من مـرحلة الكون الى مـرحلة العـمـاء المائي ثانيـة ثم من هذه المرحلة الى الكون والتكوين ثانيةً ويستعاد هذا العود الأبدي في أعياد رأس السنة البابلية (الأكيتو) .

ثم ان السـفينة المكعبـة التي ستحمل بذرة الحيـاة ستكون وسط أمواج البحر الهائجة مثل شكل المندالا (المركز والمحيط) حيث تجسدُ أيضاً فكرة رمزيةً عميقةً .

ويمثل عودة الجنس البشري الى طين من جديد نوعاً من العـود الأبدي ، فـقـد خلق الإنسـان من الطين بإشراف الآلهة وها هو يعود الى الطين بإشراف الآلهة أيضاً وهذا أيضاً نوع من العود الأبدي .

لقـد أسـمت الاسطورة السـومرية سـفينة الطوفـان بـ

نهض أترحاسس من حلمه خائفاً وذهب في اليوم التالي الى معبد (ايا) وسأله عن حلم البارحـة فـقـال ايا ذو العين اللامعة :

ـ قـد قلت مـاذا عليّ ان افعل ، فـعليك الانتباه الى الخبر الذي ساقوله لك ، يا جدار استمع اليّ يا جدار القصب انتبه الى كلماتي ، هدم بيتا وابنِ سفينة ، انبذ المال وانقذ النفس واحمل في السـفينة بذرة كل المخلوقـات الحـيّـة ، ابنِ سـفـينة كـبـيـرة وليكن بناؤها كليـا من القـصب واجعلها سفينة (ماكور اوكر) واسمها منقذة الحياة اضبط مقاييسها واجعل عرضها مساوياً لطولها واحكم غلقها مثل غلق الابسو .

ـ لقد فهمت قصدكَ يا سيدي ، ان ما امرت به الان سأتشـرف بانجازه ولكني يا سيدي لم ابنِ سفينة من قبل ابداً فارسم لي صورة على الارض حتى ارى الصورة وابني السفينة .

فرسم الاله الصورة على الارض ، وبعد سبعة ايام من العمل المتواصل استطاع أتراحـاسس ان يبني السـفـينة فكانت مساحة قاعدتها (اريكو) واحداً وكان ارتفاع كل جدار فيها مائة وعشرون ذراعاً

(ماجور) أي السفينة العملاقة . أما النص الأكدي لجلجامش والذي وصف الطوفان في ألواحة الأخيرة فأسماها (إيليبو) التي تعني مجرد سفينة أو مركب ، ولكنه يصفها في أماكن متفرقة على أنها (الهيكل العظيم) بينما لا يستعمل سفر التكوين سوى كلمة واحدة (يتبا) التي تعني بالعبرية (الصندوق أو التابوت) .

وتحتوي سفينة أتوناشتم على سبعة طوابق وتنقسم عمودياً الى تسعة أقدام ، ولا نعرف اثناء بنائها ما إذا قد جعل لها نوافذ وفتحات وأبواب . ولكننا نقرأ بعد انتهاء الطوفان أن أوتوناشتم قد فتح نافذة فسقط النور منها على وجهه . أما سفينة نوح فتحتوي على ثلاثة طوابق وتتألف من عدد غير محدود من الأقسام . ولها باب في جانبها وفتحة للنور تحت السقف مباشرة تدور حول السفينة من كل الجوانب . وبينما ينفرد أوناشتم باستعمال الزيت عندما قام بنقع مصدات المياه بوزنة واحدة وخزن الوزنتين الباقيتين ، فإنه يتفق مع نوح على استعمال القار الذي طلي به السفينة ولكنهما يعودان للإختلاف بشأن الشكل الخارجي والأبعاد .

المراجع :

١- الياد ، مرسيا : تاريخ المعتقدات والافكار الدينية ١٩٨٦ : ٠٨٧.

٢- السواح ، فراس : مغامرة العقل الاولى ١٩٩٦ : ٠١٨٨

وطول كل من جانب سطحها مائة وعشرين ذراعاً ، هكذا حددت ابعادها وهيكلها ، وجعل فيها ستة فواصل وبهذا انقسمت الى سبعة طوابق ثم قُسّمت أرضيتها الى سبعة طوابق وتسعة أقسام وغرزت فيها مسامير الخشب لمنع الماء ثم وضع فيها أتراحاسس المؤن وسكب ستة (سارات) من القير في الكور ، وسكب ايضاً ثلاث سارات من الزفت وجاء حملة السلال بثلاث سارات من الزيت ، واستنفذ سار واحد من الزيت في جسد السفينة وسارين اثنين من الزيت اختزنهما الملاّح ، وبعد ان انتهى أتراحاسس من بناء السفينة امرهُ ايا قائلاً :

- ترقب الوقت المحدد الذي سوف أخبرك عنه ثم ادخل السفينة واغلق بابها ، احمل فيها شعيرك وأمتعتك وأموالك وزوجتك وصاحبكَ وقريبكَ والعمال الماهرين ، واني سارسل اليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي يأكل العشب في السهل والطيور السماوية المجنحة واحمل في السفينة بذرة من كل المخلوقات الحية .

أرسل أتراحاسس عائلته على ظهر السفينة فأكلوا وشربوا ، أما هو فقد كان يدخل ويخرج ولم يستطع أن يجلس وان

يستقر ، لقد كان مكسور القلب يفيض فمه مرارة وحرقة ، وحين أتم كل شئ فتح إيا الساعة المائية (مالتاكتو) وملأها واعلن له عن مجيء الطوفان في الليلة السابعة وبدأ الرعد يشق عنان السماء فقد صرخ أدد في الغيوم ، فلما سمع اتراحاسس صوت أدد جيء له بالقير ليسد بابه ويسلم الذمة الى الملاّح (بوزور أموري) . وبعد ان زلّج الباب كان الاله أدد يرعد في الغيوم واصبحت الريح عاتية فارخى الحبال وانطلقت السفينة مع التيار ومزق الاله الطائر (زو) السماء بمخالبه وحطم ضجيجها مثل الاناء وبدأ الطوفان وكان في شدته على الناس كالحرب الضروس ولم يعد بامكان الاخ أن يرى أخاه ولم يعد بالامكان التمييز بينهم لهول الدمار وكان الطوفان يخور كالثور والأعاصير تعصف مثل نهيق حمار الوحش ، وكان الظلام حالكاً بعد أن اختفت الشمس وشاع الدمار في كل مكان حتى ان الالهة نفسها تراجعت مذعورة . وعند أول إطلالة الفجر ظهرت في الافق سحابة سوداء وكان الإله أدد ينفخ فيها بينما كان (شولات) و(خانش) يسيران في مقدمتها وعندئذ اقتلع الاله نرجال دعائم سد المياه السفلى ، وأنطلق الإله ننورتا ليجعل المياه تطغي من فوق

السـدود ، ورفع الانوناكي المشـاعل فـاضـاءت بنورها الأرض ، ولما وصل الرعب من الاله ادد الى عنان السـماء تحطمت الارض الواسعة مثلما يتحطم الاناء .

تحوّل البشر إلى طين

روى برعوشا (بيرسوس) وهو كاهن بابلي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد رواية أخرى عن الطوفان ونشرت هذه الرواية في كتاب له عن بابل عام ٢٧٥ق.م ولكن هذا الكتاب ضاع ، وظهرت من مقتبسات في اعمال الكاتب الكسندر بوليستر في القرن الأول قبل الميلاد جاء فيها أنه بعد موت الملك أرديتس تولى إبنه (أكسوثروس) الحكم الذي وقع الطوفان في زمنه ، فقد تجلى له ذات ليلة الإله (كرونوس) وهو يقابل الإله البابلي (إيا) وأنبأه في الحلم أنه سيقوم في ١٥/ تموز بأهلاك الحياة على الأرض بواسطة طوفان مدمر لا يبقي على شيء . وأمره أن يكتب على ألواح بداية كل شيء وتطوره ونهايته أي الحفاظ على منجزات الحضارة لكي لا تضيع ، وأن يطمر هذه الألواح في مدينة (سيبار) مدينة إله الشمس ، وأمره أن يبني سفينة ويقلع فيها مع عائلته وأقربائه ، وأن يخزن فيها الماء والطعام ويحمل اليها الحيوانات الحية من الطيور والحيوانات الدابّة ، وإذا سئل الى أين يبغي الذهاب عليه أن يقول «الى الآلهة لأصلي لها عسى أن تكون رفيقةً بالبشر»

استحال كل نور الى ظلمة وظلت ريح الجنوب تهبُّ يوماً كاملاً وتزايدت سرعتها وهي تهب حتى غطت الجبال وفتكت بالناس مثل حربٍ ضروس ، فلم يستطع الأخ أن يرى اخاه ولم يكن بالمستطاع تمييز الناس من السماء حتى أن الآلهة ذعروا لهول الطوفان فاخذوا يتراجعون الى خلف حتى وصلوا الى سماء الاله (آنو) . واستكان الالهة وكأنهم كلابٌ تربض بمحاذاة الجدار واستمر الطوفان سبعة ايام وسبع ليالٍ حتى هلكَ كل من على الارض وكانَ الموتى يملأون النهر وكأنهم فراشات وقد تحاشدوا كالاكلاك عند حافة الانهار . . اصبحوا يملأون البحر وكأنهم صغار السمك ، لقد رجع البشر الى أصلهم وتحوّلوا جميعاً الى طين . كان الاله (ايا) يراقب ذلك ويتفجر غيضاً وحنقاً وهو يرى أبناءه البشر يتساقطون أمامه ، أما

ففعل الملك ذلك وبنى سفينة .
وصار الطوفان وأرسل الملك الطيور ورست السفينة على جبل ، ونزل الملك من السفينة مع زوجته وابنته وملاح السفينة فرفعتهم الآلهة الى السماء ، واخبرهم صوت من السماء ان مكانهم هذا في أرمينيا وعليهم العودة الى بابل واستعادة الألواح من (سبار) ، فقدم الناس الأضاحي الى الآلهة وعادوا الى سبار وأخرجوا الألواح وبنوا بابل من جديد ومعها مدن وهياكل ومعابد أخرى .

المرجع : السواح ، فراس : مغامرة العقل الاولى ١٩٩٦ : ١٧٩ - ١٨٠.

(ننتو) السيدة العظيمة فقد غطت شفتيها آثار الحمى وكان الآلهة العظام الأنوناكي قابعين عطشى وجوعى ، وحالما رأت الإلهة (ننتو) ذلك بكت ثم قالت (ليت النهار اسوّدَ وليته رجع إلى أصله حالكاً اذ كيف رضيت لنفسي أن آمر معهم في مجلس الآلهة بدمار شامل ، أما اكتفى انليل بما نفذ من اوامر شريرة ومثل (تيروري) نطقَ بشر مقيت ولأني استمعت اليهم فجلبت الضر الى نفسي ، واصبحت ذريتي التي ولدتها تتساقط كالذباب ، اما انا فقد بحّ صوتي من البكاء كالساكنة في بيت النواح ، هل ارتقي الى السماء كما لو كنت ساكنةً في بيت الكنوز؟ هل ارتقي الى حيث ذهب (آنو) الذي استجاب لابنائه المقدسين سرّه؟ الى الذي لم يكترث فجاء الطوفان والذي اسلم الناس الى الدمار .

كانت الالهة (ننتو) تنوح ، ماذا جرى؟ البشر يملأون النهر كأنهم فراشات وقد تحاشدوا على حافة النهر كأنهم أكلاك ، رأتهم وبكت عليهم ، اجل ، لقد بكت فنفّست عن الحزن الذي في قلبها وناحت حتى استنفدت عواطفها ، وبكى الالهة معها من أجل الأرض ، لقد شبعت (ننتو) حزناً فظمأت الى الشراب ،

وحيثما جلست جلسَ الالهة باكين
فملأوا أحواض السقي وكأنهم أغنام
وكانت شفاههم محمومة من العطش ،
وكانوا يتضورون من الجوع ، تذمرت
الإلهة عشتار مع (ننتو) وقالت (واأسفاه
لقد تحولت الأيام السالفة كلها الى طين
لأنني أمرت بما أمر به الآلهة فكانت حرباً
مدمرة على شعبي ، واأسفاه هؤلاء الناس
أحبتي) .

بشرى الطير

عندما حلّ اليوم السابع خفت حدة الريح الجنوبية المكسورة الجناح ، ثم هدأ البحر وسكنت العواصف وانتهى الطوفان واستقرت السفينة منقذة الحياة ، وتَطَلّع أتراحاسس من السفينة الى البحر فسقط النور على وجهه ، وألف السكون يخيم في كل مكان وان البشر جميعاً تحولوا إلى طين ، من الطين خُلقوا والى الطين عادوا ، فسجد اتراحاسس وجلس باكياً والدموع تجري على وجهه وتطلع إلى سواحل البحر الواسع فبانت الارض من مسافة اثني عشر سيلاً مضاعفاً واستقرت السفينة على جبل (نصّار) ومضت ستة أيام وجبل (نصّار) ممسك بالسفينة لا يدعها تتحرك . وفي اليوم

الطيور الثلاثة التي أطلقها اتراحاسس صارت عند نوح غراباً وحماية ، فقد بدأ نوح بالغراب الذي يهوى المرتفعات دون السفوح والسهول ، ولذلك فإن غيابه لا يدل على انحسار الماء عن جميع الأرض . . ثم أنه أرسل الحمامة ذلك الطائر الذي لا يطير الاّ في السهول والمنخفضات . فحامت الحمامة ثم عادت ، فانتظر سبعة أيام أطلق بعدها الحمامة الثانية فطارت وعادت في المساء ، وفي منقارها غصن زيتون طري ويبدو أنها وجدت مكاناً تهبط فيه وطعاماً فانتظر سبعة أيام آخر واطلق الحمامة الثالثة فطارت ولم تعد . مما دلّ نهائياً على أن السهول قد غدت جافة كما المرتفعات . وهكذا تتفق الروايتان في إرسال الطيور ، ولكنها تختلف في نوعيتها وعددها . فبينما أرسل أتوناشتم حمامة وسنونواً وغراباً ، يقوم نوح بإرسال غراب وثلاث حمامات . ونستطيع أن نلمح

تشابهاً من حيث المغزى بين عودة حمامة نوح وفي منقارها غصن زيتون ، وعودة طيور اكسوتروس وعلى مخالبها آثار من طين .

المرجع : المرجع السابق : ١٩٢ .

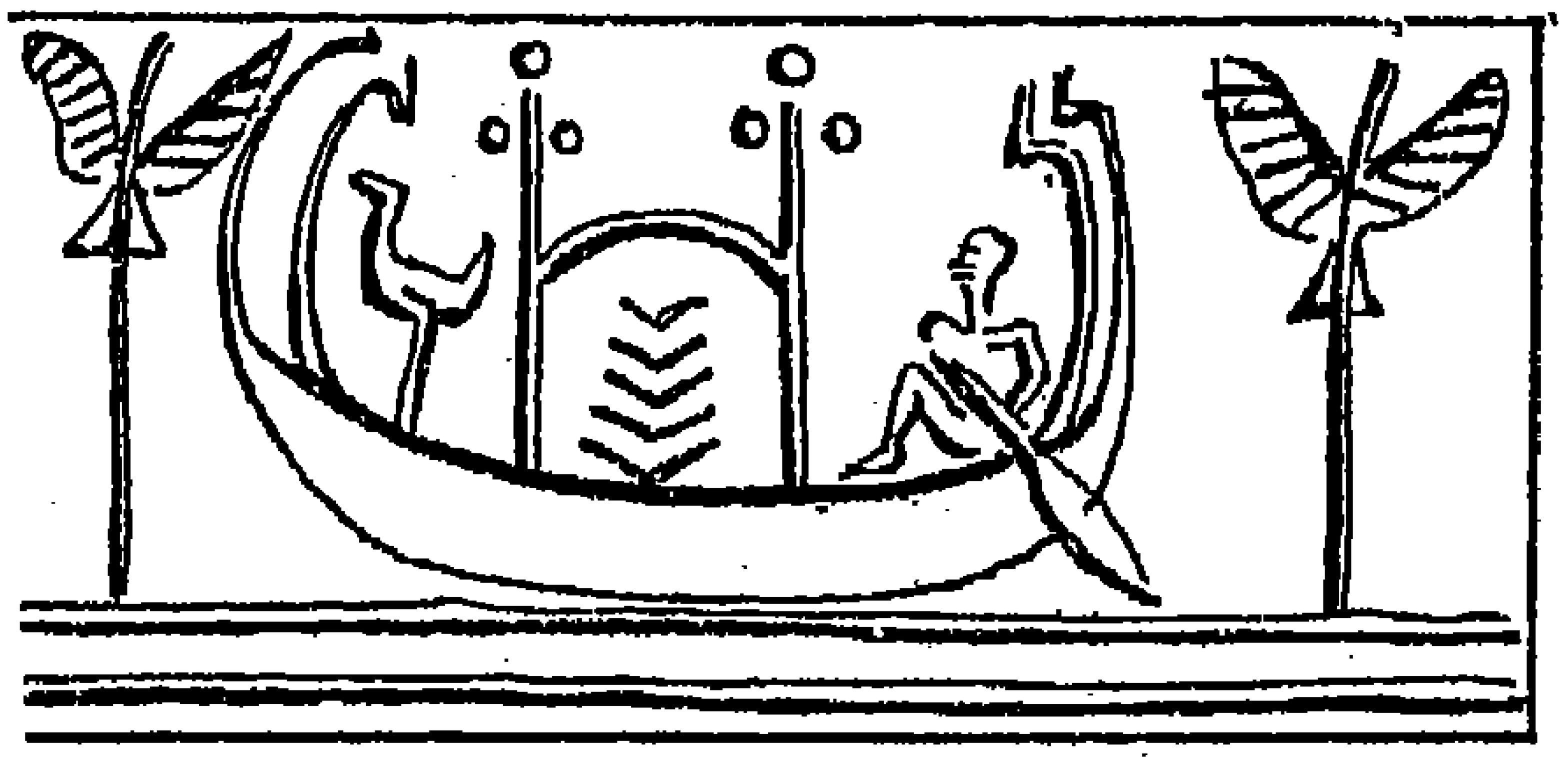

سفينة تحمل حيوانات ونباتات
وهناك طائران حولها

السابع اخرج أتراحاسس حمامة واطلقها ، فراحت الحمامة ولكنها لم تلبث أن عادت لانها لم تجد موطناً لها . وعندئذ اخرج السنونو واطلقهُ وراح السنونوٍ ولكنه لم يلبث أن رجع لانه لم يجد موطناً له . ومن ثم اخرج الغراب ثم اطلقه وراح الغراب ولكنه لم يرجع لأنه رأى المياه انحسرت فأكل وحام ونعق . عند ذاك خرجَ اوتونابشتم من السفينة بعد أربعة عشر يوماً من دخوله اليها فسكب الماء المقدس على قمة جبل (نصّار) . ونصب سبعة وسبعة قدور من الطعام قربانا للآلهة وكدس أسفلها القصب وخشب الارز والآس وفاحت رائحتها فشمها الآلهة وتجمعوا حول قدور القربان كالذباب ولما حضرت الالهة عشتار قالت :

- الى اين ذهب (آنو) كبير الآلهة ، هل حضر إنليل الى البخور والقرابين؟ انهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان وسلطا على الناس الدمار والهلاك الشامل والآن غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة .

ثم أمسكت بالذباب الكبير الذي حولها وقالت :

- ان حزنه حزني والآن قرر مصيري ليخلصني من هذا الحزن وليكن هذا الذباب احجار اللازورد التي في

جيدي ، انتم ايها الالهة الحاضرون ، كما انني لا انسى عقد اللازورد هذا الذي في جيدي ، سأظل أتذكر هذه الايام ولن انساها أبداً . اما إنليل فحذار ان يقترب من القرابين لانه لم يترو فاحدث الطوفان ، وأسلم أناسي الى الهلاك .

أتراحاسس تحوّلَ إلى أتونابشتم الخالد

رغم ان ملحمة گلگامش تسرد في لوحها الحادي عشر قصة أوتونابشتم وتسمّيه منذ البداية بهذا الإسم ، الاّ أن اسم أتراحاسس يرد أيضاً . ويمكننا القول أن الآلهة اطلقت اسم أوتونابشتم على أتراحاسس بعد أن منحته حياة خالدة ، وفي معنى الاسمين ما يشير الى ذلك فأتراحاسس (فائق الحكمة) يدل على حكمة هذا البطل .

وأتوناشتم (وجدت حياتي أو الذي أدرك الحياة) تدل على الحياة الخالدة . ولذلك نرجّح أن الآلهة هي التي حولّت اسمه مع منحه الخلود وسنلتقي بأوتو نابشتم عندما نسرد ملحمة جلجامش في الفصل القادم .

ولما جاء انليل وابصر السفينة غضب على الالهة الأيجيجي وقال :

ـ عجباً كيف نجت نفس واحدة وكان مقدراً ان لا ينجو احد!

ففتح الاله (ننتورا) فمه وقال مخاطبا انليل البطل :

ـ من ذا الذي يستطيع أن يدبر هذا الامر غير ايا ، اجل ان إيا هو الذي يعرف خفايا الامور .

عند ذاك فتح إيا فمه مخاطبا انليل البطل :

ايها البطل ، انتَ أحكم الالهة ، فكيف لم تترو فاحدثت الطوفان ، حمِّل المخطئ وزر خطيئتهُ وحمِّل المعتدي اثم اعتدائه ولكن ارحم لئلا يهلك وتشدد لئلا يمعن في الشر . ولو انك بدلاً من إحداثك الطوفان سلطت الذئاب فقللت من عدد

الناس ، وبدلاً من الطوفان لو انك احللت القحط في البلاد وبدلاً من الطوفان لو ان (ايرا) فتكَ بالناس ، اما انا فلم افش سر الالهة العظام ولكني جعلت (أتراحاسس) يرى رؤيا فادرك سر الالهة والآن تدبر امره وقرر مصيره .

صعد إنليل فوق السفينة وأمسك بيد أتراحاسس وجعل زوجته تصعد معه ووقف بينهما ولمس رأسيهما وباركهما قائلاً :

ـ لم يكن (أتراحاسس) قبل الآن سوى بشر ، ولنمنحه الخلود هو وزوجته فيكونا مثلما نحن الالهة ، وسيعيشان بعيدا في دلمون الارض التي لا يصلها المرض ولا الشيخوخة ، الارض البيضاء النقية ، سيعيشان عند فم الانهار

وحلَّ اتونابشتم في أرض دلمون ، وبقي حياً خالداً إلى الأبد مثل الالهة .

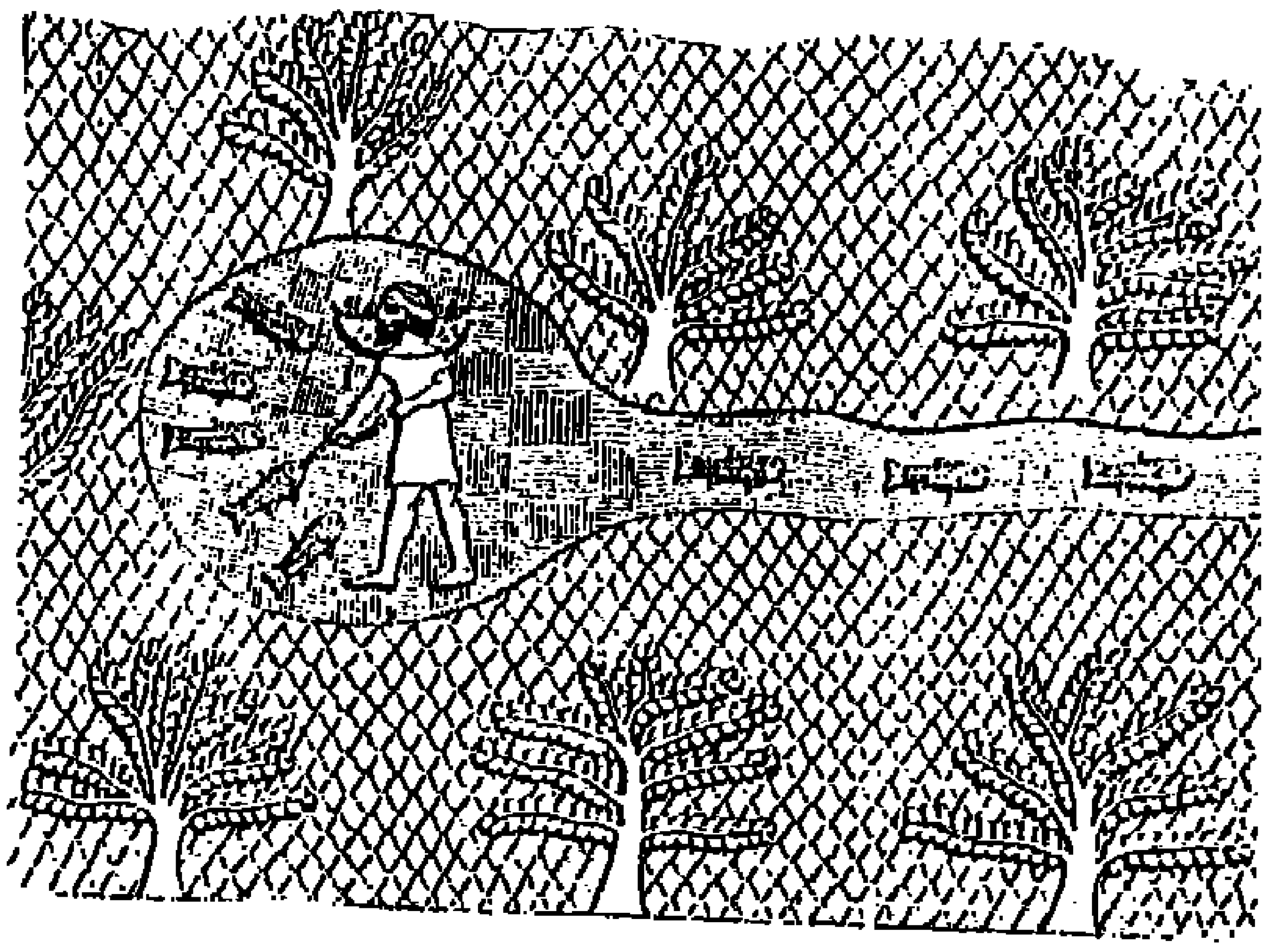

رجلٌ عند نهرٍ ويحيط به فردوس من النباتات

نصوص الملوك

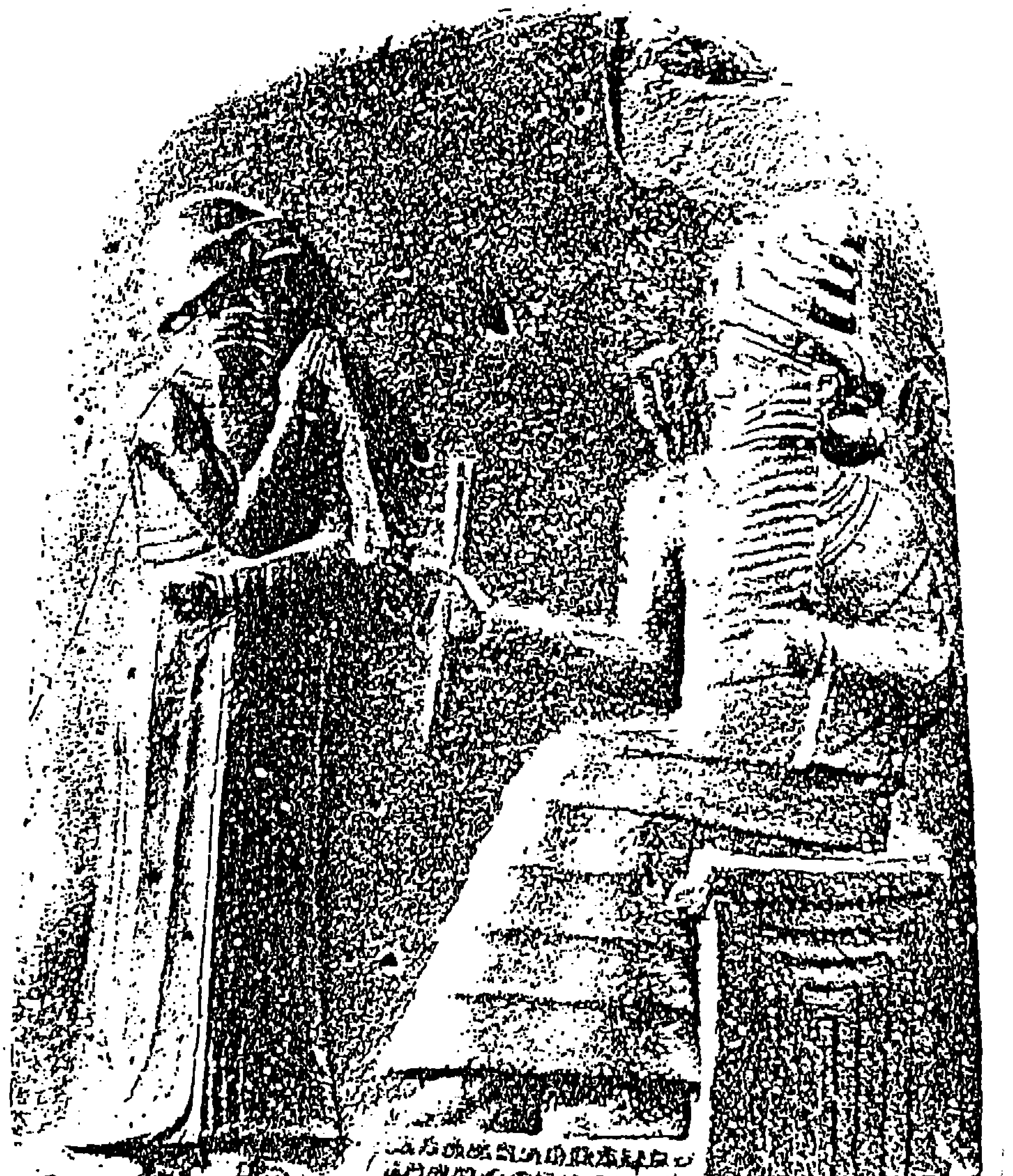

هبطت الملوكية من السماء ثانية

تعتبرُ قصة إيتانا من قصص البحث عن الخلود ، ولكنه هنا خلود النسل وليس خلود الحياة فإيتانا العقيم يبحث عن نبتة الإنجاب وليس عن نبتة الخلود مثل جلجامش وليس عن نبتة الخلود مثل جلجامش ، وسيجدها في السماء وليس في دلمون .

وهي أيضاً من القصص القليلة التي تتحدث عن صعود الإنسان الى السماء فقد سبق الى ذلك الحكيم آدابا . وربما الملك أتميدر أنا .

وتبدأ الحكاية بقصة حيوانين هما الثعبان والنسر حيث تلازما في الحكايات الشعبية القديمة .. وظهورهما في مقدمة هذه الحكاية إشارة لتلازم رمزين أحدهما سماوي (النسر) والآخر أرضي (الثعبان) وهو ما يشير إلى الأرض والسماء وامكانية اللقاء بينهما من خلال صعود كائن أراضي هو إيتانا الى السماء .

المراجع :

1- Speiser, E.A: Etana, ANET 1969 :114.

2- Grayson, A.K. Etana - Additions, ANET. 1969:517.

بعد الطوفان . . .

هبطت الملوكية ثانية في كيش ، وحكم فيها ثلاثة وعشرون ملكاً كان من بينهم (إيتانا) الراعي الذي خرج الى السماء ووطد جميع البلاد ، وقد حكم الفاً وخمسمائة وستون عاماً ، وحكم قبله اثنا عشر ملكاً ، وفي عصرهُ كان الاله شمش اله العدالة هو الذي يحكم البلاد بأنفاسه وفي عصره كان النسر يكره الثعبان ولكنهما بفضل شمش تابا وعقدا عهداً بينهما وأديا القسم أمام شمش قائلين :

ـ من يتعدى حدود الإله شمش عسى يصيبه بالشر على يد الجلاّد ، من يتعدى حدود الإله شمش عسى تسد الجبال ممراتها في وجهه ، وعسى أن تصيبه السهام في الصميم ، وعسى أن يطيح به ويمسكه الفخ وكذلك لعنة شمش .

وبعد أن أديا القسم ونهضا وذهبا الى الجبل واصبحا صديقين فعندما يصطاد النسر ثور الوحش كان الثعبان يأتي ليأكل ثم ينصرف لتأكل صغاره ، وعندما يصطاد الثعبان عنز الجبل كان النسر يأتي ليأكل ثم ينصرف لتأكل صغاره . فالحمد لشمش الذي يحاسب المجرمين

والعصاة ويطرد الإثم إلى العالم الاسفل ويرفع المنكوب من نهر خبر، يا من تنهال ضربات سلاحك على الشرير ولا يمكن لأحد إنقاذه، فأبوه لايهب لنجدته وحين يحكم عليه القاضي فإن إخوته لا ينصرونه وفاجأ بقيد نحاسي يقيده، إنك تحطم مخالب الوغد الماكر وتقوض اسمه، إنك تلقي بالقاضي الأهوج في غياهب السجون والذي قبل الرشوة واضلّ العدالة وتوقع العقوبة والذي لم يقبل الرشوة فأرضاك تطيل عمره .

النسر والثعبان

مر زمن طويل كبر خلاله صغار النسر، فنهضت روح الشر في النسر ودبر مكيدة في قلبه ثم راح يفكر في التهام صغار الثعبان وعندئذ فتح النسر فاه وقال مخاطباً صغارهُ :

ـ إنني سوف آكل صغار الثعبان وسوف لا يستطيع الثعبان أن يمسكني لأني سوف أصعد الى السماء لأقيم هناك ولا أنزل الا على قمم الاشجار لآكل الثمار .

فقال النسر الصغير لأبيه :

ـ إياك يا أبتاه أن تاكلهم ، فشرك شمش سوف يمسكك، وان فخ ولعنة شمش تطيح بك وتمسكك، ومن يتعدى حدود الاله شمش فسيصيبه بالشر على يد الجلاد .

يظهر الإله شمش هنا كإله للعدالة ورغم صلته الرمزية بالنسر الاّ أنه يقف ضده لأنه ارتكب الأذى ضد النسر .

كان الإله شمش الإله القومي للأكديين وكانت الاختام الاكدية تصوره صاعداً من خلف الجبال حاملاً أشعة الشمس على ظهره وواضعاً رجله اليمنى فوق جبل .

وكانت أماكن عبادته في (زيبار) شمال وادي الرافدين و (لارسا) جنوبه ، وعبد في (آشور) مع أبيه الإله (إله القمر) .

لم يستمع الأب النسر الى كلمات ابنه فنزل والتهم صغار الثعبان ولما عاد الثعبان إلى حجره ولم يجد صغارهُ ففتش عنهم في كل مكان ولكن دون جدوى وعندئذ استبد به الحزن والاسى وسالت من عينيه الدموع فذهب باكياً إلى الإله شمش وقال له :

ـ لقد وضعت ثقتي بك أيها الإله شمش فانا من جانبي بادلت النسر حسن النية وخشيت القسم باسمك واحترمته ، ان عشه لم يصب بسوء ولكن هاهو عشي تناثر وصغاره عاشت بسلام بينما صغاري ليس لهم وجود ، لقد نزل وأكل أبنائي ، أنت تعلم يا شمش مقدار ما الحقهُ بي من ضرر فعسى أن لا ينجو النسر من شركك .

غضب الإله شمش حين سمع هذا الكلام وقرر الانتقام للثعبان وقال له :

ـ خذ الطريق واصعد الى الجبل وسوف تجدني قد ربطت لك ثور الوحش هناك ، افتح جوفهُ وشُقَ كرشهُ واتخذ من كرشه مقراً لكَ فطيور السماء على اختلافها ستأكل من لحمه وسوف ينزل النسر ليأكل اللحم معهم ، وطالما انه لا يعرف شيئاً عن مصيره السيء فانه سوف يمضي في البحث عن طازج اللحم متلمساً طريقهُ الى الجوف ، وعندما يصل الى

جوفه إمسك جناحيهِ وحطمهما وامسك قوادمه وحطمهما ، وكذلك مخالبه وانتف ريشهُ والقهِ في حفرةٍ ، ثم دعه يموت ميتة الجوع والعطش .

ففعل الثعبان ما أمرهُ بهِ شمش حتى إذا ما وصل إلى جوف حمار الوحش وهجم الثعبان عليهِ وامسكَ بجناحيهِ وقال له غاضباً :

ـ ألست الذي دخل عشي وخربهُ؟ الست الذي دخل الى عشي وخربهُ؟ .

وادرك النسر أنه في الشرك وأن عقاب شمش قد وقع عليه فتوسلّ الثعبان وقال :

ـ إرحمني! إرحمني! سوف اعطيكَ هديةً للزواج تليقُ بعريس .

ـ إن اطلقت سراحك فماذا سأقولُ للاله شمش في الاعالي وعقوبته سوف تردُ اليّ .

هجم الثعبان على النسر وحطم جناحيه وقوادمهُ ومخالبه والقاه في الحفرة فاستغاث النسر بالاله شمش وطلبَ الرحمة والخلاص منه ، لكن اله العدل أحزنه ما قام به النسر ثم رق قلبهُ ووعدهُ بأن يرسل له من يخلصهُ .

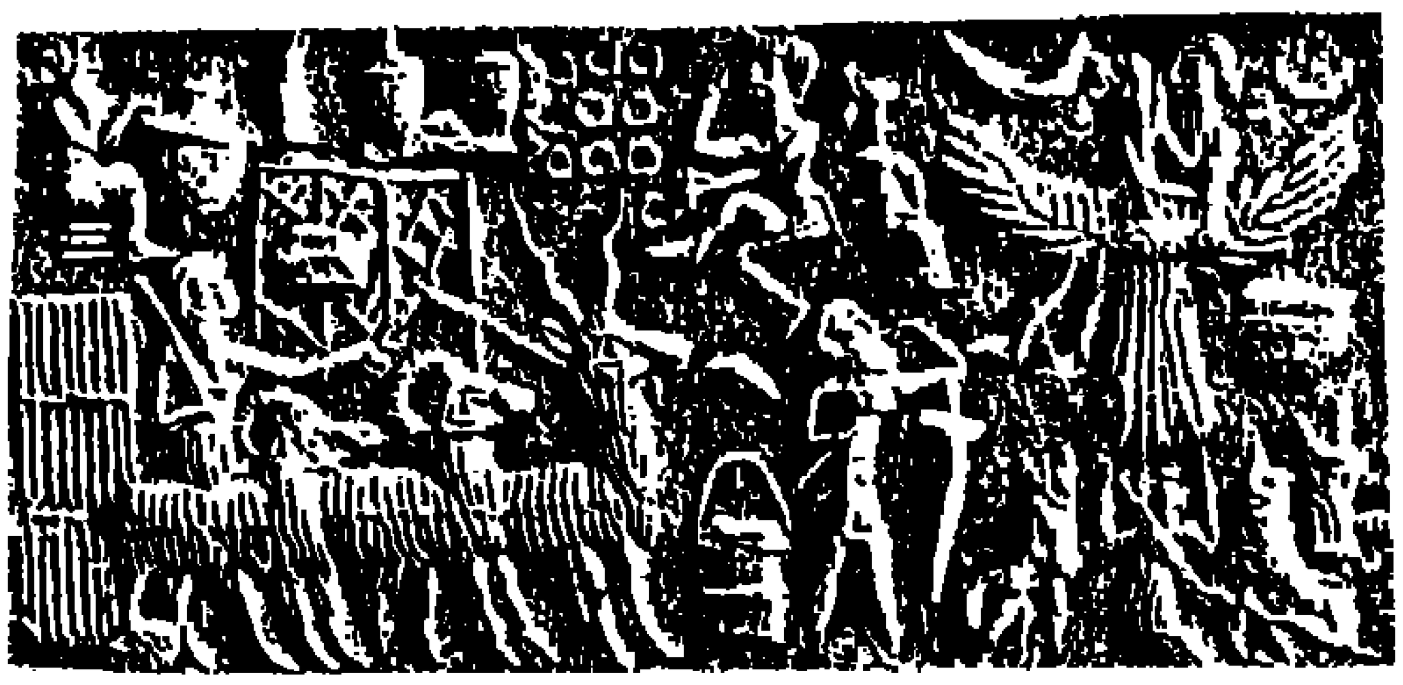

صعود إيتانا إلى السماء على ظهر النسر

ايتانا يصعد إلى السماء

تمثل فكرة صعود الإنسان الى السماء على ظهر طائر كالنسر حلماً باطنياً عميقاً في الإنسان لارتياد الفضاء والصعود الى الاعالي بوسيلة طائرة .

ويشكل هذا النص أقدم نص بشري يجسد هذا الحلم . وقد ذهب بعض العلماء الى إن إيتانا صعد على ظهر مركبة فضائية على شكل طائر ، لإن وصفه للأرض كلما ازداد ارتفاعه كان دقيقاً ، ولذلك فإنهم لا يصدقون أن هذا الوصف كان من خيال الإنسان ، بل أنه صدىً لتجربةٍ حقيقية مرت به .

كذلك كان حلم الإنسان باقتناء عشبٍ طبي ليحل مشكلة العقم واحدةً من أمانيه الكبيرة ، ولذلك فقد تخيل وجودها في السماء أي أنها عشبة سماوية تجود بها السماء . في حين سنرى عشبة الخلود عشبةً مائية ، وفي هذا ما يشير الى ان الماء يدل على الحياة ولذلك كانت عشبة الماء عشبة حياة أزلية .

أما عشبة الإنجاب فهي عشبة سماوية أي أنها عشبة ضوئية تضيء المسالك المظلمة ومنها مسالك الجسد .

المرجع : المراجع السابقة .

كان إيتانا ملك كيش في تلك الازمان عقيماً لا يلد له ولد ، وكان يزور معبد شمش ويكيل له الدعوات :

ـ لقد أكلت يا شمش من نعاجي المسمنة حتى شربت الارض من دم نعاجي وحملاني ، ولقد قمت بكل ما يليق بالآلهة من قدسية واحترام ، وبجلت الارواح ، والكاهنات والعرافات قمن بما يلزم لقرابيني والحملان بعد ذبحها فدعها تنطق يا الهي حتى تعرف ما فعلت ومن فمك أمنحني قدرة على أن أنال نبات النسل ، دلني على نبات الذرية ، إرفع عني همومي واجعل لي إسماً إجعل لي ابناءً يحملون اسمي من بعدي .

فقال شمش :

ـ خذ طريقك واعبر الجبل وحالما ترى حفرة تفحص داخلها ففيها يكمن النسر ، هو الذي سوف يدلك على نبات النسل .

فقام ايتانا وهيأَ نفسهُ لرحلة بعيدة وشقَ طريقهُ عبر الجبل فوجد حفرةً وفيهاً نسرٌ كبير فقال له النسر :

ـ ما الذي أتى بك الى هنا؟

ـ يا صديقي إعطني نبات النسل ، دلني

على نبــات النسل ، إرفع عني همــومي
واجعل لي اسماً .
فرح النسر وصفق بجناحيه المنكسرين
فلم يقدر فأعانه ايتانا ، أعان النسر على
أن يصفق بجناحيه ولكنه كان يضطرب ،
النسر يحاول التصفيق وايتانا يساعدهُ
وحين اســتطاع النســر ذلك خــرج من
الحفرة وصفق بأجنحته فقال :
- الى العلى ساحملك . . الى سماء آنو
فضع صدرك على صدري ويديك على
ريش جناحي وساعديك من حولي .
ركب ايتـانا على ظهـر النسـر الذي بدا
مثل عملاق جوي مخيف واحسَّ النسر
بثـقل ايتـاناً ولكنه انطلق الى الاعلى .
وعندما حملهُ عالياً مسافة ساعة مضاعفة
قال النسر لايتانا :
- انظر يا صديقي كيف تبدو الارض .
فاطلع ايتانا الى البحر على جانبي ايكور
حيث الارض تبدو وكأنها تَلٌّ والبحر
صار كانه ماء في جدول ، وعندما حملهُ
مسافة ساعتين مضاعفتين قال النسر
لايتانا :
- انظر يا صديقي كيف تبدو الارض .
فنظر ايتـانا فـرأى الارض كـأنها حـفـرة
الفلاح وعندما صعدوا إلى سماء آنو
وصــلا الى بوابة الثــالوث المعظّم آنو
وإنليل وإيا ، وقدم النسر وايتانا سوية
فروض الطاعة فقال له آنو :

ـ ما الذي اتى بك يا ايتانا؟
ـ يا أعظم الآلهة . . لقد أتيت اليك من أجل نبات النسل ، دلني عليه وارفع عني همومي واجعل لي اسماً .
ـ سأدلك على النبات لكي يخلفك ولدك على العرش .
وأعطى آنو النبات السماوي لايتانا فشكره ورجع هو والنسر الى الارض ، وهبط ساعة مضاعفة الى الاسفل ، لقد نزل النسر وما زال الى جنبهِ ، ثم هبط ساعتين مضاعفتين الى الاسفل ، لقد نزل النسر وما زال هو الى جنبه ، ثم هبط النسر وما زال هو الى جنبه الى الارض ، لقد سقط النسر وما زال هو الى جنبه ، عاد ايتانا الى كيش واكل من نبات النسل فانجب ولده (بالخ) من زوجته (مودام) الذي حكم اربعمائة عام ثم انتقلت الملوكية إلى (إي ـ أنا) في اوروك وحكم فيها اثنا عشر ملكاً عظيماً ، حكم فيها الابطال ميسكيكاشر ابن اوتو الكاهن الملك مدة ثلاثة واربع وعشرين عاماً وذهب الى البحر وارتقى الجبال ثم حكم ابنه انمركار ما ثتان واثنين واربعين عاماً ثم حكم الراعي لوجال بندا مئة الف ومائتين ثم حكم دموزي صائد السمك والذي كان اصلهُ من مدينة (كوا) حيث حكم مائة عام ثم حكم

* في كتابنا (إنجيل سومر) أفردنا سرداً طويلاً لعصر البطولة السرمرية الذي مثلته النصوص السومرية لأبطال أوروك حتى جلجامش السومري الذي تختلف حكاياته السومرية عن النص الأكدي الذي عرف بـ (ملحمة جلجامش) .

جلجامش بن لُلاّ مائة وست وعشرين عاماً .

هو الذي رأى كل شيء

ليس من الهين إعادة عرض أو سرد ملحمة جلجامش فقد قام كبار المختصيّن الأجانب والعرب بترجمتها عن النصوص الاصلية . وأصبحنا على معرفة جيدة بها .

ولكننا هنا اعتمدنا بشكل أساسي على ترجمة الاستاذ طه باقر ، والدكتور سامي سعيد الأحمد . لما تتميز به الأولى من فصاحة ناصعة وعربية جميلة ، ولما تتميز به الثانية من محافظة على الاسلوب الأكدي ونقلها الأمين للتعابير والاستعارات الدقيقة التي وضعها المترجم مع نصها الصوتي الأكدي .

وكان تدخلنا بسيطاً في بعض المواقع التي أردنا تعميقها أو توضيح مادتها العميقة .

تبدأ ملحمة جلجامش بذكر عظمة هذا الملك الأوروكي الذي صار رمز البطولة في العصور القديمة ويظهر لنا آن النص الكدي هو حصيلة جمع لأساطير وحكايات وروايات واغان شعبية شائعة عن جلجامش وإنكيدو ، ولكنها في الوقت نفسه خلقٌ جديد امتاز بالاسلوب الأدبي الرفيع وبالحبكة الدقيقة والرموز الباطنية العميقة التي تنضح من هذه الملمة .

إنها أول ملحمة إنسانية مليئة بهذا الحشد الهائل من القيم والرموز والدلالات الباهرة .

واعتمدت الصياغة الأخيرة للنص المترجم على عدة نصوص أوليه منها : النص البابلي القديم ونص نينوى

هو الذي رأى كل شئ فغني بذكره يا بلادي ،هو الذي خبر الحياة وافاد من عبرها ، الحكيم العارف بكل شئ الذي رأى الأسرار والخفايا وحمل أنباء ما قبل الطوفان ، الذي سلك طرقاً قصيةً فتقلب بين التعب والراحة ، ونقش على الحجر اسفارهُ ، هو الذي بنى اسوار أوروك وحرّمَ إي - أنّا المقدس والمعبد الطاهر فانظر الى سوره الخارجي الذي يشبه النحاس اللمّاع ، وانظر الى سوره الداخلي الذي لا يشبهه سور ، واعلُ فوق اسوار أوروك ، إمشِ عليها وتأمل دقق في أساسها وآجر بنائها أو ليس مفخوراً؟ ألم يضع اساسها الحكماء السبعة أصحاب نواميس العمران ، معبد عشتار المقدس مشارة واحدة لفنائه ومشارة للرعي ، ومشارة لحفر الطين ، ثلاث مشارات وكذلك الأرض الخلاء للمدينة إبحث في حجر الأساس عن صندوق الالواح النحاسي ، وافتح مغلاقة البرونزي . اكشف فتحته السرية وخذ حجر اللازورد ، واجهر بتلاوته وستجد كم عانى جلجامش لكي يبنيه وكم فاق جميع الحكام ذو الهيئة السامية ، إنه

والنص الحثي والكسرة ا لحثية والنص الحوري وكسرة أور وكسرة فلسطين .

المراجع : ١- باقر ، طه : ملحمة جلجامش ١٩٨٠.
٢- الأحمد ، سامي سعيد : ملحمة جلجامش ١٩٨٤.

جميع الحكام ذو الهيئة السامية ، إنه البطل سليل اوروك جلجامش فحل الجاموس المقدم في الطليعة ، وحامي اخوتهُ واقرانه في الخلف ، المظلة العظمى ، حامي اتباعه من الرجال موجة الطوفان العاتية التي تحكم جدران الحجر ، نسل لوجال بندا ، جلجامش المكتمل الجلال والالوهية ، هو الذي وطأ مفاوز الجبال وحفر فيها الآبار ، هو الذي عبر البحر المحيط الى حيث مطلع الشمس وجاب جهات العالم الاربع ، هو الذي سعى لينال الخلود وبقوته وصل الى اوتوناشتم القصي وهو الذي اعاد الحياة التي دمرها الطوفان ، من ذا الذي يضارعه في الملوكية ، مَنْ غيرهُ يستطيع القول (انا الملك) ، مَنْ غيرهُ من سمي جلجامش ساعة ولادته ، ثلثاه إله وثلثه بشر ، فخرت الآلهة العظيمة جسدهُ وابدعت فمنحهُ شمش الجمال وخصّهُ أدد بالبطولة ، جعلته الالهة في هيئة تامة ، كان طوله أحد عشر ذراعاً وعرض صدره تسعة اشبار ، ثلثاه إله وثلثه بشر ، منظرهُ كفحل الجاموس رافعاً راسهُ ، سلاحهُ قوي وليس مثلهُ سلاح جزء من جسدهُ .

هو الذي بطش

إذا كانت الفقرة السابقة بمثابة المدخل أو المقدمة للملحمة ، فان الملحمة تبدأ من هنا حيث يوصف جلجامش بالطغيان والفردية ، وكان الطبل ومضربه اللذان أعطتهما إنانا له في القصة السومرية مثار أغواءٍ للنساء . وربما كانت هذه الإشارة بمثابة المبرر لخلق ندٍ قوي لجلجامش هو إنكيدو .

المراجع : انظر المرجعين السابقين .

في ما مضى ، كان جلجامش هكذا أما اليوم فقد اغاظَ أبطال أوروك فلازموا بيوتهم وأصبحت رعيته تهب عندما يقرع الطبل ، لم يترك الولد لأبيه وظلمه كثر كلما تقادم ليل ونهار ، هل هذا جلجامش راعي أوروك ذات الاسوار؟ هل هو راعينا القوي الكامل الجمال والحكمة؟ لم يترك العذراء لأمها ولا ابنة المقاتل وزوجة البطل . الالهة استمعوا الى بكائهن الذي لم ينقطع فاستدعوا الآلهة اورورو وقالوا لها (أأنت التي خلقت الرجلَ ، إخلقي الآن غريما له وليكن مضاهياً له في اندفاع قلبه وشدته وليضرب أحداهما الآخر فتهدأ أوروك) .

أورورو تخلق أنكيدو

ظلت أرورو بمثابة الوجه المختص بالولادة والخلق من وجود الإلهة السومرية الأصل ننخرساج ، ولا ننفي صلة هذه الإلهة بالإلهة اليونانية أرورو إلهة الفجر ، فالولادة مثل الفجر ، إعلان جديد عن خلق جديد ونرى في العلاقة اللغوية بين الفجر والفرج مظهراً من مظاهر هذه الأصول الميثولوجية العميقة .

وقد مُثلت ننخرساج في القرن الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد بشكل الرحم ، وفي القرن الثامن قبل الميلاد بالرحم الموضوع على دكةٍ أو جدار مزين

حالما سمعت أرورو ذلك غسلت يدها ، وقرصت الطين ورمته في البرية وخلقت انكيدو القوي أرومة ننورتا وكست جسده كله بالشعر ورتبت له شعر الرأس كشعر امرأة وجدلته فأصبح سنابل حنطة نصابا ، لا يعرف الناس ولا البلاد وعليه لباس مثل لباس سموقان إله الماشية يأكل النبات مع الغزلان ويتدافع مع الدواب عند مساقي الماء ويبتهج قلبهُ مع

بالخطوط .

وقد استخدم النص صورة بدائية لوصف إنكيدو ومن خلال استخدام الكلمة الأكدية لولّو (Lullu) والتي تعني (الانسان الأول) أو البدائي أو المتوحش الشبيه بالحيوان .

وسنرى أن إنكيدو مرّ بمراحل انتقال الإنسان من حياة البرية وحياة الرعي ثم يذهب الى اوروك حيث حياة المدينة والتحضر . وهذه السيرة تختصر في حقيقة الأمر حياة الإنسان في العصور الحجرية القديمة ، وبذلك يكون إنكيدو حتى ذهابه الى اوروك وصراعه مع جلجامش ممثلاً لحياة إنسان ما قبل التاريخ الذي يمكن أن نسميه إنسان الـ (لولّو) ، وإن اعطاء المرأة دوراً في تحضر الإنسان القديم لم يأت اعتباطاً في هذا النص فقد أخذت المرأة هذا الدور فعلياً .

المراجع : انظر المرجعين السابقين .

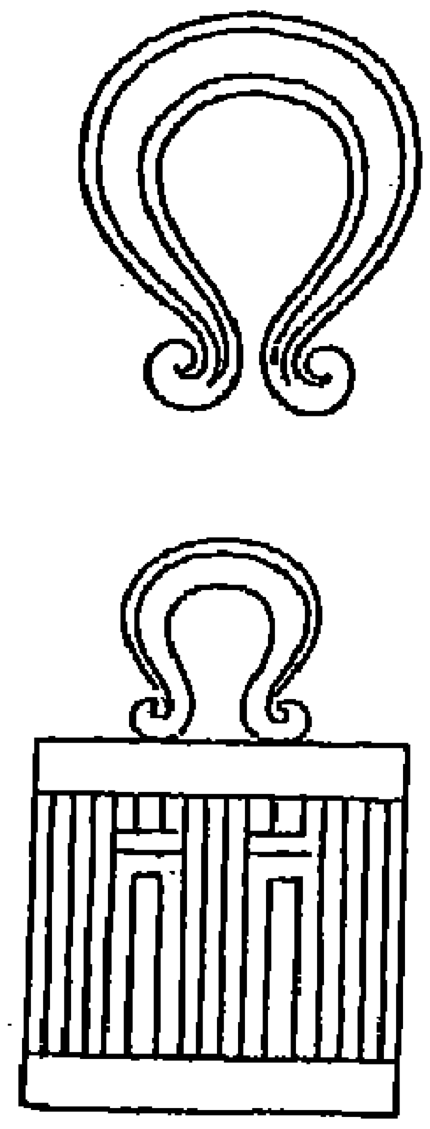

رمز الإلهة أورو (ننخرساج)
الأعلى : القرن العاشر ق .م ، الأسفل : القرن الثامن ق .م
رسم : علي محمد آل تاجر

الحيوان عند الماء ، ومرة لمحهُ صياد عند مورد الماء ورآهُ في اليوم التالي والثالث فارتعد من الخوف وذهب الى بيته مع صيده ، وكان متجهما متوقعاً الشر فاضطربَ القلب وامتقعَ وجهه ودخلت الظلمة الى نفسهِ وصار وجهه كوجه من جاء من سفر بعيد . ذهب الصياد الى ابيه وقال له :

ـ يا أبي رأيت رجلاً قوياً هبط من التلال شامخا ، هو اقوى من في البلاد ويشبه بضخامته جنود السماء ، جبروته عظيم ، يملأ المكان ودوماً يتزاحم مع الدواب على الكلأ والماء ، ذعرت منه فلم أقربه . ملأ حُفري التي حفرتها للصيد وقطع شباكي التي نصبتها ففرت الحيوانات ، وحرمني من صيدها .

ففتح أبوه فمه وقال للصياد ابنه :

ـ يا بني ، في أوروك يعيش جلجامش القوي العظيم الذي لا ينافسهُ أحد فاذهب اليه واخبره بهذا الرجل وليعطك بغيا مومسا تصحبها معك أيها الصياد ، دعها تسيطر عليه وتروضهُ وحينما يأتي ليشرب مع الأغنام من مورد الماء ، دعها تخلع ملابسها وتكشف عن مفاتنها فانه سيقرب منها وينجذب لها عندئذ ستنكرهُ الحيوانات التي تربت معه في البرية .

شمخة تروض أنكيدو

أول اتصال لإنكيدو بعالم الإنسان كان من خلال شمخة البغي ، وتكشف مراحل اتصاله بها عن تدرج في فهم كيفية الإتصال مع المرأة ، ولا شك أن إنكيدو مارس الحب مع شمخة في باديء الأمر كالحيوانات ، لكنه تعلم بعد ذلك الممارسة الإنسانية للحب . وقد كان الحب والجنس أول سبيل لتمدن وتحضر إنكيدو ودخوله الى عالم الإنسان المتحضر . ولذلك رفضته الحيوانات التي كانت تشرب وتأكل معه .

وأول نقلة كانت في تعلمه الرعي ، ثم أكل الخبز وشرب الخمر ولبس الثياب وتعطير الجسد وإذا كان إنكيدو هو عبارة عن إنسان وحيوان في جسد واحد ، فإن جلجامش هو عبارة عن إنسان وإله في جسد واحد وكان إنكيدو يرقى نحو إنسانيته ، بينما كان جلجامش يطغى ويصعد باتجاه إلوهيته . حتى إذا ما تلاقيا تلاقى وجها الإنسان الحيواني والإلهي وصقلت تجربة الإنسان المستمدة من أصله الحيواني وتطلعه الإلهي فأصبح أكثر تهذيباً وانصرف جلجامش وإنكيدو الى أعمال الخلود والبناء ومحاربة الشر .

إن جلجامش وإنكيدو يمثلان في حقيقة الأمر وجهي الإنسان بكل معنى الكلمة ، الوجه الإلهي والوجه الحيواني ، وجه المثل والكمال ووجه الغرائز والانحطاط . ويمثل لقاء هذين الوجهين في الإنسان ظهور الإنسان الذي يجمع بينهما ولكنه يغذّ السير باتجاه الكمال والمثل .

وقد يمثل جلجامش الشخصية الضائعة لإنكيدو ،

انطلق الصياد واصطحبَ معه البغي المومس شمخة ، فلزما الطريق وشرعا بالسفر ، ومر يوم ويومان وفي اليوم الثالث وصلا المكان المقصود ، فجلسا فيه وكان يومان جاءت الدواب لتشرب فأبهج الماء قلبها ، وانكيدو الذي انحدر من التلال اكل الحشيش مع الغزلان وشرب مع الدواب عند الغدير وقر فؤاده عند الماء مع الحيوانات فرأته البغي ، رأت الرجل المتوحش الطالع من أعماق البرية فقال لها الصياد (هو ذا نفسه يا شمخة فاكشفي عن ثدييكِ . . عريهما ودعيهما يسطعان ثم تعري ليغرق في مفاتنكِ اجعليه يصعد على ظهركِ ويتمتع ، حين يراكِ سيقترب منكِ ، إخلعي ثيابكِ وامتدي ، دعيه يستلقي عليكِ ، علمي الوحش الغرَّ فن المرأة وستنكرهُ دوابهُ التي ترعرعت معه ، إذا انعطف عليك باللذة فسيضغط بقوة على ظهركِ وصدركِ) فكشفت شمخة صدرها وتملكته مفاتنها فتقدم اليها وعانقها ولم تجفل حين مارس الحب معها على الظهر ، ثم تعرت وامتدت على الارض واستلقى عليها فعلمته فن المرأة وضغط صدره بقوة على ظهرها وصدرها فبعثت

والعكس صحيح . وبلقاء هاتين الشخصيتين الضائعتين اكتملت شخصية كلٌ منهما .

المراجع :

١- انظر المرجعين السابقين .

2- Speiser, E.A.: The Eprc of Gilgamesh. ANET 1969:72.

الشوق في نفسه ولبث معها ستة ايام وسبع ليالٍ . وبعد ان شبع من لذتها تخلص من حيوانيته واصبح بشراً وحين توجه نحو دوابه ، رأته الغزلان ففزعت ولم تعرفهُ وهربت منه وحوش الصحراء ، أصبح غريبا عنها ولما أراد اللحاق بها وهنت قواه وخذلته ركبته وأصبح خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل ، لكنه نضج وتوسعت معرفته صار عالي الحس والفهم فعاد وجلس عند قدمي شمخة وصار يطيل النظر اليها . . فلما كلّمته اصغى :

- حصلت على المعرفة يا انكيدو واصبحت مثل إله ، فلماذا ما زلت تصل الحيوان؟ تعال آخذك إلى أوروك ذات الاسوار ، تعال إلى المعبد المقدس مسكن آنو وعشتار حيث يعيش جلجامش الكامل الحول والقوة والمتسلط على الناس مثل الجاموس الوحشي .

فرح انكيدو لانه كان يريد صديقا عارفا قلبه فقال لها :

- ايتها الخليلة تعالي يا شمخة ، خذيني للمعبد المقدس مسكن آنو وعشتار حيث يعيش جلجامس الكامل الحول والقوة المتسلط على الناس مثل الجاموس الوحشي وسأقف بوجهه وسأصرخ في لب اوروك (انا الدان) . انا ابدل

المصـــائر ، والذي ولد في البـــريّة هو الاقوى .
ـ هلم نذهب ليرى وجهك وسأدلك على جلجامش فانا اعلم اين هو ، نعم تعال يا أنكيدو إلى أوروك ذات الاسوار حيث يلبس الناس ما يتلألأ وفي كل يوم تقوم الافراح حيث غلمان الآسنو والفتيات الجميلات ينضح العطر منهن اللواتي يخرجن العظماء من مضاجعهم . وانت يا أنكيدو الذي تنشد البهجة في العيش سأريك جلجامش المحتفل بالحياة فانظر إليه وتفرس في وجهه وستلقاه مزهواً برجولته وبأسه وتحلي جسده المسرات والمفاتن اشد بأساً منك ، ولا يلمه مكان . فخلِ عنك غلواءك وتبجحك ، جلجامش يرعاه شمش ويحبه آنو وإنليل وإيا ويوسعون مداركه ولذلك قبل ان تذهب انت اليه سيراك هو في الاحلام وهو في اوروك .

إنكيدو : الإنسان الحيوان

حلم جلجامش

كانت أحلام جلجامش بمثابة الرؤى أو البشائر ، ولم تكن كوابيساً . فقد ظهر له إنكيدو فيها على شكل كوكب سماوي ، وعلى شكل فأس . وقد فسرت أمه هذه الأحلام بمجيء صديق ندٍ له يعينه على الحياة . ومن المؤكد أن أم جلجامش ننسون كانت مفسرة أحلام ، فهي زوجة الكاهن والملك لوگال بندا وهي

إستيقظ جلجامش وروى الحلم إلى أمه :
ـ رأيت في ليلتي رؤيا : اني أسير بين الابطال مختالاً فظهرت كواكب السماء وسقط أحدها اليَّ وكأنه شهاب السماء آنو ، أردت ان أرفعه ولكنه ثقل عليّ وأردت ان أزحزحه فلم استطع ، وتجمع

المرتبطة بالإله القمر والتي لها صلة بالإله شمش ولذلك كانت ننسون إلهة كاهنة ويعني اسمها (سيدة البقرة الوحشية) . وتظهر الأحلام في ملحمة جلجامش عنصراً مهماً للتنبؤ بالمستقبل ولقراءة الحاضر والماضي . ويمكننا إجمالاً القول أن أحلام جلجامش رؤى متفائلة ، وأن أحلام إنكيدو كوابيس متشائمة ويعطي هذا الأمر إنطباعاً عن أصل كلٌ منهما ، فالأحلام ترقد في القاع الإلهي لجلجامش وتخرج بهذا الشكل المتفائل . وترقد في القاع الحيواني لإنكيدو وتخرج بهذا الشكل المزعج .

المراجع : انظر المراجع السابقة .

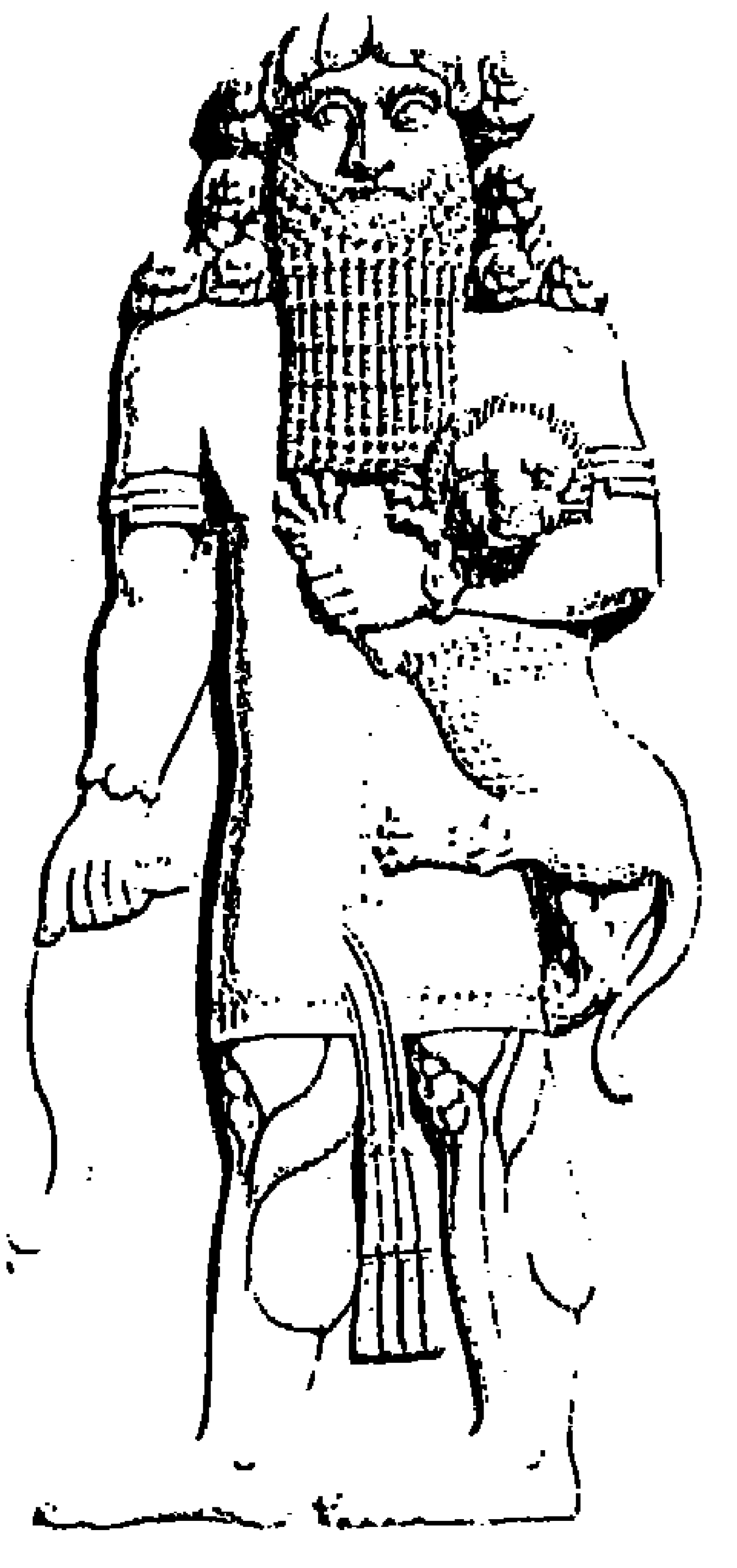

جلجامش يحمل أسداً

حــوله أهل اوروك وازدحم الناس وتدافعوا وقبلت رعيتي قدميه ، احببته وانحنيت عليه كما أنحني على امرأة ورفعته ووضعته عند قدميكِ فجعلته نظيراً لي .

فاجابته ننسون أُمه العارفةُ بكل شئ :

- إن كوكب السماء الذي سقط اليك وكأنه شهاب السماء آنو ، والذي أردت أن ترفعه ، فثقل عليك وأردت أن تزحزحه فلم تستطع ، واحببته وانحنيت عليه كما تنحني على إمرأة ، والذي وضعته عند قدمي فجعلته انا نظيراً لك ، إنه الصاحب القوي الذي يعين عند الضيق سيأتي اليك ، انه اقوى من في البلاد وذو عزم شديد ، عزمه مثل عزم آنو ، ذو بأس شّديد . أما أنك أحببته فانحنيت عليّه كما تنحني على امرأة فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك ، هذا هو تفسير رؤياك .

- اماه رأيت رؤية ثانيةً ، في أروروك ذات الاسوار رأيت فأساً مطروحة تجمع حولها أهل أوروك وتدافعوا ، احببتها وانحنيت عليها كما أنحني على امرأة ثم وضعتها عند قدميكِ فجعلتها أنت نظيراً لي .

- إن الفأس التي رأيتها رجل ، وأما انك احببتها وانحنيت عليها كما تنحني على إمرأة ، والتي ساجعلها انا نظيرا لك

فتعبيره أنه صاحب قوي يعين الصديق
سيأتي اليك ، انه أقوى من في البلاد
وذو عزم شديد وهو من شدة بأسه مثل
آنو .
ـ عسى أن يتحقق هذا الفأل بمشيئة إنليل
العظيم ويكون لي صاحب وصديق
فأكون له صاحبا وصديقاً .

إنكيدو يعرف الخبز والخمر

كان جلجامش جالسا قرب أُمه يتمنى وكان انكيدو جالسا قرب البغي يتمنى ، فقالت له البغي (هيا قم من الارض ، قم من فراش الراعي) فسمع كلامها وتقبل قولها ووقعت مشورتها في قلبه فشقت ثوبها نصفين ألبسته نصفاً واكتست بالثاني ، وامسكت به من يده وقادته كما يقاد الطفل واخذته الى كوخ الرعاة القصب ، الى موضع الحضائر فتجمع الرعاة حوله فلما وضعوا الطعام امامه تردد ونظر وأخذ يحدق طويلاً فهو لا يعرف كيف يؤكل الخبز ، لانه شبّ على رضاع حليب دواب البر ولم يعرف كيف يشرب الخمر ، فقالت له البغي (كل الخبز يا إنكيدو فانها سنة الحياة واشرب الخمر فهذه عادة البلاد) فأكل إنكيدو الخبز حتى شبع وشرب من الخمر سبعة أقداح فانطلقت روحه وانشرح صدره

كانت البغي تعرف بالسومرية بـ (كاركد .Kar Kid) والتي تقابلها بالأكدية (هارمتو أو حارمتو أو خارمتو Harimtu) وهي تقترب من معنى (الحرمة) في لهجاتنا الشعبية ومن معنى (الخارمة) في اللهجة الشعبية العراقية التي تفيد للمرأة غير المسؤولة وربما للبغي .

وكانت شمخة من نوع الخارمتو أي البغايا ، ولا يمكن أن تكون شمخة كاهنةً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين . ولم تكن البغيّ إمرأة مرفوضةً أو ساقطة في المجتمعين السومري والبابلي بل كانت امرأة محبوبة ولها مكانة عادية لا بالرفيعة ولا بالمبتذلة .

ولذلك فإن إنكيدو عندما يلعن البغي لأنها عرّفته بأوروك (كما سيأتي في الفقرات القادمة) فإنه يتراجع بعد ذلك ليصفها بأنها حبيبة الملوك والامراء والعظماء .

المراجع : ١- انظر المراجع السابقة .
2- Gadd, C.: **Contributions To the Gilgamish Epic**: 1966:114.

وطرب قلبه وتنور وجهه ، ثم نظف جسده المشعر ومسحه بالزيت ، واصبح إنسانا ، لبس اللباس وصار مثل الرجال ، أخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود فنام الرعاة ليلاً مطمئنين وصار إنكيدو حارسهم وناصرهم ، البطل القوي البأس أصبح بمرور الايام المعلىّ بين الرعا ،ة فصار رئيسهم ، وخصص له مكاناً يجتمع بهم ويدير شؤونهم ، وحين كان رئيساً لهم سر قلبه ، واقام الافراح ولكنه رفع عينيه ذات يوم فرأى رجلاً غريباً يتقدم الى مجمعهم فقال لشمخة :

- من هذا الرجل الغريب ، اجلبيه ، علام جاء الى هنا دعيني اعرف اسمه .

نادت البغي على الرجل فجاء إليه ورآه فقال له :

- علام أنت مسرع ايها الرجل ولم تركت سكنك وهمت على وجهك .

ففتح الرجل فمه وقال لانكيدو :

- جلجامش اقتحم بيت الاجتماع ، دار مصائر الناس والأعراس ، لقد جلبَ للمدينة العار ، وفرض عليها المنكرات والمذلة ، خصصوا الطبل له والساحة العامة لكي يأخذ العروس قبل زوجها وهو العريس الاول قبل الزوج ، ارادة قدرتها الالهة عليه منذ انقطع حبل سرته وسنّها عرفاً لأنه الملك .

مشهد من حياة الرعي في العصر الأكدي

انكيدو في اوروك

لم تكن عادة فضّ بكارة العروس من قبل الملك أو الكاهن من عادات المجتمع البابلي أو السومري ، لكن جلجامش بطغيانه الاستثنائي وصل الى هذه المرحلة أو هكذا نقل الخبر الى إنكيدو .

ويبدو أن هذا الأمر كاذبٌ من أساسه لأن إنكيدو عندما دخل الى اوروك وجد حفلاً للزواج المقدس كانت العروس فيه تمثل الإلهة (إشخارا) الهة الزواج وكانت في المعبد ، ولم تكن زوجة لأحد أراد جلجامش أن ينام معها قبل زوجها .

وبذلك نستنتج أن الخبر الذي وصل الى إنكيدو عن جلجامش كان كاذباً ودفعه للقتال مع جلجامش .

ويمثل الصراع بين البطلين صراعاً بين قوتين في الإنسان عليا وسفلى ، وكادت القوة العليا في الإنسان (جلجامش) أن تنتصر لكنها قبلت بالصلح مع القوة السفلى (إنكيدو) ، وصار ترابطهما دافعاً للبحث عن الأعمال الكبيرة .

المراجع : انظر المراجع السابقة .

حين انتهى من كلامه امتقع وجه إنكيدو وحزم أمره على الذهاب الى جلجامش ، سار إنكيدو قدماً وخلفهُ البغي فلما وصل أوروك ذات الاسوار تجمع الناس حوله وقالوا عنه (حقاً إنه يشبه جلجامش لكن قامته أقصر واقوى عظما إنه أقوى من في البلاد جميعاً ذو بأس شديد ، الذي رضع الحليب مع الحيوانات البرية ويجلل رأسهُ الشعر الطويل ، لقد لمعت قوته وسط اوروك الى الأبد ، وجاء القوي البطل ذو المظهر الجميل الكفؤ الى جلجامش القاهر مثل الرب) . حل المساء وهيء المعبد لاشخارا العروس واقترب جلجامش من المعبد ليضاجعها فقطع إنكيدو الطريق عليه في الساحة العامة ، وأغلق باب بيت العرائس بقدمه ولم يسمح له ان يمر فامسكا ببعضهما وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين ، حطما عمود الباب وارتج الجدار ، كلاهما بطل عظيم لكن جلجامش اثنى ركبته وقدمه ثابتة في الارض وأراد رفع إنكيدو واستدار فوقعت عينيه بعين إنكيدو فهدأت سورة الغضب وقال انكيدو له (إنك البطل الاوحد ، أنت الذي ولدتك أمك ننسون البقرة الوحشية المقدسة

وراسك عال فوق جميع البلاد والملوكية
قدرها إنليل لك على البشر) .

المغامرة تتحرّك

ذهب ثوركيلد جاكوبسون ومعه باحثون آخرون الى أن العلاقة بين جلجامش وإنكيدو علاقة مثلية .ورأى أن في حلمي جلجامش ما يشير الى ذلك (إنحنيت عليه كما أنحنى على إمرأة) ، ويفسرون أيضاً عزوف جلجامش عن النساء بعد معرفته لإنكيدو فقد التقت طاقتهما وعادلت الواحدة الأخرى من خلال علاقة جنسية شاذة .

ونرى أن هذا ممكنٌ جداً من خلال حديث إنكيدو لجلجامش بعد نزول الأول الى العالم الأسفل حيث يقول له (جسمي الذي لمسته وأنعش قلبك أكله الدود) . خصوصاً وأن إنكيدو يوصف في الملحمة بأنه آسينو أي الخصيّ وقد يأخذ هذا المعنى (الشاذ جنسياً) .

إن اشارات النص التي يمكن توظيفها لصالح هذا التفسير لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه الى التلاعب بالكلمات ذات الظلال ، التي تستحضر الى الذهن معانٍ غير معناها المباشر . ففي تشبيه إنكيدو بالفأس ، يتلاعب كاتب النص بكلمتين : الأولى (خاصينو) وهي الفأس باللغة الأكدية ، والثانية (أسينو) وهي البغي المذكر . وفي تشبيه بالشهاب الثاقب ، يتلاعب بكلمتين أخريين هما (كيصرو) أي الحجر النيزكي و (كيزرو) أي الشاب ذو الشعر الجعد ، وهو الشعر الاصطناعي الذي كان يلبسه العاهرون الذكور . وهذه الكلمة الأخيرة أيضاً تستدعي الى

أصبح جلجامش وانكيدو صديقين حميمين ، فلما رأى جلجامش ان انكيدو ضجر من حياة اوروك ولمح حنينه لحياة البرية عقد العزم على أن يخوض معه أعمال البطولة ، لقد عرف إنكيدو حياة الصحراء وعرف حياة المدينة ولابد له من ان يذهب الى الغابة . . إلى غابة الأرز التي يسكنها الوحش خمبابا عرض كلكامش الأمر على إنكيدو فقال له إنكيدو :

ـ علامَ أنت راغب في تحقيق هذا المطلب ولم عقدت العزم على الذهاب إلى الغابة .

ـ لنقتل وحش غابة الارز خمبابا ونزيل الشر من البلاد .

ـ لكنني لا استطيع ذلك ، إني احسُّ الضعف الذي ألمَّ بي من قبل كانني لو أردت ان أرفع ذراعي لوجدتهما خاويتين .

ـ إن خمبابا هو الذي سلبك قوتك ، لقد ذكرته أمامك فلا بد من قتله والتخلص من شره ، فلمَ امتلأت عيناك بالدمع وحزن قلبك .

ـ شمخة هي التي سلبت مني قوتي يا

الذهن كلمة (كيزيرتو) أي البغيّ المؤنثة .

لقد كان خمبابا (مخلوق إنليل) يمثل عدواً للإله شمس ، إله الضوء والعدالة ، فهو يمثل كائناً شيطانياً ظلامياً ولذلك كان ترميز قتله يعني محاربة الشر في الأرض .

المراجع : ١ . المراجع السابقة .

٢- السواح ، فراس : كنوز الأعماق . قراءة في ملحمة جلجامش ١٩٨٧ :٢٥٠٠

صديقي .

ـ لا تخف ، سنكون معا ولن نخاف شيئاً .

ـ يا صديقي . . حينما كنت اجوب البراري وأسعى مع حيوان البر ، كنت ارى الغابة تمتد مسافة ساعات من كل جهة وتعلمت أن لاأذهب إليها او أدخل فيها فمن يجرؤ على التوغل في داخلها ان زئير خمبابا هو عباب الطوفان والنار وتنبعث من فمه ونفسه الموت الزؤام فعلامَ تريد الذهاب الى هناك .

ـ لأرتقي جبال الأرز وأدخل الغابة مسكن خمبابا ، وسآخذ معي فأساً لاستعين به في القتال ، أما انت فامكث هنا وسأذهب انا وحدي .

ـ كيف ستدخل غابة الارز فيها حارس قوي لا ينام وضعه إنليل هناك وجعل هيئته تبعث الرعب في الناس؟

ـ يا صديقي ، من الذي يستطيع أن يرقى الى السماء؟ الآلهة وحدهم هم الذين يعيشون الى الأبد مع الشمس اما البشر فأيامهم معدودات وكل ما يعملوه عبث يذهب مع الريح ، وانت الآن تخشى من الموت ونحن ما زلنا هنا فما الذي أصاب جأشك ، دعني إذن أتقدم وليردد فمك (تقدم ، ولا تخف) فاذا ما هلكتُ فسيخلد اسمي وسيقولون إن جلجامش

سقط من اجل قتل المارد الشرير خمبابا ،
ستجتمع حولك ذريتي وتقص عليها ما
حدث ، لقد آلم فؤادي أنك ضعفت أما
أنا فسأضع يدي على الارز وسأجعل لي
إسماً خالداً وسأصدر الى صنّاع
الاسلحة أوامري سيصنعون السلاح
بحضورنا
صدرت الأوامر الى صنّاع الاسلحة
فاجتمعوا وتشاوروا ، صنعوا أسلحة
عظيمة سبكوا فؤوساً تزن كل منها ثلاث
وزنات وصاغوا سيوفاً كبيرة تصل كل
منها إلى وزنتين وقبضاتها ثلاثون منّاً
وأغماداً من ذهب تزن ثلاثون منّاً ، تسلح
جلجامش وانكيدو بأسلحة زنتها عشر
وزنات واجتمع الناس في شوارع اوروك
وعند بواباتها ذات المزاليج السبعة قال
جلجامش لجميع شيوخها :
ـ اسمعوا يا شيوخ أوروك ذات الأسوار ،
أريد انا جلجامش أن أرى من يتحدثون
عنه ، ذلك الذي ملأ اسمه البلدان
بالرعب ، عزمت على ان اغلبه في غابة
الارز وسأُسمع البلدان بانباء ابن اوروك
فيقال عني ما اشجع سليل اوروك وما
اقواه ، سأمد يدي واقص الارز فاسجل
لنفسي اسماً خالداً .
اجاب شيوخ اوروك :
ـ يا جلجامش ، انك ما زلت شاباً وقد

حملك قلبك مدىً بعيداً دون ان تعرف عاقبة ما أنت مقدم عليه ، لقد سمعنا ان خمبابا مخلوق غريب ومخيف فمن ذا الذي يصمد إزاء اسلحته ، والغابة تمتد ساعات مضاعفة في كل الجهات فمن ذا الذي يقدر أن يتوغل في داخلها ، خمبابا زئيره عباب الطوفان وتنبعث من فمه النار ونفسه الموت فعلامَ رغبت في الإقدام على هذا الامر ، ليس هناك من يقف على رجليه أمام خمبابا .

سمع جلجامش كلامهم والتفت الى صاحبه وضحك فقال :

- في بيتي اجلس فيه طوال حياتي! لقد سعيت الى الملوكية فنلتها وسأسعى الى البطولة وأنالها وسأسعى بعدها الى الخلود ، إن حياتي وهجٍ يشتعل وهو خلقٌ عملتني الالهة به وجبُلَتْ عليه طينتي .

باركهما شيوخ اوروك

تذكر النصوص السومرية أن أوروك ، أيام جلجامش ، كان فيها مجلسان الأول للشيوخ والثاني مجلس العموم المؤلف من الشباب وأن الملك كان يعرض الأمور على هذين المجلسين ، وقد فسر صموئيل نوح كريمر ذلك بأنه نوع من الديمقراطية المبكرة في أوروك ، ونلاحظ هنا في هذا النص كيف أن جلجامش لا يستطيع تجاوز مجلس الشيوخ إذ يعرض أمر سفره الى غابة الأرز مع إنكيدو لقتل خمبابا على هذا المجلس الذي يتردد قليلاً ثم يوافق على ذلك بشروط .

فلما رأوا شيوخ أوروك اصراره هذا قالوا له :

- عسى ينصرك إلهك شمش ويرجعك بسلام الى اوروك ذات الأسوار .

سجد جلجامش للإله شمش ورفع يديه بالدعاء (انني ذاهب يا شمش واليك أدعو : ارجعني سالما الى أوروك وعسى أن تنال روحي الخير والبركة ، انشر عليّ نورك واشملني بحمايتك) .

المراجع : ١- انظر المرجعين السابقين .
٢- كريمر ، صموئيل نوح : من ألواح سومر
ب .ت .

دعا جلجامش صديقه واستطلع فأله فلم يفز بشيء ، فانهمرت دموعه على وجهه فجاؤا اليه باسلحته وقلدوه السيوف العظيمة زودوه بالقوس والجعبة واخذ معه الفؤوس وتنكب قوس انشان وتقلد سيفهُ ، فجاء الناس اليه وتمنوا له قرب العودة وباركه الشيوخ وأسدوا له النصح في سفره وقالوا له :

ـ لقد كنا نطيعك أيها الملك في مجلس الشورى فاستمع الينا وخذ مشورتنا ايها الملك ، لا تغتر بنفسك ، تبصر ، إحم نفسك ، دع انكيدو يسير امامك فهو يعرف الطريق الى غابة الارز ، دعه يتوغل في مسالك خمبابا . الذي يسير في المقدمة يحفظ صاحبه ، ليأخذ الحذر ويتبصر في حماية نفسه ، وعسى شمش يجعلك تنال رغبتك وعساه يريك ما قاله فمك ، عساه يفتح لك السبيل المسدود ، ويفتح الطريق لمسراك ، ويمهد مسالك الجبال لقدميك ، عسى الليل ياتيك بما يسرك ويفرحك ، وعسى لوكال بندا يقف الى جانبك ويجعلك تحقق رغبتك وتصرع عدوك مثل الطفل ، وتذكر انك بعد قتله لابد ان تغسل قدميك ، وعند استراحتك مساءً احفر بئراً ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام ، لتقدم الماء البارد الى شمش ولتتذكر لوكال بندا .

باركتهما الآلهة

سيكون الإله (شمش) الراعي الإلهي لمغامرات جلجامش وإنكيدو ، وقد كان الإله اوتو كذلك في القصص السومرية . ولكن التأكيد على الإله شمش في الملحمة الأكدية له علاقة بكون الإله شمش هو الإله القومي الأكدي ، وسيظهر التعارض واضحاً بينه وبين إنليل الإله القومي السومري . ويعكس هذا الأصل السومري والنسخ الأكدي للملحمة .

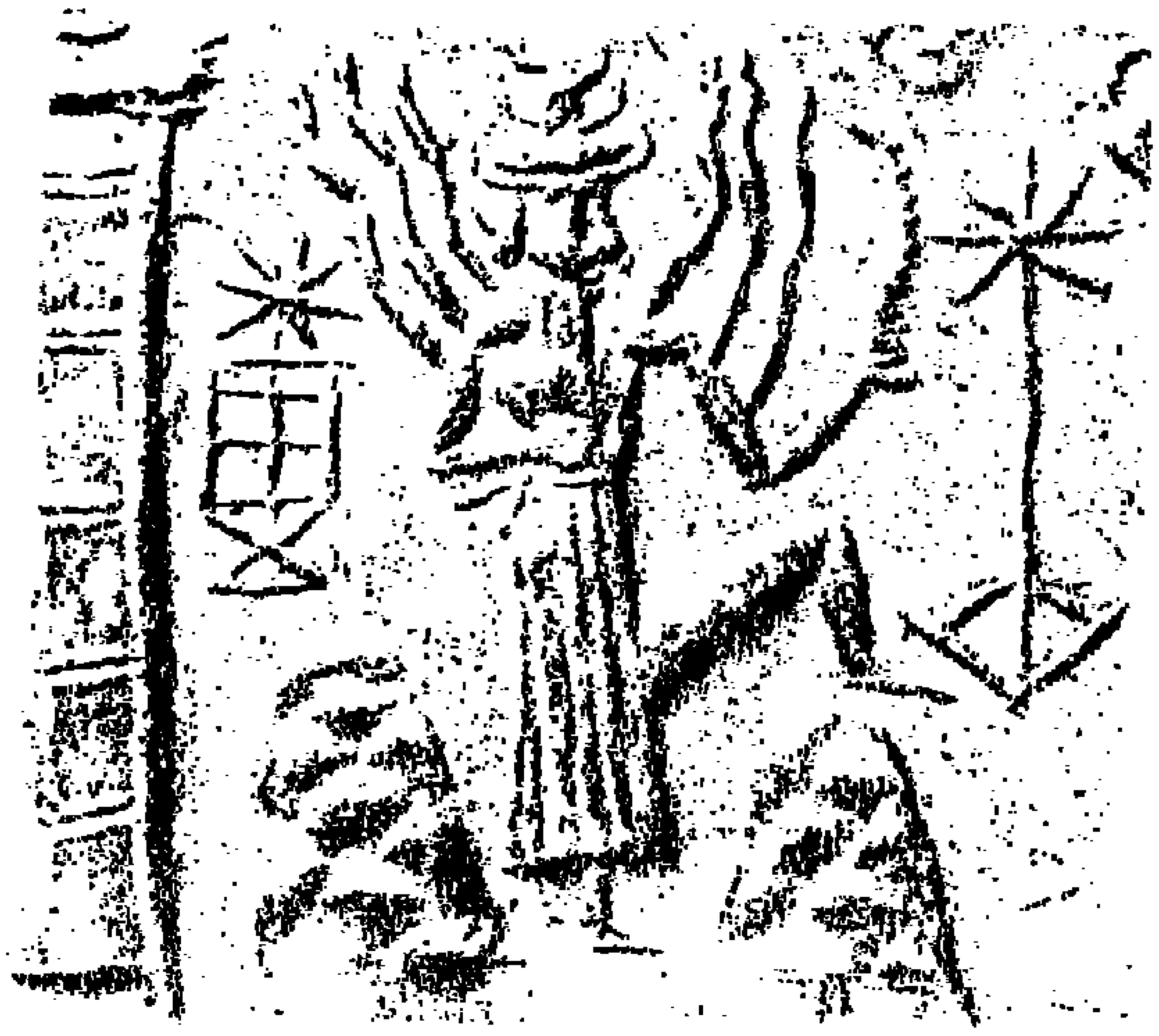

الإله شمش

فتح جلجامش فمه وقال لانكيدو :

ـ هلم يا صاحبي الى معبد (إيكال ماخ) ، الى ننسون الملكة العظيمة الحكيمة العارفة التي ستصحبنا وتثبت اقدامنا .

فذهبا اليها في (إيكال ماخ) ومثلا في حضرتها فدخل جلجامش واقترب منها وقال :

ـ لقد اعتزمت سفراً بعيداً الى موطن خمبابا ، وقد اواجه معركة لا تعرف وأسير بدرب لا اعرفه فحتى اليوم الذي اذهب فيه وأعود وحتى أبلغ غابة الارز العظيمة واقتل خمبابا وامحو من الارض كل شر يمقته شمش ، تشفعي لي عند شمش وصلي لاجلي .

علامَ أعطيت ولدي قلباً لا يهدأ

تظهر الإلهة ننسون في الميثولوجيا السومرية كابنة من بنات الإله إنكي ، في حين يشير اسمها الى علاقة بالإله القمر (نانا) فهي قرينة شكله البدري المكتمل وبذلك تتضح الاصول المائية والقمرية لأمّ جلجامش وهي أصول مطمورة تحت نسله الذكري الشمسي

دخلت ننسون حجرتها وارتدت حلّة تليق بجسدها ، وازينت بحلي تليق بصدرها ووضعت على رأسها تاجها ثم ارتقت السلم وتقدمت الى شمش واحرقت البخور ورفعت يديها اليه

المعلن .

وكما يخفي صدام جلجامش بإنكيدو صداماً بين العقيدتين الشمسية والقمرية ، نلاحظ أن هناك أصلاً قمرياً انثوياً مائياً عميقاً لجلجامش تمثله أمه ننسون التي أصبحت زوجة لوگال بندا الملك الشمسي وكاهنة الإله الشمس (شمش) . ويخفي هذا الأمر الأصل العميق لگلگامش بل ويوّضح أن گلگامش يمثل ذروة الانقلاب الذكري على العقائد الأمومية القديمة .

وتكلمت :

(علامَ اعطيت ولدي جلجامش قلباً لايهدأ ، وعلامَ اعطيته اقداماً تحنُّ الى السفر دائماً ، اليوم سيذهب الى مكان خمبابا ليواجه معركة لا تعرف ، ويسير بدرب لا يعلمه ، فحتى اليوم الذي يذهب فيه ويعود وحتى يبلغ غابة الارز ويقتل خمبابا ويمحوَ كل شر تمقته ، عسى عروسك (أي) تذكّرك به وليتوكل به حرّاس الليل والكواكب واباك سين حينما تحتجب انت من السماء ، ولتنزل في صلبه البهجة وعند بوابة مردوخ تكلله بالغار ، لتجعل الانوناكي يباركونه حتى يذهب ويعود من غابة الأرز ، فليكن الزمن يوما ليكن شهراً ليكن سنة) الشمس في السماء باركت جلجامش وأمه ننسون قدست الإله ومدحته ثم أطفات البخور وعوذت واحضرت الكاهنات والبغايا المقدسات المتبتلات ثم التفتت إلى إنكيدو وقدمت له الوصية وقالت :

- يا إنكيدو القوي الذي ليس من رحمي ، لقد اتخذتك ولداً مذ قلدت عنقكَ بقلادة الجواهر لتكن موثقاً منه ، ها انني أئتمنك على ولدي فارجعه لي سالماً .

تقدمت مع الكاهنات والبغايا المقدسات

المتبتلات وعظموا زوجات الأرباب
وأقسم إنكيدو أمام ننسن :
- أنا إنكيدو امسكت رأس جلجامش واقسمت ان اكون نصيراً له حتى نرجع من غابة الارز .
بعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل ثم انطلقا سائرين خمسين ساعة مضاعفة اثناء النهار ، وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر في ثلاثة أيام وحفرا بئرا وتقربا الى الاله شمش ثم شارفا مدخل الغابة ، وكان عجيبا أدهشهما أنه باشجار الارز بارتفاع اثنين وسبعين ذراعا وعرضه اربعاً وعشرين ذراعاً ، فرفع انكيدو عينيه وتكلم مع بوابة الغابة كأنها إنسان (يا بوابة الغابة المتفهم القوية الما تغضب ، لمسافة عشرين ساعة مضاعفة أعجبت بخشبك الفاخر حتى رأيت الاشجار العالية فليس لخشبك مواز في البلاد ارتفاعك العالي ، دعامتكِ ، تجويفك ومحورك ، قفلك ومصراعك اللذان صنعا لك في نفَّر ، أيتها البوابة لقد عرفت عظمتك وهذا دليل على طيب نفسك فأما احمل فأساً بوجهك او لا احمل .

ننسون أم جلجامش

مرض إنكيدو

إنعكس الصراع بين الإلهين (إنليل) السومري و (شمش) البابلي على إنكيدو وجلجامش فقد كان شمش يحمي جلجامش ، ولأن إنليل لا يستطيع اختراق هذه الحماية فقد أوقع عقابه على صاحبه إنكيدو وكأنه نقل من مسٍّ خمبابا المرضي شيئاً الى إنكيدو لمجرد إقدام إنكيدو على قتل خمبابا .

لقد استخدم صانعو النسخة الأكدية من ملحمة جلجامش إنليل لإزاحة إنكيدو ، وقد أزاحوا بقصدٍ أو دون قصد الرمز السومري الذي يمثله إنليل ، والرمز الأمومي الذي يمثله إنكيدو .

واصبح انتصار جلجامش وشمش هو الأساس في هذا الإجراء .

لقد هُمّش إنليل في الملحمة ، وقتل خمبابا مخلوقه ، ثم مرض إنكيدو الذي يمثل تكملةً لهما .

وتعزز هذه الأمور صعود البطل الشمسي (جلجامش) الذي كان يمثل في الملحمة صعود الأقوام السامية في مقابل إندثار وتحطم الأقوام السومرية .

وبرغم الأصل السومري لجلجامش الاّ أن الصياغة الأكدية أخفت طموح وجموح صانعيها . حيث لم تصلنا من القصص السومرية حول جلجامش ما يشير الى مثل هذه المشكلات التي تبنتها الصياغة الأكدية .

تسلق جلجامش مع صاحبه وصبَّ وجبة طعامه الفاخرة وقال (أيها الجبل ارسل لي حلما ذا معان) وتقدم وأبصر عفريتاً يحرس البوابة فقال انكيدو لجلجامش :

ـ تقدم وإسره قبل أن يأخذ سلاحك .

فتقدما نحوه وتشجعا فقتلاه لكن البوابة . . البوابة الما تفهم بثت سحرها في إنكيدو فشُلّت قواه ، لم يقدر ان يدخل فشجع جلجامش صديقه وقال له :

ـ لنذهب في بطن الغابة ولا تخف ، سيرتدي خمبابا سبع بدلات واحدة كرداء وست ممزقة ، قدم لي العون مثل البقرة الوحشية ، لتشهر سلاحك معي أينما أذهب فكل شئ خطر .

لكن انكيدو سقط صريع خوفه فمرض وكان مستلقيا ليوم واحد وليومين وثلاثة وأربعة ايام ، كان انكيدو مريضاً لاثني عشر يوماً فأفاق بعدها وقال لجلجامش :

ـ كدت تكرهني لانني سأمكث في أوروك ولأني لا احب النزال فدعنا لا نذهب الى بطن الغابة لانني عندما فتحت البوابة شلت يداي .

ـ يا صديقي ، نحن البشر الضعفاء الضعفاء ، وانت الفائق القدرة ، الصديق

الجـــرب فـي النزال ، تَلَمّس قلبك ولن تهـاب الموت وبألم إرفع معي الوهن وفي راحـتك احـفـر الَينبـوع والقـوة حـتى يتـلاشى شلل ذراعك ويزول مـرض يدك وتوقف لنذهب مـعـاً ، لتنعش قلبك البـهـجـة ، إنس الموت ولا تهن ، الرجل القـوي مـتـحـمل يقظ ، الذي يمشي في المقـدمـة يسلم صـديقه ويحـمي نفـسه وكـذلك الذين بأعمالهم الطيبة يقيمون اسماً لانفسهم .

ـ أدعـوك يا شـمـش أن تحطم الصـيـاد الشرير ، الصياد الذي منعني من الصيد مثل صديقي عساه الاّ يجد صيداً كثيراً مثل صديقه .

إنقطع كـلامـهـما وتوقفا ونظرا الى الغـابة فهالهما ارتفاع شجـر الإرز وتأملا الطريق المسـتـقيم المنبسط الى مكان خـمـبـابا المقـدس ورأيا جـبل الإرز مـوطن الارباب وعـرش الالهـة (ايرنيني) ، الإرز شـامخ بوجـه الجبل وظله طيب ومليء بالغـبطة وفي أجمته ستار ، فأرتقيا الجبل وسكبا الماء المقـــدس وقـربا الطعـــام ودعـــا جلجـامش الجبل ان يريه حلمـا يبـشـره بالفرح ثم اضطجع الصـديقان واتى على جلجـامش النوم الذي هو فـيض الليل ،

قناع يمثّل شكل خمبابا

فرأى حلماً ثم استيقظ فقص رؤياه على صديقهُ وقال :

حلم جلجامش

- يا صديقي من ذا الذي أيقظني ان لم تكن انت ، لقد رأيت رؤيا ، رأيت نفسي مع رجل نقف في هوة جبل ثم سقط الجبل فجأةً وكنا مثل صغار الذباب ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط فصدمني ، وأمسكَ بقدمي ثم انبثق نور وهّاج طغى لمعانه وسناه على هذه الارض ، فانتشلني من تحت الجبل واعطاني ماءً لاشرب فسّر قلبي ووضع أقدامي على الارض .

- كل شئ معاد ، ليس كل جبل عدو ، تعال وسكن روعك ، إن الرجل الذي رأيته والذي عيونه عيون ، وجسمه جسم ، هو انا ، أما الجبل الذي سقط فهو خمبابا القوي ، أما النور الوهاج الذي طغى لمعانه فهو شمش المبجل الذي سيرعانا .

تقدما في بطن الغابة . وبعد عشرين ساعة مضاعفة كسرا جوعهما بلقمة وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة حفرا أمام الاله شمش بئراً ، وصعد جلجامش الى الجبل وقدم وجبته الى البئر وقال (أيها الجبل ارسل لي حلماً) فأرسل الجبل نوماً طاغياً

مثلما حمل حلما جلجامش السابقان نبوةً ، حمل هذان الحلمان نبؤة جديدة فالجبل الذي يشير عادة الى العالم الأسفل أصبح يشير هنا الى خمبابا الذي هو أحد أبناء العالم الأسفل ، والذي سيقتله جلجامش . وصار لمعان النور يشير الى شمش . ويؤكد ذلك حلم ثالث يرمز فيه الى خمبابا بالنار والرماد .

يعتبر الإله (شمش) مسؤولاً عن العرافة ومنها عرافة الأحلام ، وتعتبر إبنته (مامو) هي المسؤولة عن تفسير الأحلام ولذلك كان شمش يلقي بهذه الأحلام في أعماق جلجامش وإنكيدو لتكون بمثابة النبوة على حصول أمر ما في المستقبل .

لإنكيدو وجعله يستلقي كموجة برد جعلته يستلقي ، ومثل شعير الجبل استلقى ، مثل عنزاته السود ، فوضع جلجامش ردفيه على رجليه فأتاه النوم الذي هو راحة الناس وفي منتصف الليل استيقظ جلجامش فزعاً فقال لانكيدو .

ـ يا صديقي ، ألم تنادني؟ لماذا اجلستني من النوم؟ ألم تلمسني؟ لماذا انت خائف جداً؟ الم يمر إله عليّ؟ لماذا تخدر جلدي؟ لقد رأيت حلماً ثالثاً وكان مخيفاً فقد أرعدت السماء ، واستجابت لها الارض وتلاشى النهار وحلت الظلمة ومضى البرق واشتعلت النار وامتلأت السحب وامطرت موتا فخف التوهج وخمدت النار وتحول جميع ما وقع رماداً .

ـ ان الذي رايت هو خمبابا وسنتغلب عليه ، ستحوله الى رماد .

خمبابا

موت خمبابا

كان قتل خمبابا بمثابة أول إنتصار لإنكيدو وجلجامش ، وقد أعتبر إنكيدو المحرض على قتله لأن جلجامش كاد يكف عن قتله لولا تحريض إنكيدو وهذا ما سيُعاقب عليه إنكيدو ، بالإضافة الى الطعنة الأخيرة التي وجهها إنكيدو .

هل يمكننا عقد صلة بين موت خمبابا وموت إنكيدو؟ ولماذا هذا الربط الغامض بين موتيهما في النص؟ ما أن سقط خمبابا حتى أصبح موت إنكيدو وشيكاً .

أخذ جلجامش فأساً بيده وقطع بها شجرة الأرز وعندما سمع خمبابا الضجيج هاج وصاح من الداخل (من الذي كدر صفو الأشجار النامية على جبلي؟ من قطع الارز؟) فنزلت دموع جلجامش مثل جدول فقال لشمش (لقد اتبعتك وسرت بالدرب الذي قدر لي فارحمني) فأهاج شمش الرياح العاتية والجنوبية والتي

ولكنها أول خطوة ، حيث سيكون موت الثور السماوي الخطوة الثانية .

الملحمة تشير برمزية عميقة الى أن الإنسان في إنكيدو أصبح قائماً في قوتين الأولى حيوانية والثانية إلهية . وقد كان مصرع خمبابا إزاحة للقوة الحيوانية لأن خمبابا يمثل العالم الأسفل ، وسيكون مصرع الثور السماوي إزاحة للقوة الإلهية لأنه يمثل العالم الأعلى وبذلك يصبح موت إنكيدو الإنسان محققاً .

خمبابا على ركيزة باب كلسية مزخرفة (القرن التاسع عشر قبل الميلاد)

تلف والشمالية والعاصفة الباردة والشديدة والحارة ، ثمانية رياح هبت ضدهُ وضربت عينيه فلم يقو على السير الى الامام ولم يقو على الرجوع الى الخلف ، فأستسلم خمبابا وقال لجلجامش (دعني اذهب فتكون سيدي واكون خادمك ، والاشجار التي نمت على جبلي ساقطعها وابني بيوتا لك)

فقال جلجامش :

- إن حزم الاشعة المتوهجة ستضطرب وتختفي ، وستتلاشى الحزم المضيئة ويصبح الضوء كدراً غائماً .

فهب إنكيدو قائلاً :

- يا صديقي اذا أمسكت طائراً فالى أين ستذهب صغار طيوره ، دعنا نبحث عن حزم الاشعة المضيئة بعد ذلك فانها مثل صغار الطير سوف تنتقل في الحشائش ، اقتل أولاً خمبابا ثم اقض على أتباعه ، لا تضع للذي فاه به خمبابا يجب أن لا يبقى حياً .

استمع جلجامش إلى قول صديقه فأخذ الفأس بيده واستل السيف من حزامه وطعن خمبابا في رقبته أما إنكيدو فطعنه طعنة ثالثة ، فسقط خمبابا على الارض وارتجت اشجار الأرز مسافة ساعتين مضاعفتين ، لقد قتلا خمبابا فأصبحت الجبال جميعها ناصعة والتلال جميعها ناصعة .

عشتار الغاوية

تمثل عشتار قوة الإغواء العاطفي الغفل لجلجامش الذي تحرر من عالم الطبيعة وأصبح قوي الروح والعقل . ولذلك فإنه يرفض هذا الحب ويعدد لها ما فعلته بالرجال من قبله أما هو فلم يعد صيداً سهلاً لإغوائها . وقد فكر جلجامش أنه ربما صادف مصيراً مثل مصير دموزي حيث كانت عشتار قد أعدت له شرك هواها ثم هاوية العالم الأسفل ينزل ويصعد فيها ، وهو الآن على عتبة البحث عن الخلود . فلابد أن يبعد نفسه عن امكانيات الذهاب الى العالم الأسفل .

عاد جلجامش وانكيدو الى أوروك فغسل جلجامش شعره الطويل وأرسل ضفائراً على كتفيه وخلع ملابسه المتسخة واكتسى حلالا نظيفة مزركشة وربطها بزنار ولبس التاج على رأسه ، عند ذاك رفعت الإلهة عشتار الجليلة عينيها ونظرت جمال جلجامش فنادته :

ـ تعال يا جلجامش وكن حبيبي الذي اخترت ، إمنحني ثمرتك اتمتع بها ، كن زوجي واكون زوجتك ، سأجعل لك مركبة من حجر اللازورد والذهب ، عجلاتها من ذهب وفروتها من الجواهر وستربط لجرها شياطين الصاعقة بدلاً من البغال الضخمة ، وفي بيتنا ستجد شذى الارز يعبق لو دخلت ، لو دخلت بيتي فستقبل قدميك العتبة والتلة ، وسينحني لك الملوك والحكام والامراء جالبين لك موارد الجبل والسهل وستلد عنزاتك ثلاثاً ثلاثاً وتلد نعاجك اثنين اثنين وحميرك ستفوق البغال في الحمل وسيكون لخيول مركباتك الصيت المعلي في السبق وثورك لن يكون له مثيلاً في النير .

ماذا فعلت بعشاقك؟

يمعن جلجامش في إهانة عشتار فيعدد لها خياناتها لمحبيها ويبدو وكأنه قد عرف كل سيرة عشتار وكل مآسي عشاقها .

لقد كان جلجامش قد تحصن منذ علاقته مع إنكيدو من إغواء النساء ولذلك كان ,فض إغواء عشتار أمراً سهلاً ، خصوصاً وأن المصير الذي آل اليه عشاق عشتار كان مأساوياً .

ـ ماذا عليَّ أن أعطيك لو اتخذتك زوجة؟ هل أعطيكِ العطورَ والملابس؟ هل أعطيكِ الأكل؟ هل اعطيكِ ما يقدم للآلهة من طعام رونق؟ هل اعطيكَ الشراب رونق الملوكيّة . أي خير سأناله لو اتخذتكِ زوجة ، أنتِ ما انت الا الموقد الذي تخمد ناره في البرد ، انتِ من أنتِ ، الا الباب الخلفي لا يصد ريحاً ولا عاصفة ، انتِ من انتِ ، قصر يتحطم داخله الأبطال ، انتِ من أنتِ حفرة بغطاء ، انتِ من انتِ قير يلوث حامله ، انتِ من انتِ قربة تبلل ، انتِ من انتِ حجر مرمر ينهار جداره ، انتِ من انتِ حجر يشب في بلاد الاعداء ، انتِ من انتِ نعل يقرص قدم منتعله ، اي من عشاقكِ وضعته في قلبكِ دوماً؟ . اي من رعاتكِ ارضاكِ دوماً؟ تعالي أقص عليكِ مآسي عشاقكِ فتموز حبيب صباكِ جعلته يبكي سنة بعد سنة ، واحببتِ طير الشقراق المرقط ولكنكِ ضربته وكسرتِ جناحيه ها هو الآن يحوم البساتين ويصرخ (جناحي . . جناحي) ، واحببتِ الأسد الكامل القوة لكنكِ حفرتِ له سبعا وسبع حفرات ، واحببتِ الحصان المجلى في المعارك والسباق

وحكمتِ عليه بالعدو سبع ساعات مضاعفة وقضيتِ عليه ان لا يرد الماء الا بعد ان يعكّره وقضيتِ على أمه (سليلي) ان تواصل البكاء ، واحببتِ راعي القطيع الذي لم ينقطع يقدم اليكِ اكداس الخبز وينحر الجداء ويطبخها لكِ كل يوم ولكنكِ سحرته ومسخته ، واحببتِ ذئباً وصار يطارده اليوم أصحابه الرعاة وكلابه تعض ساقيه ، واحببتِ (إيشولّنو) بستاني ابيك الذي حمل اليك سلال التمر بلا انقطاع وجعل ما ئدتك عامرة بالوفرة من الزاد كل يوم ولكنك رفعت اليه عينيك فراودته وقلت له (تعال يا حبيبي إيشولنو ودعني اتمتع برجولتك ، مد يدك والمس خصري) فقال لك (ماذا تريدين مني؟ الم تطبخ امي؟ الم آكل منها حتى أكل طعام الاثم وهل يقيني كوخ القصب من البرد) فلما سمعت كلامه مسخته جرذاً ووضعته وسط البساتين فلا يعلو مرتفعا ولا ينزل منحدراً ، فاذا احببتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء .

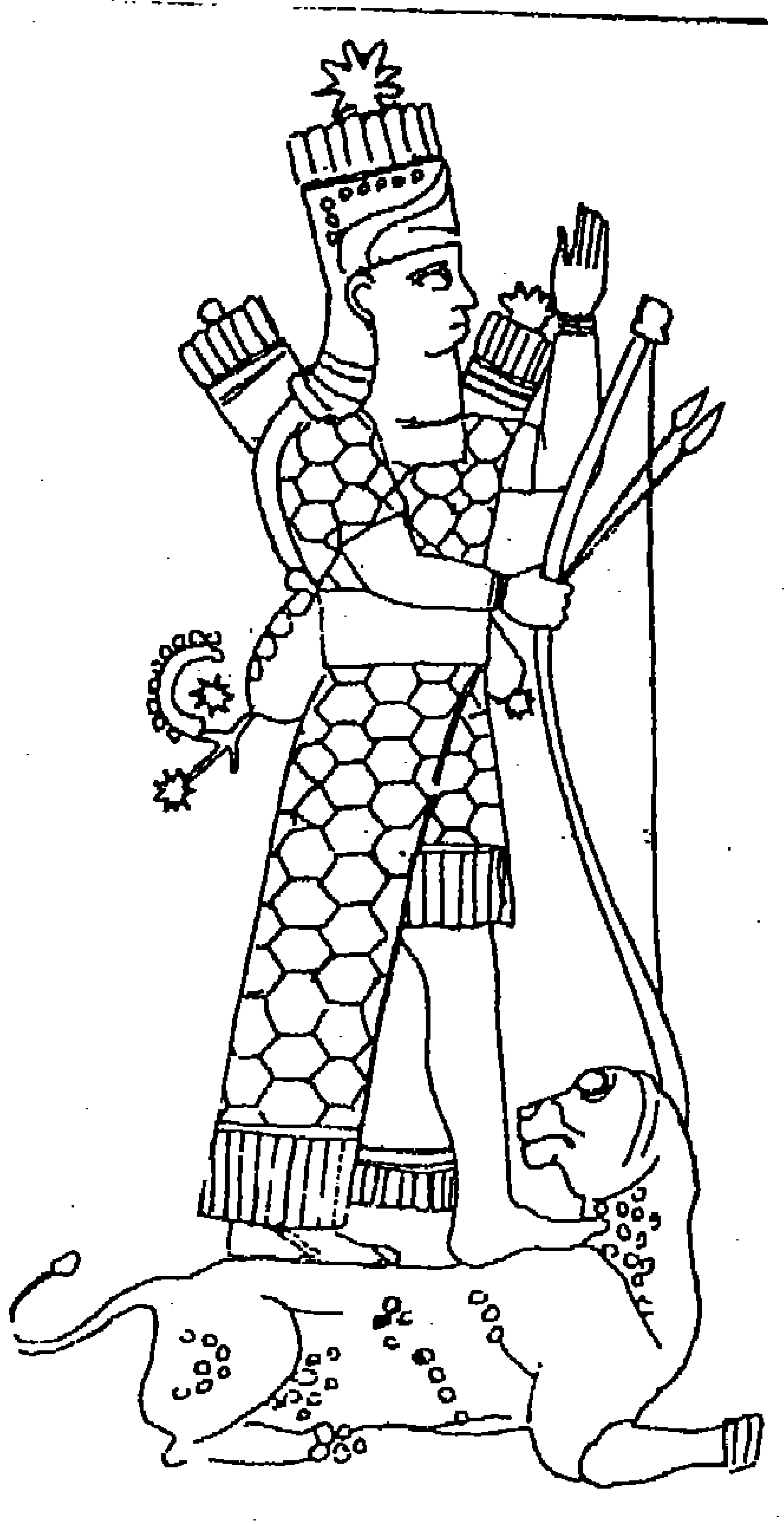

عشتار بوجهها المحارب

عشتار تنتقم

هكذا أصبحت حجة رفض عشتار واهانتها من قبل جلجامش مبرراً لعقاب سماوي تسلط على جلجامش وأوروك ، وسيكون (أنو) هذه المرة وراء هذا العقاب .

يسمى الثور السماوي في اللغة السومري (جو- أن- نا) وفي اللغة الأدية (ألو) وكان الإله أدد أو (إشكور - أدد) يوصف بأنه ثور السماء أو الثور الكبير . ولكن المقصود على ما يبدو هو ثور آخر ذكرت اسطورة نزول إنانا أنه كان زوجاً لإريشگيگال .

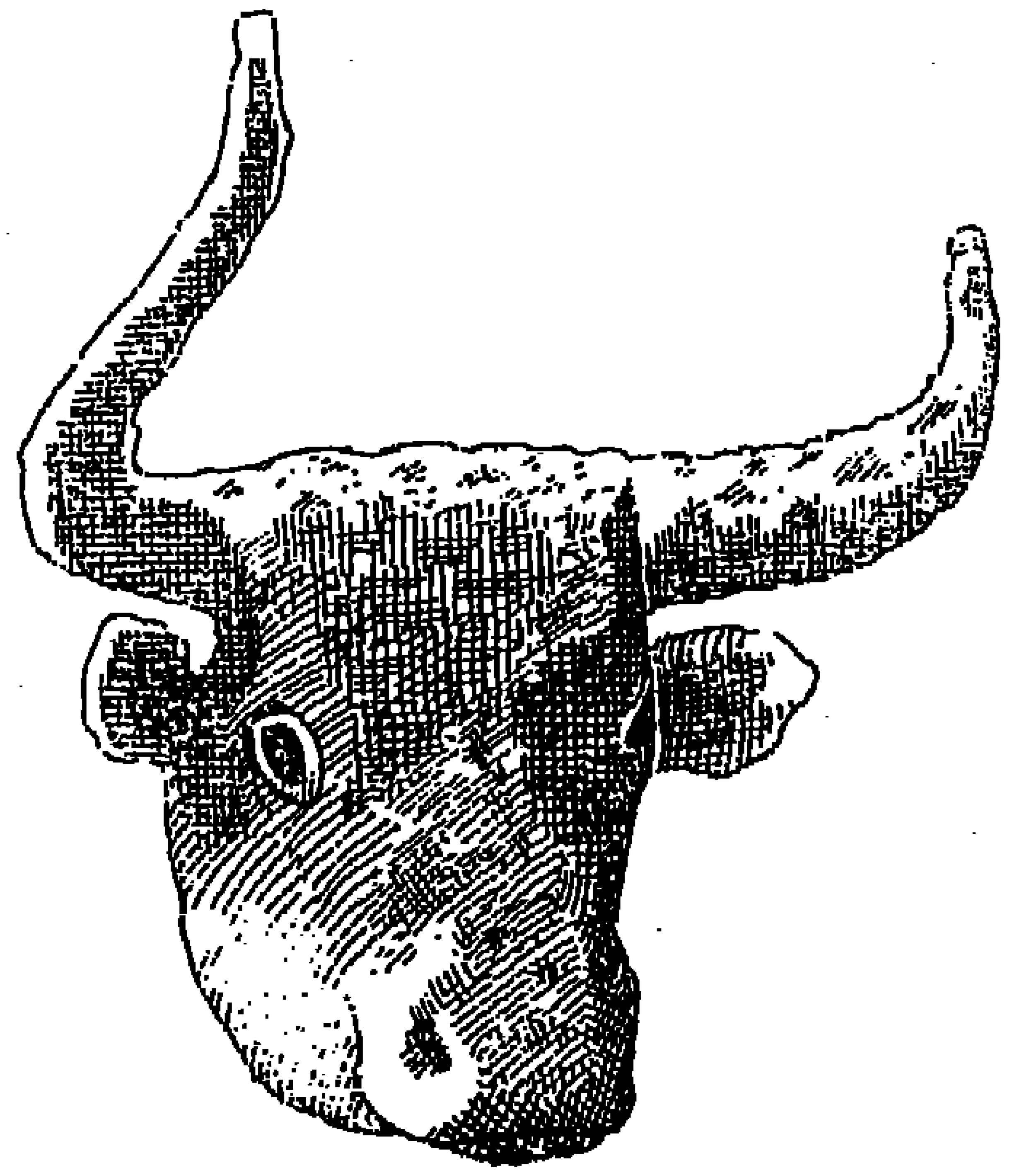

منحوتة لثور

فلما سمعت عشتار هذا الكلام استشاطت غضباً وصعدت الى السماء ومثلت امأم ابيها آنو وفي حضرة امها أنتم جرت دموعها وقالت :

- يا أبي إن جلجامش سبني واهانني ، لقد عدد جلجامش مثالبي ، وعاري وفحشائي .

فتح الاله آنو فمه وقال لعشتار الجليلة :

- الم تكوني السبب؟ الم تتحرشي بجلجامش الملك فجنيتِ الثمرة فعدد جلجامش فحشائك وعارك ومثالبك .

- إخلق لي يا ابتي ثوراً سماوياً ليَغلب جلجامش ويهلكه والا سأحطم أبواب العالم الاسفل وأجعل اعاليها اسافلها وادع الموتى يقومون فيأكلون الاحياء .

- لوفعلتُ ما تريدينهُ مني وأمرت الثور السماوي لحلت في أرض أوروك سبع سنين عجاف فهل جمعت غلالا لهذه السنين العجاف وهل هيأتِ العلف للماشية .

- لقد جمعت بيادر الحبوب للناس وخزنت العلف للماشية فلو حلت سبع سنين عجاف فستجد الغلة والعلف تكفيان الناس والحيوان .

الثور السماوي يرعب اوروك

يبو أن إنكيدو بعد مساهمته في قتل ثور السماء هيأ الأجواء كاملةً لموته . فقد ساهم في قتل مخلوق انليل (خمبابا) ومخلوق آنو (ثور السماء) ، ولا سبيل لإيجاد العذر لعيشه أطول .

ويلخص صراع إنكيدو وجلجامش مع خمبابا والثور السماوي صراع الإنسان مع قوى العالم الأسفل والأعلى ليشق طريقه ككائن يبحث لنفسه عن قوة داخلية نابعة منه لا من الآلهة أو من الشياطين .

فلما سمع كلامها سلّمها مقود الثور السماوي فاخذته وقادته الى الارض وأنزلته في ارض أوروك فبدأ ينشر الرعب والفزع بين الناس وقضى في أول خوار له على مائة رجل ثم مئتين وثلثمائة ، وقتل في خواره الثاني مائة ومائتين وثلاثمائة ، وفي خواره الثالث هجم على انكيدو لكن إنكيدو صد هجومه وقفز وامسك الثور السماوي من قرنيه فرشق الثور زبده ورغاه بوجه انكيدو وقذفه بالروث بذيله فصرخ جلجامش بانكيدو :

- امسكه يا صاحبي سنصبح عظماء عندما نقتله .

- سنقسم العمل بيننا ، أنا امسكه من ذيله وانت اطعنه ما بين السنام والقرنين .

طارد انكيدو ثور السماء وأمسك به من ذيله وشد عليه بكلتا يديه أما جلجامش فمثل قصاب ماهر طعن الثور السماوي طعنة قاتلة وغرس سيفه بين السنام والقرنين ، وبعد ان اجهزا عليه انتزعا قلبه وقرباه إلى الإله شمش ، وسجدا له ثم جلسا امامه واستراحا . أمّا عشتار فاعتلت أسوار اوروك المحصنة وقفزت فوق الشرفات وقذفت بلعنتها صارخة :

(الويل لجلجامش الذي أهانني بقتل ثور

السماء) .
فلما سمع جلجامش هذا القول من عشتار ، قطع فخذ الثور السماوي الايمن ورماه بوجهها فقال :
ـ لو أمسكت بك لفعلت مثلما فعلت بالثور ولربطتك بأحشائه .
جمعت عشتار المترهبات وبغايا المعبد والمومسات وأقامت المناحة والبكاء على فخذ الثور السماوي الأيمن ، اما جلجامش فانه دعا الصناع وعمال السلاح كلهم فانتبهوا لكبر قرنيه وثخنهما وكلاهما من اللازورد بزنة ثلاثين مناً وغلاف كل منهما إصبعين وسعت كليهما ستة كورات سمناً ، فأخذ بمقدار ذلك جلجامش زيتاً للمسح الى إلهه الحامي لوكال بندا ، أخذهما وعلقهما في غرفة نومه الملكية ثم غسل جلجامش وانكيدو أيديهم في نهر الفرات وعانق كل منهما الآخر وسارا في الطريق الى اوروك وفي اسواقها اجتمع أهلها ليشاهدوهما والى مغنيات أوروك قال جلجامش :
ـ من المشرق بين الابطال ؟ من القوي بين الرجال؟
فيجبنه :
ـ جلجامش المشرق بين الابطال ، جلجامش القوي بين الرجال .

ثورٌ مطعون بالرماح (من ماري)

سارا في الاسوق فأمتلأت بالناس وكان جلجامش يشير بقبضته حتى وصل الى قصره فأقام احتفالاً كبيراً اضطجع البطلان بعده في أسرّة الليل فرحين مرتاحين ، أما عشتار تلك التي قذفاها بفخذ الثور الايمن فلم تجد في الدرب من يواسيها ويفرح قلبها .

حلم انكيدو

في تلك الليلة رأى انكيدو حلماً في منامه ، فلما اتى النهار نهض وقصّ حلمه على صاحبه :

يا صديقي أي حلم عجيب رايت الليلة الماضية . . رأيت مجلس الالهة آنو وإنليل وإيا وشمش السماوي قد اجتمعوا يتشاورون فقال آنو لانليل :

ـ لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا سيموت ذلك الواحد من الاثنين ، ذلك الذي اقتطع اشجار الارز .

فاجابه انليل :

ـ إن انكيدو هو الذي سيموت أما جلجامش فلن يموت .

فقال شمش :

ـ ألم يقتلا ثور السماء وخمبابا بأمر مني ، فعلامَ يقع الموت على إنكيدو وهو البريء .

فقال إنليل :

يبدأ عقاب إنكيدو بالنذير عن طريق الحلم . ويبدو لنا حلم إنكيدو وكأنه حقيقة فاجتماع الآلهة ومواقفهم متطابقة مع الواقع ولا ترميز فيها .

ويبدأ ندم إنكيدو في أنه قبل بدءاً المجيء مع شمخة الى اوروك وقبلها تعلم الصيد والرعي ، ولعن الباب الذي دخل منه والذي صنعه من خشب الأرز . . لعن كل ماضيه ، وتذكر أنه كان مع الحيوانات يعيش عيشة هانئة لا مغامرة ولا تفكير فيها .

ويلومه جلجامش على هذه الطريقة في التفكير .

ـ ألأنك تطلع كل يوم عليهم حتى صرت كأنك واحد منهم .
إستلقى إنكيدو أمام جلجامش مريضاً واخذت الدموع تنهمر من عينيه فقال له جلجامش :
ـ يا أخي العزيز علامَ يبرؤنني من دونك ، هل سيتحتم عليَّ أن اراقب أرواح الموتى وأجلس عند باب الأرواح؟ هل سيكتب عليَّ أن لا أرى صاحبي العزيز بعيني .
ـ لقد قضت الآلهة أمراً بموتي وسأنتظره هنا في فراشي ، ليتني لم اجئ الى اوروك ، ليتني بقيت اخا للحيوان والظباء ، ليتني ما أكلت الطعام ، ليتني ما شربت الخمر ، ليتني لم اجئ ولم ادخل من الباب ، أيها الباب اخترت خشبك من مسافة عشرين ساعة مضاعفة قبل ان أبصر اشجار الأرز الباسقة ، ان خشبك يا باب لم أر له مثيلا في البلاد ، ارتفاعك إثنان وسبعون ذراعاً وعرضك أربع وعشرون ذراعاً ، لقد صنعك نجار ماهر في نفّر وجلبك منها ، ايها الباب لو كنت أعلم إن هذا ما سيحل بي وإن جمالك سيجلب لي المصائب لجعلت منك طوّافة ولكن ما الحيلة يا باب وقد صنعتك وجلبتك وأنا الذي رفعتك لعل ملكاً ممن سيأتي بعدي أو الهاً يجيء يزيل اسمي ويضع اسمه بدلاً من

اسمي .
سمع جلجامش قول صاحبه فجرت دموعه وقال له :
ـ حبــاك انليل بقلب واسع ومنحك الحكمة ولكنك تقول قولاً غريباً ، علامَ يا صاحبي نطقت بهذا ، كانت رؤياك عجيبة مخيفة وما اكثر الرؤى العجيبة . يسلط الإله على الاحياء الأحزان وتسلط الرؤى على الباقين منهم الأحزان ، يا صاحبي سأُصلي وادعو الآلهة العظام .

دموع انكيدو

ويتوغل إنكيدو في حزنه وغضبه على ماضيه فيدعو من الإله شمش أن ينتقم له من الصياد والبغي اللذين كانا سبباً في عبوره النقطة الفاصلة بين الحياة الوحشية والحياة المتحضرة .
لكن شمش يلومه تحديداً على لعنته للبغي . . فيعيد إنكيدو النظر في موقفه هذا .
وتمثل هذه الوهلة في إعادة النظر موقفاً عميقاً من الحياة والحضارة ، حيث يتغاضى إنكيدو عن انفعاله ويعيد ذكر الصفات التي منحته إياها البغي ويباركها .

حين ظهر النهار رفع انكيدو رأسه نحو الشمس وخاطب الإله شمش ، لقد جرت دموعه أمام ضوء الشمس وقال :
ـ أدعوك يا شمش من جهة الصياد الشر ، هو الذي منعني من أن اصطاد كثيراً مثل صديقي ، عساه الا يجد صيداً كثيراً مثل صديقه ، اسلب الصياد ماله واحل به المرض ، عساك ان لا تتقبل منه أعماله وعسى ان يفر كل صيد يروم اقتناصه وان لا تتحقق له امنية من أماني قلبه ، وأنت أيتها البغي سأقرر مصيرك إلى الأبد سألعنك لعنة قوية وستحل بك لعناتي في الحال ، لن تستطيعي أن تبني بيتاً يليق بجمالك ، سيذبل جمالك بسرعة وسيكون الطريق مسكنك وظل الجدار

موقفك ليكن أكلك من فضلات المدينة ،
ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك ،
سيلطم السكران والصاحي خدك وعسى
أن ينبذك عشاقك بعد أن يقضوا وطرهم
من سحر جمالك .
فلما سمعه الاله شمش ناداه من السماء
وكلمه :
ـ علامَ تلعن البغي يا انكيدو تلك التي
علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بسمة
الالوهية وسقتك الخمر اللائق بسمة
الملوكية ، والبستك الحلل الفاخرة
واعطتك جلجامش الجميل خلا
وصاحباً ، افلم يجعلك جلجامش خلك
واخوك تنام على الفراش الوثير وجعلك
تستلقي على سرير الشرف واجلسك
على كرسي الراحة الذي الى شماله ،
وجعل امراء الارض يقبلون قدميك
ويصلون من أجلك ، اما هو فسيطلق
شعره ويلبس جلد الأسد ويهيم على
وجهه في الصحارى .
فلما سمع انكيدو كلام شمش البطل
هدأ غضبه وندم على كلامه الذي قاله
بحق البغي فخاطبها قائلاً :
ـ إن لساني الذي لعنك قد تبدل
ليباركك ، سيحبك الملوك والامراء
والعظماء ولن يضربك أحد ومن اجلك
سيهز الشيخ لحيته ويحل الشباب

أحـزمـتـهـم ولأجلك يقـدمـون اللازورد والذهب والعقيق عسى ان يحل العقاب بكل من يمتـهنك ويكون بيـتـه وأهراؤه خـاليـة وسـيـدعك الكاهن تدخلين الى حـضـرة الالهـة ومن أجلك تترك الزوجة حتى لو كانت أم سبعة .

مرض انكيدو

اشـتـد المرض بانكيـدو ولبث راقـداً على الفـراش المرض وصـار يبث أحـزانه في تلك الليلة الى صديقه :

ـ يا خلي ، رأيت الليلة الماضـيـة رؤيا ، السماء ترعد والارض تستجيب لها وانا واقف بينهما فظهر أمامي شخص عبوس وجهه مثل وجه الطير (زو) ومخالبه مثل مخالب نسر ، عرّاني من لباسي وأمسك بي بمخالبه واخذ بخناقي حتى خمدت انفاسي ، بدّلَ هيئتي فصار ساعداي مثل جناحي طائر مكسوتين بالريش ونظر اليَّ وامـسـك بي وقـادني الى دار الظلام مـسكن اراكـلاّ الى البـيت الذي حـرم ساكنوه من النور ، حيث التراب طعامهم والطين قـوتهم وهم مكسـوون كـالطيـر بأجنحة من الريش يعيشـون في ظلام لا يرون نوراً وفي بيت التراب الذي دخلت رأيت الملوك والحكام ورأيت تيجانهم وقد نزعت وكـسـدست على الارض ، أجل

يصف إنكيدو في حلمه هذا العالم الأسفل كما هو ، ويصف أرواح الموتى كالطيور المتربة . ويرى في الحلم أن ساعديه تحولا الى جناحين وأن الريش غزا جسده وهذا يعني ذهاب روحه الى العالم الاسفل ، لقد كان البابليون يتصورون الروح مثل طائر على هيئة شكل الميت وتسمى (أطمو) تنزل من القبر بعد أن يتفسخ الجسد الى العالم الأسفل وتبقى هناك سجينة . وها هو يرى في ذلك العالم بعض سكانه المعروفين من الآلهة والملوك .

رأيت أولئك العظام الذين لبسوا التيجان وحكموا البلاد في الماضي وكان آنو وانليل وحدهم الذين يقدم لهم شواء اللحم والخبز ويسقون الماء البارد من القِرَب ، وفي بيت التراب الذي دخلت يسكن الكاهن الاعلى وخدم المعبد ويسكن كهنة التطهير والرقاة والمعوذون والذين يقدمون زيت المسح للالهة ويسكن (ايتانا) الراعي و(سموقان) اله الماشية وتحكم ايرشكيكال ملكة الارض السفلى وبعلة صيري كاتبة الارض السفلى تسجد امامها فلما رفعت رأسها وشاهدتني ، لم يمسك بي نمتار ، الحمى التي امسكتني ، العالم الاسفل امسك بي ، العالم الاسفل امسك بي ، لم اسقط في ساحة المعركة ، العالم الاسفل امسك بي .

استمع جلجامش الى صديقه وذهب الى امه ننسون يقص عليها حاله فقالت له :

ـ سيموت صاحبك يا ولدي وستبقى لوحدك . . لقد وقع عليه الاختيار ليرحل الى العالم الاسفل سيموت الذي اتخذته اخاً لك .

عاد جلجامش الى إنكيدو فقال له انكيدو :

ـ لاتتعب نفسك يا صاحبي ، لقد حلت بي اللعنة ولن اموت مثل رجل سقط

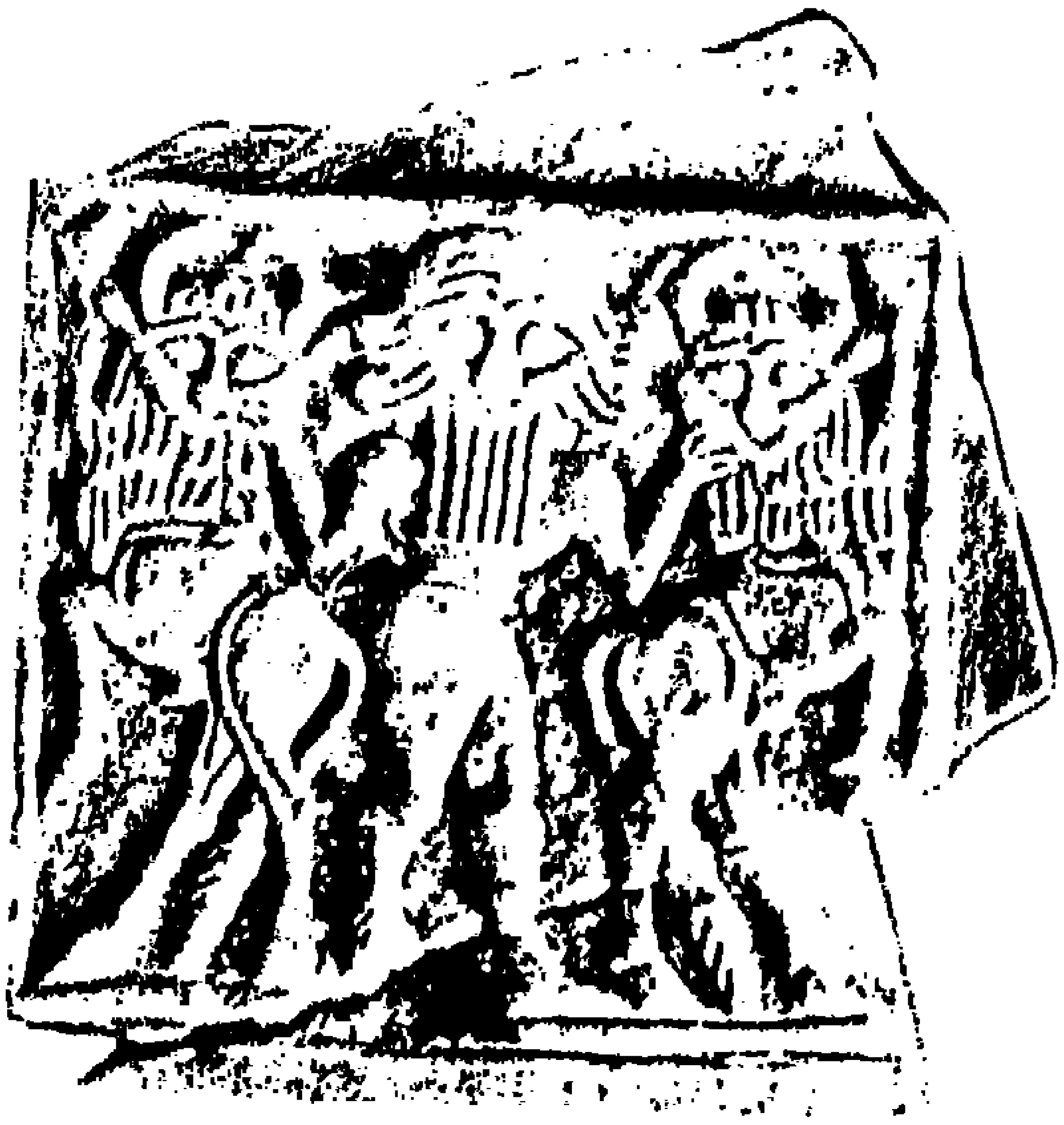

منحوتة لجلجامش

General Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina

في ميدان الحرب ، كنت اخشى القتال
ولكني سأموت بدونه ، الذي يسقط في
القتال مبارك .

جلجامش يبكي صديقه

في هذا المقطع واحدة من أجمل قصائد الرثاء على لسان جلجامش لصديقه إنكيدو ، وتزخر هذه القطعة بأسلوب أدبي حافل بالتشبيهات والاستعارات ويحتل مساحة اللوح الثامن من الملحمة كاملاً .

وهو إذ يبدأ الندب مع نفسه ويستحضر ذكرياته مع إنكيدو ، فإنه بعد ذلك يحرض كل من حوله من الناس والحيوانات والبراري وطرق غابة الارز والإنهار . . .الخ .

وكلما إزداد ندب جلجامش كان إنكيدو يغيب في ظلام العالم الأسفل .

وبموت إنكيدو ينتفضُ الجانب الإلهي في جلجامش ويسوقه للبحث عن سمة الالوهية الكامنة في الخلود .

انتهى اليوم الثاني عشر وعندما نورت خيوط فجر جديد قال جلجامش لصديقه :

- يا انكيدو ان امك ظبية وابوك حمار الوحش ، رضعت حليب الوحوش ورباك من لهم ذيول الماشية ، لتندبك المسالك التي سرت بها في غابة الارز وعسى ان لا يبطل النواح عليك مساء ونهاراً ، عسى ينوح عليك شيوخ اوروك ، وليبكيك الاصبع الذي اشار الينا من ورائنا وباركنا ، وعسى يتردد صدى البكاء في الارياف وكانه بكاء امك ، ليندبك الدب والظبي والنمر والضبي والفهد والاسد والعجول والغزلان وجميع الوحوش البرية ، ليندبك نهر (اولا) الذي مشينا على ضفافه ، ليندبك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه ، لينح عليك محاربو اوروك المحصنة ، ليندبك من رفع اسمك في اريدو ، ليندبك التي مسحت ظهرك بالزيت وسقاك الجعة ، لتنح عليك شمخة ، من اطعمك الغلة لينح ، الذي جلب اليك

الحبيبة والخاتم لينح عليك ، ليندبك الاخوة والاخوات ويطيلوا شعورهم من اجلك .

دعا جلجامش الصُّناع ومصممو النحاس والفخارين وقال لهم :

ـ من النحاس ، من الطين ، من الخشب اصنعوا لصديقي انكيدو تمثالاً وضعوه وسط اوروك .

دعا جلجامش شيوخ أوروك وقال لهم .

ـ أيسمعني شيوخ أوروك ، استمعوا لي انا ، انني أبكي وأنوح كالمرأة من اجل خلي وصاحبي ، ابكي وانوح إنه الفأس التي في جنبي والقوس الذي بيدي والسيف الذي في حزامي والدرع الذي أمامي ، إنه بدلة أعيادي وبهجتي ، لقد نهض الشر وخطفه مني يا خلي واخي الأصغر ، لقد طاردت حمار الوحش في التلال واقتنصت النمور في الصحارى ، انكيدو يا خلي وأخي الاصغر الذي اقتنص حمار الوحش في التلال والنمور في الصحارى تغلبنا على الصعاب وارتقينا قمم الجبال ، نحرنا الثور السماوي ، قهرنا خمبابا ساكن غابة الارز فماذا دهاك الآن ، هل سقط عليك النوم ، هل طواك ظلام الليل؟ الاتسمعني؟ .

لكن انكيدو لم يرفع عينيه فجسٌ قلبه فلم ينبض ، فغطى صديقه كما تغطى

العروس ، وصاح عالياً مثل الاسد ومثل لبوة فقدت أشبالها وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر اليه وينتف شعره ويرميه بعيداً . مزّقَ ثيابه الجميلة ورماها كأنها أشياء نجسة ولما لاح أول خيط من نور الفجر . نهض جلجامش ونادى صنّاع المدينة وصاح بهم :

- أيها الصفار والصائغ والجوهري ونحات الاحجار الكريمة اصنعوا تابوتاً عظيماً لصاحبي .

ثم التفت الى جسد إنكيدو المسجى وقال :

- ساجعلك تضطجع في سرير نبيل وأجعلك تسجى على خشب قوي ومعك إناء من اللازورد سأقربه الى شمش ، على فراش المجد ستنام وعلى كرسي الراحة في شمالي ستوضع لكي يقبّل الامراء الارض بين يديك ساجعل أهل أوروك يبكون عليك ويندبونك وسأجعل الاثرياء يحزنون وانا ساطلق شعري والبس جلد الكلب وأهيم على وجهي في البرية .

انكيدو يحذر

وضعنا في هذا المقطع مادة اللوح الثاني عشر الخاصة بنزول إنكيدو الى العالم الاسفل والتي نرى أنها مقحمة على نهاية الملحمة ، وأن مكانها الطبيعي في هذا المكان تماماً حيث يقوم جلجامش بعد نزول إنكيدو الى العالم الأسفل (أي بعد موته) بالطلب من إيا ثم نرجال لإخراج روح إنكيدو على شكل شبح ليسأله عن أحوال العالم الأسفل .

لقد هزّ موت إنكيدو جلجامش وأدرك أن الموت أمرٌ حتمي على البشر ، ولكنه قبل أن يصل اليه أراد معرفة أسرار العالم الأسفل .

وتظهر سعادة أرواح العالم الأسفل حسب عدد أبناء الشخص الذي نزلت روحه هناك .

وقد يكون هذا مؤشراً لجلجامش (الذي لا أبناء له) لأنه يرفض فكرة الموت ويبحث عن فكرة الخلود بديلاً .

وتشي الإشارة الى جسد إنكيدو في هذا المقطع الى العلاقة المثلية بين إنكيدو وجلجامش .

ويفسر المحللون أن احوال الناس في العالم الأسفل تكون بهذا الشكل على ضوء عدد الأبناء لأن ذلك مرتبط بإقامة الطقوس اللازمة بعد الموت والتي يمكن أداؤها بشكل أفضل كلما كان عدد أبناء المتوفي كبيراً .

عندما ألقى الصباح نوره من فمه ، حلَّ جلجامش حزامه ورمى الأحجار الكريمة من ثوبه وصنع صندوقا من الخشب وملأ قدح العقيق الأحمر بالدبس ، ملأ قدح اللازورد الازرق بالزبد وأعطى وجهه نحو الشمس ومن أجل إنكيدو خلّه بكى بكاءً مراً في المساء وفي النهار وندبه ستة أيام وسبع ليال معللاً نفسه بأنه سيقوم من كثرة بكائه ونواحه ، ثم امتنع عن تسليمه الى القبر ، أبقاه ستة ايام وسبع ليالٍ حتى تجمع الدود على وجهه ، فافزعه الموت وسقطت دودة من أنفه فواراه الثرى ، وضعه في باطن الارض وبكى بكاءً طويلاً ، ومن اجل خلِه ذهب وحيداً إلى بيت الجبل الإيكور بيت الإله انليل ، وشكى له موت انكيدو وطلب انقاذه ، لكن انليل لم يجبه بكلمة فذهب وحده الى الاله سين وشكى له موت صاحبه وطلب منه انقاذه ، لكن الاله سين لم يجبه بكلمة فذهب وحده الى الرب إيا وشكى له الموت صاحبه وطلب منه إنقاذه ، سمعه الاب إيا فقال الى البطل المحارب الاله نرجال :

ـ ايها البطل المحارب نرجال اسمعني ، افتح الآن ثقباً في الارض حتى تخرج

منها روح انكيدو من العالم الاسفل حتى تتكلم الى أخيه .

ففتح نرجال ثقبا في الأرض وخرجت روح أنكيدو من العالم الاسفل مثل الريح وتعانقا وقبلا بعضهما البعض وتحادثا ونحبا وقال كلكامش .

- تكلم يا صديقي ، تكلم يا صديقي اخبرني عن حالة العالم الاسفل الذي رأيته .

- لا أخبرك يا صديقي لا أخبرك ، إذا أخبرتك عن حالة العالم السفلي الذي رأيته فعليك أن تجلس وتبكي .

- سأجلس وابكي .

- جسمي الذي لمسته وأنعش قلبك قد اكله الدود ، مثل الثوب القديم جسمي الذي لمست مليء بالتراب .

صرخ جلجامش ورمى بنفسه الى الارض وتمرغ بالتراب وخاطب شبح انكيدو :

- هل رأيت الذي وقع من صاري السفينة؟

- نعم رأيته وكان مصحوباً بأوتاد .

- هل رأيت الذي مات موتاً فجائيا؟

- نعم رأيته مستلقيا على فراش الليل يشرب ماءً صافياً .

- هل رأيت الذي قتل في المعركة؟

- نعم رأيته ، أبوه وأمه يرفعان رأسه وتنوح عليه زوجته .

- هل رأيت من ترك جثمانه في البرية؟
- نعم رأيته ، ان روحه لا تجد الراحة في العالم الاسفل .
- هل رأيت من لا يوجد احد يقرب روحه؟
- نعم رأيت ، إن روحه تاكل من حثالة الأوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع .
- هل رايت الذي لا ولد له؟
- نعم رايته وطعامه التراب والطين
- هل رايت الذي خلّف وراءه إبنا واحداً؟
- نعم رأيته إنه يضطجع في بناءٍ من الآجر ويأكل الخبز .
- وهل رأيت الذي خلّف ثلاثة ابناء؟
- نعم رأيت إنه يسقي الماء من منطقة ماء العمق .
- والذي له أربعة أبناء هل رايته؟
- نعم رأيته وهو فرح القلب .
- هل رأيت الذي خلّف خمسة ابناء؟
- نعم وكان كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر .
- هل رأيت الذي له ستة ابناء؟
- نعم رأيته وهو في غاية السعادة .
- هل رأيت الذي له سبعة أبناء؟
- نعم رأيته وكان مقرباً من الآلهة؟
- يا ويلي يا أنكيدو يا ويلي ، ليس لي

ولد واذا داهمني الموت فسأتسول في العالم الأسفل بعد كل العز الذي أنا فيه .

هل سيكون الموت مصيري؟

تبدأ حياة جديدة لجلجامش بعد أن شاهد الموت يأخذ صاحبه ، وأحسّ أنه سيتبعه وكأنه يعزف عن الدنيا والملوكية واوروك ويذهب في عالم جديد تحفّ به الاخطار لكنّ ضوءاً عميقاً يلوح له في نهايته .

كان شبح إنكيدو يختفي فعانقه كلكامش وودعه إلى الابد وجلس عند ثقب العالم الاسفل متحيراً مضطرباً باكياً وأهال التراب على رأسه وهام على وجهه في الصحارى وصار يناجي نفسه (اذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل انكيدو ، لقد حلّ الحزن والاسى بجسمي ، خفت من الموت وها انا أهيم في البوادي هرباً منه) .

جلجامش يرحل إلى زمن الطوفان

١. قتل الأسود

لم يكن الطريق من أوروك الى دلمون حيث يقيم اوتونابشتم سهلاً ، فقد اجتاز جلجامش سبع عقبات خاض خلالها سبع مغامرات هي :

١- الأسود .

٢- الجبل ماشو والرجال العقارب .

٣- طريق الشمس المظلم .

٤- غابة الاحجار والمعادن .

٥- صاحبة الحانة سدوري .

٦- أورشنابي ملاح اوتونابشتم وقطع أخشاب الغابة وصناعة المجاديف .

سار جلجامش في طريق لا يعرف نهايته لكنه تذكر الحكيم (اوتونابشتم) الذي يسكن دلمون مثل الإله خالداً ، الذي تخلص من الطوفان فوجه وجهته اليه ليسأله عن سر الموت وعن الخلود ، جلجامش لايريد ان يحل به ما حل بانكيدو ، فلما بلغ ممرات الجبال ليلا رأى الأسود فتملكه الخوف والرعب ورفع رأسه الى سين العظيم وصلىّ اليه ودعاه أن يحميه ويحفظه ، كانت الأسود تمرح مسرورة في ضوء القمر فرفع جلجامش

٧- خوض البحر (مياه الموت) دون ان تلمس يده المياه .

وقد عبرها جلجامش كلها بجلد وصبر . وتطالعنا في هذه المغامرات دلالات رمزية عميقة ويمثل قتل الاسود أو الإجهاز على رمز ذكوري شمسي والعودة تدريجياً الى عصر الأمومة كما سنرى .

فأسهُ بيده واستل سيفهُ من غمده وانقض عليهم كالسهم فضربها ومزقها إرباً .

٢. جبل ماشو والرجال العقارب

تمثل رحلة جلجامش من أوروك الى دلمون ، من وجهة نظرنا ، رحلةً نحو الماضي وتحديداً قطع مسافة الزمن من عصر مملكة اوروك التي ملكها جلجامش باتجاه معاكس للزمن نحو عصر الطوفان الذي يمثله أوتونابشتم ، وتمثل المغامرات السبع التي خاضها جلجامش سبع محطات رمزية بهذا الاتجاه .

وخلاصة القول أن جلجامش بعد أن أوصل العقيدة الشمسية الذكورية الى ذروتها ، بدأ في هذه المغامرة بالعودة بها نزولاً وسيقوم بإسقاط كل الرموز الذكورية ويتجه تدريجياً نحو الرموز الأنثوية والمائية . فالجبل ماشو يمثل الشمس في غروبها ، والرجال العقارب هم كائنات تيامية (كما يرد ذلك في اسطورة الخليقة) أي أن جلجامش رحل باتجاه عصر الأمومة والانوثة والمياه الاولى .

بعدها بلغ جبلا عظيماً اسمه (ماشو) .الذي يحرس كل يوم شروق الشمس وغروبها والذي تبلغ أعاليه رأس السماء وفي الأسفل ينزل صدره الى العالم الاسفل ويحرس بابه الرجال العقارب الذين في نظراتهم الموت ، حراس الشمس في شروقها وغروبها فلما أبصرهم جلجامش إصفّر وجهه فزعا وضبط مشاعره وتقدم فنادى أحدهم زوجته وقال لها :

- ان جسم الذي أتانا من مادة الآلهة .

فقالت له زوجته :

- أجل إن ثلثيه إله وثلثه بشر .

نادى الرجل العقرب جلجامش وهو يقترب منه .

- ما الذي حملك على هذا السفر البعيد وعلامَ قطعت الطريق الطويل وجئت عابراً البحار الشاقة العبور ، ابن لي عن قصدكَ من المجيء هنا .

- جئت أبحث عن الاب (اوتو نابشتم) الذي دخل في مجمع الالهة ، جئت لاسأله عن الموت والحياة .
- لا يوجد إنسان يستطيع ذلك يا جلجامش ، لم يعبر أحد من البشر مسالك الجبال ، داخلها يمتد اثنتي عشرة ساعة مضاعفة والظلام حالك ولا يوجد نور وهي تمتد من مطلع الشمس الى مغربها .
- عزمت على أن اذهب بالحزن والألم ، في البرد وفي الحر وفي الحسرة وفي النحيب ، فافتح لي باب الجبل .
فتح الرجل العقرب فاه واجاب جلجامش :
- ادخل يا جلجامش ولا تخف ، وأنت ان تعبر جبال (ماشو) فعساك تقطعها وتعود بك قدماك سالماً وها هو باب الجبل امامك .

الرجل العقرب

٣. طريق الشمس المظلم

يدخل جلجامش في الطريق الذي تسلكه الشمس بعد غروبها وهي تمخر طريقاً مظلماً . وترمز الساعات الاثنا عشر المضاعفة الى فقدان تدريجي لروح الشمس وقوتها في جلجامش ، ويشبه هذا المسرى شعيرة العبور التي ينتقل فيها الإنسان من مرحلة الى مرحلة ، وكأن جلجامش هنا يعبر باتجاه صباه وطفولته ، فهو يفقد في هذا الطريق المظلم

لما سمع جلجامش ذلك اتبع كلمة الرجل العقرب ودخل طريق الشمس فلما قطع ساعة مضاعفة كان الظلام واختفى نور ، ولم يبصر أمامه أو خلفه وسار ساعتين مضاعفتين ولم يزل الظلام ، ولم يزل النور مختفياً فلم يبصر أمامه أو خلفه وسار ثلاث ساعات مضاعفة ثم اربع

مكاسبه الشمسية الذكورية .

ساعات مضاعفة ثم خمس ساعات مضاعفة ثم ست ساعات مضاعفة ثم سبع ساعات مضاعفة ثم ثمان ساعات مضاعفة ولم يزل الظلام فعلا صراخه ولم يزل النور مختفياً فلم يبصر امامه او خلفه ، وسار تسع ساعات مضاعفة فاخذ يشعر بالريح تلفح وجهه ولم يزل ظلام ولم يزل النور مختفياً فلم يبصر امامه او خلفه ثم سار عشر ساعات مضاعفة عَّم النور وابصر امامه اشجارا تحمل احجارا ثم سار احد عشر ساعة مضاعفة خرج بعدها شفق الشمس وعندما سار اثنتي عشر ساعة مضاعفة صارت الارض منيرة .

٤. غابة الأحجار والمعادن

تمثل غابة الاحجار والمعادن وصولاً الى زمن اكتشاف المعادن وتطويعها وهو الزمن الذي يسميه علم الآثار بعصر الكالكوليت (الحجري. المعدني) . ويشكل هذا الزمن عتبةً تطلّ بعدها على العصر الأمومي الذي تمثله الإلهة الأم .

رأى غابة الصخور ورأى اشجارا تحمل العقيق والاعناب تتدلى منها ، ورأى الاشجار تحمل اللازورد الازرق ، رأى الشوك والعوسج الذي يحمل الاحجار واللؤلؤ ، رأى غابة ارز زينها الصخر الأبيض ، رأى اللاروش البحري ، رأى الرصاص الاحمر ، رأى نبات الكبر والشوك وصخر الانكوكمي المعدن ، رأى الخرنوب وصخر ادرومو ، رأى صخر الزاج وحجر الدم رأى أصماغ الزرنيخ رأى أحجار الزينة ، رأى جلجامش كل هذا فانبهر .

٥. سدوري صاحبة الحانة

تمثل (سدوري) من وجهة نظرنا شكلاً من أشكال الإلهة الأم ، التي تأتي في حلقة استعادة العصر الأمومي عند جلجامش والذهاب باتجاه عصر الطوفان .

يعرف صاحب الحانة بالأكدية (صابو Sabu) وصاحبة الحانة (صابيتو Sabitu) ويبدو أن هذا الاسم مأخوذ من معنى فعل (صبّ) أي سكب الخمر . وربما الماء!! وسدوري Siduri اسم لهذه التي تصب الخمر أو الماء . وفي هذا إشارة الى الماء أو الخمر المرتبط بإمرأة .

ونرى أن لقاء جلجامش بسدوري يحمل دلالة عميقة ، فهو يرى الأنوثة تخاطبه وتدعوه للتخلي عن قيم ذكورية كالخلود وتدعوه للعيش ببساطة وأن يأخذ الحياة كما هي .

وتأخذ هذه اللمحة الرمزية بعداً عميقاً في مسرى انحدار جلجامش نحو القاع الانثوي المائي .

وحين يقص جلجامش قصته مع إنكيدو فإنه يتذكر زمناً أصبح الآن يسير بالاتجاه المعاكس له ، لقد كان ذلك الزمن هو زمن الموت ، وهو الآن هارب منه باتجاه زمن الحياة الذي هو زمن الماضي وزمن الماء وليس زمن الشمس الذي سيطر عليه وهو في أوروك .

لكنه تقدم ساعات مضاعفة على ساحل البحر وشاهد حانة هناك فتقدم اليها ورأت صاحبة الحانة (سدوري) جلجامش مقبلا بلباسه الجلدي ووجهه الاشعث الذي يظهر عليه العناء والتعب لكن جسمه من مادة الالهة فقالت لنفسها (يبدو ان هذا الرجل قاتل شرير ، ترى اين يريد الذهاب) فأوصدت الباب وأحكمت غلقه بالمزلاج فسمع جلجامش صرير الباب فنادى صاحب الحانة وقال :

- ما الذي أنكرتِ فيَّ يا صاحبة الحانة حتى أوصدتِ الباب بوجهي وأحكمت غلقهُ بالمزلاج ، لأحطمن بابكِ وأكسر المدخل ، أنا جلجامش الذي قبضت على الثور السماوي وقتلته وغلبت حارس الغابة خمبابا .

- إن كنت حقا جلجامش الذي قتل حارس الغابة وغلب خمبابا وقتل الأسود في ممرات الجبال وأمسك ثور السماء وقتله فلمَ ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك وعلامَ ملك الحزن قلبك وتبدلت هيئتك ، لم صار وجهك أشعث كوجه من سافر سفراً طويلاً ، كيف لفح وجهك الحر والبرد وعلام تهيم على وجهك في الصحارى .

ـ كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي ويملأ الليل قلبي وتتبدل ملامحي فيصير وجهي اشعث من سفر طويل ويلفح وجهي الحر والبرد واهيم علىٍ وجهي في الصحارى وقد أدرك مصير البشر صاحبي وأخي الأصغر الذي صاد الحمر الوحشية والنمور في الصحارى ، الذي تغلب على جميع الصعاب ، غلب خمبابا الذي يسكن غابة الارز ، انكيدو صاحبي وخلي الذي أحببته انتهى الى ما يصير اليه البشر جميعاً فبكيته مساءً نهاراً وندبته ستة أيام وسبع ليال معللاً نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي ولم اسلمه للقبر ، أبقيته ستة ايام وسبع ليال حتى تجمع الدود على وجهه فأفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحاى ، النازلة التي ضربت صاحبي اقلقتني ، لقد غدا ترابا وأنا مثله لن اقوم ابداً فياصاحبة الحانة الآن وقد رأيت وجهك ، دعيني لا ارى الموت الذي أخشاه .

كُل واشرب وارقص وافرح

يمثل هذا النص الوجودي الانثوي اشارة فريدة لجلجامش إذ يحاول ثنيه عن مسعاه الذي لن يحصل منه على شيء . ولكن جلجامش ما زال مأخوذاً بفكرة البحث عن الخلود . ولكن هذه النصيحة التي

ـ إلى اين تسعى يا جلجامش ، الحياة التي تبغيها لن تراها ، حين خلقت الآلهة البشر قدرت عليه الموت واستأثرت هي بالحياة . اما انت يا جلجامش فليكن

تقدمها سدوري هي أساس الطريق الذي عاد فيه جلجامش الى هذا الماضي ، فهو يسألها عن الطريق الى البحر والماء فتدله فيذهب باتجاه زمن البحر والماء ليكمل رحلته الرمزية نحو الماء والانثى الكونية .

كرشك مليئا على الدوام وافرح وابتهج ليل نهار ، اطرب ، ارقص ، لتكن ملابسك نظيفة ورأسك مغسولاً واستحم بالماء ، ارع الصغير الذي يمسك بيدك ولتبتهج زوجتك في حضنك فهذا هو نصيب البشرية .

ـ حسنا يا صاحبة الحانة اين الطريق الى اوتونابشتم دليني كيف اتجه اليه؟ فإذا أمكنني الوصول اليه فانني حتى البحار سأعبرها ولو لم استطع فسأهيم على وجهي في الصحارى .

ـ لم يعبر البحر احد قبلك يا جلجامش ، ليس غير شمش يستطيع ذلك ، ان عبوره شاق عسير وما عساك ستصنع لما تبلغ مياه الموت العميقة؟ هناك (اورشنابي) ملاّح (اوتونابشتم) وعنده ألواح تعينه وهاهو الآن في الغابة يقتطف النبات فعساك تراه وتعبر بصحبته والاّ فعد الى بلادك .

٦. جلجامش يلتقي أورشنابي

يمثل أورشنابي (ملاح سفينة أوتوناشتم) محطة خامسةً في رحلة جلجامش نحو عصر الطوفان ، وبسبب عجلة جلجامش الذي يندفع لمشاهدة أورشنابي فإنه يكسر الألواح أو الصور الحجرية التي كان يصطحبها أورشنابي معه لكي يستطيع بها العبور في مياه الموت ، ولذلك يأمره بصنع مجاديف لكي يعبرا بها هذه المياه . وتستعمل هذه المجاديف لمرة

سمع جلجامش ذلك فحمل فأسه واستل سيفه من حزامه ودخل اعماق الغابة كالسهم وتوغل غاضبا ، فلاح له اورشنابي الذي رفع عينيه فرآه وصاح به :

ـ قل لي ما اسمك؟ اسمي اورشنابي .

ـ اسمي جلجامش ، قادم من اوروك ، من (إي ـ أنّا) اجتزت البحار وركبت الاسفار

واحدة وتترك في الماء لانها تمسّ المياه القاتلة .

الطويلة مع مطلع الشمس وجئت لاراك ، وها انا اراك فدلني على أوتونابشتم البعيد .

- ولكن لم ذبلت وجنتاك وامتقع وجهك؟ علامَ غمر الحزن قلبك وتبدلت هيئتك فصار وجهك اشعث كمن عانى الأسفار الطويلة؟ ولم لفح وجهك الحر والبرد وهمت على وجهك في الصحارى .

- يا أورشنابي ، إن خلي وأخي الصغير أدركه مصير البشر وأنا الا اكون مثله فاضطجع فلا اقوم من بعدها أبد الدهر ، والآن يا اورشنابي أين الطريق الى أوتونابشتم؟ ، ما هي العلامات اعطها لي ، اعطني العلامات فاذا كانت ممكنة فحتى البحار سوف اعبرها وان لم تكن فسوف أهيم بوجهي في الصحارى .

- يا جلجامش يداك هما اللتان منعتاك من عبور البحر لانك حطمت الألواح وانت تجمع الأرز وان تحطمت هذه الألواح فلا يمكنك العبور ، والآن خذ الفأس بيدك يا جلجامش وانحدر الى الغابة واقطع منها مائة وعشرين مردياً طول كل منه ستون ذراعاً واطلها بالقير واجعل اعقابها الازجاج .

لما سمع جلجامش ذلك رفع فأسه وسحب سيفهُ وانحدر في الغابة واقتطع منها مائة وعشرين مردياً طول كل منها

ستون ذراعاً وطلاها بالقير وعكف اعقابها وجاء بها اليه .

٧. خوض البحر

ركب اورشنابي وجلجامش في السفينة وتقاذفتهما الامواج وهما على ظهرها وسرت السفينة يوما وثانيا وثالثاً قطعا منها يوما وخمسة عشر يوما من السفر العادي حتى وصل أورشنابي (ماء الموت) فقال جلجامش .

هيا اسرع وخذ مرديا وادفع وحذار ان تمس يدك (ماء الموت) اسرع ياجلجامش ، اسرع وتناول مرديا وثانيا وثالثاً ورابعا وخامسا وسادسا وسابعا وثامنا وتاسعا وعاشراً وحادي عشر وثاني عشر .

فعل ذلك جلجامش ثم نزع ثيابه ونشرها بيديه كأنها الشراع وكان اوتونابشتم قد أبصر السفينة من بعيد فاخذ يخاطب قلبه ويتمتم (لماذا دمرت ألواح السفينة وتماثيلها ولم يركب عليها شخص غير ملاّحها والذي يتقدم ليس بالرجل التابع لي ، انظر ولكن لا ، انظر ولكن . . .) .

يبدو أن المرحلة الأخيرة من مياه البحر هي التي تشكل (مياه الموت) والتي من أجلها صنعت المجاديف وهي كما نظن مياه الطوفان الحقيقية التي ظلّت من ذلك الزمان .

ولا يعبرها جلجامش بسهولة الاّ بعد أن ينشر ملابسه ، أي يتعرى ، وهذا يدل على إنه عاد تماماً الى عصر الامومة الطوفاني ، والجدير بالذكر أن المياه الأزلية التي تحيط بالأرض تسمى بالسومرية/ نمّو على اسم الإلهة السومري الأم الأولى .

جلجامش يرحل إلى زمن الخليقة الأول

١. في حضرة أوتونابشتم

يمثل لقاء جلجامش بأوتونابشتم أول محطة في رحلة أبعد تبدأ من زمن الطوفان حتى زمن الخليقة الأولى . إن رحلة جلجامش تستمر رمزياً بالأتجاه المعاكس للزمن . وها هو الآن في حضرة أوتونابشتم ، وها هو في الفردوس الإلهي . . فهل هذا هو كل شيء؟ كلا بالطبع لأنه سيخترق الزمن الى ما هو أبعد ، سيذهب الى زمن الإلهة الأم الأولى نفسها وسيلتقيها . وتمثل الرحلة السباعية الجديدة عدة محطات هي :

١- في حضرة أتونابشتم – الطوفان

٢- قصة الطوفان – العودة لما قبل الطوفان (عصر الأحزان) .

٣- نوم جلجامش وعبوره الى عصر أبعد (العصر الذهبي) .

٤- غسل جسد جلجامش وعودته جنيناً في رحم الإلهة الأم (العصر المثالي) .

٥- حصوله على عشبة الخلود (عصر الخليقة) .

٦- ظهور الأفعى (الإلهة الأم) .

٧- العودة الى أوروك (الزمن الدائري) .

اقتربت السفينة من الساحل ونزل أورشنابي وجلجامش ورحب بهما أوتونابشتم وقال لجلجامش :

- من عساك تكون ، انا اوتونابشتم؟

- أنا جلجامش من اوروك .

- مالي أراك حزينا ممتقع الوجه ذابل العين يغمر الحزن قلبك وهيئتك متبدلة .

- كيف لا اصير هكذا وخلي واخي الاصغر انكيدو أدركه مصير البشر ، فافزعني موته وهمت على وجهي في الصحارى ، والنازلة التي حلت به جثمت على صدري ، كلمة صديقي كانت صعبة عليّ ، إن صاحبي الذي احببت أصبح تراباً وانا الا أكون مثله فاهجع هجعة لا اقوم منها ابد الدهر؟ ولذا تراني جئت أراك ، الذي اسمك البعيد ، لقد طوفت كل البحار ولم يشبع جسمي من النوم الطيب ، انهكني السفر والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب ولم اكد أبلغ بيت صاحبة الحانة حتى تمزقت ثيابي ، قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر والايل والوعل وكل حيوان البر ودوابه ، أكلت لحومها واكتسيت بفروها حتى وصلت الى ملاّحك فنصحني ببناء السفينة وطليها بالقار .

٢. قصة الطوفان
الأحزان ما قررته الآلهة على البشر

كان الوصول الى أتونابشتم يعني الوصول الى عصر الطوفان ، وهو نقطة عود أبدي وزمن دائري يبدأ من الحاضر وينتهي بساروس مائي . وسينطلق جلجامش رمزياً نحو الساروس الهيولي في رحلة معاكسة أيضاً باتجاه زمن التكوين والخليقة الأولى .

ومن الطبيعي أن الرحلة تبدأ بسرد قصة الطوفان والعودة الى ما قبله ، الى زمن الأحزان والفوضى التي سبقت الطوفان وهيأت له . لقد انقسم الزمن بين الخليقة والطوفان الى عصرين أساسين الأول هو العصر الذهبي الذي ابتدأ منذ خلق الإنسان والثاني هو العصر المأساوي الذي ظهر فيه الشر وسادت فيه الأحزان حتى انتهى بالطوفان . ويسبق العصر الذهبي عصرٌ إلهي مثالي نصل قبله الى عصر التكوين ، وتقدم لنا الملحمة باطنياً رحلةً رمزية نحو هذه العصور سنتتبعها واحدة بعد الأخرى .

ـ انت يا جلجامش . . ان الاحزان هي ما قررته الالهة على البشر وان عمل امك وابيك هو ولادتك كي تحتضنك الاحزان ، إن الموت قاس لا يرحم ، هل بنينا بيتا يدوم الى الابدً؟ هل ختمنا عقداً يدوم الى الابد؟ وهل يقتسم الاخوة ميراثهم ويدوم الى الابد؟ وهل تبقى البغضاء في الارض الى الابد؟ وهل يرتفع النهر ويأتي الفيضان الى الأبد؟ والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها وتبصر وجه الشمس حتى يحلّ أجلها ولم يكن دوام وخلود منذ القدم وما أعظم الشبه بين النائم والميت؟ ألاتبدو عليه هيئة الموت؟ ومن ذا الذي يستطيع ان يميز بين العبد والسيد اذا وافاهما الأجل ، الانوناكي يجتمعون قبل وقت ومعهم (ما ميتم) صانعة الاقدار والمصائر ويقسمون الموت على البشر أما يوم الموت فلا يعرفونه .

ـ ها انا انظر اليك يا اوتونابشتم فأجدك مثلي لا تختلف هيئتك عني ، لقد تصورتك كالبطل على أهبة القتال فاذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ووجدت الحياة الخالدة .

ـ يا جلجامش سأكشف لك سراً مستوراً من أسرار الآلهة ، ساقص عليك قصة الطوفان الذي حصل منذ أزمان بعيدة .. وكيف تخلصت منه أنا ومن معي وكان اسمي أنذاك اتراحاسس وكيف منحتني الآلهة الخلود بعد أن انقذت الحياة .

وقص اوتنابشتم عليه قصة الطوفان ولما انتهى منها قال لجلجامش :

ـ والآن من سيجمع الآلهة من أجلك في مجلسهم يا جلجامش لكي تنال الحياة التي تبغي ، تعال امتحنك ، لا تنم ستة أيام وسبعة ليالٍ .

٣. نوم جلجامش
الأرغفة تفضح نومك

النقلة الثالثة باتجاه الماضي السحيق هي في نوم جلجامش ، ويمثل النوم ذهاباً نحو العصر الذهبي الذي كان الإنسان فيه كسولاً لا يعمل بل يعيش على نتاج الطبيعة دون جهد وهو زمن يسبق عصر اكتشاف الزراعة والعمل .

وتصبح الأرغفة بوصلةً زراعية للحساب وعدّ الزمن الماضي ، وتقوم بإعداد هذه البوصلة أو الروزنامة زوجة اتونابشتم الخالدة أيضاً ، وهنا نصادف وجهاً من وجوه الإلهة الأم وهي المرأة الثانية التي يقابلها جلجامش في رحلته المضادة للزمن بعد سدوري التي مثلت في رأينا إشارة للإلهة الأم أيضاً . وقد كانت زوجة

وافق جلجامش على ذلك وجلس على عجزه ساهرا واذا سنة من النوم تأخذه وتتسلط عليه مثل الذباب فقال أوتونابشتم لزوجته :

ـ انظري هذا الرجل الذي ينشد الحياة ، لقد أخذته سِنَةٌ من النوم وتسلطت عليه مثل الضباب .

فقالت زوجته :

ـ المس الرجل كيما يستيقظ ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه .

ـ البشر خداع وسيخدعك ، اخبزي له خبزاً وضعيه عند رأسه وأشّري الايام

اوتونابشتم (التي منحت الخلود واقتربت من الالوهية) مرتبطة برمز الرغيف والزراعة وكأنها تحمل شارة ذلك العصر وشارة الإلهة الأم التي عبدت قبله بقليل وبعده بقليل . ويرمز الرقم سبعة هنا الى زمن مقدس .

التي نامها على الجدار كي لا ينكر .
فخبزت له أرغفة الخبز ووضعتها عند راسه واشّرت الايام التي نامها على الجدار ، فصار الرغيف الاول يابساً وتلف الرغيف الثاني والثالث لم يزل رطباً وابيضت قشرة الرابع والخامس لم يزل طريا والسادس قد تم خبزه في الحال ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر ، لمسه فاستيقظ ، ولما استيقظ جلجامش قال لاوتونابشتم :
ـ لم تكد تاخذني سِنَةٌ من النوم حتى لمستني فأيقظتني .
ـ يا جلجامش إحسب أرغفتك وانظر عدد الأيام المؤشرة التي نمت فيها .
ـ ماذا عساي افعل يا اتونابشتم والى اين اوجه وجهي وها ان السارق امسك بلحمي فلايما جهة أقصد أرى الموت .

٤. غسل جسد جلجامش

يمثل استحمام جلجامش هنا وغسل جسده التخلص من أدران الحياة وجلودها وأوساخها والعودة النهائية الى مرحل العري ، الى الطفولة . ويرمز دخوله في المياه رجوعه الى المياه الأولى ، مياه الإلهة نمّو : الإلهة السومرية الأم الأولى .

إن استحمام جلجامش هنا يشكل من وجهة نظرنا رمزياً العودة الى الرحم وتحوّله الى جنين داخل رحم الأم الأولى . وها هو يقترب من هدفه .

وإذا كانت مياه الطوفان تمثل مياه الموت ، فإن مياه

قال اوتونابشتم الى اوشنابي الملاّح :
ـ يا اورشنابي عسى ان لا يرحب بمقدمك المرفأ ويبرأ منك موضع العبور ، لتذهب مطروداً من الشاطئ ، إن الرجل الذي قدته الى هنا غطت جسمه الاوساخ وشوهت جمال جسمه أردية الجلود ، خذه يا اورشنابي وقده الى موضع الاغتسال ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج لينزع عنه جلود

الاغتسال هنا تمثل مياه الحياة ، ولذلك يتعمّد جلجامش عكسياً ليعود الى الحياة الأولى ويستقر فيها ولكن رمز الإلهة الأم (زوجة أوتونابشتم) تقترح على زوجها اقتراحاً يخصّ جوهر الرحلة المعاكسة هذه الذي هو : الخلود .

الحيوانات وليرمها في البحر حتى ترى جسمه الجميل ، دعه يجرد عصابة راسه وليلبس حلة تستر عريه والى ان تصل مدينته وحتى ينهي طريق سفره ، لا تدع آثار البلى تبدو على حلته بل لتحافظ على جدتها .

أخذه أورشنابي وفعل كل ما أمر به ثم أركب جلجامش معه في السفينة وانزلا السفينة في الامواج وتهيئا للابحار فقالت زوجة اوتونابشتم لزوجها :

ـ لقد جاء جلجامش الى هنا وقاسى التعب واشتطت به الطرق فماذا عساك تعطيه وهو عائد الى بلاده .

٥. عشبة عودة الشيخ إلى صباه

تمثل هذه المنطقة عودة أعمق من الجنينية داخل رحم الأم . فهي تمثل زمن منح الإنسان الحياة منذ بداية خلقه كنطفة داخل الرحم .

ويشير غوص جلجامش في أعماق المياه والتقاطه النبات الشوكي ، الى غوص داخل مكونات الرحم والعثور على بيضة الحياة وسرّ الحياة .

النبات الشوكي الذي هو (العجرم) يشير اسمه بالأكادية الى أن معناه (يعود الشيخ الى صباه) وفي هذا الأسم الشفرة السرّية لتفسيرنا الذي قدمناه حيث يعود الشيخ جلجامش الى صباه في هذه الرحلة الزمنية المعاكسة كما وصفناها ، فهي ليست رحلة مكانية كما يوحي بها سطح النص إنما هي رحلة زمن باتجاه العود الأبدي .

رفع جلجامش المردي ليقرب السفينة الى الشاطيء فادركه اوتونابشتم وخاطبه قائلاً :

ـ لقد جئتَ يا جلجامش الى هنا وقاسيت التعب فما عساني أعطيك حتى تعود الى بلادك ، ساكشف لك سراً خفياً ، نعم ، يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه وشوكه يخز يدك مثل الوردة فاذا وصلت يداك الى هذا النبات فسوف تحصل على حياة خالدة .

لما سمع جلجامش ذلك دهن جسمه وربط احجاراً ثقيلة برجليه سحبته الى

وإذا كان جلجامش قد قبض على سرّ الحياة وبداية تكوين الإنسان فهل سيحتفظ به؟

اعماق المياه حيث ابصر النبات فاخذه فوخز يده وقطع الاحجار الثقيلة من قدميه فخرج من عمق البحر الى الشاطئ ورأى أورشنابي وقال له :
- يا أورشنابي هذا النبات عجيب يعيد للرجل قوته ونشاط حياته وسيكون اسمه (عودة الشيخ الى صباه) لاحملنه معي الى اوروك ذات الاسوار واجعل الناس تاكل منه أما انا فسآكله في شيخوختي حتى يعود شبابي .

٦. الأفعى تفوز بالخلود

لقد توغل جلجامش أبعد ، وعاد فنزل في الماء أكثر ووصل الى زمن الخليقة الأول ، الى نقطة الصفر في التكوين ، والى مكان العود الأبدي .

فماذا وجد هناك ؟ لقد كانت هناك الحية ، التي هي رمز الإلهة الأم (نمو) . إنها الأوربوس الأول المقفل (الحيّة التي تضع ذيلها في فمها) ، وهي بالتقاطها النبتة الشوكية وضعت ذيلها في فمها وأطبقت على الزمن الأزلي وعادت تنتجه عبر جلدها على شكل تقشرات .

وبذلك يكون جلجامش قد وصل الى أعمق نقطة في الزمان . وهنا تنتهي رحلته .

ثم سارا وبعد ان قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلعا بلقمة من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل وأبصر جلجامش بئراً باردة من الماء فنزل فيها ليغتسل في مائها ، فشمت الحية رائحة النبات فتسللت واختطفته ، ولما عادت نزعت عنها جلدها ، رأى ذلك جلجامش واخذ يبكي ونزلت الدموع من عينيه وقال لأورشنابي :
- من أجل من يا أورشنابي كلت يداي؟ ومن أجل من استنزفت دم قلبي؟ لم أحقق لنفسي مغنما ، نعم لقد عملت لأسد التراب (الحية) ، أفبعد عشرين ساعة مضاعفة يأتي هذا المخلوق فيختطف النبات مني وقد سبق لي اني لما فتحت منافذ الماء وجدت أن هنا نذيراً لي أن أتخلى عن مطلبي وأترك السفينة في الساحل لنعود براً إلى اوروك .

٧. عودة جلجامش إلى أوروك

تمثل عودة جلجامش الى أوروك استرجاعاً لفكرة الزمن الدائري ، فها هو يخرج من أعماق الزمان ليعود الى الحاضر في رحلة معاكسة ، وقد سبر أغوار الحياة وتعلم حكمتها .

وتمتاز رحلته الى أوروك بأنها رحلة عادية ليس فيها مغامرات ولا متاعب وترتبط خاتمة الملحمة ببدايتها وكأنها تريد القول إن الزمن الدائري في الملحمة هو أساس فكرتها وجوهرها . . وهو كذلك فعلاً .

وبعد مسافة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل ثم وصلا الى أوروك ذات الاسوار فقال جلجامش لأورشنابي الملاح :

- أُعلُ يا أورشنابي وامشِ فوق اسوار اوروك وافحص قواعد أسوارها وانظر آجر بنائها ، فتش دكة الاساس وتفحص الطابوق فيما اذا كان ليس بآجر وليست أسسه مكونة من سبع طبقات متتالية وضعها الحكماء السبعة .

عاش جلجامش سعيدا بقية عمره وأحسن بناء اوروك ومعابدها وعمّر تمّال معبد نفّر المخصص للإله انليل وزوجته .

ملوك سومر

انتقلت الملوكية من أوروك الى بقية المدن السومرية . وقد ظلّ الوضع السياسي في سومر قائماً على أساس نظام دولة المدينة (City State) الذي هو نظام لا مركزي تتعايش فيه الحكومات السومرية في المدن ، ولكن الملوكية الأساس تكون في مدينة معينة دون أن يعني ذلك سيطرة تلك المدينة على بقية المدن ، بل كان يعني احتراماً سياسياً لها . في مقابل وجود عاصمة دينية لجميع المدن السومرية وهي مدينة نفّر التي كانت مدينة مقدسة عند السومريين .

تزوج جلجامش وانجب ابنه أورننجال وحكم اوروك مائة وست وعشرين عاما وخلفه في حكم اوروك ولده وكان مجموع حكام اوروك اثنا عشر ملكا حكموا الفان وثلاثمائة وعشرة اعوام ، ثم دحرت اوروك في الحرب ونقلت ملوكيتها الى اور وفي اور حكم اربعة ملوك مدة مائة وسبع وسبعين عاما . ثم دحرت اور ونقلت ملوكيتها الى أوان .

ولكن النزاعات السياسية والطموحات التوتليتارية ظهرت بعد ذلك . وكان أول من أثارها لوگال زاكيزي الذي حكم في مدينة أوما ثم استولى على جميع المدن السومرية التي تتمتع بنظام لمركز ، وكانت عاصمة حكمه هي اوروك بسبب عراقتها وصدى بطولاتها القديمة . وقد استمرت هذه الدولة ربع قرن من الزمان وهناك ما يشير إلى توسعها خارج سومر وطموحها لتشكيل امبراطورية سومرية رغم أن هذا الأمر ما زال قيد البحث .

إن ظهور نص سياسي يشير إلى توسعات لوگال زاكيزي خارج سومر مازال يثير الشكوك حول امكانيته فعل ذلك رغم أن الآثار تؤيد انتشار الحضارة السومرية في ذلك الزمن . ولكننا لا نستطيع افتراض انتشارها سياسياً ، بل كانت انتشاراً ثقافياً حضارياً .

وهناك بعض الباحثين من يجد في هذا النص داعماً معنوياً لبطولات وفتوحات لوگال زاكيزي أكثر من كونه حقيقة وقعت .

وعلى أية حال فإن حركة لوگال زاكيزي المركزية والتوسعية هذه أضرّت بسومر التي كانت تتمتع بحكم سياسي مذهل يضمن التنوع والتعدد .

لقد أثارت هذه المركزية والتوسعية شهية طامح سامي جديد هو (سرجون الأكدي) الذي أطاح بلوگال زاكيزي وبسومر كلها ووضع الملوكية بأيدي الساميين للفترة من (٢٣٧١ - ٢١٥٤) ق.م وجعل عاصمة امبراطوريته أكد .

وفي اوان حكم ثلاثة ملوك مدة ثلاثمائة وستة وخمسون عاماً ودحرت اوان ونقلت ملوكيتها الى كيش ، وفي كيش حكم ثمانية ملوك ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وتسعون عاماً ، ثم دحرت كيش ونقلت الملوكية الى حمازي وفي حمازي حكم ملك واحد ثلاثمائة وستون عاماً ، دحرت حمازي ونقلت ملوكيتها الى اوروك حيث حكم فيها ثلاثة ملوك مدة مائة وسبعة وثمانين عاماً . ثم دحرت اوروك ونقلت ملوكيتها الى اور حيث حكم فيها ثلاثة ملوك مدة مائة وتسعة عشر عاماً . ثم دحرت اور ونقلت ملوكيتها الى أدب حيث حكم فيها ملك واحد فترة تسعين عاماً . ودحرت أدب ونقلت ملوكيتها الى ماري وفيها حكم ستة ملوك مدة مائة وستة وثلاثون عاماً . ثم دحرت ماري ونقلت ملوكيتها الى كيش وفي كيش حكمت صاحبة الحانة كوبابا مائة عام . ثم دحرت كيش ونقلت ملوكيتها الى اكشك حيث حكم فيها ستة ملوك تسعة وتسعون عاماً . ثم دحرت اكشك ونقلت ملوكيتها الى كيش وفي كيش حكم سبعة ملوك مدة اربعمائة واحدى وتسعين عاماً . ثم دحرت كيش ونقلت ملوكيتها الى اوروك وحكم في أوروك

لوكال زاكيزي خمسة وعشرون عاماً بعد ان سيطر على لجش التي كان يحكم فيها المصلح أوركاجينا ، حيث كان لوكال زاكيزي حاكما لمدينة أوما الذي ولده كاهن الالهة نصابا (بوبو) وعمل معه ابنه في منصب الكهنوتية واحبَ لوكال زاكيزي السلاح وعمل وتطلع الى الحكم واستولى على لجش واحرق رجاله معبد (انتاسورا) واخذوا معهم الفضة والأحجار الثمينة أهرقوا الدماء في المعبد (إي - إنكور) العائد إلى الإلهة نانشة وحملوا معهم الفضة والأحجار الكريمة . اقترف رجال اوما الاثم ضد الاله ننجرسو بتخريبهم لجش واستمر لوكال زاكيزي بفتوحاته فسيطر على أوروك وسمي (ملك اوروك) وعندها وهبه إنليل ملوكية كل البلدان ذات السيادة ملوكية كل (سومر) ووجه أنظار الناس اليه وجعل كل فرد من حيث تشرق الى حيثما تغرب الشمس يستسلم له ، بعد هذا ضم اليه اقدام كل شخص من البحر الادنى وعلى امتداد دجلة والفرات ، حتى البحر الأعلى ولم يبقي له إنليل أيّ منافس من حيثما تشرق الشمس الى حيثما تغرب فخضعت كل البلدان ذات السيادة لسيطرته كالأبقار في المرعى وكان الناس يروون حقولهم بحبور في ظل حكمه ، وانحنى له كل

حكام سومر التابعين وكل امراء البلدان المستقلة أمام مقر حكمه في اوروك وحكم لوكال زاكيزي خمسة وعشرين عاما ثم دُحرت أوروك مقر حكمه .

سرجون أكد

نقلت الملوكية الى أكد وفي أكد حكم سرجون الذي تبناه الرجل البستاني الذي صار ساقيا للملك اور - زبابا ، الذي شيد اكد وحكم فيها ستة وخمسين سنة وصار ملكا عظيما لبلاد النهرين والمنطقة ، كان ملك الجهات الأربع الملك القوي امه الكاهنة العليا اما ابوه فغير معروف ، اخوه ساكن الجبال ، مدينته التي ولد فيها هي مدينة الزعفران (ازوبيراني) على ضفاف الفرات حملت به أمه الكاهنة العليا وولدته في السر ثم وضعته في سلة من القصب وبالقار ثبتت غطائها ورمته في النهر الذي لم يتمكن من الهرب منه والنهر حمله وجلبه حتى (أقي) الساقي ، عندما رمى دلوه رفعه الى الاعلى ، ثم رباه كما لو انه ابنه ، ووضعه للعمل في بستانه . وفي أثناء عمله في البستان الالهة عشتار احبته والناس ذوو الرؤوس السود اعتنى بهم وحكمهم ، ثم عبر الجبال الصعبة مستخدما المعاول النحاسية وسلاسل الجبال العليا تسلقها

تظهر لنا سيرة سرجون في ما يشبه الاسطورة التي شاعت في العالم القديم عن ذلك الطفل الذي تلده أمه بالسر وتضعه في سلة وترميها في النهر حتى يتلقفها أناسٌ يتولون تربيته ثم يكبر هذا الطفل ويهدد الملك ويأخذ منه الملوكية .

هذه الاسطورة التصقت بالنبي موسى ، ولكن الحفريات أظهرت أن سرجون هو الذي عاشها .

وبغضّ النظر عن حقيقتها الاّ أنها كانت تضفي على صاحبها أصلاً غامضاً يدخله في نطاق الأساطير .

أما أنه كان ساقياً للملك أور - زبابا فهذه حقيقة تاريخية .

ويعتبر سرجون من الناحية العملية مؤسس أول امبراطورية في التاريخ وقد عاش في الفترة (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩) ق.م .

المرجع : لابات ، رينيه : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ١٩٨٨ :٠٣٦٩

مرارا والسلاسل الجبلية الواطئة تخطاها
مرارا ، وبلاد البحر حاصرها ثلاث مرات
واحتل دلمون والى مدينة الدير العظيمة
ذهب وهدم مدينة خزالو ، اي ملك بعده
ليته يحكم مثل مدته وليته يعتني ويحكم
ذوي الرؤوس السود ليته يمر عبر الجبال
الصعبة مستخدما (المعاول النحاسية)
وليته يحاصر بلاد البحر ثلاث مرات
ويفعل ما فعله سرجون الملك المكين
الذي وصل الى ميلوخا ومجان ودلمون
جنوبا وضم اليه مدن توتولي وماري
ويارموتي وايبلاّ حتى بلغ غابات شجر
الارز غربا وتوغل في البحر الاعلى
ووصل الى جزيرة كفتارا وصعد شمالا
الى جبال الفضة وذهب شرقا الى
ساليامو كارديدي وشيرخوم وبونبان
وكونيلاخا وسابوم واوان وباراخش
وعيلام ، بنى جيشا قويا ورفع اسوار المدن
ولقب بملك الحرب والّهه اتباعه واقاموا له
معبدا وعملوا له تعاويذ الفأل فهو الذي
قام بغارة في الظلام والنور له قد ظهر ،
الذي قواته حبست في عاصفة المطر
وأعداؤه تبادلوا ضرب الاسلحة فيما
بينهم الذي رعاه انليل وكاثر حضائره
والذي زحف على البلدان وظهرت له
الاله عشتار بنورها الساطع .

تمثال رأسي للملك سرجون

نرام سين ذو القرنين

يعتبر حفيد سرجون (نرام سين) أشهر واعظم ملك كدي بعد سرجون .

وقد عاش (٢٢٥٤ - ٢٢١٨ ق م) ولقب بملك العالم وملك الجهات الأربع وإله أكد .

وتوسع سلطانه حتى أنه شمل العالم القديم كله بأستثناء مصر .

دمر مدينة ايبلا في سورية وتل براك وانتصر على العيلاميين والكوتيين واللولوبيين والآراميين .

وقد لقب أيضاً بلقب ملك الملوك (شار كل شاري) .

وقد قتل هذا الملك في قصره وتبعه ملوك ضعفاء ودخلت البلاد في فوضى جديدة سببتها التوسعات والفتوحات وظهور الأعداء الجدد حول بلاد الرافدين ، وقد انفصلت في أواخر حكم نرام سين أوروك وحذت حذوها مدن سومرية وعيلامية أخرى . وكانت بلاد أكد لقمة سائغة في افواه الگوتيين الجبليين الذين اجتاحوا مدنها وحكموها طيلة قرن كامل .

تزوج سرجون من الفاخرة (اشلولتوم) وانجب منها ابنته الكاهنة (اينخيدوانا) ورموش ومانشتوسو وامال - اشد كال وحكم بعد سرجون الملك رموش تسعة اعوام ثم حكم بعده مانشتوسو خمسة عشر عاما ثم حكم بعدها محبوب الالهة نرام سين ابن مانشتوسو وشبيه جده سرجون وهو الملقب بنرام سين ذي القرنين . في اول زمنه ثارت دول اكد عليه وحاولت الانفصال ولكنه كسر الاعداء وأعادهم الى مملكته المترامية الاطراف فاسموه ملك الجهات الأربع واصبح فيما بعد إله اكد وبنوا له معبدا وسطها . في زمنه هجم اللولو على مدن اكد ، وجوههم كالغربان واجسادهم كالطيور التي تعيش في الشقوب أرضعتهم تيامت في وسط الجبال وكان أبوهم (انوباينني) وأمهم (ميليلي) وكان يقودهم سبعة اخوة احتلوا مدينة (بورشخندا) ثم (سوبارتو) ثم توتوم ثم عيلام ووصلوا الى دلمون وخربوها ثم مجان وملوخا . لقد نهبوا ملك اكد ولم يعرف نرام سين فيما اذا كانوا بشرا ام شياطين فامر القائد (لودو) بنخسهم بالحربة ليرى فيما اذا كان الدم ينزف

منهم ام لا ، ففعل القائد وظهر ان الدم ينزف منهم فاستشار نرام سين إلهة الحرب بالفأل ليهاجمهم ولكنها لم تاذن له بذلك لكنه قرر مهاجمتهم ففعل ذلك في السنة الاولى ولم يفلح وأرسل جيشه في السنة الثانية ولم يفلح ثم ارسل جيشه في السنةالثالثة ولم يفلح وفي السنة الرابعة تمكن الاله إيا اله الارض والماء من اقناع الالهة العظام لكي يمنحوا عطفهم لنرام سين ويمنحوه في عيد رأس السنة فألا حسناً ففعلوا . وهجم نرام سين ، ودحر الاعداء واسر منهم الكثيرين وعاقب الإله إنليل أقوام اللولو ودمر مدنهم وحصر غلتهم وأحرق ارضهم بالنار . بعدها استقر ملك نرام سين والجب أولاده (لبيت ايلي) المعتنى به من قبل الاله (اوكن أولماش) الذي ثبت مكانة معبد اولماش و (نابي أولماش) المنادى من قبل أولماش وابنته (اينمين انا) السيدة تاج السماء ، ثم ابنه الملك شاركلي شري ملك كل الملوك ، ثم حكم ابنه الملك بن كلي شري ابن كل الملوك . ثم حكم من بعده ملوك آخرين هم ايكيكي ونانم وايمي وايلولو حكموا لمدة ثلاثة سنوات ودودو الذي حكم احدى وعشرين عاما وشودورول ابنه الذي حكم خمسة عشر عاما . حكم في اكد احدى عشر ملكاً مدة مائة وسبعة وتسعين عاما .

دعاءٌ على أكد

(مرثية أكد) أو (مرثية أگاده واحدة من الادعية المضادة الرافدينية المهمة ، فهي على الأغلب من تأليف سومري يهاجم هذه المدينة أو الدولة التي سادت فيها الفوضى وطغت على أبنائها وجيرانها .

ورغم أن هذه المرثية التي تتمنى لأكد الخراب كانت متطرفة في كره هذه المدينة ، الاّ إنها (مع الأسف) تحققت على يد الگوتيين المتوحشين الذين اجتاحوا بلاد أكد وسومر ودمروها .

لقد كان سقوط اكد بيد البرابرة والگوتيين أول فترة مظلمة في تاريخ وادي الرافدين فلم يمتلك هؤلاء الغزاة من مقومات الحضارة ما جعلهم يتركون أثراً مهماً ، ولم تؤهلهم وحشيتهم التفاعل مع التراث الرافديني . بل ظلّو معزولين يديرون حكمهم من منطقة في شمال العراق قرب مدينة كركوك ، ورغم ان سلطتهم طالت المدن الاكدية بشكل خاص ، الاّ أن المدن السومرية الجنوبية كانت بعيدة عنهم فنشأت في لجش سلالة ثانية كات فاتحة لعصر سومري جديد سيكمله اوتوحيكال من أوروك ويطرد الگوتيين من البلاد .

المرجع : انظر المرجع السابق .

إزدادت مظالم أكد وشرورها أيتها المدينة . .
يا من تجرأتِ على مهاجمة الإيكور ، وتحديث إنليل . . .
عسى تنطمر بساتينكِ في تلال التراب
عسى يرجع طابوقكِ الى المهوى ويطلع لك آجراً لعنه إنكي .
عسى تعود أشجارك الى أصلها . وليرجمها (نينالدو) .
عساك تذبحين أزواجك بدلاً من ثيران الذبح .
وعساك تذبحين أبناءك بدلاً من أغنام الذبح ، عسى فقراؤك يئدون أبناءهم في النهر .
يا أكد ، عسى قصرك المبني بالسعادات يصبح خراباً . وعسى مكان طقوسك يصبح مكان الثعلب الذي يهز ذيله .
عسى أنهار الملاحة فيك تمتلىء بالأحراش ، وعسى طرق سفنك بالقصب الدامع . وعسى تمتلىء مراسيك بالماعز والديدان والأفاعي وعقارب الجبال .
عسى سهولك ، المليئة بالخضرة ، ينهشها القصب الدامع .

يا أكد ، عسى مياهك العذبة تصير مُرّةً ، وعسى من يريد السكن فيك لا يجد مأواه ، وعسى من يريد النوم فيك لا يجد دثاره . وعسى في المراسي لا تنبت سوى الأحراش وعسى في الطرقات لا تنبت سوى النباتات الباكية ، وعسى لا يعيش فيك بسبب الماعز والديدان والأفاعي وعقارب الجبال إنسانٌ ، عسى سهولك الخضراء ينهشها القصب الدامع .

يا أكد ، عسى مياهك العذبة تصير مرّة ، وعسى من يريد السكن فيكِ لا يجد مأواه ، وعسى من يريد النوم فيكِ لا يجد دثاره .

عودة السومريين وأُفولهم

نهضت الدولة السومرية الجديدة على إرث الامبراطورية الأكدية ، وقامت سومر ثانية بدور حضاري عظيم في المنطقة انطلق من أور وسلالتها الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤) ق.م .

وبعد ما يقرب من قرنٍ حضاري جديد سقطت سومر الى الأبد وطلع الآموريون بنظام دول المدن الامورية الذي ساد حتى ظهرت دولة بابل العظيمة .

أما حكم جوديا فقد ذكرناه وناقشناه مفصلاً في كتابنا (الجيل سومر) .

استقلت أوروك لوحدها وحكم فيها خمسة ملوك حكموا ثلاثين عاما وفي اثنائها هجم الكوتيون الساكنون الجبال الذين وجوههم تشبه الغربان واجسامهم مكسوة بالريش على مدن أكد وخربوها . ثعابين الجبال الخبيثة هدمت اكد ونفر وحكموا بلاد اكد مدة احدى وتسعين عاما نصبوا خلالها اثني عشر ملكا واختاروا مدينة أرابخا مقرا لهم . ثم دحر أوتوحيكال أمير اوروك جموع الكوتيين حيث جلس أوتوحيكال وتريقان الكوتي مضطجع عند قدميه فوضع أوتوحيكال قدميه على رقبته وأعاد سيادة سومر

ونهضت نفر ونهضت أور ونهضت لجش
وحكم فيها الملوك لوكال اوشمكال
وبوزرماما وأور اوتو وأور ماما ولوكال بابا
واور كولا وكاكوكك وأور بابا والملك
المعظم جوديا ولاور ننجرسو واوكمي
واوركار ونمخني . ظهر بينهم جوديا كانه
الشمس الساطعة وحلم ذات يوم بان
ظهر له رجل طوله يضارع السماء ووزنه
مماثل للأرض تربض الاسود على يمينه
وشماله امره ان يبني له معبدا لكنه لم
يفهم قلبه وكانت هناك امراة ما الذي
كانت تمثله ومالذي كانت لا تمثله؟ كانت
تحمل بيدها مرقماً من المعدن الوهاج ،
وتحمل رقيم الكتابة السماوية الجميلة
وكانت سارحة في جوهرها فقالوا لجوديا
ان الرجل الذي ظهر لك هو الاله
ننكرسو والمرأة الالهة نصابا ونصحوه ان
ينذر لننكرسو عربة مزوقة بالمعدن
الوهاج وبحجر اللازورد وعندئذ ستعيد
له حكمة المولى ، حكمة ننكرسو
الغامضة كالسماء ، الطمأنينة ولسوف
يكشف له عن تصميم معبده وسيشيده
له ذو الاحكام العظيمة فعمل جوديا
بالنصيحة ووحد أبناء لجش وجعلهم مثل
أبناء أم واحدة ثم طفق يظهر المدينة
المقدسة ويحيطها بالنيران ، جمع الطين
من مكان بالغ الطهر وفي مكان نظيف
صنع الآجر ووضعه في قالب ، اتبع
الطقوس بكل جلالها فنظف أسس

المعبد واحاطه بالنيران ودهن المصطبة بعطر زكي بعدها جمع العمال من عيلام جاء العيلاميون ومن سوسة جاء السوسيون وجمعت مجان ملوخا الخشب من جبالها جمعهم جوديا كاهن ننكرسو الاعلى وفتح ممرا داخل جبال الارز التي لم يدخلها أحد من قبل فقطع اشجار ها بفؤوس كبيرة ومثل الافاعي العظيمة كانت الاشجار الارز تطفو على مياه الأنهار ، وفي مقالع لم يلمسها احد من قبل صنع جوديا الممر ثم جيء بحجارة كتلا كتلا وجلبت المعادن الثمينة اليه . فمن جبل النحاس في كيماش استخرج النحاس في عذوق وجيء بالذهب من جبالها في شكل تراب ولأجل جوديا استخرجوا الفضة من جبالها وجاؤوا بالمعدن الاحمر من ملوخا بكميات كبيرة . وبنى جوديا المعبد الذي عم خلاله البلاد ، ان نور اي ـ ننو يحتوي الكون كالعباءة . كذلك في اور ظهر الملك العظيم أورنمو صاحب الشريعة العظمى وباني الابراج والزقورات في اور واوروك واريدو ونفر معابد الحجر التي كانت ترتفع اعلى وعادت بلاد سومر شامخة فحكم في اور الثالثة اربع ملوك بعد اورنمو هم شولكي وامارسين وبورسين وشوسين وابي سين بعدها انفرطت ارض سومر واكد مثل حبات العقد وتناثرت .

تماثيل جوديا أمير لكش

ملوك الأموريين

أطلق السومريون اسم (أمورو) أو (عمورو) على القبائل الصحراوية التي تسكن غرب سومر، حيث يدل معنى هذه الكلمة على الـ (غرب). وكانت هذه القبائل التي هاجرت من الجزيرة العربية قد سكنت غرب الفرات في الصحراء العراقية السورية. ثم اجتاحت بلاد سومر مع العيلاميين. ثم طُرد العيلاميون واصبحت بلاد النهرين بيد القبائل العمورية التي حكمت على شكل سلالات كان أهمها سلالات إيسن ولارسه ثم سلالة بابل.

جاء الأموريون من غرب البلاد وغزوها جاء الامورو الذين لا يعرفون الحبوب الذين لا يعرفون البيت ولا المدينة اجلاف الصحراء، الأمورو الذين يستخرجون الكمأ الذين لا يثنون ركبتهم اثناء الزراعة، والذين يأكلون اللحم النيء، والذين لا يملكون منزلا طوال حياتهم الذين لا يدفنون موتاهم بعد الموت، العيلاميون دمروا اور والامورو أخذوا الملك وانتقلت الملكوكية من اور التي هي قلب سومر واكد الى مدن منفصلة يحكم في كل منها أقوام الامورو انتقلت الى إيسن ولا رسا وأشنونا وآشور ودير وكيش وأوروك وماري وملكيثوم وسبار. ففي إيسن حكم خمسة عشر ملكا مدة مائتين وثلاثة وعشرين عاما وهم: اشبي ايرا وشوايليشو وادن دكان ولبت عشتار صاحب الشريعة المقدسة وارو ننتورا وبور سين ولبت وانليل وايرا وايميتي واتليل وزامبيا واتريشا واور دكودا وسين ماكر ودامق اليشو وفي لارسة حكم اربعة عشر ملكا مدة مائتين واثنان وستون عاما هم نبلانم واميصم وساميثم وزابيا وكنكونم وابي سارة وسوموأيل ونور ادد وسين

ادنام وسين اريبام وسين اقشام وصلى ادد وورد سين وريم سين وفي اشنونا حكم عشرون ملكا اكثر من ثلاثمائة وخمسين عاما وهم اتوريا وايليشوايليا ونوراحم وكريكيري ويلالاما وعشتار رماشو واوصراوسو وآزوزم واور نمتار واور ننكشزيدا وابق ادد الاول وشاريا وبيلاكم وعبد ايراخ ورسا وابالبيل الاول وابق ادد الثاني ونرام سين ودادوشا وابالبيل الثاني ، وفي بلاد آشور القصية حكم اربعة عشر ملكا مدة ثلاثمائة وسبعين عاماً وهم زرايقم وبوزر اشور الاول وشالم آخم وايلو سوما وابرشيم الاول وايكونم وسرجون الاول وبوز وآشور الثاني نرام سين وابريشم الثاني وشمشي ادد الاول وأمشي دكان . وفي مدينة دير حكم ندنوشا وآنو متبل وفي كيش حكم اشدوني آرم وفي الوركاء حكم سين كاشد وانام واردانيني وفي ماري حكم يكديلم ويخدن لم ويسمح أدد وزمري لم . وفي ملكيئوم وزمري لم . وفي ملكيئوم حكم تاكل ايليشو وأبق عشتار وفي سبار حكم اميروم وبونو تختونيلا ومنابعلتي ايل وايلوما ايلا .

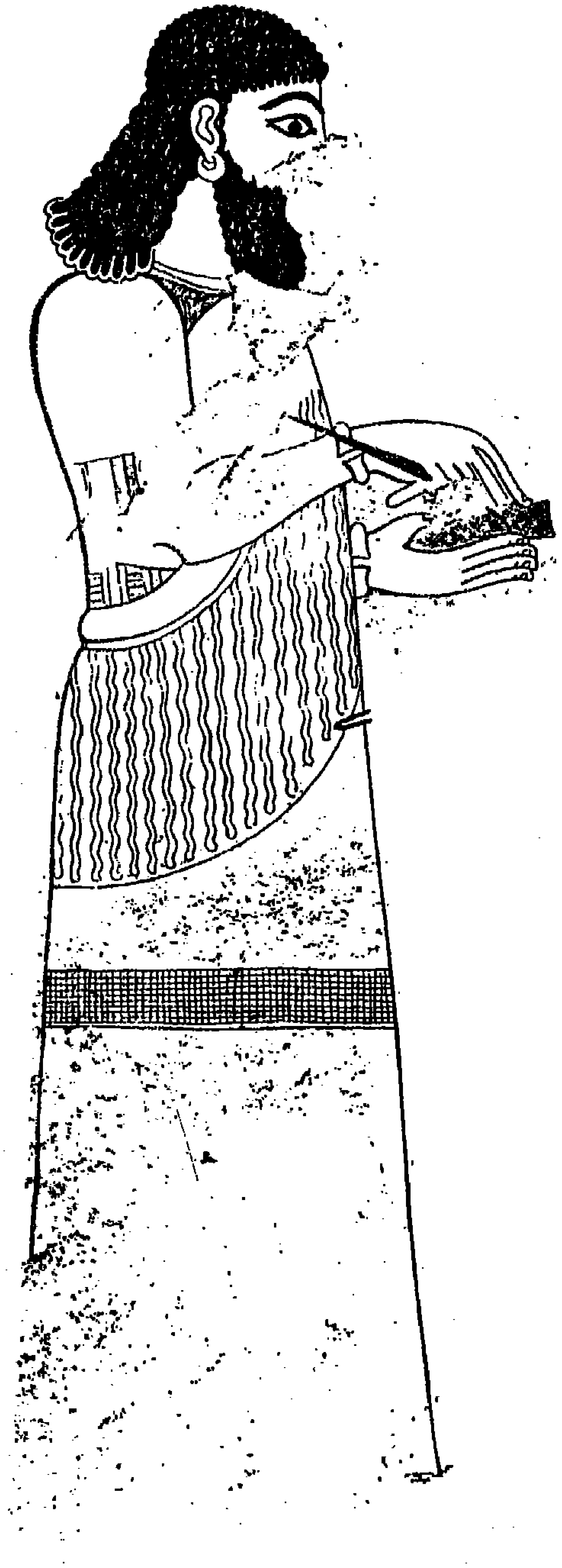

ملك من آشور

حمورابي العظيم

حمورابي هو الملك السادس في السلالة العمورية التي حكمت بابل وقد حكم ما بين (١٧٣٠و ١٦٨٥) ق .م لمدة ثلاثين عاماً ، وأسس الامبراطورية البابلية الأولى التي امتدت من الخليج العربي الى ديار بكر ومن جبال زاجروس الى البحر الابيض المتوسط .

وكان حمورابي ملكاً حاذقاً على مستوى كبير من الدهاء والسياسة والقوة العسكرية ، وفي أيام حموربي أصبح الإله مردوخ أهم إله بابلي في البانثيون البابلي ، وارتقت الآداب والعلوم والفنون الى ذروتها .

ولعلّ أهم ما أشتهر به حمورابي شريعته المعروفة التي وجدت مدونة على مسلة من الديورانت الاسطواني الشكل والتي اكتشفت في سوس عام ١٩٠١- ١٩٠٢ وهي الآن محفوظة في متحف اللوفر .

وكان العلاميون قد نقلوها من بابل الى عيلام حوالي عام ١١٠٠ ق .م فيما نقل من غنائم الحرب آنذاك .

وفي أعلى هذه المسلة نقش بارز يمثل الإله شمش اله العدالة وهو يملي شريعته على حمورابي الذي يظهر واقفاً في خشوع للدلالة على أن نصوص الشريعة هي من كلام الإله .

يقول ول ديورانت أن هذه القوانين رتبت ترتيباً يكاد يكون هو الترتيب العلمي الحديث ، فقسمت الى قوانين خاصة بالأملاك المنقولة ، وبالأملاك العقارية ، وبالتجارة ، وبالصناعة ، وبالأسرة وبالأضرار الجسمية وبالعمل . أن هذه القوانين تكون في مجموعها شريعة أكثر رقياً وأكثر تمدناً من شريعة آشور التي وضعت بعد

اما بابل المعظمة ،بابل المقدسة فقد اورثتها الالهة حكم ارض دجلة والفرات وحباها مردوخ بجبروته فقبل ملكها العظيم حمورابي حكم خمس ملوك هم سومو آبم وصموئيل وصابئيم وآبل سين وسين مبلط ، حمورابي الملك الذي وسع حكمه بابل وحكم ثلاثة واربعين عاما حافلة بالإنتصارات على الاعداء وبالعدالة ، الذي ضم الى مملكته بلاد ايسن واوروك ولارسة ثم اقليم يموت بعل وبعدها ضم اليه مملكة بلاد آشور القوية التي يحكمها الملك شمش ادد وبلاد ماتي وبلاد ايكالاتم اشنونا ثم نظر الى المغرب واجتاح بلاد الاموريين كلها ، أصبح حمورابي المعظم ملك الجهات الاربع وعلا شأنه بين الملوك زاد البلاد عمرانا وحصونا وأسوارا ووضع مسلة قوانينه وشعائره كي يعم العدل ارجاء البلد ولازهاق الاشرار ولكي لا يستطيع الاقوياء ظلم الضعفاء استاصل شافة العدو شمالا وجنوبا ووضع حدا لحروبهم وانعش البلاد ، وجعل الناس يهنأون بعلائق حميمة ولم يدع أحدا يرهبهم فنادته الالهة العظيمة وباركت الراعي المحسن الذي صولجانه الحق ونشر ظله

أكثر من ألف عام من ذلك الوقت ، وهي من وجوه عدة لا تقل رقياً عن شريعة أي دولة أوربية حديثة ، وقلّ أن يجد الإنسان في تاريخ الشرائع كله ألفاظاً أرق وأجمل من الألفاظ التي يختتم بها البابلي العظيم شريعته وهي :

«إن الشرائع العادلة التي رفع منارها الملك الحكيم حمورابي ، والتي أقام بها في الأرض دعائم ثابتة وحكومة طاهرة صالحة . . أنا الحاكم الحفيظ الأمين عليها . في قلبي حملت أهل أرض سومر وأكد . وبحكمتي قيدتهم ، حتى لا يظلم الأقوياء الضعفاء ، وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة ، فليأت أي إنسان مظلوم له قضية أمام صورتي أنا ملك العدالة ، وليقرأ النقش الذي على أثري ، وليلق باله الى كلماتي الخطيرة ، ولعل أثري هذا يكون هادياً له في قضيته ، ولعله يفهم منه حالته! ولعله يريح قلبه ويقول : حقاً إن حمورابي حاكم كالوالد الحق لشعبه ،لقد جاء بالرخاء الى شعبه مدى الدهر كله ، وأقام في الأرض حكومة طاهرة صالحة ، ولعل الملك الذي يكون في الأرض فيما بعد وفي المستقبل يرعى ألفاظ العدالة التي نقشتها على أثري ، ،

المرجع : ديورانت ، ول : قصة الحضارة ١٩٤٩ ،ح٢ : ١٩٠-١٩٢.

الوارف على مدينته وفي قلبه حمل شعب سومر واكد الذي نعم بحمايته ، وحكمه بسلام وحماه بقوته في عصره اعتلى مردوخ الاله أعظم عروش الالهة وحكم هو وشمش البلاد بالقوة والعدالة وفي عصره كبرت شعائر المعبد التي تهمس في اذن الثور اليمنى بلغة سومر وفي اذنه اليسرى بلغة اكد تهمس بقضية الكاهن ، وله خالد الذكر قوانينه العظمى التي وضعها في مسلته وحَوَتْ مائتين واثنين وثمانين قانونا وضعها مطهر معبد آبسو وناشر سلطانه على الجهات الاربعة الذي جعل اور تزدهر وشيد معبد سبار الذي يشبه مسكنا سماويا ، الذي انعش اوروك وجهز سكانها بوافر الماء ، الذي رفع عاليا قمة ايننا الذي اغدق الثروة على أنوم وانننا حامي البلاد ، الذي جمع سكان ايسن المشردين ، الذي غمر معبد الاي كال ماخ بالثروة ، الذي اعاد تأسيس كيش وأحاط ايتي اورصال معبد الرب . ربابا في كيش بالبهجة ، الذي جعل معابد إنانا آمنة ، جاعل كوشا رفيعة الشأن ، الذي قدم الخدمة لميسلم معبد نركال في كوثا الذي يجلب السرور الى بور سيبا الاله بين الملوك ، الذي مد رقعة الأرض التابعة لدلبات واضع التصاميم لكيش ومعبد الوليمة الفاخرة الى نينتو مهيء المراعي

ومـحـلات الشـرب الى لجش وكـرزو ، الذي ينفـذ مـا تراه مـدينة زبالوم منظم الشارات في معبد الاي اوركـال ، الملك الذي منح الحـيـاة لاداب ومنح الحـيـاة لمدينة مـشكي شـابير منقذ شـعب مـدينة مـالكوم من الشـقـاء والذي يشـيـد لهم مسـاكن كـثيـرة ، محـرر ماري وتونتـول ، المقـيم للولائم العـامـرة الى ننازو ، الذي اعاد آشور مـلاكها الرحيم الملك ، الذي جـعل اسم اننا مظفـراً في نينوى . الملك المعظم حـمـورابي وضع قوانينه من الاول الى الخـامس خـاصـة بالدعـاوى اتهـام البـاطل وشـهـادة الزور وتغـيـيـر القـاضي حكمه بعد اصداره وقوانينه من السادس الى الخامس والعشرين خاصة بالامـوال والسرقات وخطف الاطفال وايواء العبيد وقـوانينه من السـادس والعـشـرين الى الحادي والستين الى مائة وستة وعشرين خاصة بالتجارة والمواصلات والحانات ومـحـلات السكن والطرق والديون والرهن والامـانات والودائع وقـوانينه من مائة وسبعة وعشرين حتى المائة واربعة وتسـعين الخـاصـة بالـزواج والطلاق والارث وتبني الاطفـال والزنا ، وقـوانينه من المائة وخمـسـة وتسعين حـتى المائتين واربعـة عـشـر المخـالفـات والشـتـائم والاستهانة ، وقوانينه من المائتين وخمسة عشر حتى المائتين واربعين خاصة بالمهن

كالاطباء والاطباء البطريين والحلاقين والبنائين والملاحين وبنائي السفن ، وقوانينه من المائتين والحادي واربعين وحتى المائتين وثلاث وسبعين خاصة بالماشية والفلاحين والالات الزراعية وتاجير العربات والحيوانات والعمال ، وقوانينه من المائتين واربعة وسبعين وحتى المائتين وثمانية وسبعين وحتى المائتين واثنين وثمانين خاصة بالعبيد .

القوانين التي سلمها شمش رب العدالة االى حمورابي وأمره ان ينقشها على الحجر لتبقى شريعة العالم ، وتحمي الانسان من اخيه الانسان ، مات حمورابي مرفوع الراس تاركا بابل ام العالم وبعد حمورابي جاء خمسة ملوك هم ابنه شمسو ايلونا الذي ثارت الولايات في عصره اقوام عيلام الذين أخضعهم بعد عامين ، وملك ايسن ايلوما ايلو منشئ سلالة القطر البحري واور وبلاد اشور ، وبعده حكم ابي ايشوخ ، ثم عمي ديتانا ثم عمي صادوقا ، ثم سمسو ديتانا الذي في عهده هجم الحيثيون على بابل ودمروها وسرقوا تمثال مردوخ وزوجته .

انحدرت اقوام جبلية كالشعابين من الشمال هم الكاشيون على بابل واستولوا عليها فحكموها وانصهروا بمعادن اهلها .

حمورابي يستلم من الإله شمش شريعته

ملوك الكاشيين

يعتبر الكاشيون من شعوب آسيا التي استوطنت الكاسك جنوب البحر الأسود ووسط آسيا الصغرى مع الحاثيين ، وهم أقوام جبلية استطاعت ان تندمج بالحضارة البابلية بعد أن استلمت السلطة في بابل عام ١٧٤٧ق .م وقد دام حكمهم قرابة خمسة قرون اي حتى عام ١١٧٠ق .م عندما قضى عليهم العيلاميون .

بنى الكاشيون عاصمةً خاصة بهم الى جانب بابل هي (دور كوريكالزو) المعروفة حالياً باسم عقرقوف وتقع شمال شرق بابل قرب بغداد ، وكانت مركزاً لعبادة إنليل وزوجته ننليل ، وشيد في هذه المدينة قصراً مزخرفاً بالرسوم .

وقد أدخل الكاشيون معهم الحصان وعربة القتال . ويمثل الكاشيون شعباً جبلياً كان يتكلم لغةً مقطعية كاللغة السومرية وهي فرع من اللغة الحاثية .

وقد وسّع الكاشيون رقعة ملكهم في القرن الخامس عشر ق .م باحتلالهم لبلاد البحر التي دعيت لاحقاً (بيت ياكين) ولكن آشور رفضت زعامتهم وتصدت لهم وبدأ الضعف يدب فيهم .

ورغم أن الكاشيين اتخذوا من البانثيون البابلي أساساً لديانتهم الاّ أنهم أدخلوا اليه بعض آلهتهم القومية مثل الإله شقمونه (شيكامونو) الذي كانوا يرمزون له بصقر واقف على عمود رغم أن هذا الرمز كان يشير إلى الإلهة الأم ننخرساج في صيغة أرورو (إلهة الإنجاب) .

حكم ارض بابل الكاشيون الغرباء عن البلاد نصف قرن وعادت في عصرهم الولايات الصغيرة عادت آشور والقطر البحري وايسن وبازي ، وحكم ستة وثلاثون ملكا كاشيا البلاد هم : كنداش واكوم الاول وكاشتلياش الاول واوشي وابي رتاش وكاشتلياش الثاني واورزي كرماش وحربي شباك وتبتاكزي واكوم الثاني كاكريمة وبورنابورليش الاول وكاشتلياش الثالث واولام نورتاش واكوم الثالث وكدشمن شربي تالاول وكره انداش وكوريكالزو الاول وكدشمن انليل الاول وبورنابوياش الثاني وكره خرداش ونازي بوركاش وكوريكالزو الثاني ونازيمارتاش وكدشمن انليل الثاني وكودر انليل وشكاركتيشرياش وكاشتليلش الرابع وانليل نادن شومي وكدشمن حربي الثاني وادد شم اوصر وميلي شباك ومردوخ بلادان الاول وزبابا شم ادن وانليل نادن آخي . وحكم في اشور حكام ضعفاء مجهولون ثم جاء ايرشيم الثالث وشمشي ادد الثاني واشمي داكان وشمشي ادد الثالث واشور نراي الاول وبوزرو اشور الثالث وإنليل ناصر الأول ونور ايلي وإنليل

ناصر الثاني واشور نيراري الثاني واشور بيل نيشوشو واشور ريم نيشوشو واشور نادن اخي الثاني واريبا ادد الاول واشور اوبالط الاول وانليل نيراري وارك دن ايلي وادد نيراري الاول وشلمنصر الاول وتوكلتي ننتورتا الاول واشور نادن ابلي وانليل كودوري اوصر وننورتا ايل ايكور واشور دان الاول وننورتا توكلتي اشور وتجلاثبليزر الاول واشاد ابل ايكور الثاني واشور بيل كالا واشور رابي الاول واشور ريش ايشي الثاني وتجلاثبليزر الثاني واشور دان الثاني وحكم في قطر البحر الملوك ايلوما ايلو وابي ايلي نيبي ودامق اليشو وارشكيجال وشوشي وكل كسشار وبشكال درماشي وادارا كلاملا واكور اورلما وميلام كركرا وايا كامل .

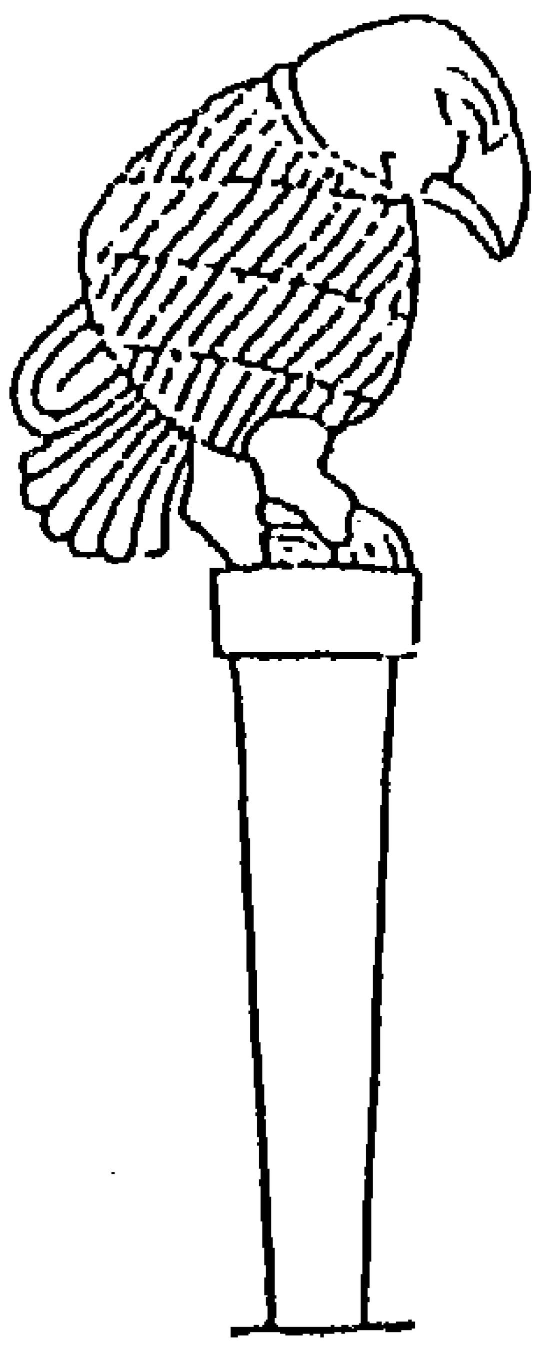

رمز الإله الكاشي شقمونه (شوكومونو)
القرن ١٢ ق .م
رسم : علي محمد آل تاجر

بابل المبتلاة

ينتمي العيلاميون لغوياً الى الشعوب المقطعية اللغة والتي تنتمي الى أسرة الشعوب القفقاسية القديمة وتسمى بالشعوب الجبلية التي نزحت من مواطنها الى غرب أسيا ، واستقرت على سفوح جبال زاغروس المطلة على جنوب وادي الرافدين موطن السومريين وقد كانت هذه الأقوام سبباً في سقوط سومر وها هي تسقط بابل أيضاً .

رغم أنهم تعرضوا لاحتلالات سومرية وأكدية وبابلية .

هجم العيلاميون على بابل وخربوها وانتهى حكم الكاشيين ونهب ملك عيلام شوترك ننخنتي معابد بابل ومسلاتها وفعل بعده ملك عيلام شيلاك انشوشناك اكثر من ذلك ، ثم غادر العيلاميون بابل فنهض ملوك ايسن فيها وعمروها وحكم فيها مردوخ كابت اخيشو واتي نمردوخ بلاخو وننورتا نادن شومي نبوخذنصر الاول وانليل نادن ابلي ومردوخ نادن اخي ومردوخ شابك

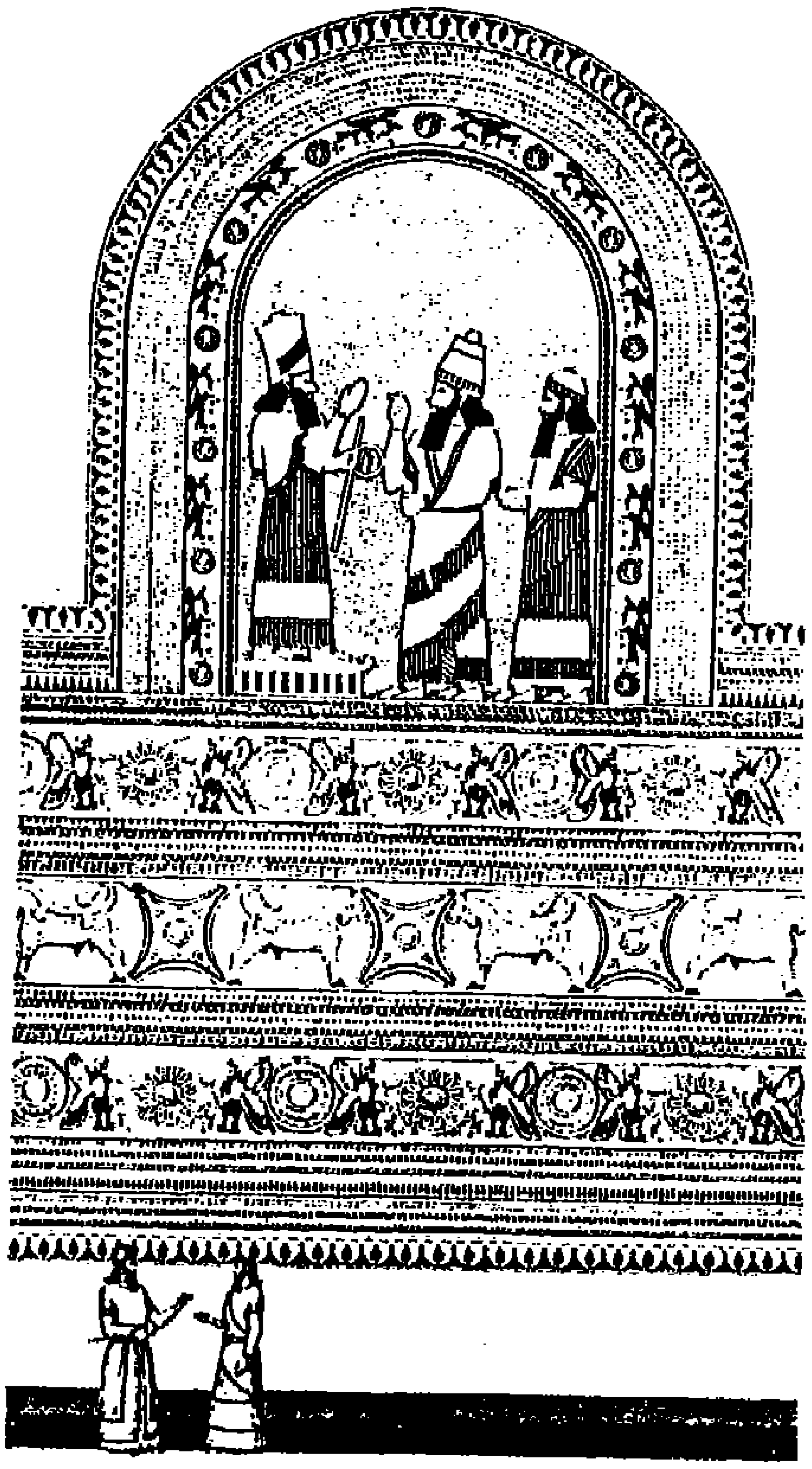

زيري وادد ابلادنا ومـردوخ اخي اريبـا ومـردوخ زير ونابو شـومـو ليبـور . لكن الاراميين استولوا على بابل وحكم فيها الملوك سـمبـار شبـاك وايا مـوكن زيري وكـشـو نادن اخي واني اولماش شـاكن شـومي وننورتا كـدوري اوصـر الاول وشركتي شوقامونا وماربيتي ابلا اوصر ونابو مـوكن ايلي وننورتا كـدوري اوصـر الثاني ومربيتي اخي ادنا وشـمش مدبق ونـابـوشـم اوكـن الاول ونـابـو ابـلا ادنـا ومـردوخ زاكـر شـومي ومـردوخ بلاصـو اقبي وبابا اخـا ادنا وننورتا ابلا ومـردوخ بيل زيري ومـردوخ ابلا اوصـر واريبـا مردوخ ونابوشم اشكن .

آشور تنهض

تقع اشـور في القسـم الشـمـالي من بلاد الرافـدين بين نهـري دجلة والفـرات ، ويرقى تاريخـهـا الى العـصـور القديمة . . . وفي زمن سـلالة أور الثالثة كـان لها ملك كاهن معاصر للملك برسين اسمه زاريقوم) وظهرت فيها سـلالة أكدية أسسها إيلو شوما (٢١٠٤ - ٢٠٨٨) ق.م ، ثم حكمت فيها سلالة أمورية أسسها شمسي أدد الأول المعـاصـرة لحـمـورابي ، وخـلال حكم هذه السـلالة تجـاوزت آشـور حـدود الفـرات . ثم تقلص نفوذها بسبب توسع الحثيين في بلاد ما بين النهرين . ثم تحدث آشور الميتانيين والبابليين لكنها لم تستطع ، وقـد بدأ التـوسع الأشـوري الكبـيـر مع حكم تجـلات بيـلاصـر الأول (١١١٢ - ١٠٧٤) ق.م الذي أسس

ثم في اشـور قـامت مملكة عظيـمـة ورثت ارض سومر واكـد وبابل الملك المعظم ادد نيـرازي الذي أقـام مملكة اشـور العظيـمـة الاولى صاحبة اعظـم الجيوش والاسلحة والتي وحدت ارض النهرين وما جاورها . وحكم بعد ادد نيرازي ابنه توكلتي ننورتا الثاني ، ثم اشور ناصر بال الثـاني الذي غسل سلاحه في البحر الاعلى صـاحب القـصـر العظيم في كـالخ التي سـمـيت نمرود وكان يهجم على المدن فياخذ اهلها الرعب من عظمـة الهـه اشـور ويسـارع رؤسـاء وشـيـوخ المدن اليـه ليـنفـذوا

الامبراطورية الآشورية ، ولكن خلفاءه اخفقوا في الحفاظ عليها حتى جاء الملك أدد نيراري الثاني (٩١١ - ٨٩١) ق.م وحفيده آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩) ق.م اللذان وطدا أسس الامبراطورية التي تعدّ اعظم امبراطوريات الشرق في قوتها وجبروتها .

المرجع : رو ، جورج : العراق القديم ، ١٩٨٤.

الملك توكولتي ننورتا الثاني (٨٩١ - ٨٨٣) ق.م

الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩)

بجلودهم ويعانقوا القدم وهم يقولون ان كانت تلك مشيئتك فاذبحنا او ان شئت فدعنا احياء ، افعل بنا كل ما يتوق اليه قلبك وبشجاعة قلبه وبحمد سيفه يعصف بالمدينة فيمسك بالعصاة ويسلموهم اليه ، كان قاسيا قويا غسل اسلحته في البحر العميق وقدم نذرا من الخرفان الى الالهة واستلم الجزية من ساحل البحر ومن اهالي صور وصيدون وجبيل ومحالاتاميز وامورو ومن أرواد التي هي جزيرة في البحر قوامها الذهب والفضة والقصدير والنحاس والاواني والملابس المصنوعة من الكتان والموشاة بالزخارف الملونة اضافة الى مجموعة من القردة الكبيرة والصغيرة والاخشاب المختلفة الانواع وعاج الحيوان الفظ تلك كانت جزيته . بعدما عانقوا قدمه كان اشور ناصربال مسكونا بالقوة والبطش فاقام عمودا على بوابة مدينته وسلخ جلود كل الرؤساء المتمردين وكسى العمود بها وبنى بعضهم داخل العمود وخوزق عليه آخرين وأوثق بعضهم حول العمود وبتر اوصال الضباط . . الضباط الملكيين الذين أعلنوا العصيان وحرق العديد من أسرارهم بالنار واتخذ الكثير منهم عبيدا وجدع أنوف الكثيرين وقطع آذانهم وأصابعهم وقلع عيون اخرين ، وصنع عمودا من الأحياء وآخر من

في أثناء صعود الامبراطورية الآشورية ، صعدت مكانة الإله آشور ، ويعتقد أن أسمه مشتق من كلمة (آ - سر) التي تعني (مقام السيد) أو مقام الملك) وكان اسم زوجته مؤنث هذا الاسم (آسرت) و (سري) و (سروى) أو (شروى) التي تعني (السيدة) أو (مقام الملكة) ومن هذا الاسم اشتقت لاحقاً كلمة (سوريا) ومن هذا الاسم أيضاً اشتق اسم (مصر حيث (م سر) تعني السيد العظيم) . وقد لع اسمه مثل (مردوخ) البابلي ، وكان يوصف في القرن الثالث عشر ق .م بإنليل الآشوري ، ويحمل في المدائح الإلهية ألقاباً عديدة مثل الجبل الكبير وسيد الجبال وأبو الآلهة ، التي كانت في الأصل للإله السومري إنليل ، أي أن آشور أخذ مكان إنليل ولذلك أصبحت زوجته ننليل وإبنه ننورتا . ولا يعرف له أبٌ وإن ورد اسمه بعد (لحمو) في الرواية الآشورية المتممة لملحمة التكوين .

أما رموزه فكانت في القرن التاسع ق .م كرجل يطلق سهماً داخل دائرة من اللهب ، ثم أصبح كجناحين محيطين بدائرة (وهذا الرمز كان يشير الى الألوهية بشكل عام وقد ظهر في مسلة نرام سين ، وفي أحيان اخرى كان يقترب أو يتطابق مع رمز الإلهة عشتار) .

المرجع : اذزارد : معجم الآلهة والاساطير ١٩٨٧ :,٣٤

الرؤوس وعلق الجماجم على جذوع الاشجار حول المدينة ، ثم احرق شبابهم وشاباتهم بالنار وامسك بعشرين رجلا ودفنهم احياء في جدارن قصره واهلك بقية الجنود عطشا في صحراء الفرات وكان قصره مشيدا من خشب السرو والارز والعرعر والبقس والتوت والفستق والطرفاء بناه لمتعته الجليلة لكل العصور وصور عليه وحوش الجبال والبحار في الحجر ووضعها في ابوابه وعلق عليها اغصان اشجار الارز والسرو والتوت والعرعر ونقل اليه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد وهي الغنائم التي استحوذ عليها بنفسه من البلدان التي اخضعها ، بعد اشورناصر بال جاء الى الملك ولده شليمنصر الثالث الى احكم قبضته على المملكة اكثر ووسعها في كل الجهات وذهب الى بلاد العرب واسر احد ملوك العرب الذي اسمه خزائيل ملك قيدار ثم اسر جندب ملك عريبو وفي بابل دحر المعتدين وقدم القرابين لمردوخ في معبده (ايساجيل) وعظمه بين الآلهة وطارد قبائل الاراميين الكلدو الى سواحل النهر المر . . لكنه في اخر ايامه تمرد عليه ابنه اشور داينين ابل تسانده سبع وعشرون مدينة فاوكل الى ابنه الثاني شمشي ادد الخامس القضاء على التمرد فاشتعلت

الحرب الاهلية ثم خمدت بعد اربع سنوات بعد ان سبب اخوه الفتن والعصيان والمؤامرات من كل نوع ثم توطد الحكم لشمشي ادد الخامس . وامسك بعرشه بقوة وهيمن على مملكة آشور الأولى .

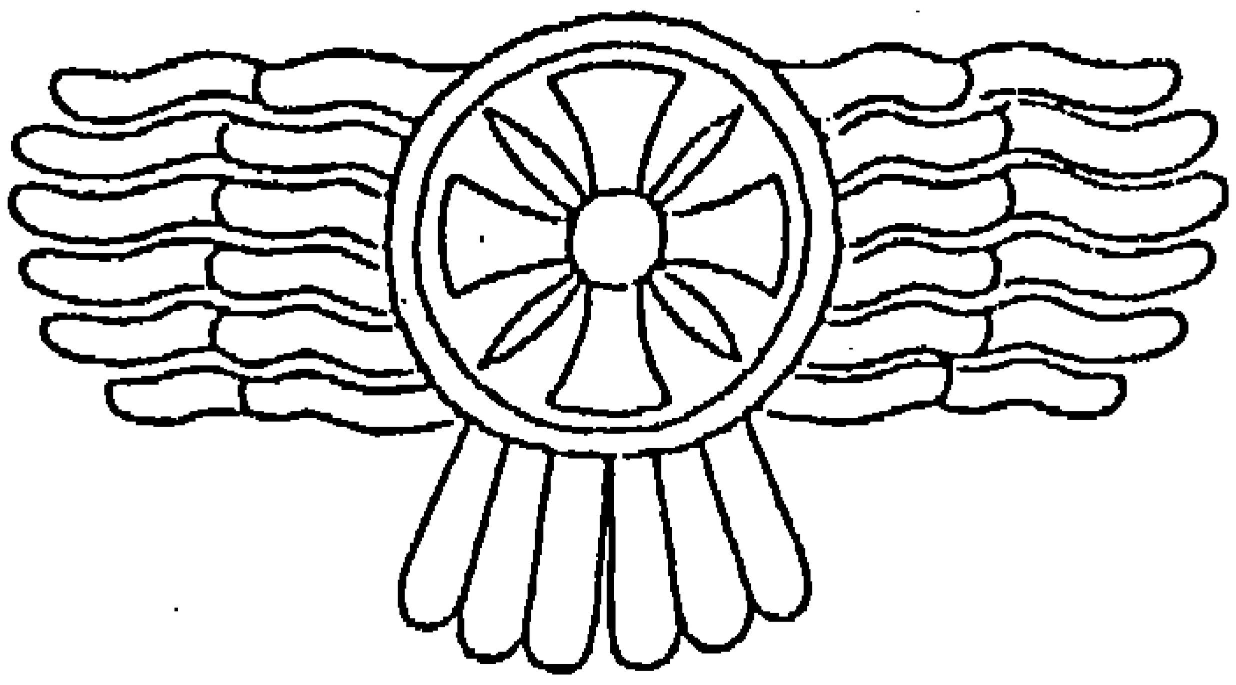

رمز الإله آشور في القرن التاسع قبل الميلاد
رسم : محمد آل تاجر

سمير أميس

أغلب الاعتقاد أن الملكة سمورامات (Sammuramat) زوجة الملك الآشوري شمسي أدد الخامس (٨٢٣ - ٨١٠) ق .م أحيطت بالكثير من الأساطير والمبالغات التي حولّت سمورامات هذه الى (سمير أميس) باللفظ اليوناني الذي جاء على لسان ديودروس الصقلي .

وإذا كنا قد ذكرنا في المتن اسطورتها بينما لا يتعدى تاريخها الحقيقي دورها في الوصاية على العرش أثناء قصور إبنها أدد نيراري الخامس ، وربما ستجود الآثار بما يعزز بعض جوانب شخصيتها الأسطورية .

ونرى من ناحيتنا أن هناك بعض الملامح المتشابهة في

في عصر شمش أدد الخامس كانت اسكولون مدينة كبيرة عامرة فيها بحيرة سمك واسعة تملكها الالهة دركيتو التي لها راس امراة وجسم سمكة وذات يوم غضبت الالهة عشتار على دركيتو وقررت معاقبتها بحيث تقع في حب شاب جميل يعمل حائكاً كان يتردد على معبدها ، فحصل ان قدم الشاب الى اسكولون فراته دركيتو وهامت به وقطعت عليه الطريق وعرضت عليه هواها ، لكنه اشتكى اليها مرض امه فشافتها فاستسلم

فتوحات سمير أميس الآشورية والاسكندر المقدوني الذي ربما أُسقطت فتوحاته من خلال الرواية اليونانية على شخصية ذات طبيعة رجولية وقاسية مثل سمير أميس .

وعلى المستوى الأسطوري يتضح لنا أن صياغة الأصول الميثولوجية لسمير اميس هي من صنع هيلنستي فالإلهة دركيتو هي الإلهة السورية أترغاتس التي كانت إلهة الدلافين والاسماك . وقد أصبحت الأم الأسطورية بين الاسماك ومدينة نينوى لأن نينا كانت تعني السمكة ونينوى لها علاقة بهذا الأسم وبالأسم السومري القديم لإلهة الاسماك نانشة التي كانت راعية مدينة نينا (سرغول) في لگش جنوب العراق . وبالطبع لم يتم استحضار نانشة التي دفنتها الذاكرة الاسطورية عميقاً بل كانت دركيتو (أترغاتس) جاهزة لتكون أمّاً أسطورية لسمير أميس .

ولنلاحظ أن اسم النينوس (أي الملك الآشوري) له علاقة بهذا المعنى .

أما كيف تحولت في آخر حياتها الى حمامة وطارت ، فهذا يرتبط باسمها (سمورامات) أي (محبوبة الحمام) حيث كانت جموع الحمام ترعاها وتطعمها بعد أن تركتها أمها في برية بابل ولذلك تمّ استعادة هذه الحادثة أسطورياً في نهاية حياتها وتحولت الى حمامة وطارت مع أسراب الحمام .

ولكي تنسجم شخصية سمير أميس مع شخصية الإلهة عشتار التي كانت الرمز الأعلى لأي إمرأة أو ملكة فقد تمّ البناء الاسطوري لوجهي عشتار في سمير أميس : الوجه الفاتن الجميل في نصف حياتها

لها واستدرجته الى كوخ فضاجعها . وعاشت معه حتى ضجرت منه فاشتكت اليه مرة من الم شديد في ظهرها وطلبت منه دواءً يشفيها وهو جلد سمك الانكليس الذي يمتص الالم ان هي شدته على ظهرها فسار لصيد السمكة ودركيتو تعرف انه سيموت هناك فمات ، ورحلت هي الى بابل فولدت في البرية طفلة جميلة ثم رجعت هي الى البحيرة والقت نفسها فيها فتحولت الى سمكة وعبدها الناس في اسكولون وعبدوا السمكة . اما الطفلة التي ولدت في برية بابل فقد رعتها الحمامات واطعمتها واحاطتها باجنحتها من الجهات الاربعة وحفظتها دافئة وجلبت لها بمنقارها الحليب ، حيث كانت تخلو المنطقة من الرعاة والصيادين ولما صار عمرها سنة واحدة جلبت طيور الحمام لها الجبن والاغذية . وكانت الحمامات سبعاً كل حمامة بعثها اله من الهة السماوات آنو وانليل ومردوخ ونابو وادد وبلتي وكان الصيادون يتعجبون عندما يرون قطع الجبن منقرة عند حوافها فقرروا تفتيش المنطقة ، فوجدوا الطفلة ذات الجمال المدهش ، فاخذوها الى سيماس مسؤول القطعان الملكية الذي كان عقيما فاهتم بها كانها ابنته وسماها سميرأميس التي هي سمورامات اي محبوبة الحمام .

الأول ، ثم الوجه القاسي المحارب المتآمر الطموح في نصف حياتها الثاني الذي يبدأ بالزواج من ضابط آشوري ثم الزواج من الملك ثم قتله ثم البراعة في فنون القتال ثم شبقها المدمّر الذي كان يختار أجمل وأقوى ضباطها لتمارس معه الجنس ثم الموت .

وهذا أعلى تجليات عشتار التي عرفناها في الأساطير .

لقد أريد من اسطورة سمير أميس بعث عشتار في صيغة إمرأة أو ملكة حقيقية . وكانت سمير أميس خير ممثل لهذه الإلهة .

المرجع : الأحمد ، سامي سعيد : سمير أميس ١٩٨٧.

وكبرت الطفلة حتى اصبحت اجمل فتيات بابل وذات يوم ارسل الملك شمشي ادد الخامس احد ضباطه واسمه اونيس الى بابل فراى سميراميس وهام بها وطلب من سيماس ان يزوجها له فتزوجها ورجع بها الى اشور وانجبت منه ولدين هما هياباتيس وهيداسبيس واحبها زوجها حبا عظيماً حتى اصبح اسيراً لها . وثارت مدينة باكترا على ملك النينوس شمشي ادد الخامس فارسل اليها القائد اونيس فحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها فطال زمن فراقه عن سميراميس زوجته فارسل اليها وكانت ذات مواهب كبيرة وتهيأت للسفر ، ولبست زيا يصلح للرجل والمراة ، ولما وصلت الى باكترا . ورات زوجها وضعت خطة لفتح المدينة ونجحت واحتلت مدينة باكترا فلما سمع النينوس شمشي ادد بذلك تقدم لها بالهدايا العظيمة وافتتن بجمالها وحاول اقناع زوجها لاعطائها اياه مقابل تزويجه ابنته سوزانة ، فرفض زوجها فهدده الملك بقلع عينيه لكن اونيس زوجها اصابه مس من الجنون فوضع حبلا على رقبته وشنق نفسه ، فتزوج الملك من سميرامي وولدت له ولدا واسمته ادد نيراري الثالث ولما صار عمر الطفل خمس سنوات تمنت على زوجها امنية ان

يجلسها على العرش يوما واحداً ويمنحها الأوامر المطلقة ففعل ذلك فلما جلست على العرش أمرت بقتل زوجها الملك فاصبحت هي الملكة المطلقة لبلاد اشور ودفنت زوجها في ساحة المعبد وشيدت فوق قبره بناية عالية . وقررت سميراميس القيام باعمال عظيمة فاعادت بناء بابل وبنت فيها قصورا كبيرة وأبراجاً ومعابد وشيدت مدناً جديدة على امتداد دجلة والفرات ثم توجهت نحو بلاد ميديا العظيمة ووصلت الى جبال باكستاوس ونحتت عليها تمثالها ومع مائة رجل مسلح ، ثم اتجهت الى مدينة شاون في ميديا وشيدت بستاناً في صخورها وبنت قصرا هناك وكانت تختار كل جميل من جنودها وتتخذه خليلاً لليلة واحدة ثم تقتله مخافة ان يفشي سرها . ثم ذهبت الى همدان وأقامت بستانا وقصرا ثم ذهبت الى بلاد فارس وعادت الى آشور ثم تطلعت الى بلاد النيل وليبيا والحبشة وذهبت الى هناك ، ثم عادت الى آشور وتطلعت بعدئذ الى الهند وجيشت جيشا كبيرا لذلك ووضعت الخطط لاحتلال الهند ورابطت فيها طويلا وكادت تحتلها لولا تفشي اسرار خططها . وعادت الى اشور بعد ان خسرت ثلثي جيشها وكانت ولدها ادد نيراري الثالث قد كبر وأحب ان يتولى ملوكية البلاد

فرفضت امه ذلك فقام بمؤامرة عليها مع أحد الخصيان ولم تعاقبه سميراميس بل أمرت حكامها بطاعته والامتثال لاوامره واختفت هي في الحال وتحولت حمامة وطارت في الجو بصحبة بعض الطيور التي حطت على منزلها ، وكانت قد عاشت اثنين وستين سنة . وضع لها ولدها الملك نصبا عظيما كتب تحته نصب الملكة سمورامت سيدة قصر شمشي ادد ملك العالم ملك بلاد اشور والدة ادد نيراي ملك العالم ملك بلاد اشور كنّة شلمنصر ملك الجهات الاربع . في عصر سميراميس وابنها الملك ادد نيراري تعظم مقدار الاله نبو ابن مردوخ واصبح سيد الآلهة المطلق .

الملك أدد نيراري الثالث إبن سمير أميس (٨٠٩ - ٧٨٢) ق.م

ألواح نبو

يعتبر الإله (نبو) من أصل أكدي وقد ظهر في وثائق عصر أور الثالث والعصر البابلي القديم على شكل (نيبوم) ثم تحول الى (نبو) في عصر أحدث وعرف في التوراة واللغة اليونانية بهذا الأسم وهو إبن الإله مردوخ والإلهة صربنيتو ، وكان يشارك زوجته الإلهه (تشمتو) في معبد واحد في مدينة (بورسيبا) حوار بابل . وقد انتشرت عبادة (نبو) في أرجاء الدولة

نبو الإله القوي الرفيع والقائد العظيم صاحب الامر الرفيع رسول الامور الحاذقة حاكم كل السماوات والارض السميع صاحب الاذان المفتوحة الذي يمسك قلم الالواح الآخذ بيد السجين الرحيم الذي يضع مساكن البشر.الحبيب رب الارباب الذي ليس لقوته منافس والذي بدونه لاتعط مشورة في السماء

الآشورية منذ القرن الخامس عشر ق .م وشيدت له معابد في كل من (نينوى) و (كالح) .

تمثال الإله نبو

الرحمن الرحيم من كان عفوه كرماً الذي سكن الـ (إيزيدا) في كالح السيد العظيم الذي لا يوثق بإله غيره ، إله النبوة نبو ، إله السحر والكهانة والعرافة ، الذي كان يسجل الأقدار على الألواح ، الاله الذي ارتفع كإله واحد .

١ . ألواح التعاويذ

كان الإله (نبو) يوصف بأنه إله الكتابة وإله الحكمة ، وحامي حمى الأدباء والمدافع عنهم ، وقد اكتسب كل صفات الحكمة التي كانت تتمتع بها الإلهة السومرية (نصابا) ولذلك كان يقرن في العصر السومري بزوجها إله الصوامع (حايا) ونعتقد أن كلمة (نبي) أخذت من أسمه باعتبارها درجة دينية عظيمة لكهنته .

وظلت عبادته منتشرة حتى العصر السلوقي ، وانتشرت عبادته في تدمر أيضاً .

وصلت ألواح القدر إلى الإله نبو بصفته كاتب الآلهة واحتفظ بها ، وأصبح بسبب ذلك متحكماً في مصائر

في بورسيبا معبد نبو سلم كهنته ألواح التعاويذ والتنبؤات والأحلام والأمثال والطب والحساب ، تقدم اليه الكاهن الاول كاهن الاشيبو وسلمه نصوص التعاويذ والرقى والتمائم فقرأها :

*** تعويذة ذلك الشخص الذي اقترب من البيت وأخافني في منامي ومزقني وجعلني أرى أحلاما مزعجة دعهم يعينوه عند الاله بابن جارس بوابة العالم الاسفل باسم ننتورا اميرة ، باسم مردوخ**

الكون وكان هذا مدعاةً لانتزاعه اسماء مردوخ الحسنى في المدائح الإلهية ، حيث كان يوصف في إحدى أناشيد العصر الآشوري الحديث بفجر الينابيع ومانح الخصب والنمو للمزروعات ، وكانت هذه صفات الإله إنكي إله الحكمة والمياه العذبة .

تعويذة بازوزو

وقد وصل الأمر في القرن الثامن قبل الميلاد أن أصبح الإله (نبو) يمثل النزعة التوحيدية في الديانة الرافدينية (الآشورية والبابلية) فقد ذكرت كتابة مدونة على أحد التماثيل (أثق بنبو ولا أثق بغيره من الآلهة) . وبعد سقوط الدولة الآشورية إرتفع مقام (نبو) الى أقصاه عند الملوك الكلدانيين البابليين وحاول كهنته وضعه فوق جميع الآلهة لكن محاولتهم هذه لم تنجح .

المرجع : اذزارد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٧٨ :١٣١ .

الذي يسكن الايساجيل في بابل دع الباب والمزلاج يعرف باني تحت حماية إلهتي .

* تعويذة أنا الاله بازوزو في جبل العالم السفلي حتى يرتفعوا ، أما الريح التي ترافقهم فقد وضعت الريح الغربية أمامهم ـ الرياح ، كسرت اصنامهم .

* تعويذة جيرا المتوهج ابن آنو البطل انت الاقوى بين اخوتك ، انت الذي يحكم في الشؤون مثل سين وشمش احكم في قضيتي وحل عقدتي . احرق عرافي وساحري ، ايه جيرا التهم اية عرّافي وساحري اية جيرا احرقهم ، ايه جيرا التهمهم ، ايه جيرا اربطهم ، ايه جيرا امحقهم ، ايه جيرا ارسلهم بعيدا .

* تعويذة لعنة شريرة وقفت على الرجل كعفريت الكلو وقع عليه صمت مدوخ صمت ضار ، لعنة شريرة ، سحر ، صداع ، ذهبت عنه الهة وقفت جانبا الهته التي ترعاه ، غطاه كالهواء صمت مدوخ فخذه يامردوخ وفك سحره ، فك سحره ،حتى الشر النشط في جسده فكه سواء اكانت لعنة ابيه او لعنة امه او لعنة أخيه الاكبر او لعنة قتل رجل لا يعرفه بسحر الاله إيا ، دع اللعنة تتقشر كهذه البصلة دعها تنفصم كهذه التمرة دعيها تفل كهذه الفتيلة .

٢- لابات، رينيه : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ١٩٨٨ :١٥١-١٥٧

ولا نعرف أساطير خاصة بالإله (نبو)، ولكننا نلمح اسمه متكرراً في مقدمات التعاويذ السحرية الآشورية التي تجعل منه إبناً للإله (إيا) بدلاً من (أسلّوحي) و (مردوخ) وهما الإبنان السومري والبابلي للإله (إيا).

وتعتبر هذه التعاويذ والرقى البابلية والآشورية المختارة من تراث السحر العراقي القديم والذي يشمل السحر الأبيض (سحر الكهنة) والسحر الأسود (سحر السحرة).

وكانت العفاريت الصالحة هي التي تستدعي في رقى السحر الأبيض لحماية الإنسان من الأذى والسوء ومن هذه العفاريت عفريت (آلاد) السومري المذكر الذي يقابله في الديانة الأكدية (شيدو) وهو إله أو جني يحمي الإنسان ويوضح في البيوت والمعابد للحماية.

والعفريت الآخر هو (لاما) السومرية المؤنثة التي يقابلها في الديانة الأكدية (لاماسو).

وهي عفريتة طيبة تعمل لصالح الإنسان وحمايته من الأذى والعدوان، وقد تطور استعمال هذين الجنيين في العصر الآشوري فأصبحا يصوران على شكل (الانسان الثور) المجنح، وينصبان أمام مداخل القصور لحمايتها وحراستها من الأرواح الشريرة.

* تعويذة النبتة التي يقشرها ويرميها في النار فتلتهمها، ولن تمسك جذورها في التربة، ولن تنتفخ براعمها حتى لاتستعمل لطعام إله أو ملك. لعل القسم واللعنة والمرض والتعب والذنب والخطيئة والشر والاثم والمرض الذي في جسمي او في لحمي او أطرافي ينتشر كهذه النبتة، لتلتهمها النار تماما اليوم لتبتعد اللعنة تماما حتى أرى النور.

* تعمل لعمل بديل لرجل مطلوب من إله الموت عند غروب الشمس يمدد الرجل المريض إلى جانبه، وعند الفجر تنهض وتنحني الى اله الشمس، ويحمل الرجل الجدي في حضنه الى بيت فيه شجرة الطرفاء وتجعل الرجل المريض والجدي يمددان على الارض وتلامس حنجرة الرجل المريض بخنجر خشبي وتقطع حنجرة الجدي بخنجر برونزي.. ثم تلبس الجدي الملابس وتلبسه حذاء وتضع الكحل في عينه، وتصب الزيت على رأسه وتأخذ قبعة الرجل المريض وتربطها على رأس الجدي وتكفن الجدي وتعامله كراحل ميت، ثم ينهض الرجل المريض ويقف في المدخل بينما يعد الرقية ثلاث مرات ويخلع الرجل المريض رداءه ويعطيه للكاهن ويذهب ويولول الكاهن للرجل المريض قائلا لقد مات فلان ابن فلان! ، ويأمر الكاهن بإقامة مأتم

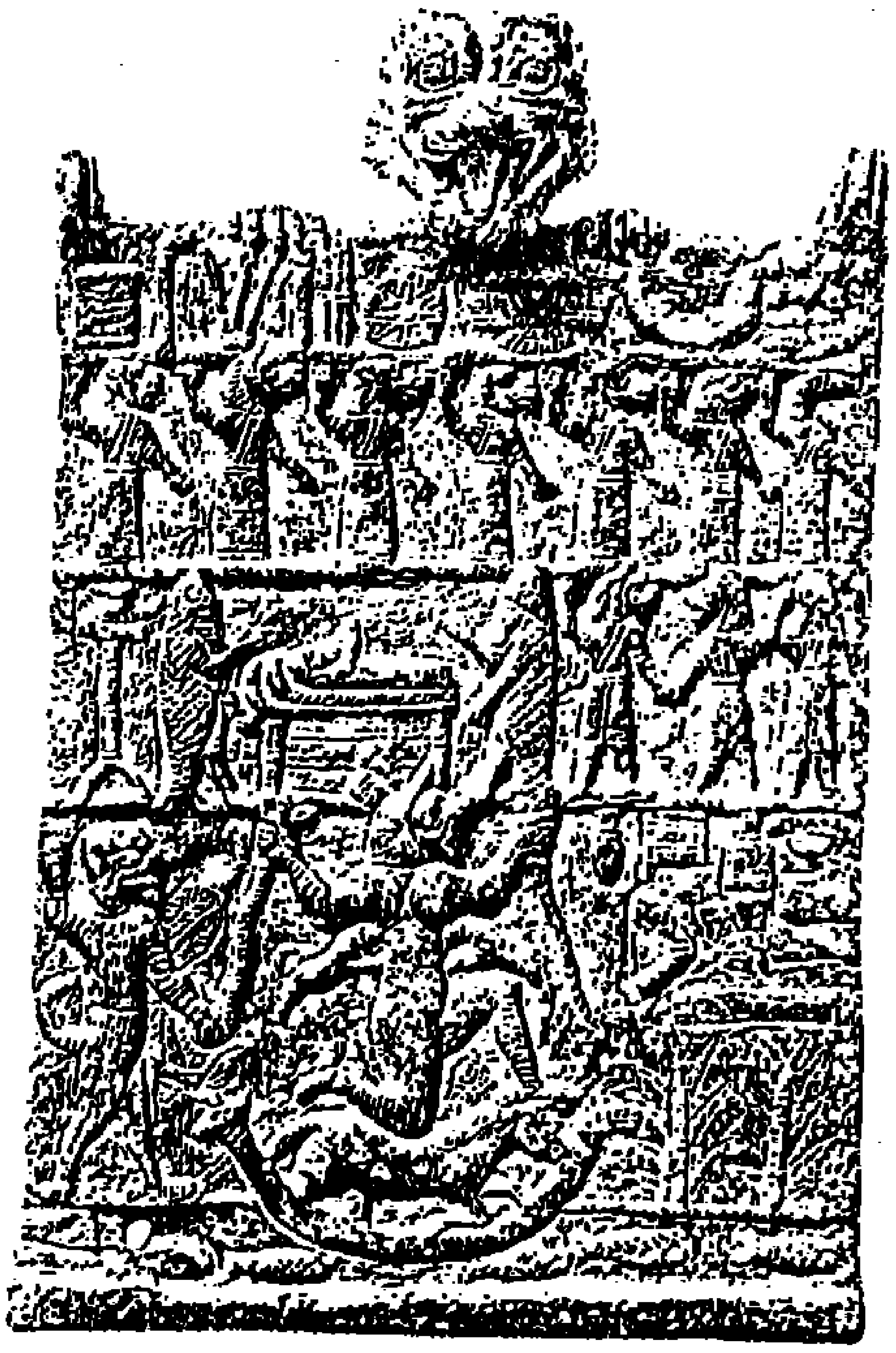

تعويذة برونزية من الفترة الآشورية

أما العفاريت الشريرة فمنها عفريت الـ (أودو) (أودوج) واللغة السومرية الذي يقابلة باللغة الأكدية (اوتوكّو) ويظهر في رقى السحر الأسود ونادراً ما يستغاث به من الأذى .

العفريت الآخر هو (گالا) الذي هو عفريت سومري لفظ اسمه بالأكدية (گالو) وهي عامة الشياطين والعفاريت .

وهناك (جديم) أو (گريم) بالسومرية وبالأكدية (إطمو) التي تعني روح الميت الذي لا يوارى الثرى ولا تقدم له القوابين فيظل ينهش في الأحياء .

والعفريتة السومرية (دمّه) التي تقابلها بالأكدية (لامشتو) وهي عفريتة حمى الأطفال وأمراض

ويدفن الجدي .

* رقية العين الشريرة التي تضر بالانسان التي دنت من السماء ولم تتمكن من إنزال المطر ودنت من الارض فلم تنبت عشبا طريا ، لقد قامت بعمل شبه لصورتي وقلدت ملامح وجهي ، انهضوا ايها الالهة العظام واسمعوا ندبي وشكواي اقضوا لي بالعدل وتعرفوا على حالي ، لقد صنعت صورة للذي عمل لي سحراً والتي عملت لي سحراً بسبب الشر الذي صنعه لي ، لتمت الساحرة ولأحيا أنا .

* رقية انا اعلم مافعلتما ، اما ما سأصنعه أنا فإنه لا يدريان به ، كل الذين صنعوا صورا لي ليحطم اله النار القدير سحرهم ، ارفع الشعلة واحرق صورهم جميعا وأحبط سحرهم ، ترى من أرسل الى بليط تشيري واقول له : ضع قفلا على فم الراقي والراقية .

* تعويذة لاباب ولا مزلاج يصدهم انهم ينزلقون تحت الابواب كالحيات ، انهم اولاد الجحيم في السماء يتعالى صراخهم وفي الارض همهماتهم ، في الزمجرة المروعة يسلكون وهم في صفوف الالهه الحكماء غير معرفين فلينتشروا وليتحولوا الى هباب الى تراب ، ليبتعدوا عن طريق الدائرة السحرية التي في حوزتي ، خشب الارز سلاح إيا

الرضع ، وتعرف غالباً أنها إبنة الإله (أن) ، وقد ضمت تعويذاتها الى مجموعة واحدة على شكل سلسلة معروفة بتعويذات (لامشتو) في العصر البابلي القديم .

تعويذة لامشتو

وتظهر لامشتو في المنحوتات على شكل إمرأة عارية الصدر ، ترضع من ثدييها كلباً وخنزيراً ، وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً مما يشير إلى انوثتها .

العفريت الآخر (لوليلا) والذي يعني (رجل الريح) ومؤنثه (كيسكيل ليلا) أي فتاة الريح ، ويقابله في الأكدية (ليلو) و (ليلتو) أو أردات ليلي) وهم من عفاريت الليل .

وتتخذ كيسكيل ليلاً من جذع الشجرة (الخلبو) التي يعتقد أنها الصفصاف مسكناً لها وهو ما ورد في أسطورة إنانا وجلجامش .

المقدس هو في يدي ، غصن ، غصن النخيل المستخدم في الرتبة الكبرى هو في يدي .

* تعويذة سواء أكان شبح من قتل بالسلاح أو شبح من مات بذنب اقترفه ضد الاله وجريمة ضد الملك طافت حولي وارادت ربطي اشباح منسبة اشباح لم يذكر اسمها ، اشباح من ليس له احد يعنى به . اذهبي عن مقري اذهبي عن خوفي وعن يدي اذهبي باسم شمش .

* تعويذة ايها الاموات لماذا تظهروا لي ، انتم يا من مدنهم الخرائب وبيوتهم العظام انا لا اذهب الى كوثا حيث الاشباح ، لماذا اذاً تطاردونني عساكم لا تطاردونني باسم نبو ومردوخ وشمش وانو .

* تعويذة عند الغروب يأخذ الخبز غير الخمر الى حجر جديد محفور ويسكب من قرن ثور الطحين والماء وتوضع المبخرة بجانبه ويتصاعد البخور فتقرأ سواء خيال شرير ام ألو الشرير او شبح شرير او كلو شرير او شبح مدفون او شبح غير مدفون او شبح ليس له اهل او شبح من ليس له احد يذكر اسمه او لشبح من كان عائلته من رجل او شبح من ترك في الصحراء عينه لمحافظة أشباح عائلته .

وتسمي القوائم السومرية للملوك (ليلاّ) أباً لجلجامش . وربما كان (ليل) السومري الذي يشير الى الهواء و (ليلو) الأكدي يشيران الى معنى الليل أو الظلام أيضاً أما (ليليث) فهو الاسم العبري والسرياني للعفريتة (ليليتو) .

ويعتبر (أساج) العفريت الذي يعني بالسومرية (الذي يضرب الذراع) ثم تحول في الأكدية الى (أساكو) هو عفريت الامراض والأوبئة ، ثم أصبح عفريت أعداء سومر القاطن في الجبال والذي كانت إنانا ونتورتا يهاجمانه ويشنان حملات عليه .

والعفريت بازوزو كان يملك أربعة أجنحة ووجهه ممزق وله قرون طويلة ومخلب أسد وشوكة عقرب .

المراجع :

١- اذزارد : معجم الآلهة والأساطير ١٩٨٧ : ١١٥-١١٧٠

٢- الماجدي ، خزعل : بخور الآلهة ١٩٩٨٠

٣- لابات ، رينيه : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ١٩٨٨ : ١٥١-١٥٧٠

* تعويذة خذ ترابا وطهره ثم اصنع منه تمثالا للشبح الآثم اكتب اسمه على فخذ التمثال الايسر فيفقد الشبح قوته وتلوى قدمه ويرمى على الارض فضع سن الكلب في فمه ليسره ، ثم اتل للاله شمش : ادعوك باسم الاله شمش في غروبه ان تترك جسم فلان ابن فلانة ، اذهب واتركه هكذا تقول وتدفن ذلك التمثال بحجر عند غروب الشمس لن يرى ذلك الرجل شبح الميت طالما كان على قيد الحياة .

* تعويذة لاماشتو . تطهر المكان وتاخذ طينا من المكان وتصنع صورة للاماشتو وتضعه عند راس الرجل المريض وتملأ الموقد بالرماد ، وتضع خنجرا فيه وتضعها لمدة ثلاثة ايام عند راس الرجل المريض وفي اليوم الثالث في نهاية اليوم تجلبها وتضربها بالخنجر وتدفنها في زاوية الجدار .

* تعويذة تعمل تمثالا لابنه الاله انو وهي لاماشتو من طين حفرة وتصنع تمثال حمار من طين حفرة وتزوده بالعلف تصنع شرابا من الخبز والجعة وتذبح خنزيرا صغيرا وتضع قلبه في فم ابنة انو ، ولمدة ثلاثة ايام تتلو التعويذة امامها ثلاث مرات في اليوم وفي اليوم الثالث في نهاية اليوم تجعلها تخرج الى العراء .

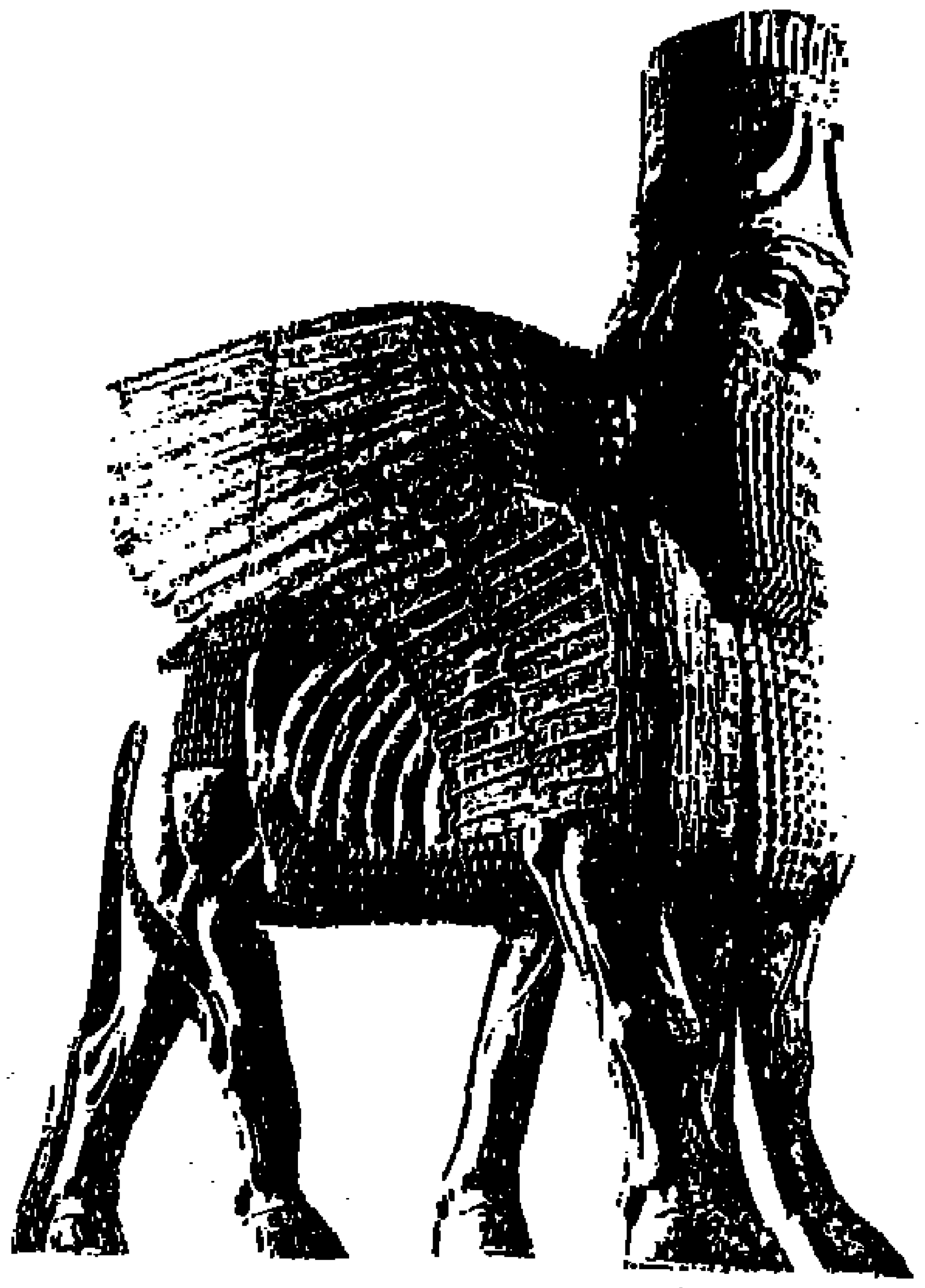

الثور المجنح (اللماشو) جنيّ البوابات الآشورية وحارسها .

تعتبر عفاريت الـ (سبتّو) أي الـ (سبعة) منقسمة الى نوعين من العفاريت بعضها صالح وبعضها الآخر شرير ، ولكن صفة الشر هي التي ارتبطت بها .

السبتّو الصالحة تظهر في نصوص التعاويذ على أنها أبناء إله العالم الأسفل (إنمه شرا) الذي يعني اسمه سيد كل القوى الإلهية بالسومرية . وتعرف زوجته (نينه شرا) وهما من أسلاف الإلهين آن وإنليل .

أما السبتو الشريرة فتظهر أنها أبناء الإله آن ويرمز لها بسبع دوائر .

* تعويذة من أجل إله جامح يجلس على رجل ويمسك فمه لا يتمكن من أن يأكل طعاما او يشرب ماء يربطون ذكر الماعز البالغ عند رأس سريره يقطعون عصا من البستان ويجلدون خيوطا ملونة على العصا ويملأون كوبا بالماء ويكسرون غصنا من البستان ويضعون العصا وكوب الماء والغصن ثلاثتهم في مدخل المدينة ، ثم يحمل الحاملون ذكر الماعز البالغ الغصن والعصا وكوب الماء على الارض المتروكة ولا يأخذها جميعا الى منطقة مزروعة واحدة بل يفصلون العصا وكوب الماء عن بعضها البعض ، ويحملون الغصن وذكر الماعز البالغ الى المنطقة المزروعة تقع على الطريق ويذبحون ذكر الماعز ويأخذون الأضلاف مع الجلد ويقطعون الرأس ثم يطبخون اللحم ، ويملأون آنية برونزية بالعسل والدهن ويجلبونها ثم يلبسون الغصن بالجلد ، ويربطون الأرجل الأمامية ، بالأوتار والمصارين ويحفرون حفرة ويسكبون العسل والدهن فيها ثم يقطعون الأرجل الأمامية ويضعونها في الحفرة بعدها سيعيش ذلك الرجل ويذهب الإله الذي عليه فينفتح فمه فيأكل طعامه ويشرب ماءه .

* تعويذة استقر عفريت الأساكو الشرير في جسم الراحل كالرداء أثناء تجواله ،

انه يمسك بيده ورجله ، الجدي هو بديل البشر لقد أعطي الجدي من أجل حياته يعطي رأس الجدي بدلا من رأس الرجل أعطي رقبة الجدي بدلا من رقبة الرجل ، أعطي صدر الجدي بدلا من صدر الرجل .

* تعويذة سواء ظل شرير كان أو روح شرير أو شبح شرير أو غول شرير أو الرابض الشرير أو لاماشتو أو لابسو أو القابض أو ليلو أو ليليث أو وصيغة ليلو أو يد الاله أو يد الالهة أو وباء أو عفريت الطاعون أو العفريت الذي يجلب السوء أو الموت أو الحرارة أو الخمس أو القاتل مهما كان هناك الذي يؤذي الانسان في بيت الرجل فتنثر الماء المقدس فيه ، ويقيم دكة الطقوس وتقدم الخراف للأضحية وتجلب لحم الخنزير والشحم واللحم المشوي وتبعثر التمر والطعام الجيد ، وتصنع الحلوى مع العسل والزبد وتقيم مبخرة مع خشب الصنوبر ، وتسكب النبيذ وتنحني احتراما وتطهر المبخرة والمشعل واناء الماء المقدس وخشب الطرفاء وتتلو امام شمش التعويذة : ايه شمش السيد العظيم القاضي المبجل الذي يشرف على أقاليم السماء والارض الذي يرعى الأموات والاحياء . أنت الطرفاء المقدس الخشب

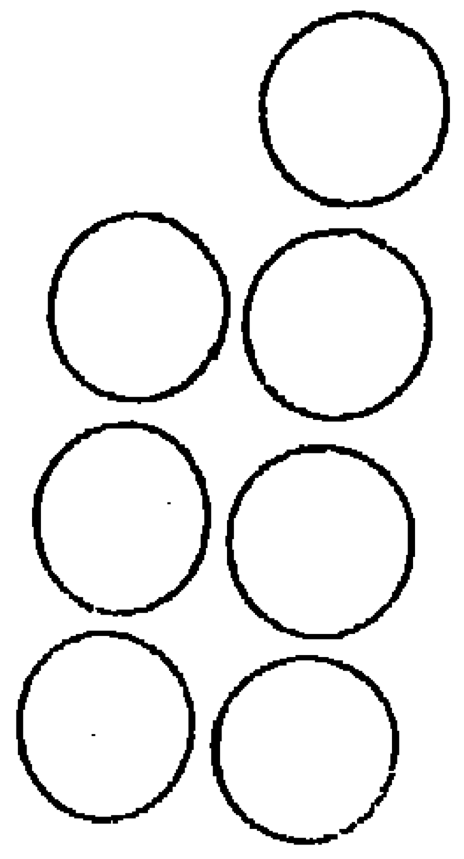

رمز العفاريت سبتو
رسم : علي محمد آل تاجر

جني آشوري يحمل بيده اليمنى ثمرة الصنوبر وبيده اليسرى إناء الطقوس

كان المعوّذ أو المعزّم يسمى باللغة الأكدية (أشيبو) وهو كاهن يعنى بطرد الأرواح الشريرة ، وكان يأخذ دور الطبيب النفسي في المعالجات الطبية التي كان الطبيب (آسو) يعتني بجانبها السريري .

وكان المعوّذ يسمي نفسه رجل الإله (إيا) لأن هذا الإله هو إله السحر والطب معاً .

لقد كان التطبيب والسحر (التعزيم) مترافقين ، فبينما يلجأ الـ (آسو) الى الأساليب العلمية الصيدلانية والكيميائية يلجأ لـ (أشيبو) الى الوسائل الروحية التي يعتمد بعضها على سحر الاعداد (مثل سبع طرات من الدواء) و (ربط أو فك سبع عقد) وغيرها .

ويشكل القلم رمزاً أساسياً للإله (نبو) وهو نفس رمز الإلهة (نصابا) .

وكان يوضع هذا القلم في الألف الثاني قبل الميلاد فوق هيكل معبد ليرمز الى الإله نبو .

وفي بداية الألف الاول قبل الميلاد وضع هذا القلم فوق معبد محمول على ظهر الكائن الخرافي المركب (سوخورموشو) الذي كان يرمز لإله الحكمة إيا/ إنكي وهو كائن نصفه العلوي تيس ونصفه السفلي سمكة .

وفي القرن التاسع ق .م عاد رمز القلم المنتصب على دكة معبد ، وفي القرن الثامن عاد رمز القلم الموضوع على معبد موضوع على ظهر كائن الـ (موش خوش) الذي يرمز للإله مردوخ .

الطاهر لشكل التمثال الذي سأقيمه في بيت فلان للتغلب على الاشياء الشريرة ، لقد انحنيت أمامك ليكن الشئ الذي سأعمله ذا فائدة كاملة . تقول هذا ثم تشق الطرفاء بفأس من الذهب ونشاراً من الفضة وتقطع بآلة القلمو .

*** تعويذة لطرد الاشرار من البيت اصنع تماثيل كلاب ، اسم الكلب الاول (المغطى بالجبس لا تقف لتفكر افتح فمك) اسم الثاني : (لا تقف لتفكر عض) اسم الثالث الاسود : (التهم حياته) اسم الرابع : (دوي العواء) اسم الخامس الاحمر : (طارد عفريت الاساكو) اسم السادس : (ماسك الذي يركض) اسم السابع الاخضر : (الذي يجعل العدو يهرب) اسم الثامن : (من يعض عدوه) . اسم التاسع : (المرقط مقدم الخيرين) اسم العاشر : (طارد الحاقدين) .**

*** تعويذة رسوم الالهة بسبب القوى الشريرة التي تقف وتدعو لاغراض خبيثة في بيت فلان ابن فلان اقمتكم في المدخل على اليمين وعلى الشمال ، لتبدوهم من بيت فلان بن فلان ، ليترك اي شئ خبيث اي شئ ليس جيداً عنكم لمسافة ثلاثة الاف وستمائة ساعة مضاعفة .**

* تعويذة الرب القوي المتضح الذي يعرف كل شئ الرائع المتحدد الكامل بكر مردوخ ، مستشار الالهة ، نبو الذي يقبض بثبات على مراكز العبادة الذي يجمع في نفسه كل العبادات ، انت ترعى جميع الرجال انت تتقبل تضرعهم ، انت تنعم عليهم الرفاهية جميع البشر يصلون لك ، انا عبدك الذي الهي هو انت والهتي تاشخبرتم وبسبب اندلاع النار في بيتي أنا خائف أنا ارتجف أنا معرض للنهب والقتل الذي سيمحقني ، انا من هو كئيب جدا مضطرب ذو جسم مريض جداً تضربني الحرمات والألم ، انا أغني لك لقد غطاني المرض من السحر . إيه أيها السيد ياحكيم الآلهة أصدر أمراً من فمك الطريب ، ايه نبو حكيم الالهة لعلي أعيش بفمك .

* تعويذة سين التي شعائرها في الليل حين تكنس السطح أمام القمر وتنثر الماء مقدسا وتكوم الحطب وتثبت على الحطب سبع أغلفة من الحنطة ، وتقسم خروفاً مطهراً بدون عيب ، وتعد ثلاثة مكاييل من الطحين الذي طحنه ذكر ومكيال من الملح ، وتملأ سبع قناني من الطين بالعسل والقيمر والنبيذ والجعة والماء وتجمعهم على الحطب وتسكب

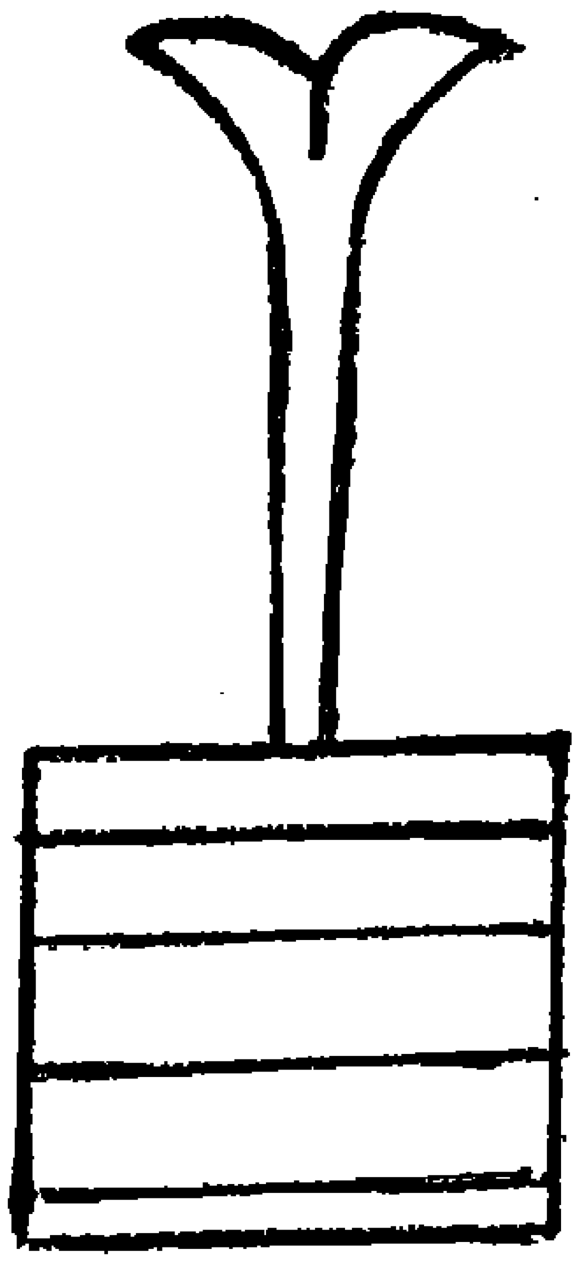

رمز الإله نبو (الألف الثاني ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

الشـراب المعـد وتنحني وتغـتـسل في النهر .

* تعويذة لطرد النمل الذي يشاهد في بيت الرجل ولكي لايقـترب ذلك الشر من الرجل وبيته ، ترش زيتاً جيداً على النمل وعلى حجرها وان تقدم وترمي في الحجر الجبس والمقلي من النباتات ، وتستخرج غبارا اما مع ماء البئر أو ماء نهـر من قـارب ، وطين من مـروج النهـر وغبار من عتبة المدخل الخارجي للمدينة وتنثرها وتضع المباخر المشتعلة مع العرعر والمر على العتبة معاً وسوف تتخلص من شره .

* تعويذة نـورتا الذي يعصف بالأشرار الذين يكرهونني إن عـينيك أيهـا الرب همـا انليل وننليل ، وشـفـتيك همـا انوم وانتـوم ، وأسنانك السبـعـة التي تغلب الشـر هي الشـهب اللمـاعـة ، ومقـدمـة وجنتيك ايهـا السـيـد ظهـور النجـوم ، وأذنيك الاثنين همـا ايا ودامكينا افـراد الحكمـة ، ورقبـتك الاله مـردوخ قـاضي السمـاء والأرض فـاضـرب بهـؤلاء .. بأعضائك جميعا هذا الشرير الـذي طوق حياتي .

* يا سيد الأسياد لتقطع قدم الشرير من بيت الرجل عليك أن تدق وتطحن وتمزج بعسل الجبل بذر السبع نباتات قسمهـا الى ثلاثة اجزاء ادفنهـا في عتبـة الدار

الى اليـمين ، والى اليـسـار ولن يقـرب اليك المرض والصـداع والارق والوجع ذلك الرجل وبيته سنة واحدة .

* تعـويذة طرد الأرواح لقـد عـملت السـاحرة سحرها الشرير لقد جعلتني أكل روحـها غير الطيبة لقد جعلتني أشـرب شـرابهـا لتـأخـذ روحي ، لقـد غسلتني بماء غسيل قذر لأن وجودي هو وجود رجل ميت ، لقد مسحني بزيتها الرديء لتدميري لقد جعلتني أمرض بمرض سيء هو قبضة اللعنة لقد سلمتني شبح غريب يتجول وليس له عشيرة .

* تعويذة فك السحر باسم مردوخ دعوه الشـراب الطاهر شراب الحـياة ، ودعـوه يأكل نبات الحـياة ، ودعوه يدهن نفسه ويغتسل وتوصل يا مردوخ الى ساحرته بريح فـمك ، دع ريح فـمك تصلهـا دع السحر والسم والقذارة بعيدا عنه بتعويذة الحـيـاة الطاهرة ، دع اللعنة تذهب الى البرية ، دع الشبح الغريب يختفي ، دع الرجل يعـيـش ، دع الرجل يكون صحـيـحـا ، ودع الرجل يكون معـافى أمامك الى الابد وليفك مردوخ ماعملته الساحرة لقتله كما يعطي الحياة لرجاله .

* تعويذة ساحرتي وعرافتي ، تجلس في ظل كومة من الآجر تجلس وتعمل السحر ضدي تعمل تماثلي أنا ، البيت ضدك ،

نبات الخاشو والسم أبدد سحرك ، اعيد كلماتك الى فمك لتكن السحر الذي صنعته ضدك ، ان تعويذتك لن تقربني وكلماتك لن تصلني بأمر الاله ايا وشمش ومردوخ وبيليت ابلي .

* تعويذة بلواخ ادينا ، ايه ننورتا السيد العظيم مزق القلب وانه حياته واقتل زوجه ، والحق اولاد الغرباء ومعارف واسم وبذور ونسل وأحفاد باواخ ادينا .

٢. ألواح الفأل

كان علم العرافة البابلي علماً شمولياً أصاب كافة مناحي الحياة ، وهو علم التنبؤ بالغيب سواء كان ذلك الغيب ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً .

وكان معرفة الغيب يتطلب شخصاً استثنائياً موهوباً تكون له القدرة على قراءة ما تمنحه له الطبيعة من اشارات لمعرفة ما تشير اليه . ولذلك كان الكاهن المختص بالعرافة يسمى الأكدية بـ (البارو) أي الذي يتعمق في المعرفة . وهي ترجمة لاسمه السومري (آزي) أي (الذي يعرف) أو (العارف) .

وكانت العرافة أو النبوءة تشمل قراءة حركات وخطوط الطبيعة الجامدة والنباتية والحيوانية والبشرية .

وقد كانت قراءة حركات الحيوانات مهمة في الكشف عن المستقبل .

وكان العرّاف إذا خرج للعرافة فإنه يراقب حركات الحيوانات التي تصادفه في طريقه ، ويجمع كل الإشارات التي تصدر عنها لكي تكون له مادة لكشف

وقف الاله نبو شامخا وتقدم كاهن البارو وسلمه الاله نبو الواح النبؤات والفأل فقرأها .

* فأل اذا شيدت مدينة على تل فلن يكون ذلك حسن بالنسبة الى السكان في تلك المدينة ، واذا شيدت مدينة في منخفض فسيكون ذلك حسن بالنسبة لسكان تلك المدينة .

* فأل اذا شوهد في بيت صاحب البيت الميت فان ابنه سيموت ، واذا شوهد في البيت النمل الاسود في الاسس المشيدة سيشيد ذلك البيت وسيعيش صاحب ذلك البيت حتى يعمر ، واذا شوهد النمل الابيض فان البيت سيدمر ، واذا شوهد النمل الأصفر فستنهار الأسس ولن يشيد البيت ، واذا شوهد النمل

الغيب عن الحالة التي هو بصددها .

وهناك نوعٌ صناعي من العرافة حيث كان يلجأ العرّاف الى القيام بمجموعة من الأعمال التي تنتج خطوطاً أو أشكالاً يمكن تأويلها مثل سكب الزيت على الماء ومراقبة ما ينتج من خطوط ودوائر ، ومثل الأشكال التي تصدر عن التبخير ، أو قراءة خطوط اليد أو خطوط الجسد ، أو قراءة حركات الاحجار التي يرميها بيده .

المرجع : الماجدي ، خزعل : بخور الآلهة ١٩٩٨،

كانت العرافة تعني الإتصال مع قوى ما فوق الطبيعة التي ترسم تاريخ الفرد والجموعة ، ويستلزم ذلك الاعتقاد على أن هذه القوى لها القدرة والرغبة في إيصال مقاصدها وتهتم بسعادة وخير الفرد أو المجموعة ، بمعنى آخر .

وربما كان هذا الإتصال بهذه القوى يتم عن طريق قوى سايكولوجية أو إلهية داخل العراف قد يمثلها الإله الحامي أو الحارس للشخص .

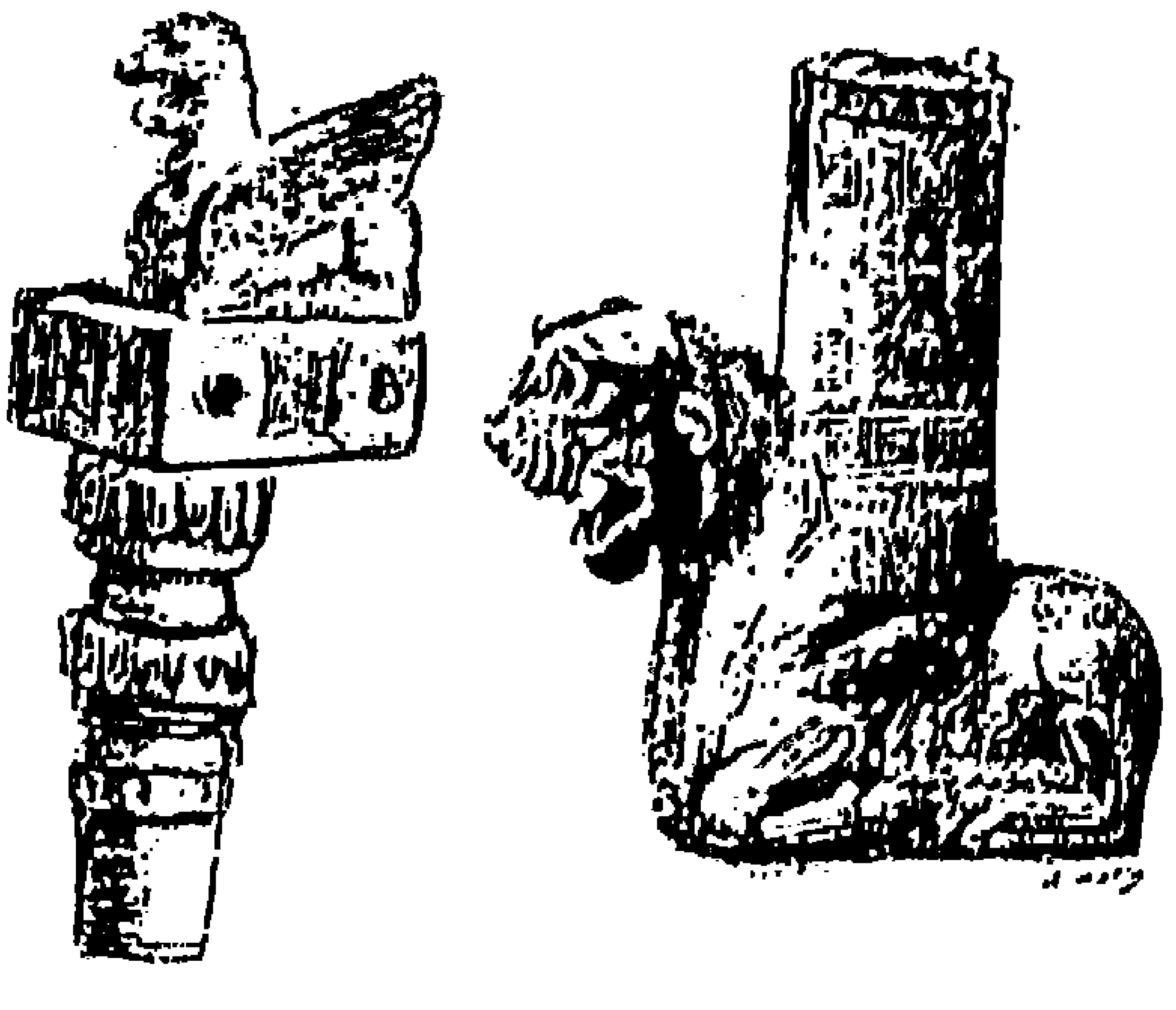

تماثيل الإله الحامي (شيدو ولاماسو)

الاحمر فسيموت صاحب ذلك البيت قبل اجله .

* فأل اذا قتل اسد احدا امام باب المدينة الكبير فسيقتل هو ايضا وسيسقط ولد صغير من السطح .

* فأل اذا حملت زوجة رجل من رجل آخر فانها لن تفتأ تتضرع الى الالهة عشتار وتقول وهي تنظر الى زوجها : عساي انجب ولدا شبيها بزوجي .

* فأل ثعبان اذا اعتدى ثعبان على رجل ومسكه ولسعه فسيمر بعدوه اوقات صعبة واذا مرّ ثعبان من جهة الرجل اليمنى الى الجهة اليسرى فسيكون له اسم حسن اما اذا مر من يساره فسيكون له اسم سيء واذا ظهر ثعبان في مكان حيث كان رجل وزوجته واقفين يتحدثان ، فإن الرجل والزوجة سيطلق أحدهما الاخر . واذا ظل ثعبان يطوف في بيت رجل فسيهدم ذلك البيت ويدمر ، واذا قتل عفريت ثعبانا في بيت رجل فان أولاد ذلك الرجل سيقتلونه وسيموت ، واذا قتل النمس ثعبانا في بيت رجل فان ذلك يعني اقتراب الشعير والفضة ، اذا سقط ثعبان من السقف على رجل وزوجته وفرقهما سيطلق الرجل زوجته .

* فأل العقرب ، اذا اندس عقرب فينام رجل سيشرى ذلك الرجل واذا وقف

تأكدت أهمية العرافة في حضارة بلاد ما بين النهرين بواسطة مجاميع الفؤول والنصوص المسمارية الكثيرة العدد، وتتراوح هذه النصوص منذ العهد البابلي القديم (ما بعد حمورابي) حتى زمن الملوك السلوقيين، وقدمت مادة غزيرة تتعلق بفنون العرافة المتنوعة.

إضافة الى أن هناك إشارات ضمنية عن ممارسات العرافة التي ترتبط بالأدب التاريخي والديني، وهناك ريب قليل في أن العرافة الأكدية -وهي مثل النصوص المدونة بتلك اللغة- كانت تعتبر من المنجزات الرئيسية في بلاد ما بين النهرين والبلدان المجاورة. لقد نسخت هذه النصوص في سوسة عاصمة عيلام، وفي نوزي وخطوشا عاصمة الحيثيين وفي أماكن بعيدة أخرى مثل قطنّة وخازر في سوريا وفلسطين، وقد استنسخها كتّاب محليون تدربوا على كتابة لغات بلاد ما بين النهرين ومن ثم ترجمت تلك النصوص الى العلامية والحدثية، ولم يكن اختفاء حضارة بلاد ما بين النهرين ولغاتها ونمط كتابتها عائقاً في انتشار أساليب من العرافة باتجاه فلسطين ومصر وانتشارها من هناك الى اوروبا.

المرجع: اوبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين ١٩٨١: ٢٥٩-,٢٦٠

عقرب على سرير رجل، مريض سيتركه مرضه سريعا.

*** فأل السحلية اذا وطأ رجل على سحلية، عن غير قصد وقتلها فسيتفوق على عدوه.**

*** فأل اذا كان هناك نمل كثير في مدخل البوابة الكبيرة ستغلب المدينة، واذا قتل النمل بعضه بعضاً وقامت معركة بينه تقدم العدو وسقط جيش عظيم، واذا كان في المدينة نمل اسود مجنح سيكون هناك مطر وفيضان غزير.**

*** فأل اذا كان قرن الثور الايسر بارزاً باستقامة قرنه الايمن متجها الى اليمين فسيكون ذلك الاسطبل حاويا على ماشية كثيرة، واذا كان في كلا عيني ثور دموع سيقع بعض على صاحب ذلك الثور.**

*** فأل الحصان اذا ركب حصان على رجل يباع ذلك الرجل بالفضة او تمر عليه اوقات صعبة، واذا ولدت حمارة وكان للمخلوق رأسان سيكون هناك تغيير في العرش، واذا دخل حصان بيت رجل وعض حمارا او رجلا فسيموت صاحب الدار ويتفرق اهل بيته، واذا كان نبيل راكباً عربة وسقط وراء العربة فإن ما مثبت له غير مرغوب وسيستدعى من الحاكم.**

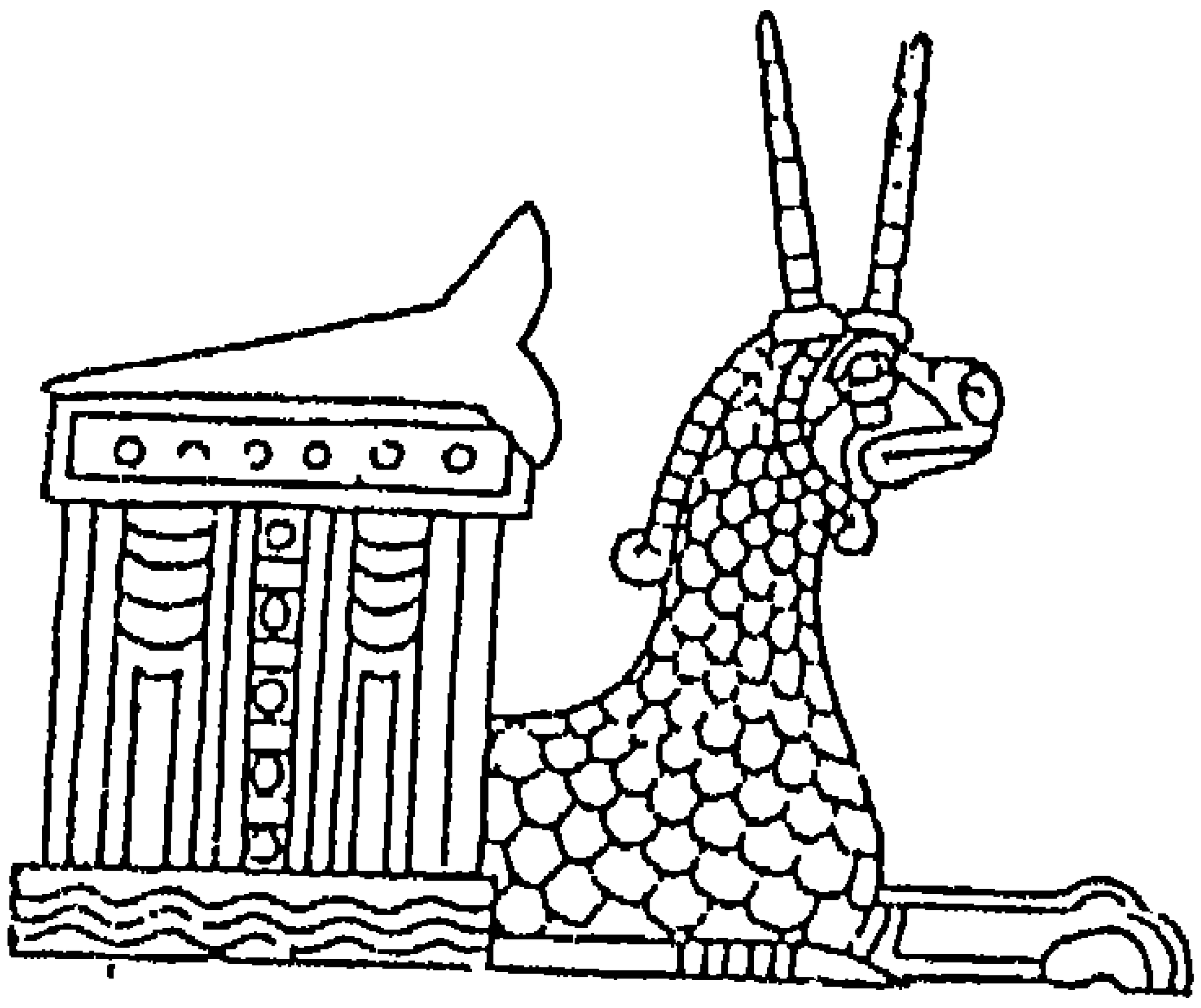

رمز الإله نبو (١٠٨٠ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

واذا كان الإله نبو يرعى العرافة كنوع من أنواع المعرفة ، الآ ان العرافة (حصراً) من اختصاص الإلهين شمش وأدد وكان العر ..د يتوسلونهما اثناء أداء طقوس العرافة .

* فأل اذا ظهر ثور وحشي امام البوابة الكبيرة فإن العدو سيستولي على المدينة ، واذا ذهبت في ذلك اليوم فهو غير حسن .

* فأل اذا ركض الثعلب في الساحة العامة فان تلك المدينة ستهجم × نبوءة اذا صك الخنازير اسنانها تفرقت تلك المدينة ، واذا كانت خنزيرة دون صغار وولدت ثلاثة وكان راسهم أبيض وذنبهم اسود سترهن اثاث بيت ذلك الرجل بدل الفضة .

* فأل اذا رفع كلب أسود رجله أمام رجل ليتبول فسيعم الرجل الخير ، واذا تمدد كلب على سرير سيده فإن إله سيده غاضب عليه ، واذا تبول كلب أبيض على رجل فستمر اوقات عصيبة بذلك الرجل ، واذا تبول كلب احمر على رجل فستحل السعادة بذلك الرجل ، فاذا ركب كلب على كلب فستركب النساء السحاق .

* فأل اذا حدث فيضان في شهر نيسان ويكون النهر كالدم فسيحل الطاعون في البلاد ، واذا كانت اسماك كثيرة في نهر فذلك ينبئ عن استقرار في البلاد .

* فأل اذا كان في أحد الأمكنة بئر مكشوفة وكان ماؤها أصفر فلن تضع الأسماك والطيور بيضها في ذلك البلاد ، واذا كان في أحد الأمكنة بئر مكشوفة

وظهر القبر فيه فستدمر تلك البلاد ، واذا كان في احد الامكنة بئر مكشوفة وظهر فيها الزيت فذلك ينبئ عن تقدم العدو نحو البلاد ، واذا افترس صقر طيراً على سطح بيت رجل وتركه هناك فسيموت أحد في ذلك البيت .

* فأل شهر تشرين في اليوم الاول لا يأكل الرجل الثوم والا لسعته العقرب ولا يأكل البصل الا أصيب بالإسهال ، وفي اليوم الثاني لا يأكل الثوم والا مات شخص عزيز في عائلته ولا يصعد الى السطح والا تزوجته ليليث وفي اليوم الثالث لا يضاجع امراة والا اخذت تلك المرأة قوة قضيبه ، وفي اليوم الرابع لا يعبر نهرا والا ذهبت رجولته ، وفي اليوم الخامس لا يأكل لحم خنزير والا كانت هناك دعوى ضده ولا يأكل لحما مطبوخاً والا ضربه العفريت الرابض ولا يأكل لحم بقر والا وضع عفريت الاتوكو اليد عليه ولا ينحني الى صديقه والا ضربه الاله الصغير شولاك .

* فأل اذا كان شعر الصدر عند شخص مجعداً نحو الاعلى فسيسقط في العبودية واذا كان وجهه محتقناً وعينه اليمنى جاحظة فستفترسه الكلاب بعيدا عن بيته .

* فأل متى ولدت امرأة اسدا فمعنى

ذلك ان المدينة ستقهر والملك سيؤسر ومتى ولدت نعجة اسدا فمعنى ذلك ان العساكر المنحدرة ستقوى ولن يكون للملك خصوم .

* فأل اذا قطع عصفور طريق رجل ولحق به طائراً من الشمال الى اليمين فذلك طالع شؤم له .

* فأل اذا توجه الكاهن الى دار المصاب وشاهد خنزيرا أسود اللون فان ذلك يعني ان المصاب سيلاقي حتفه أو سيشفى بعد عناء شديد وإذا شوهد خنزير أبيض اللون فإن المريض سيبل او يمتحن اما اذا رأى خنزيراً أحمر فإن ذلك المريض سوف يموت في الشهر الثالث او في اليوم الثالث .

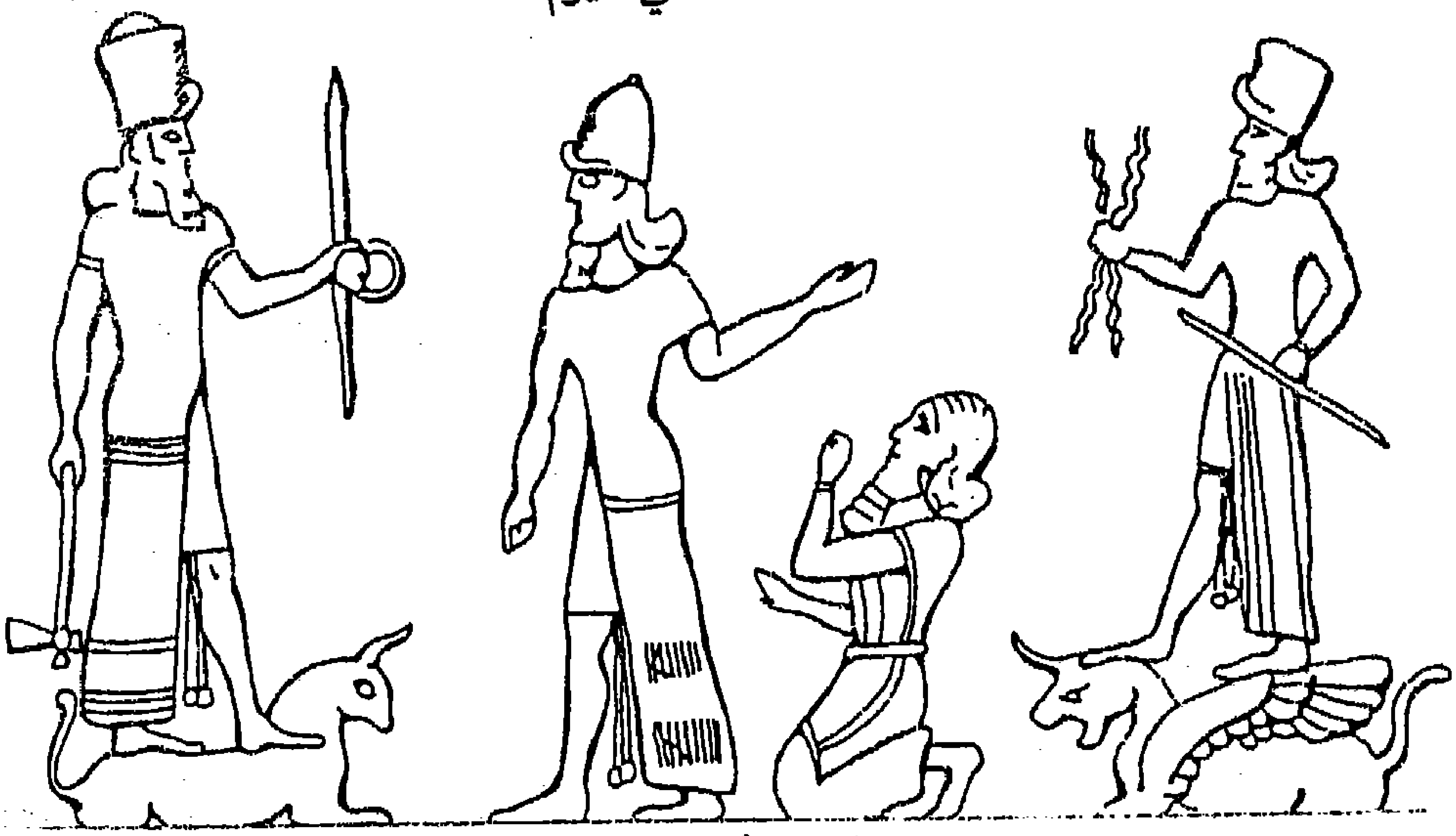

إلها العرافة أدد وشمش وبينهما
ملك وكاهن من آشور
(القرن الثالث عشر ق.م)

٣. ألواح الكبد

كانت عرافة قراءة الكبد Hepato scopy جزءاً من العرافة الطبية ، وكانت تعتمد على قراءة التغيرات التي تصيب كبد الخروف المضحى به لأجل تلك القضية .

وقد عثر على نماذج كثيرة من الأكباد الطينية وعليها نصوص عرافة الأكباد .

نص عرافي مدوّن على نموذج طيني للكبد

وقف الاله نبو شامخا قويا وتقدم اليه الكاهن الثالث شيبكو فسلمه الواح الاكباد وقراءة الطالع منها فقرأ .

❋ كبد اذا كانت مرارة الخروف المضحى به خالية من القناة الصفراء فإن جيش الملك سيعاني من العطش خلال الحملة العسكرية .

❋ كبد اذا وجد في الجزء الأيمن من كبد الخروف المضحى به زائدتان فطريتان على شكل إصبعين فذلك يعني ان الفوضى ستجتاح ذلك البلد .

❋ كبد اذا وجد في باب البلاط الكبد ازدواجا وورما وعن يمين المرارة ثلاث حفر واضحة فذلك فأل اناس اسرهم الملك ويجب اللجوء الى الخنادق .

٤. ألواح الأحلام

كان تفسير الأحلام أحد الجوانب الأساسية التي شغلت العرافين في بابل وآشور .

وكان كتاب الأحلام الآشوري الذي عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال والذي قام بنشره ليو أوبنهايم مأثرة حقيقية في هذا المجال .

وقف الاله نبو شامخا قويا وتقدم اليه الكاهن الرابع شائلّو فسلمه الواح الأحلام وتفاسيرها فقرأ .

❋ حلم اذا حلم احد خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه وبأنه يطلق

وتتكون السلسلة التي تحتوي على فؤول الحلم من أحد عشر لوحاً خصص منها اللوح الأول واللوحان الأخيران للشعائر الدينية والتعاويذ الخاصة بطرد الأحلام الشريرة، وهي الأحلام التي تتنبأ بالكوارث أو بأمراض أخرى.

وقد وجدت في اللوح المدون عن السفر بعض أحلام الصعود إلى السماء والنزول إلى العالم الأسفل، كما تفعله أحلام الطيران. وهناك أحلام أخرى مثل أحلام الجنس بين شخصين وأحلام فقدان بعض أسنان شخص وأحلام خصام بين أفراد العائلة واستلام هدايا وحمل مواد... الخ.

المرجع: اوبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين ١٩٨١: ٢٧٨-٢٧٩.

الصرخات دون ان يسمعه احد فسيكون لهذا الرجل حظ يلازم حياته.

* حلم اذا حلم احد خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه وبأنه يطلق صرخات ويسمعونه فسيكون لهذا الرجل نحسٌ يلاوم حياته.

* حلم إذا حلم انسان بانه ياكل لحم كلب فان رغبته لاتتحقق، واذا غزال فيظهر طفح جلدي عليه، واذا جاموس فستطول ايامه، واذا ثعلب فيظهر طفح جلدي وعلامة حسنة، واذا قرد فسيفلح، واذا قط فسعادة واذا انسان فسيحصل على ثروات طائلة، واذا ميت فسياخذ شخص اخر كل مايملكه.

* حلم إذا حلم انسان بان بوله الموجه بقضيبه يبلل الجدار فسيكون له اولاد واذا بلل الجدار والشارع فسيكون له أولاد واذا الشوارع كثيرة فستسرق أمواله وتوزع بين المواطنين، واذا غسل يديه ببوله فسيلتهمون اموال اولاده، واذا تمسح بعد ان تبلل ببوله فسيمرض، واذا سجد لبوله فان ابنا من صلبه سيصبح ملكا، واذا قذف ببوله الى اعلى فان الابن الذي يلده سيصبح نبيلاً اما هو فستقصر ايامه، واذا تبول في جدول ماء فلن تزدهر غلته، واذا في بئر فسيفقد جميع امواله، واذا في حقل

مسقى فسيغرق المطر غلته ، واذا بال على صورة اله فلن يستعيد شيئاً مما كان قد فقده ، واذا ترك بوله يجري وهو جالس فسيغمره الحزن ، واذا تبول على ذاته فانه سينسى كل ما يكون قد قاله ، واذا شرب بول امراته فسيحيا هذا الرجل في رخاء كبير .

* اذا حلم رجل بانه يتلقى ختما مؤشرا فانه سيقع في الفقر ، اذا كان غنيا واذا حلم بان له اجنحة ويطير فصحبته ليس ثابت ، واذا كان فقيرا فسيبارحه شقاؤه واذا كان غنيا فسيبارحه رخاؤه ، واذا حلم بان له اجنحة وهو يندفع ويحلق فانه سيغنى اذا كان فقيراً وسيفقر اذا كان غنيا وسيحرر اذا كان سجينا وسيبرأ اذا كان مريضاً .

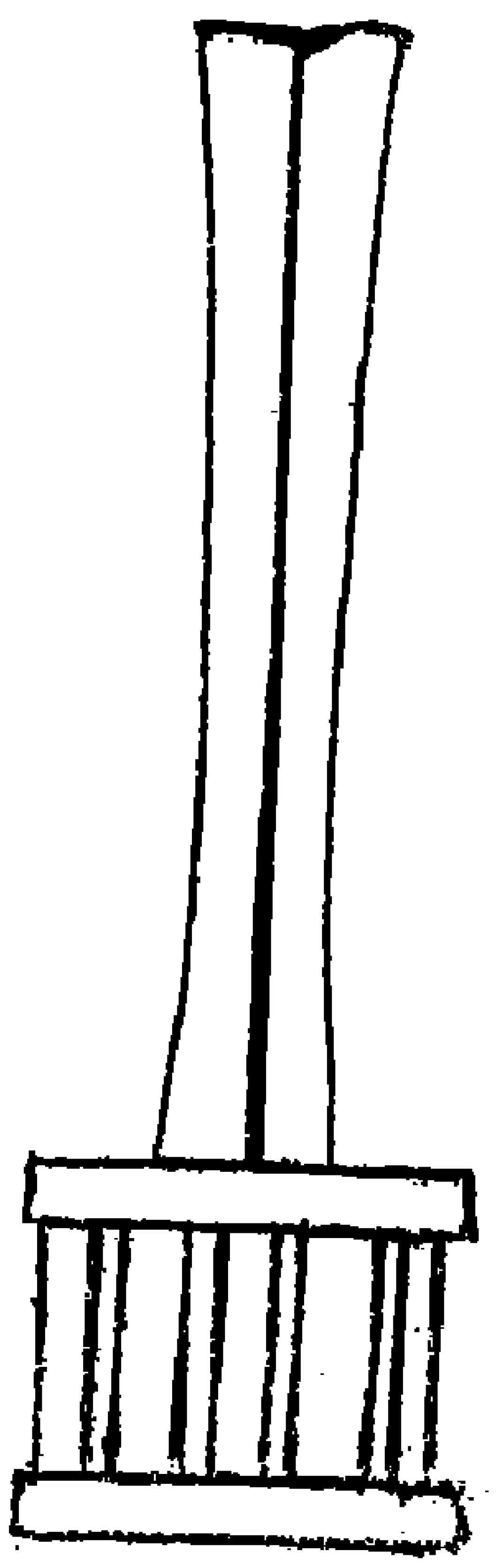

رمز الإله نبو (القرن التاسع ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

٥. ألواح الأمثال

كانت نصوص الأمثال السومرية ثم البابلية والآشورية جزءاً من نصوص الحكمة لأنها نشأت من خلاصات تجارب الحياة ومشاهداتها ، وقد ذهبت هذه الأمثال في العالم القديم منتشرة كنصوص مهمة من نصوص الحكمة .

ولعل أبرز شخصية في العراق القديم اعتنت بالأمثال والحكم هو (أحيقار الحكيم) الذي كان مستشاراً في بلاط سنجاريب وأسرحدون . وقد ذكر أحيقار في سفر طوبيا وفي نصوص عبرية وسريانية وأرمنية

وقف الاله نبو شامخا قويا وتقدم اليه الكاهن الخامس الماخ فسلم اليه الواح الامثال والحكمة فقرأ .

* لا تسيء الى احد عندئذٍ لن يدخل قلبك الأسى .

* لا تفعل شرا فلن يتملكك الحزن عندئذ .

* من تحبل دون نكاح مثل التي تسمن دون أكل .

وعربية .

وقد مارس أحيقار نشاطه في مصر واكرمه فرعون مصر . وجاء بعده الحكيم اليوناني (أوزبوس) بمائة سنة فأخذ عنه الحكمة والأمثال والتي أثرت مباشرة في شخصية شبه أسطورية من العصر الجاهلي وهي شخصية لقمان الحكيم . ويحتمل أن يكون لقمان هو الشخصية العربية لشخصية أحيقار .

المرجع : عبودي ، هنري : معجم الحضارات السامية ١٩٨٨ : ٥٠، ٠٧٤٦

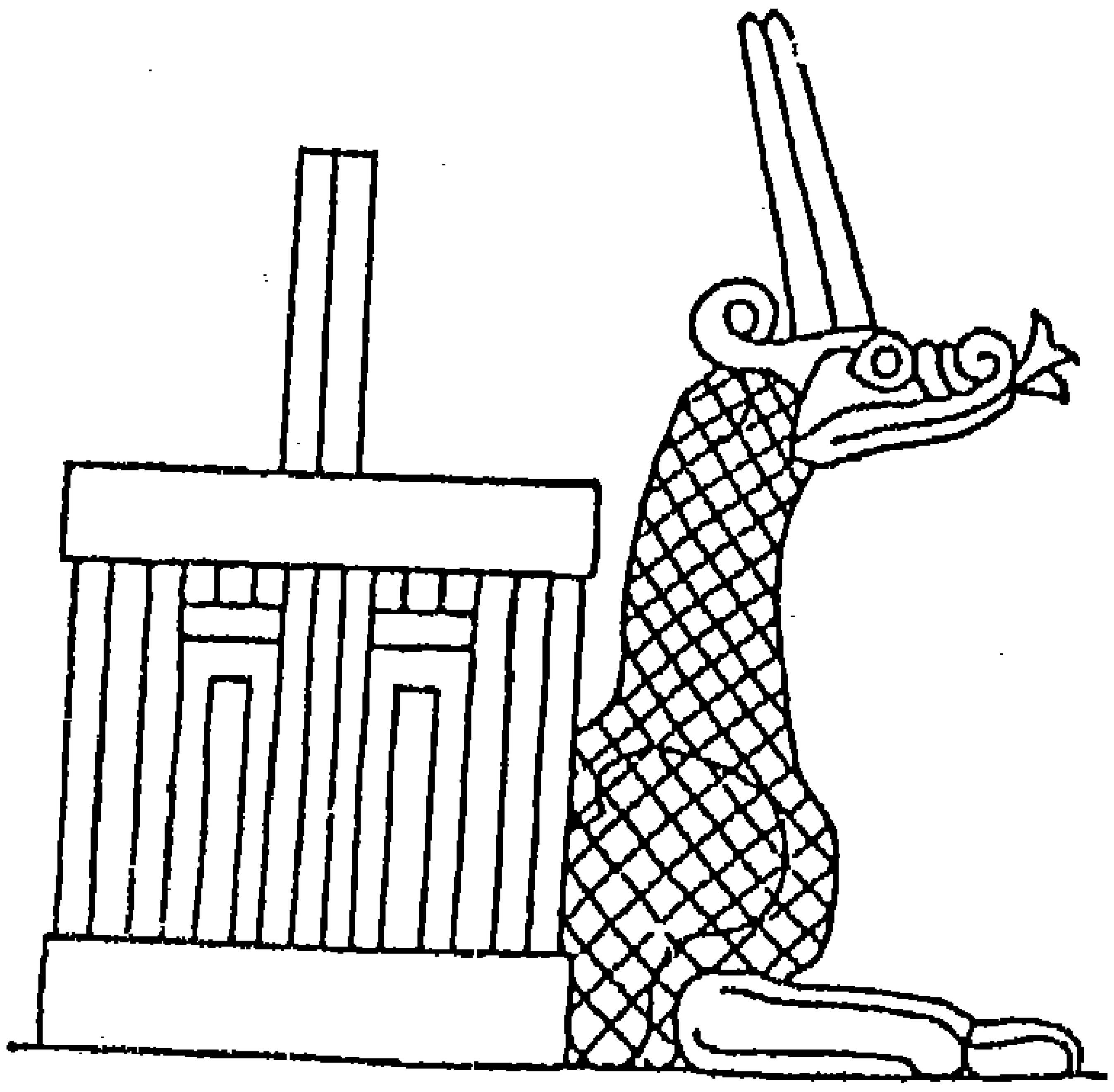

رمز الإله (القرن الثمن ق .م)
رسم : علي آل تاجر

* النكاح يسهل رضاعة الثدي × حينما أعمل يسلبونني أجرتي وحينما أضاعف العمل لا يمنحونني شيئا .
* الرجل القوي يأكل بأجرته والرجل الضعيف يأكل بأجرة طفله .
* انه محظوظ في كل شئ طالما يلبس حلة جديدة .
* هل تضرب وجه الثور الذي يمشي بالسوط؟ .
* ركبتاي تسيران بي ، قدماي قويتان ، ومع ذلك يتعقبني بالعذاب رجل عديم الادراك .
* ألست حصانا أصيلا مع ذلك انا مسرح مع بغل وعلي ان أجر عربة محملة بالقصب .
* ان الشبح ينصب علي مع اني أسكن بيتا مبنيا من الطابوق والقار .
* ان الحياة نهار مثل البارحة قبل كل يوم .
* لو وضعت في البحر لأنتنت مياهه ولو وضعت في البستان لأفسدت ثمره .
* اذا كانت الساق عرجاء فلن تعطي برعماً ولا ثمرة .
* سيموت حالا ، هكذا دعني أنفق كل ما أملك ستصبح صحته جيدة حالاً ، هكذا يقول (دعني اقتصد) .
* هل تنبت الحنطة الناضجة ؟ كيف

ندري ؟ هل تنبت الحنطة العجفاء ؟ كيف ندري ؟ .

* لن تصد العدو أمام باب المدينة التي عدة حربها ضعيفة .

* يمكنك ان تذهب وتسيطر على حقل عدوك فيأتي العدو ويأخذ حقلك .

* يجب ان لاتلد الأم الطفل الفاسد ويجب ان لا يخلقه إلهه الشخصي .

* مع الثعلب عصا فمن سأضرب ؟ وهو يحمل وثيقة قانونية فماذا اتحدى .

* عند هروبي من الثور الوحشي واجهتني البقرة الوحشية .

* هو صديقه مادام على قيد الحياة وغريمه الأكبر يوم مماته .

* لن يصل الى نتيجة مادامت النسوة يتكلمن مع بعضهن .

* تدخل الذبابة في الفم المفتوح .

* أنت كالبقرة العقيم تبحث عن عجلها الذي لم يولد .

* قال الحصان بعد أن ألقى فارسهُ سأصاب بالهزال إن ظل هذا حملي .

* الكلب يفهم (خذها) ولا يفهم (دعها) .

٦. ألواح الطب

كان الجانبان (الروحي والعلمي) للطب متلازمين في ممارسات الطب العراقي القديم . وكان الآسو بمثابة

وقف الاله نبو شامخا قويا وتقدم اليه الكاهن السادس آسو فسلمه الواح الطب

الطبيب العلمي (السريري) أما الأشيبو فكان يمثل الطبيب الروحي .

وقد ظهرت تخصصات طبية كثيرة تخص امراض الفم والعيون والأمراض الباطنية ، والأمراض الجلدية ، وكان للجراحة نصيبٌ من العلوم الطبية أيضاً .

وكانت صناعة الأدوية والوصفات الطبية مترافقة مع النمو المطرد للطب والجراحة ، وقد شكلت الأعشاب الطبية بالدرجة الأساس عماد الصيدلة ، وكان للأدوية المعدنية والأدوية من المصادر الحيوانية مساهمة واضحة .

وكان الطبيب (الآسو) يرتدي اثناء ممارسته لمهنته ملابس بيضاء تذكرنا بالملابس البيضاء التي يرتديها الأطباء في زمننا هذا .

وكان الأطباء في العصر البابلي والآشوري يقومون بكتابة وصفاتهم الطبية باللغة السومرية لتبقى سرّيةً بينهم ، وهو ما جرى عليه التقليد في الطب الحديث حيث الوصفات تكتب غالباً بالحروف اللاتينية .

المرجع : الماجدي ، خزعل : بخور الآلهة ١٩٩٨،

كان الإله إيا هو الإله الأكبر الذي يرعى الطب . وكان الإلهان مردوخ وآشور يلقبان في المدائح الإلهية بـ (الطبيب) وإذا كان البانثيون الإلهي الطبي السومري قد انحسر في الفترات البابلية والآشورية ،

فإن طاقماً إلهياً طبياً جديداً قدّ حلّ محله ، رغم استمرار بعض الآلهة السومرية بأسمائها مثل الإلهة (ننسينا) التي يعني اسمها بالسومرية (سيدة إيسن) التي كان زوجها (بابيلساج) وابنها إله الشفاء (دامو) ، والجراحة .

* لوح الصرع اذا كان عنق المريض ملتويا على الدوام نحو اليسار واذا كانت اطراف العليا والسفلى ممتدة واذا كانت عيونه شاخصة نحو السماء وواسعة الانفتاح واذا سال اللعاب من فمه واذا كان يشخر واذا فقد وعيه واذا في الهاية رفس ، فهي نوبة مرض شديدة ويد آثم .

* لوح حصاة المثانة اذا لثلاثة أيام كانت عنده حصاة في المثانة فعلى الشخص أن يشرب الجعة فحصاته ستفلت واذا شرب الماء بدلا من الجعة فسيذهب الى مصيره الحتمي .

* لوح اليرقان اذا كان الجسد المريض اصفر ووجهه اصفر مسودا وسطح لسانه اسود ، فانه آخازو ولمثل هذا المرض لا ينبغي لآسو عمل شئ لان هذا الشخص ميت لا محالة ولا يمكن شفاؤه .

* لوح احتباس البول ، اطحن نذور الحشائش بالجعة واجعل المريض يشربها ، ثم اطحن المرّ وامزجه بالزيت ، ثم انفخه في احليلة بانبوبة من البرونز واعطه شقارا مطحونا مع الجعة .

* لوح تضييق الرئتين ، خذ اجزاء من كلوة الخروف كيساً من التمر وخمسة عشر كيساً من زيت شجر التنوب وخمسة عشر كيساً من زيت شجر

لكنها كانت توصف منذ العصر البابلي القديم بـ (الطبيبة الكبيرة لذوي الرؤوس السود) إشارة الى الشعب السومري .

لكن الإلهة البابلية الحق التي مثلت الطب كانت (گولا) التي يعني اسمها بالسومرية (الكبيرة والتي عادلت في مرتبتها الإلهة نتسينا) في مطلع العصر البابلي القديم .

وكان رمزها الكلب الذي كان يعتبر لعقه للجروح نوعاً من التطبيب لما يحتويه لعابه من مضادات جرثومية ومطهرة . ، وقد مثل هذا الرمز في ١٢٠٠ ق .م على صورة كلب جاثٍ يحمل دكةً تحمل إمرأة محجبة .

أما في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد فقد أصبح الكلب المجنح القافز هو رمزها ، وفي العصر الآشوري صار الكلب المجنح بوجهٍ بشري رمزاً لها .

الصنوبر وخمسة عشر كيساً من القار وثلاثة عشر كيساً من الاوبوبانكس وعشرة اكياس من راتنج الجلبينة وسبعة اكياس من الخردل ، وكيسين من الذراح . واسحق هذه العقاقير في هاون واخلطها مع الدهن والتمر واسكب الخليط على جلدة غزال واطوها ثم ضعها على المنطقة المؤلمة واتركها ثلاثة ايام ، وخلال ذلك على المريض ان يشرب الجعة الحلوة ويتناول الطعام الساخن جدا وان يمكث في مكان دافئ وفي اليوم الرابع تزال الكمادة .

*** لوح العدوى إذا مرض أحد بمرض يشبه مرضاً شاع بين الناس فيجب اصدار أوامر صارمة بعدم الشرب في الكاس الذي يشرب فيه ولا يجب ان يجلس احد على المقعد الذي يجلس عليه او ينام في السرير الذي ينام فيه ، ويجب منعه من استقبال عدد كبير من الناس في بيته لأن مرضه معد او ماسك .**

*** لوح الكشف اذا تقدمت من المريض فلا تقترب منه لكي يشفيه مالم يقم اولا بالرقية ، افركه بخليط العطور والبخور خشية العدوى ثم اسأل السرير والكرسي ومائدة الطعام واسأل وانت تقدم قدحا واسأل الشاعل اسأل المشعل واسأل المنفاخ اسأل اللوح والقلم واسأل الدجاج**

اسأل حيوانات البر اسأل قنوات السقي اسأل الابار اسأل شروق الشمس وغروبها واسأل الهة السماء ومزارات الارض .

* لوح الاحتمال اذا كانت له الشهية وهو لا يستطيع الاكل ، او اذا كان سعاله شديدا فان مرضه من صنع الانسان اذا كان احد مصابا في رقبته فانها يد أدد ، اذا كان مصابا في الرقبة والصدر يؤلمه فانها يد عشتار ام القلادات والحلى ، اذا كان في صدغيه وآذته رقبته فانها يد الشيطان .

* لوح الطرد ليزال شر الرأس الذي في جسد الانسان كالقذى الذي يذريه الريح فلا يعد بعد الى موضعه ، ليكن مطروداً باسم السماء واسم الارض . . ليكن مطرودا .

* لوح كولا اذا شرب الانسان شرابا قويا جدا فقد رأسه ونسي كلامه وغدا كلامه مضطربا وطاش فكره وجحظت عيناه فلتخلط العقاقير بالزيت والخمر قرب الالهة كولا مساءً وليأخذ الوصفة في الصباح قبل شروق الشمس فسيشفى .

* لدودة اذا دخلت الدودة السن وقالت اريد ان امتص الدم من السن ومن اللثة اريد ان امتص الجذور يدخل الكاهن الابرة في السن ويمسك بقدم الدودة

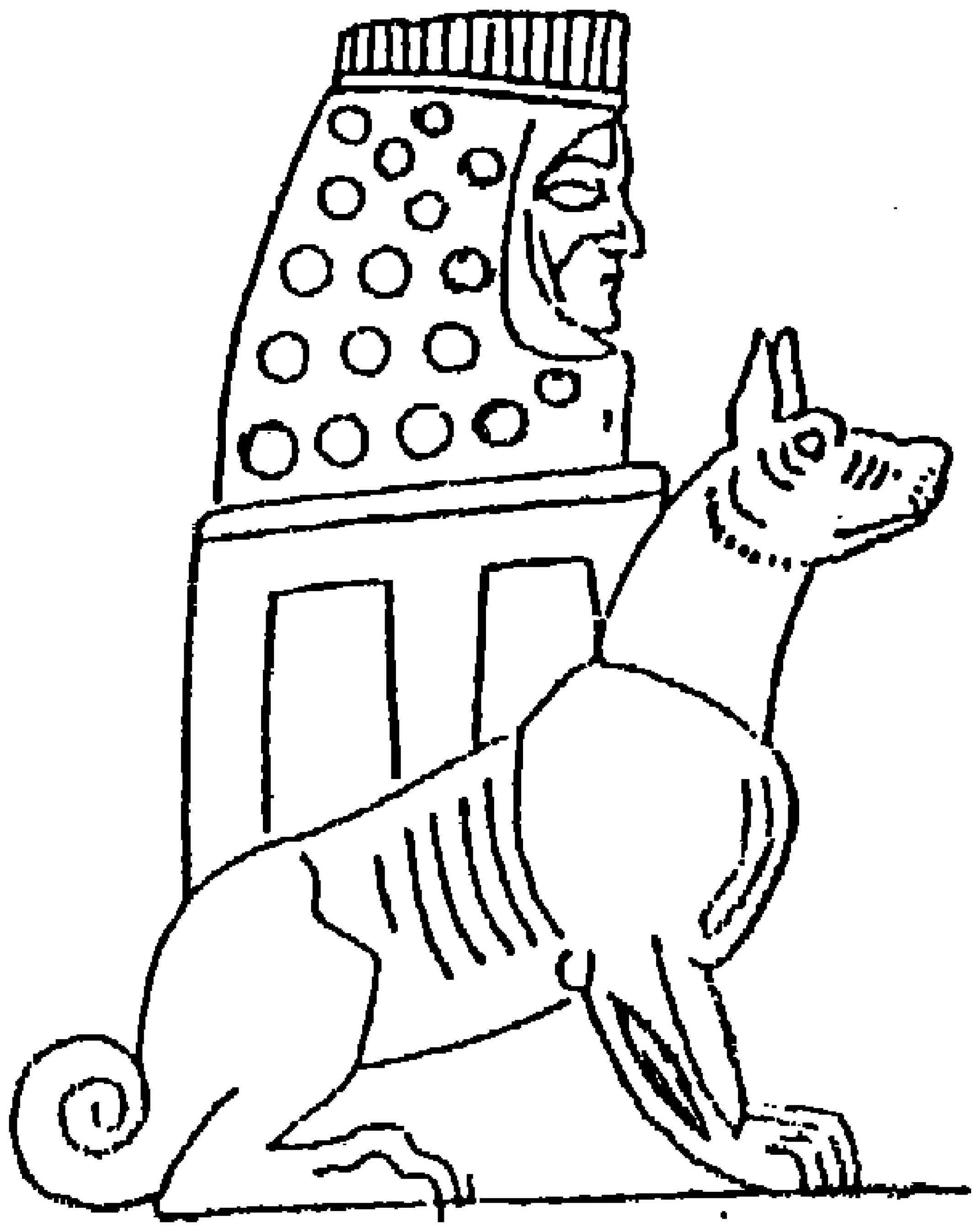

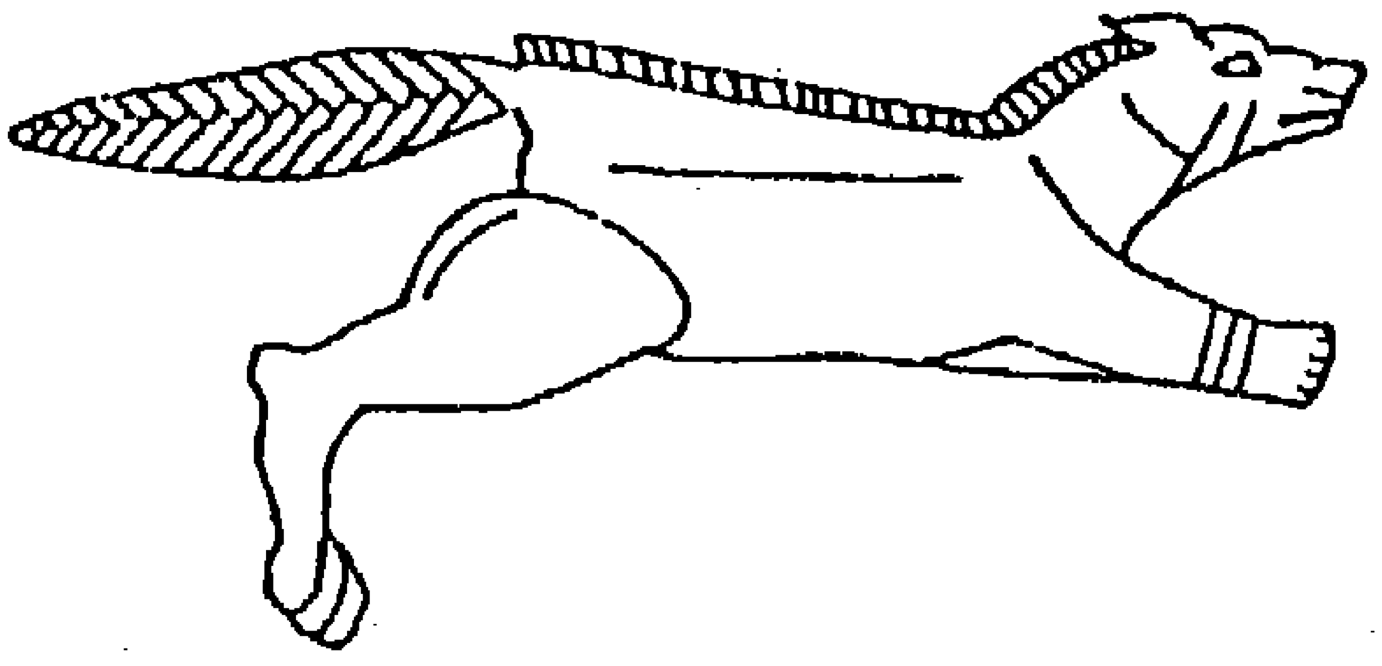

رمزا الهة الطب كولا
في ١٢٠٠ ق .م ، وفي نهاية الألف الثاني ق .م
رسم : علي محمد آل تاجر

ويتلفظ بهذه الكلمات وهو يرفع الدودة (لانك قلت ذلك ايتـــهـــا الدودة فليقاصصك ايا بيده القديرتين) ، ثم يخلط شيئا من الجعة والزيت ويتلو عليها الرقية ثلاث مرات وتوضع على السن .

* لوح عشتار اذا كانت يد عشتار تلعب به بمرض حاد فلأجل إنقاذه يؤخذ من زرع الرجل او مما يأتي من دورة المرأة ومن ثمر البحر وفأر السم المكسو بشجر ونهاية اذن كلب أسود وشعر بغل أسود وشعر ذنب كلب أسود ، ويغلف الكل في جزة معزة باكر بيضاء سوداء وتوضع في حلقة فإنه يشفى .

* لوح الاذن اذا تألم شخص ما في اذنيه ، فخذ ماء الرمان ومن ماء الجاوشير وبلل به قمعاً تدخله في أذنيه افعل ذلك مدة ثلاثة ايام ثم ارفع الجراحة من داخل الاذنين ونظفهما بعناية في اليوم الرابع ، اما اذا لم تزل الجراحة الا قطرة قطرة فاسحق من حجر الشب وانفخ المسحوق بواسطة قصبة داخل الاذنين .

٧. ألواح الفلك والموسيقى

تلازمت منذ العصر السومري علوم الرياضيات والفلك والموسيقى ، وأصبح النظام الستيني الرياضي السومري أساس هذه العلوم .

وقف الاله نبو شامخا قويا وتقدم اليه الكاهن السابع شيشكالو فسلمه الواح المعرفة في الرياضة والفلك والموسيقى .

وتطور الفلك والتنجيم في بابل كما تطورت فنون وآلات الموسيقى .

وظهرت الأبراج الاثنا عشر وكانت في بداية ظهورها حاجة فلكية لضبط المناخ ومواسم الزراعة ، الاّ أنها صارت بعد ذلك مصدراً للتنجيم ومعرفة المستقبل .

وهناك ما يشير الى أن الموسيقى استُعملت كعلاج نفسي .

أما التنجيم فقد صار الوجه الشعبي والسحري لعلم الفلك الذي كان يقوم على الرصد العلمي والنظام الرياضي الصارم .

موسيقيون من نينوى

فقرأ في الرياضة ان الدائرة تقسم الى ثلاثمائة وستين درجة (كيش) ويكون الانسان هو الدائر السفلي في كيشار ويمثله العدد (١) ، اما آنو ففي الدائرة العليا في انشار ويمثله العدد (٦٠) وللاله انليل (٥٠) ولأي (٤٠) ولسين (٣٠) ولشمش (٢٠) ولعشتار (١٥) . وان وحدة قياس الطول هي ننذا ووحدة قياس السطح هي سار ، ووحدة قياس القوة هي قا ، ووحدة قياس الزمن هي مين ، ووحدة قياس الوزن هي الشيقل . وسلمه نبو اصول الحساب البسيط والمركب والهندسة الحديدية . وقرأ في الفلك نظام الوقت والشهور والابراج والكواكب وتعاليم المراصد والساعة المائية والساعة الشمسية وقرأ في الموسيقى نظام القيثارة والات النفخ والطبل . فاشفاه برقيته وارجعه بقوته وازدهت بابل بسحرها وآشور بقوتها وحكم البلاد ادد نيراي ابن الملكة المعظمة سمير أميس الملك الوكيل الرفيع الذي تعلو أفكاره والذي جعله الإله مثل النبات للحياة ولشعب آشور ففي سنة حكمه الخامسة عندما تربع على العرش الملكي بقوة استنفرت البلاد بجيوش بلاد آشور الكثيرة ، واعطيت الأوامر بالتقدم الى بلشتو عبر الفرات في فيضانه ، الملوك المعادن المنتشرون

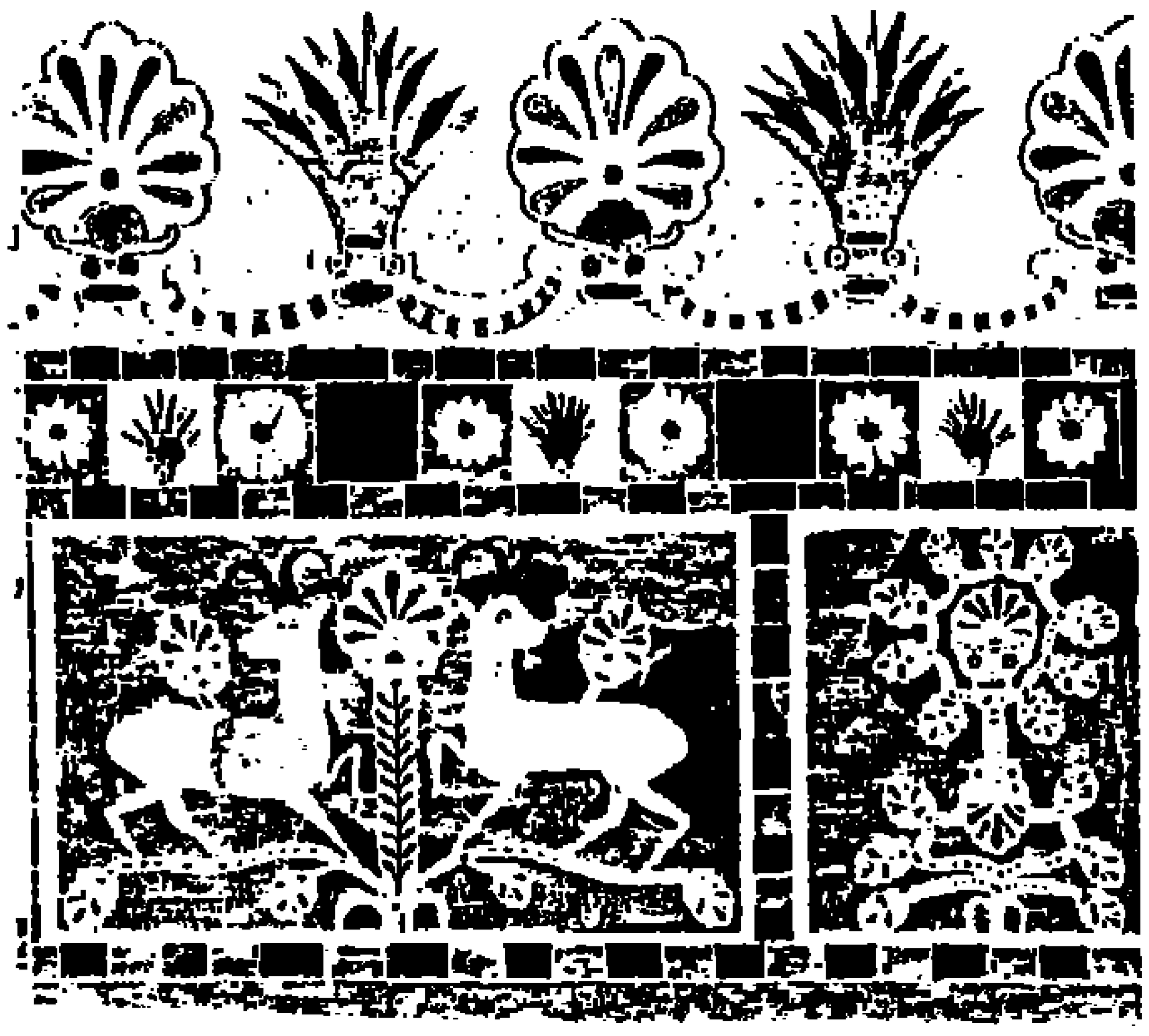

الذين ثاروا في زمن ابيــه وأمــسكوا بحـزامهم وبحزم الالهة . فقد جلبهم الى بلاد آشـور ثم زحف على ارام وحـاصـر ماري في عاصـمتها دمشق واخذ الجزية وصنع له تمثالا واجبـر المدين والفـرس على الاستسـلام لقدمـه واصـبح ملوك الكالدو اتبـاعـا له وخلف اربعـة ابناء ضعـفاء حكمـوا من بعـده هم شلمنصـر الرابع واشور دان الثالث واشور بزاري . وفي بابل حكمت السـلالة التـاسـعـة واولهم نبـوناصـر ونبونادن ونبـو شـمـوكين الثاني .

حفلة موسيقية (كالح ـ نمرود ـ) .

آشور الثانية

في آشور بدات المملكة الاشورية الثانية مع الملك تجلاثبلازر الثالث الابن الرابع لادد نيراري الثالث ، وفيه بزغت شمس اشـور ثانيـة على العـالم ومـلأت الدنيـا

يعـتـبـر سـرجـون الثـاني (٧٢٢-٧٠٥) ق .م مـؤسس السلالة السرجونية العظيمة التي انتهت بآشور باينبال وظهرت خلالها قوة الآشوريين في أعظم أطوارها . ويعتبر سرجون الآشوري من أكثر الملوك الآشوريين

اهتماماً بالإعمار إضافة إلى إهتماماته العسكرية ، فقد شيّد في شمال شرقي نينوى قصراً في دور شاروكين (خورسباد) أهمل بعد موته ، وعثر فيه على الآثار الأشورية الرئيسية .

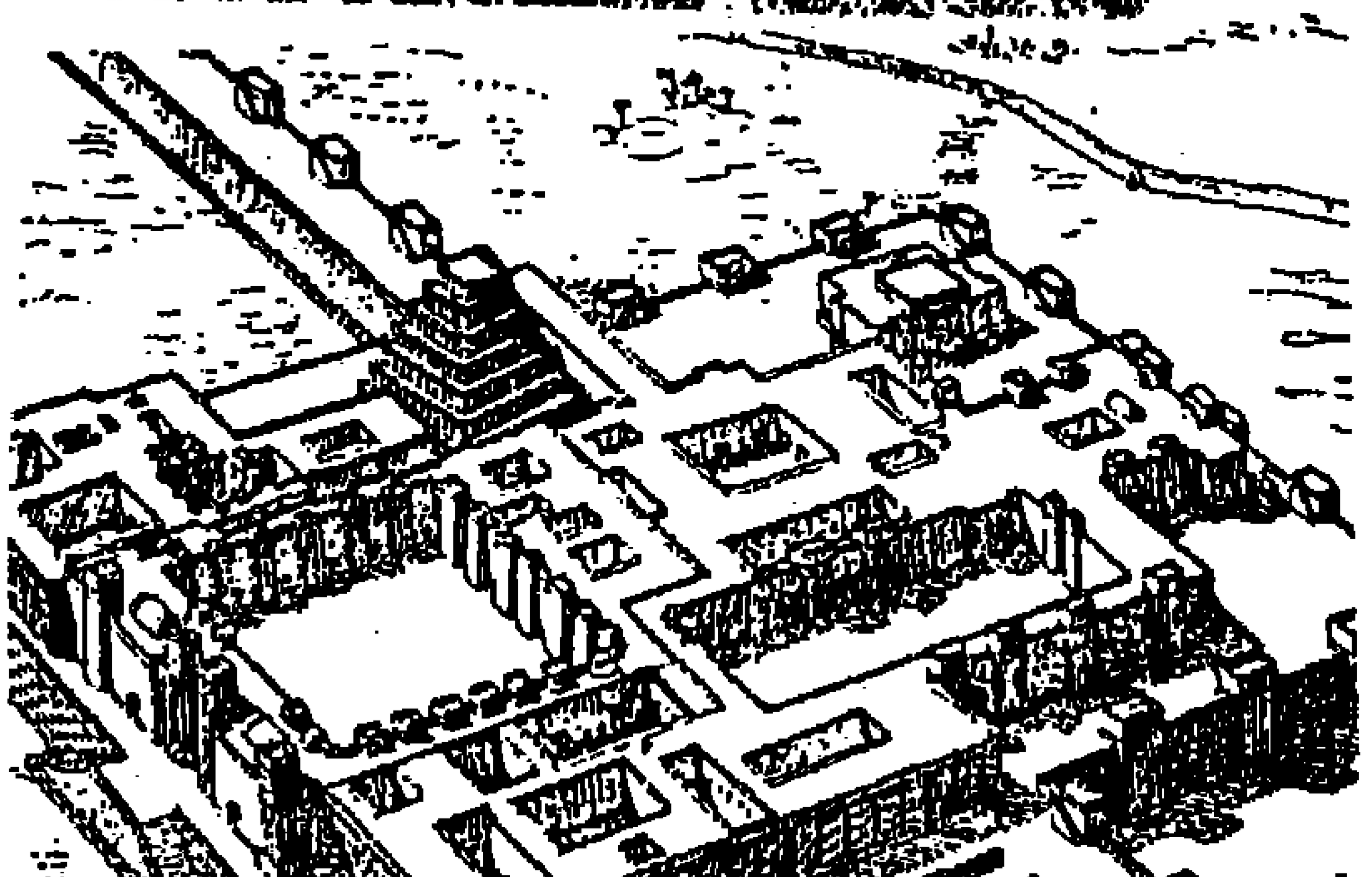

قصر سرجون في دور شاروكين

رهبة وقوة اتى بعده ابنه شلمنصر الخامس ، ثم سرجون الآشوري المعظم ، منه ظهر اعظم ملوك اشور . وفي زمن سرجون كانت بابل قد استقلت بحكمها فارجعها وأرجع حماة وجرد حملة على عيلام وكركمش وقوئي وموسكي وكانت اسرائيل قد ثارت في عصر سلفه فأزالها من الوجود وأسر أهلها وأسكنهم في بلاد ماري ، وأسكن بلاد اسرائيل بعض سكان بلاد بابل وأسس عاصمة دور شاروكين وسورها بسور ضخم وزين مداخلها بثيران مجنحة وبرؤوس بشرية على انها الملاك الحارس لها وحكم هو قرنا من الزمان . وجاء ابنه سنحاريب الذي ضرب عصيان يهودا وزحف الى مصر ولم يدخلها وقمع ثورة عيلام ودمر بابل بعد ان ثار فيها مردوخ بلادان دك حصونها وقصورها وخربها وسلط عليها ماء الفرات وأقسم ان بابل لن تقوم لها قائمة طول سبعين عاما . ثم عين ابنه اسرحدون واليا عليها . وجعل نينوى عاصمة له وعمرها وسورها ووضع الثيران المجنحة على ابوابها ، واصبح اسرحدون ملكا بعده الذي اعاد بناء بابل وقمع ثورة صبرا وجلبت سكانها الى بلاد اشور . واعطيت اراضيهم الى اهل صور وتصالح مع اقوام الحميرو واستطاع فتح

مصر وعين ملوكا جدداً على أقاليمها ولكنها ثارت عليه فجهز جيشا لإعادة فتحها ولكنه مات في حران قبل ان يصل اليها .

الملك أسرحدون

آشور بانيبال

يعتبر آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦) ق .م أعظم الملوك الآشوريين ، وقد فضّل على أخيه البكر (شمش شوم اوكين) الذي ستنسج حوله أو حول ابن آشور بانيبال أسطورة السردنبال ، ورغم ان أسم السردنبال هو تصحيف يوناني لآشور بانيبال ولكنه في حقيقة الأمر روى قصة أخيه أو إبنه المثيرة .

وقد جعل آشور بانيبال أمته الآشورية (فوق الجميع) حسب تعبيره . وامتدت سلطته من مصر السفلى الى عيلام وغرب آسيا الصغرى وأوصل الأمبراطورية إلى أوج مجدها .

جاء بعده ولده آشوربانيبال العظيم الذي اعاد فتح مصر . وانشق اخوه في بابل شمش شموكين واستقل بها فحاربه اشوربانيبال ثلاثة اعوام ولما ادرك شموكين قرب مصيره دخل مع عائلته وحاشيته الى قصره ، واحرقه فعين الملك قندلابو عليها . هكذا حكم في بابل السلالة العاشرة التي أولها نبو موكن زيري ثم فول ثم اولولو ثم مردوخ بلادان الثاني ثم سرجون الاشوري ثم

ولكن توسعه الامبراطوري العجيب هذا كان سيفاً ذا حدين فقد كان من المرهق إدارة امبراطورية عظيمة كهذه ولذلك انفصلت مصر في آخر أيام حكمه ، وتزايدت قوة الميديين وقوة الاسكيثيين ، ونشبت فتن داخليــة . . فكانت هذه إشــارات انهــيــار هذه الأمبراطورية الكبيرة .

ولعلّ أهم ما تركه لنا آشور بانيبال مكتبته العظيمة التي احتوت على وثائق حكمه وحكم أسلافه وألواح الأدب والأساطير البابلية التي اعيد استنساخها .

رسم جداري على قصر آشوري
(تل بارسيب)

سنحــاريب الاشــوري ثم مــردوخ زاكــر شـومي الثـاني ثم مـردوخ بلادان ثم بيل ايتي ثم اشــور نادن شــومــري ثم نرحــال اوشرب ثم موشزب مردوخ ثم سنحــاريب الملك ثم اسـرحــدون الملك ثم شــمش شـــمـــوكين ثم قندلانو . ثم حــــارب اشوربانيبال قبائل العرلاب ثم بلاد عيلام التي دمرت الى الابد ونهبت عاصمتها سوسة وكان اشوربانيبـال يحب الكتب والالواح وقصص الحرب والكهانة فجمع مكتبة الواح كبيرة ذيل على الواحها (انا اشـوربانيبـال ملك العـالم المتوكل على اشـــور وبعلبت والذي اعـــاره نبـــو اذنا صــاغــيــة والــذي ليس بين الملوك من اسلافه من استطاع ان يتعلم حكمة الاله نبــو التي دونت على الالواح ، انا الذي دونتها على الالواح ووضعتها في قصري وكل من ياخــذها من مكانهـــا او يزيل ماعليها من كتابة او يضع اسـمـه بمحل اسمي عسى ان تلعنه الالهة وتستــاصل ذريتــه من على وجــه الارض) امــسك بانيبال بقبضته على بلاد ميديا فأذعن له الشرق والغرب والشمال والجنوب ، لكن اشوربانيبـال أصابه الضعف آخر ايامه فـذهب الى مـعـبـد الاله اشـور وتضـرع اليه :

ـ لماذا ينبــغي أن اقـــاسي آلام المرض

وانحراف المزاج ومرارة الشقاء وسوء الطالع ؟ لقد عمت الاحقاد ارجاء بلادي وعصفت السيئات بعائلتي ومزقتني الفضائح . اثقلتني هموم الفكر ومتاعب الجسم ومضيت اودع اخر ايامي بالانات والحسرات واقضي ليلي ونهاري منتحبا باكيا فالى كم هذا الجفاء يا الهي اشور وحتى متى ابقى كمن عصى طاعة ربه والهته .

ثم ذهب الى معبد الاله أدد وتضرع اليه :

- يا من خلقت البشر بكلمة نطقت بها أسألك ان تمكنني من الدفاع عن نفسي وتمنحني حكمك العادل لأني خادمك وخادم إلهي آشور وإلهتي اشوريتو ، بك أتوسل فقد حلت نذر الشر في قصري وفي بلدي وامتلأ جسمي بالآثام والشرور والخطايا فتقبل رفع يدي واستجب لصلاتي وحررني من قيود السحر التي تكبل جسدي واغفر لي خطاياي ونجني من الشرور التي تهدد حياتي فعسى ان يرحمني اله البشر والاهتهم دعني اسجد لك اعترافا بعظمتك .

بعدها لم يعد اشور بانيبال يتحمل ألامه هذه فمات وخلفه ابنه الاكبر آشور اتيل ايلاني الذي انفصلت في حكمه بلاد اليهود وبابل وفينيقيا وميديا فمات بعد وقت قصير .

ملك آشوري في حفل تقدمات

السردنبال

يمكن اعتبار الصياغة اليونانية لحكاية (شمش شوم اوكين) أخ آشور بانيبال أو (سن شارا اشكن) ابنه ، وقد حولته هذه الصياغة الى ما يشبه الأسطورة وكان السردبنال ينعت بـ (المخنث) لانغماسه في مفاتن الحياة وعزوفه عن الحروب .

وقد كانت ردة فعل هذا الملك على الحروب التي اثقلت جسد الامبراطورية الأشورية عنيفاً ومتطرفاً فقد لجأ دفعة واحدة الى الانغماس الحاد في الملذات وأبعد نفسه كلياً عن الحروب وعن أية نزعة حربية ، بل أنه لم يعبأ بالذين حاصروا مدينته ثم قصره ، وإمعاناً في مذهبه جمع نساءه وخموره وظلّ يتمتع الى آخر لحظة في حياته ، وما أن داهمه الأعداء حتى أحرق الغرفة التي كان يمارس فيها لذاته دون شعور بالهزيمة .

وبهذا المشهد الدرامي سقطت أعظم امبراطوريات الشرق والعالم القديم .

لقد سقطت الامبراطورية الآشورية وهي واقفة على أقدامها بقوة وكان يجب أن يكون سقوطها هذا درساً عظيماً لما بعدها من امبراطوريات ودول ، ولكن التاريخ لا يعلم الاّ الحكماء ، أما الساسة فيتبعون غريزة الحكم الصاعدة فيهم الى أقصى مداها .

خلفه آخوه سن شارا اشكن الذي لقب نفسه اشوربانيبال واسموه ساردنبال ، الذي صد غارات بابل وميديا وتحالف مع الفرعون بسامتيحوس وقبائل الاسكوث ثم تحصن في اشور فهاجمه ملك بابل نبوبلاصر ففشل ثم هاجمه ملك ميديا كيخسار ففتح مدينة اشور ودمرها ثم حاصرت جيوش نبو بلاصر وكيخسار والاسكوث مدينة نينوى وتحصن فيها ساردنبال الذي كان ينغمس في حياة الترف والدعارة وعاش محباً للطرب ، وكالمرأة جمّل وجهه بالمساحيق وغير صورته وكان يحوك وينسج مثل نساء عصره وليس هناك شخص خارج القصر الملكي يعرف هيئته او رأى شكله وقد أمر ان يكتب على قبره هذه العبارة (ان ماملكته هو ما وضعته في معدتي ومباهج الحياة الاخرى التي متعت بها نفسي اما غير ذلك فقد تركته ورائي) لقد عاش حياة ماجنة تحف بها نساء قصره وجواريه تاركا جيشه وشأنه وكان ساردنبال قد نقل عن اجداده رواية تقول بأن نينوى لن تستسلم بقوة السلاح الا اذا انضم نهر دجلة نفسه الى جيش الاعداء وكان يعتقد بان ذلك لن يتحقق ابدا فمضى

يعلل نفسه بهذه الامال ، ولكن امطاراً غزيرة هطلت فأدت الى فيضان دجلة ، فتعرضت المدينة الى الغرق وانهدم جزء من سورها وصحت الرواية القديمة ، فدجلة اعلن حربه على المدينة وانضم للاعداء . وراح ساردنبال يندب حظه ولكنه قرر ان لا يسلم نفسه للاعداء فاقر باعداد محرقة كبيرة في قصره وكدس فيها كل مايملكه من ذهب وفضة وثياب ملكية ووضع محظياته وخصيانه في غرفة احكم غلق ابوابها وجعلها في وسط المحرقة واضرم فيها اتوناً من نار احرقته ومن معه . ولما تسربت هذه الاخبار الى الجيوش المحاصرة انقض جنودها على نينوى من ثلمة السور ، وسقطت نينوى بيد الأعداء ،سقطت في التراب الجوهرة العظيمة وتمرغ ابناؤها في الوحل وانهانت اسوارها وحصونها . دخل الغزاة اليها وفرّ بعض ابناء اشور الى حران وتوجوا اشو اوبالط اخو الملك اشوربانيبال ملكا ، لكن ملك بابل نبوبلاصر محقهم ثم تحالفوا مع جيوش الفرعون (نخو) لكن نبوخذنصر قائد جيش بابل قتل الملك في قرقميش وبعدها سقطت اشور كلها ، وصعد نجم بابل الكلدانية عالياً فورثت ممالك اشور كلها .

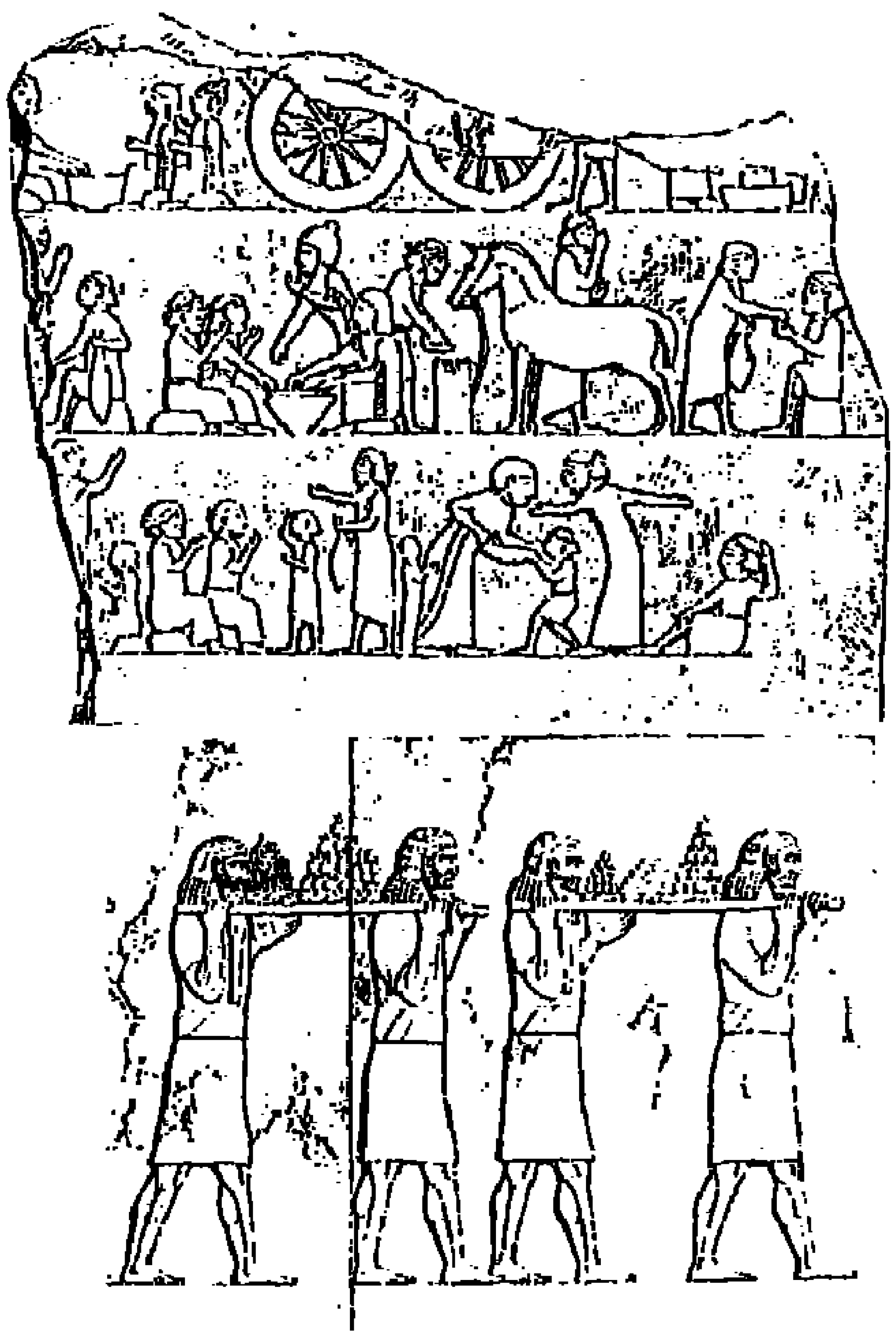

من مناظر التحضير للولائم والحفلات الآشورية

بابل العنقاء

عادت بابل الى الظهور كعاصمة لامبراطورية كبيرة هي الامبراطورية البابلية الجديدة (الكلدانية) التي حكمت الشرق لأكثر من قرن (٦٢٥-٥٣٩) ق م . وسمّى المؤرخون سلالتها الملكية هذه بالسلالة الملكية العاشرة (الكلدانية) .

ويعتبر الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢) ق م أعظم ملوك هذه الامبراطورية ، رغم أن عصره كان عصر فتوحات عسكرية الاّ أنه كان عصراً ذهبياً لبابل وعمرانها . وقد حاصر أورشليم وسبى اليهود مرتين ، مرةً الى مصر حيث نصّب فيها ملكاً تابعاً له هو صدقيا (٥٩٧-٥٨٦) ق م ومرة ثانية الى بابل عام ٥٨٧ ق م بعد أن دحر الجيش المصري ثانيةً .

وكان مجيء اليهود الى بابل حدثاً هاماً في تاريخ اليهود والمنطقة . ففي بابل ، رغم أسرهم ، تنبهوا إلى ضرورة جمع تراثهم الشفوي وخلطه بتراث وادي الرافدين والتراث الكنعاني وسرقة الماضي الروحي العظيم للمنطقة ونسبة لهم ، وقد ظهرت كل هذه الصياغة الجديدة في أسفار العهد القديم قبل السبي ، ثم في كتابة التلمود باللغة البابلية الكلدانية .

وبالطبع فان هناك عدداً من الشخصيات العلمية والدينية البابلية التي أثرت وحفزت على مثل هذا المشروع ، ولا نستبعد أن يكون للملك والكاهن البابلي العظيم نبونائيد (نبوناهيت) دوراً في ذلك .

لقد كان عصر نبوخذ نصر آخر عصور الرافدين القديمة المزدهرة ، وبغيابه بدأ الانحدار نحو الهاوية .. وكانت هذه الهاوية تطلّ على أكثر من ألف سنة من الغياب .

كان ملك بابل الاول نبوبلاصر ثم حكمها ابنه الملك العظيم نبوخذنصر الذي دام حكمه ثماني وخمسين عاما ، فرض سلطانه على دمشق وصور وصيدا واورشليم ودمر عسقلون وحشد جيوشه وقاتل فرعون مصر ولكن يهوياكيم ملك يهودا انقطع عن دفع الجزية ، فحاصر نبوخذنصر اورشليم ومات يهوياكيم وأسر من اليهود ثلاثة الاف ونصب على مملكة يهودا (صدقيا) ولكن فرعون مصر حوفرا حاصر صور وصيدا وأمال صدقيا له ، فخلع ولاءه لنبوخذنصر فحاصر نبوخذنصر اورشليم واستسلمت له وقتل صدقيا ودمرت اورشليم ودكت معالم هيكل سلمان وأسر من اليهود اربعين الفا وكان اغلبهم من الكهنة والعارفين وجاء بهم الى بابل ، ووضعهم داخل سور كبير فاجتمعوا على كتابة اسفار العهد القديم والتوراة والتلمود حيث دام أسرهم سبعين عاما ونهبوا من سفر سومر وسفر بابل وتشبعوا بثقافتها وهناك داخل الاسوار اكتمل دين يهود ، وكادوا كيداً شديدا لنبوخذنصر وبابل وظهر في بابل انبياء يهود ودونوا توراة بابل .

وعاقب نبوخذنصر مدن كنعان وأخضع

قبائل العرب والتفت الى حاضرته بابل فعمرها ، واصبحت في عصره اعظم مدن الارض ، انظر اليها بابل العظيمة باب الاله وهي اري دوع المدينة العامرة واري شار مدينة الكل فيها ثلاثة وخمسون هيكلا لكبار الالهة وخمسة وخمسون هيكلا لمردوخ وثلاثمائة هيكلا لالهة الارض الايكيكي وستمائة هيكلا لالهة السماء الانوناكي ومائة وثمانون مذبحا للالهة عشتار ومائة وثمانون مذبحا للاله نرجال وادد واثناعشر مذبحا لآلهة اخرى ، ولها ثلاثة مجاري مياه وثمانية ابواب وفيها قصر الصيف ومتحفه العظيم وقصر نبوخذنصر اتلكبير مقر سلطانه المطلق ، الذي دك جداره الخارجي بالاجر ووطد اساسه على سطح الماء وجعل ابوابه من خشب الارز المغلف بالنحاس وزينه بالنقوش وكدس فيه الفضة والذهب والاحجار الكريمة واستعمل في سطحه جذوع الارز الضخمة سليلة الجبال الشاهقة وجذوع الصنوبر والسرو وجعل مصارع ابوابه من خشب الابنوس والارز والسرو والشمشاد والعاج المغطى بالفضة والذهب ، ووضع في ابوابه عتبات وجاور النحاس واحاطه بسور كبير وزين صالة العرش بزخارف ولوحات صيد .

العنقاء : تمثال عاجي لأبي الهول العراقي القديم

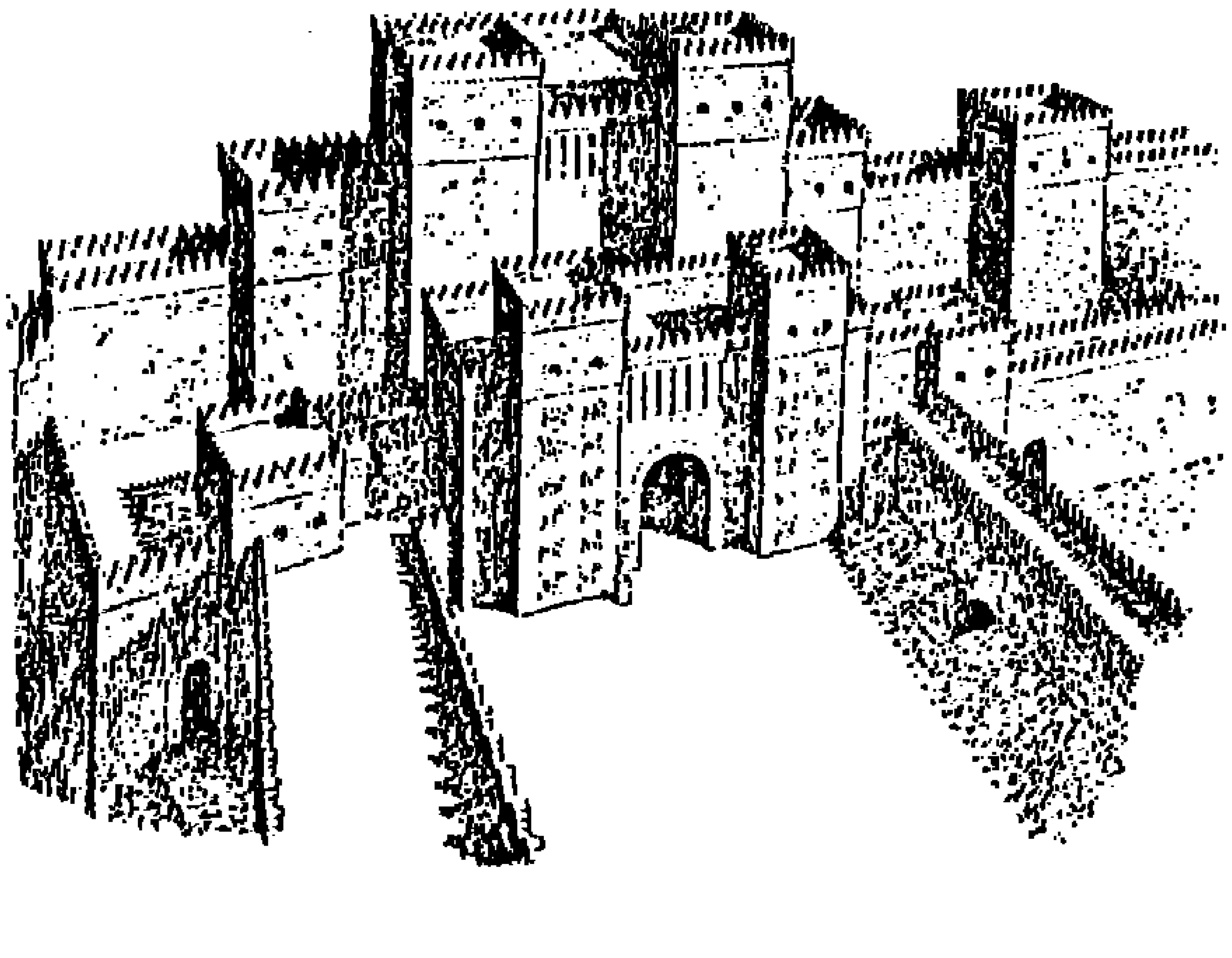

بابل الكلدانية : بوابة عشتار

وفي بابل الجنائن المعلقة ذات الادراج الاربعة التي كان يصعد اليها بدرجات كثيرة وكانت سطوح الادراج مزروعة بأشجار الجبل وكان الماء يرتفع اليها دون ان يرى . وهناك في الاعالي جنة من غابة بناها نبوخذنصر لخطيبته اميتيس التي جاء بها من بلاد ميديا ذات الجبال .

الاكيتو عيد بابل العظيم

كان عيد الأكيتو البابلي أهم الأعياد في العراق القديم ، فهو عيد رأس السنة البابلية (الذي أصبح أساس أعياد رأس السنة حتى يومنا هذا) .
كانت كلمة عيد في اللغة السومرية هي (إيزن Ezen) أي السنة ، وصارت في الأكدية (إيسنّو Isinnu) ، واستعمل الأكديون لفظة (أم ايسنّو Um Isinnu) التي تعني (يوم السنة) أو (يوم العيد) .

في بابل كان اكبر الهياكل هو الايساجيل هيكل مردوخ وكان برج بابل الاتيامانكي شامخا عظيما ، وفي الهيكل والبرج يسكن الاله مردوخ فيهما مسكنه الارضي اما مسكنه السماوي فكوكب المشتري ، وفي الهيكل والبرج توج الاله مردوخ نبوخذنصر ملكا على بابل .

١. اليوم الأول

ورد ذكر عيد الأكيتو في النصوص السومرية بصيغة ezen - a -ki - tum أي عيد الأكيتوم . وتعني كلمة أكيتو حرفياً (تقريب الماء الى الأرض) إي (استنزال المطر) وبذلك يظهر أن جذور هذا العيد كامنة في طقس (الإستسقاء) الذي كان طقساً شائعاً في منطقة سامراء جنوب الخط المطري .

واحتفلوا بذلك في عيد رأس السنة الاكيتو الذي بدا في اليوم الاول من نيسان بقرع أجراس الهياكل .

٢. اليوم الثاني

مارس السومريون هذا العيد في مدينة أور ويأتي ذكر شهر عيد أكيتو كما يلي : (Itu - a - ki- ti-ka)

في اليوم الثاني نهض كبير الكهنة (الششكلو) قبل الفجر بساعة واغتسل

بماء الفرات ، ثم دخل في قدس اقداس هيكل مردوخ مرتديا بدلته الكتان وصلى لمردوخ الاله الجبار (الذي هزم اعداءه الذي شتت شمل الغرباء ومزق شرور الماضي الاله الذي وضع الحلقة في أنف الجبل وجره مثل الثور والذي بسط الارض والذي يحكم الكون من كوكبه ويديره من الايساجيل ، نسألك يا مردوخ ان ترعى شعبك وان ترعى مدينتك باب ايل التي هي عرشك وبورسيبا التي هي تاجك والسماوات الفسيحة التي هي احشاؤك .. لك الاكيتو ونذورك جاهزة مولاي فامح اخطاء العام الماضي وابدأ معنا بخير وبركة) .

ثم فتح الشكلو أبواب المعبد ودخل الكهنة العظام وعزفت الموسيقى ورتل جميع المحتفلين أغاني العلى لمردوخ .

٣. اليوم الثالث

في اليوم الثالث من نيسان تقدم الشكلو ورتل تسابيحه وفتح باب الهيكل ودخل الفنانون الرسامون النحاتون فسلمهم الذهب والاحجار النفيسة ، والأرز والمن من خزائن مردوخ التي في هيكله فاخذوها وجعلوا امكنة لهم في ساحة الهيكل وصنعوا تمثيل من ذهب مرصعين بالأحجار النفيسة الاول يمسك ثعبانا بيده اليسرى ويمد يده

وقد مارس سكان العراق القديم في العصر البابلي القديم هذا العيد في مدن كثيرة وكان يحتفل به مرتين في السنة بطقوس مماثلة تماماً لتلك الطقوس التي كانت تمارس في زمن سلالة أور الثالثة . وكان العيد الربيعي للأكيتو يتضمن احتفالين هما :

١- احتفالات الطعام الخاصة بالإلهين نانا ونسكو (القمر والنار) .

٢- احتفالات خاصة بالإلهة ننگال زوجة الإله القمر .

اليمنى ، والثاني يمسك عقرباً بيده اليمنى ويمسكان قوى الارض السرية ويلبسان ردائين احمرين ويشدان من الخصر بحبل من مسد وينصبان في الهيكل ويكمل الفنانون اعمالهم ويسبحون بحمد مردوخ .

٤. اليوم الرابع

في اليوم الرابع نهض الششكلو قبل الفجر وتلى صلاته لمردوخ ثم فتح ابواب الهيكل وجلس يرقب نجوم الدب الأكبر التي تظهر قبل فجر اليوم الرابع من نيسان ولما ظهرت رتل (يا بنات الاله مردوخ يا حسناوات السماء طلوعكن فأل خير وبركة ليدم مردوخ على عرشه ، وانتن مثل الدود على بطنه ، اليوم عزكن ولتصدح سماء الاكيتو بذكركن وعظمتكن .. ايتها النجوم النقيات العذراوات امسحن ذنوب بابل وباركن عامها الجديد) وفي مساء اليوم الرابع يجتمع الكهنة والناس في الهيكل ويتلو الكاهن الاعظم قصة الخليقة الانيوما ايليش ، ويقوم بعض خصيان المعبد وكهنته بتجسيد الاحداث بالايماء والاشارة والتمثيل وترديد الاغاني والطقوس .. مجدا لمردوخ وانتصاره على تيامت ويزاح الستار عن تاج الاله انو وعرش انليل وتتلى الاسماء الحسنى الخمسون لمردوخ .

أما العيد الخريفي للأكيتو فكان يتضمن أربعة احتفالات هي :

١- احتفالات موكب سفينة إلهة الحب إنانا (سفينة مانورو) .

٢- احتفال البكاء الكثير .

٣- احتفال النواح والتجول في المدينة .

٤- احتفال المشاعل أو عيد المراثي .

٥. اليوم الخامس

كانت ملحمة الخليقة تتلى في العيد مرتين ، وربما كان الغرض من أداء سلسلة الوقائع الطقسية أن تكون تمثيلية درامية يعاد فيها ، لقصد سحري ، أو مثولوجي ، تشخيص الملامح الرئيسية التي تجسدها أسطورة الخلق . وكان هاجس العود الأبدي يتجسد في طقوس هذا الجانب من الاحتفال فقد كانت سلسلة العناصر الدرامية هذه تهدف الى إلغاء الزمن الماضي وإقامة العماد البدئي وتكرار فعل ولادة الكون ، والذي يتم أولاً عن طريق تصوير المشهد الأول من الاحتفالات هيمنة (تيامت) الذي يشير الى إنكفاء الزمن الميطيقي الذي يسبق الخلق ، ويفترض في جميع الأشكال أن تذوب في هاوية مياه البدء (أبسو) كما يصور تتويج ملك كرنفالي وإذلال ملك حقيقي ، وقلب النظام الاجتماعي برمته (بحسب بيروسس : العبيد يصبحون أسياداً ، . . .الخ) . ما من علامة إلاّ وتدل على الفوضى الكونية : تقويض النظام وإزالة الرتب ، الدعارة ، العماء . .

ويمكننا القول أولاً : أننا نشهد (طوفاناً) يقضي على البشرية جمعاء تمهيداً لمقدم نوع بشري جديد يولد للمرة الثانية .

زد على ذلك أن التقليد البابلي المتعلق بالطوفان ، كما احتفظت به اللوحة الحادية عشرة من ملحمة جلجامش ، يذكر أن أتونابشتم قبل أن يمتطي السفينة التي شيدها لكي ينجو من الطوفان ، كان قد أقام عيداً مثل عيد رأس السنة (أكيتو) .

في اليوم الخامس من نيسان لم يحضر الشكلو حتى لايتنجس ويظل طاهرا وتقدم الصلوات لمردوخ ويرش المعبد بالماء المقدس والزيت المقدس ، ثم تقدم شاة وتذبح فيدور عليها العزم ويمسح جسم الشاة بجدران المعبد لامتصاص الشرور ثم يذهب الكاهن المعزم وحامل السيف الذي قطع الرأس بأثقالهم إلى النهر ، ويقذفون رأس وجسم الشاة في الماء ويبقى المعزم والذابح خارج الهيكل حتى تنتهي احتفالات الاكيتو ، ويتقدم الكهنة لمعبد نبو الذي إسمه ازيدا في هيكل مردوخ تحت سرداق (السماء الذهبية) وينتظرون مجيء الاله نبو من معبده الكبير في بورسيبا على مركب يجري في شاطئ قناة بابل . وفي الايساجيل تجري حفلة إذلال الملك فيأتي نبوخذنصر الملك يتقدمه الشكلو ويسجدون أمام تمثال مردوخ فيقوم الشكلو بتلاوة الصلاة الى صربانيت زوجة الاله مردوخ (ايتها الشفيعة ، السامية ، الرفيعة المقام التي لامثيل لها بين الالهات ، المتيمة التي تاخذ جانب الدفاع يا من تخفضين المتكبر وترفعين المتواضع ، يا من تجندلين من لا يرهبك

وسوف نعود لنجد هذا العنصر الطوفاني أحياناً ، مجرد عنصر مائي في تقاليد معينة .

وثانياً : يعاد في بداية كل سنة تمثيل خلق العالم الذي حدث في ذلك الزمان .

وثالثاً : يسهم إنسان مباشرة ولو على نطاق محدود في هذا العمل الكوسموغوني (الصراع بين فريقين من المشخصين يمثلون مردوخ وتيامت ، وهي أسرار يحتفل بها في هذه المناسبة) .

ورابعاً : عيد المصائر الذي هو أيضاً صيغة من صيغ الخلق فيه يتقرر مصير كل شهر وكل يوم .

وخامساً : الزواج المقدس الذي يحقق على نحوٍ حسيّ ولادةً جديدة للعالم والإنسان .

يا من تخلصين الأسير وترفعين من يقع يا من تجددين قدر الملك الذي يخافك يا من تمنحين بابل محاربا يحمي حماها) بعد هذه الصلاة ياخذ الششكلو الشارات الملكية من نبوخذنصر ويضعها امام تمثال مردوخ وزوجته فيبرك نبوخذنصر أمام الإله ويتلو اعتراف السلب (لم اذنب يا سيد البلاد ولم اكن مهملا لواجباتك ، لم ادمر بابل ولم افرض شيئا لازعاجها ، ولم افرض الايساجيل ، ولم انس طقوسه ، لم ادمر بابل ، ولم افرض شيئا لازعاجها ، ولم ازعج الايساجيل ، ولم أنس طقوسه ولم انتف ذقن الشعب بحجة حمايتك ولم اتسبب في إهانتك لقد وضعت بابل بين عيني ولم أجرح أسوارها) يضرب الششكلو وجه نبوخذنصر ويجر اذنه فتجري دموع نبوخذنصر ، ويغتبط مردوخ ولو ان نبوخذنصر لم يبكِ سيهجم العدو على بابل ويهزمها بعدها يعيد الكاهن الاشارات الملكية لنبوخذنصر وفي المساء تعلق الشارات الملكية في السماء ويلبسها نبوخذنصر لقد اختار البعل مردوخ نبوخذنصر ملكا مثلما اختار قبله وسيختار بعده .

٦. اليوم السادس

في اليوم السادس يصل تمثال الاله نبو ابن مردوخ من بورسيبا على مركب يحميه كهنته ويوضع في طريق في بابل التمثالان الذاهبان اللذان يحملان الحية والعقرب وهما يشيران الى نبو . ثم تصل تماثيل الالهة انو وانليل وايا وسين وشمش وادد ونينتورا وزوجاتهم وكذلك عشتار وتوضع في ساحة الهيكل .

٧. اليوم السابع

في اليوم السابع من نيسان يوم اكتمال عاشور الالهة تجري بحضور نبو خذ نصر تشبه أحزان مردوخ يمثلها اشخاص من المعبد : مردوخ تخطفه المردة ويوضع في سجن خلف القضبان . مردوخ يغيب عن الارض ليدخل الجب القبر لتحف به مردة العالم الاسفل .. الحياة في بابل انتكست فتخرج عربة الهية هي عربة مردوخ من ساحة الحفل تجرها الخيول وليس فيها مردوخ .. غاب مردوخ فبابل في فوضى والكون ، غاب البعل المدير النواميس خطفوه وضعوه في جب العالم الاسفل ، وتظهر عربة ملكية يقودها مجنون يرتدي ملابس الملك ، فقد الملك عقله واضطربت نواميس الحكم ، المجنون

إن الجانب المهم والمركزي في هذه الطقوس هو الذي يقوم فيه الملك بالدور الرئيسي ، ويتصل على نحو ما بمعنى الأسطورة عند هذه النقطة ، حيث يأخذ الملك في اليوم الخامس ويُجلسه الكهان أمام تمثال مردوخ ويتركونه وحيداً لكي يزداد رهبةٍ وخوفاً ، ثم يدخل عليه كبير الكهنة ويجردهُ من شارات الملك ويضعها عند قدمي الإله (كالتاج والصولجان والحلقة) . ثم يصفعه الكاهن على خده ويشد له أذنيه ، ويُرغمه على الركوع أمام الإله مردوخ . عندئذ يتلو الملك جملةً من الاعترافات التي يعلن فيها براءته من كل فعل قد يلحق الأذى ببابل ، فيرد عليه الكاهن بمباركة من الإله ويعده بالتوفيق والرخاء ثم ينهض الملك ويتسلم شارات الملك من الكاهن الذي يصفعه ثانيةً على خده صفعةً موجعة ، والغرض من هذا الفعل الغريب استطلاع الفأل فإن نجم عن الصفعة دمع كان الإله

البديل الملكي يضرب خيول العربة بكل الاتجاهات ، ثم في ساحة الهيكل يظهر جمع يلطم ويود لو ان نبو يأتي ليخلص والده ثم جمع نساء يظهر ويتضرع الالهة الوحي من أجل البعل . النساء اللواتي يجتزن الشوارع هن تلك اللواتي يتضرعن الى سن وشمش قائلات (أعد بعل الى الحياة) فيقول لهن رجل (اين هو مسجون) تذهب امرأة الى القبر وتقول (ان التوائم الواقفين على باب الايساجيل هم حراسة وهم مأمورون للقيام بهذه الحراسة) فيقول لها الرجل (بعد ان سجنوه اختفى من عالم الاحياء لقد أودعوه سجناً لاتدخله الشمس ولا يدخله النور) ويقوم الحاضرون بإلباسه لباس الموت ذلك المطروح أرضا اولئك الذين يقتربون منه ليدثروه ويغسلون جراحاته تلك الجراحات التي أثخن بها وهم الذين خضبوا بدمائه . وتركع الالهة الى جانبه فقد جاءت لتخلصه لكن نبو يظهر في ساحة الهيكل ويحطم القضبان ويحمله ويأتي به قرب تمثال مردوخ ، فيطيب جراحه ويتعالى هتاف الجموع ويقطع رأسي التمثالين الذهبيين اللذين يحملان العقرب والحية ويطرحان في الجامر والى هنا تنتهي آلام مردوخ .

راضياً ، وإن لم ينجم عنها دمع كان مردوخ غاضباً ، ونزلت بالناس الكوارث

٨. اليوم الثامن

في اليوم الثامن صباحاً تخرج كل الالهة لتكريم مردوخ وتجتمع في هيكل الاقدار

واضح أن هذا الجانب من الطقس يتصل بموت الإله وانبعاثه الرمزيين يجري تمثيله عند هذه النقطة من

مهرجانات السنة الجديدة ، وله معنى مزدوج فهو ، من ناحية ، يعكس الغرض الزراعي من الطقس إذ يعزّز بالوسائط السحرية نموّ النبات الربيعي . وهو من ناحية ثانية ، قد يدلنا على حقبة قديمة كان فيها قتل الملك وتنصيب خلف له أصغر سناً وأكثر حيوية حدثاً موسمياً .

لتصدر المراسيم بمصائر العام الجديد ، ويقود الملك نبوخذنصر الالهة الى اماكن طقوسها وهي تحمل شارات وتكون أجمل العربات وازهاها بالانتظار ثم تبدأ احتفالات (الأخذ باليد) فيقوم نبوخذنصر ويخاطب الاله مردوخ وزوجته (اخرج ايها السيد فالملك في انتظارك ، انا سيد بابل في انتظارك) فيخرج تمثال مردوخ المتحرك وتخرج صربانيت من الهيكل ، فتنفخ خادمات عشتار بابل بالشبابة فتنطلق في بابل صيحات الفرح ويأخذ نبوخذنصر ويتجه به نحو العربة الالهية التي افتقدته ، فاذا امسك الملك يد البعل وتعثر فستلحق به مصيبة ، واذا تعثر آحد جياد الالهة فقدت البلاد صوابها ، واذا تحطم اي شئ في مركب الاله أقامت الآلهة الارض وأقعدتها وهكذا تنطلق عربة الاله مردوخ وبجنبه الملك نبوخذنصر لتصل الى شارع ايبورشابو ثم تنعطف شرقي سور القصر وتصل الى باب عشتار وتتبع عربتهما عربات الالهة الاخرى ، حتى يصلون الى قناة ارتو وهي تلتقي بالفرات فتنقل تماثيل الآلهة من العربات الى السفن وقرب النهر

حيث تصدح فيه الاغاني والتراتيل (ايها السيد لماذا لاتقيم في بابل ، اليس عرشك منصوب الايساجيل) وبعد ان تودع المراكب وهي تمخر عباب الماء لامعة كالنجوم وتذهب مسافة قليلة تترجل في البيت الصلاة بيت الاكيتو ويترجل معها مردوخ وتبقى هناك .

الأيام التاسع والعاشر والحادي عشر

لقد بينت النصوص البابلية الآشورية الخاصة باحتفالات الأكيتو أن هناك طاقماً كبيراً من الفنيين (المغنين والراقصين والممثلين والمهرجين . . .الخ) من غير الكهنة . . هم الذين يحيون هذه الاحتفالات وهم :

١- الموسيقي (الأسطال) Astalu .

٢- الراقص الديني أو الدرويش (الحُب) huppu .

٣- الغلام (الآسن) Assinnu .

٤- منظم الاحتفال (القابس) Kapistu .

٥- القوّال (الكولو) Kulu'u .

٦- خادم الطقوس الدينية (كورگارّو) Kur garru .

٧- القرقوز (الموبابيلّو) Mubabbilu .

٨- الممثل (الموميلو) Mummelu .

٩- المصارع (المصطابسو) Mustapsu .

١٠- الزمّار (زمّارو) Zammeru .

المراجع :

١- هوك ، س : ديانة بابل وآشور ١٩٨٧ : ١٧٣-١٨٧.

الأيام التاسع والعاشر والحادي عشر تتلى طقوس خلق العالم هناك . في اليوم الحادي عشر تعود الآلهة الى بابل ليلا على ضوء المشاعل فتسلك نفس الطريق وحين يصل مردوخ الى الايساجيل تنشد له المواكب (السلام عليك أيها السيد ، السلام عليك ايها البعل ، لاتترك بابل مدينة فرحك غير مأهولة) ويدخل الاله مردوخ وزوجته الى هيكل الاقدار ويكون الاله نبو هناك كاتب الالهة . ليسجل كلمات الوحي الالهي ويتلو مردوخ مصائر بابل في تلك السنة ، وبعد ذلك يقاد مردوخ الى غرفة نومه في الهيكل ليتزوج هناك الإلهة صربانيت زواجا مقدسا حيث يقدم لها هدايا الزواج وينشد لها اغاني الحب ويضاجعها لتخصب الارض ويزداد عدد الماشية ، كان الملك يدخل غرفة بعد ذلك في

٢- الياد ، مرسيا : أسطورة العود الأبدي ١٩٨٧ : ١٠٨-١١٠.

٣- النعيمي ، راجحة : أعياد رأس السنة البابلية ١٩٩٠ : ١١٢-١٢٦.

البرج ليضاجع الكاهنة العليا.نبوخذنصر يشبه مردوخ والكاهنة تشبه صربانيت وكانت توقد الشموع في المعبد وتعلو اصوات الناس في خارج المعبد .

اليوم الثاني عشر

في اليوم الثاني عشر صباحاً يعود الاله نبو الى بورسيبا ويعود الآلهة الاخرون وتنتهي الاعياد ويبقى مصير بابل في الواح الاله مردوخ وسائرا حتى نهايته . تعظم الاله مردوخ وابنه نبو وتعظم نبوخذنصر الذي عمده مردوخ برحمته وقوته ثماني وخمسين مرةً كان الأكيتو فيها احتفال السماء والارض ، وتلألأت بابل وسط الظلام مثل لؤلؤة تنبض لقد جعل البابليون يذكرونه الى الأبد .

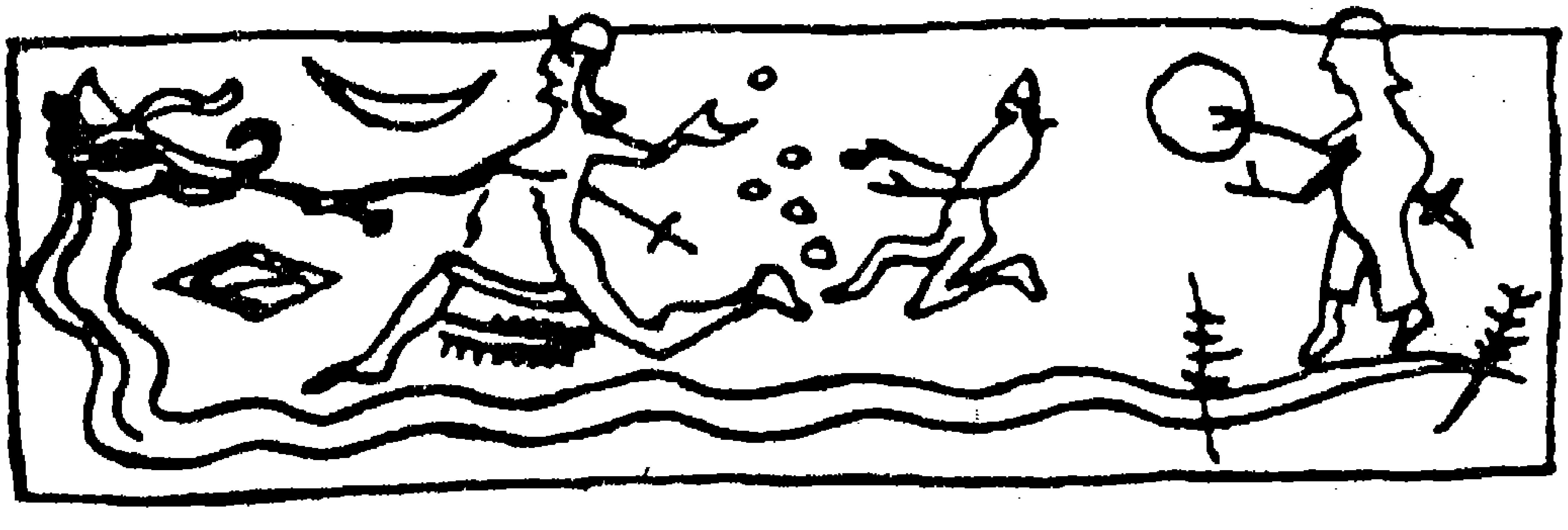

إله يهاجم الأفعى التنين في احتفال رأس السنة
ربما كان مردوخ (أو أدد) في صراع مع تيامت

نبوناهيت نبي بابل

ما زالت البحوث الخاصة بالملك البابلي (نبوناثيد) الذي نرى أن اسمه الصحيح هو (نبو ناهيت) لأنه يجمع بين الإله نبو إله الحكمة البابلي وأناهيت إلهة المياه المقدسة والإلهة الأم في ايران القديمة ورفيقة أهورامزدا .

وتحيطُ بشخصية هذا الملك أحداث غامضة ، وتحفّ دعوته الدينية أسرار مازال الكشفُ عنها صعباً ومعقداً وربما كان الكشف عنها مدعاةً لاعادة النظر كلياً بالديانة اليهودية وأصولها ، فعلى الأرجح أن نبوناهيت لعب دوراً هاماً في اعادة صياغة الديانة العبرية وتحويلها الى الديانة اليهودية المعروفة .

لقد كان نبوناهيت موحداً ، وقد أدرك ببصيرته الثاقبة أن مأزق بابل الحقيقي ليس سياسياً ، وأن العقيدة الدينية لها كانت بحاجة الى ثورة جذرية لكي تجابه نزعات التفريد العبرية من خلال (يهوه) ونزعات الثنوية الزرادشتية من خلال إلهي النور والظلام .

وكان لابد من القيام بثورة توحيدية تنطلقُ من أرض بابل التي كانت مصدر ديانات الشرق الأدنى القديم والعالم كله .

وكان نبوناهيت قد تربى في أحضان عقيدة أمه (أددكبي) النزّاعة نحو التوحيد من خلال تفريدها للإله (سين) واعتباره أعظم الآلهة وأعلاهم .

أما هو فقد قرر ، على ما يبدو ، نهائياً الإطاحة بجميع آلهة بابل وإعلن الإله سين إلهاً واحداً للعالم كله .

ولا نملك أدلةً كافية ومفصلة على تفاصيل دعوته

يوم مات الملك نبوخذنصر جاء بعده اميل مردوخ الذي حكم عامين ثم قتل بعد مؤامرة ، وحكم بعده قائد بابلي من عامة الناس تزوج باحدى بنات نبوخذنصر اسمه نرجال شاروصر الذي عمّر بابل وجرد حملة على كليكية وجاء بعده ابنه لباش مردوخ الذي كان طفلا صغيرا فقتلوه بعد شهرين ونصبوا الملك العظيم نبوناهيت الذي اسمه الاله نبو رفع الملك وهو نبونيدس المعظم وهو ابن احد النبلاء وامه كاهنة العليا للاله سين في حران .. ابوه الذي ربما نبوخذنصر نفسه وتزوج امه سرا .. نبوناهيت ذو الحكمة ، النبي الاخير لبابل واخر ملوكها العظام ، امه العظيمة ادد كبي التي اسمها نيتوكرمي وريثة سميراميس في عظمتها التي اشبعت ابنها حبا وعبادة للاله سين في حران فلما توج ملكا وهو بعمر الستين عاماً تذكر نبوناهيت طويلاً ورأى ان بابل واقعة لامحالة فانبياء اليهود في بابل ينشرون دعوتهم في يهوه وانبياء فارس واعلاهم زارا ينشرون دهوتهم في اله النور وإله الظلام وبابل بين يهود فارس تعلي شأن الالهة ومردوخ البعل ، بابل التي امتلأت

هذه ، ولكن شذرات منها ومن سيرته تدل على هذا .
لقد شعر نبوناهيت أن الإله مردوخ لم يعد صالحاً لتقديم عقيدة دينية جديدة ولذلك رفض المشاركة في احتفالات رأس السنة البابلية لعدم ايمانه بمردوخ .
وكان كهنة بابل المحافظون ينظرون الى عقيدته وتصرفاته بريبة وخوف ، ولذلك دبّروا فاجعة هائلة يوم تآمروا مع اليهود داخل بابل والفرس خارجها للإطاحة بنبوناهيت وحكمه والتخلص من الدين الجديد الذي كان يبشر به في حران ويثرب وخيبر وتيماء وددان . . .الخ .
وهكذا أعدّوا هاويةً لعقيدة نبوناهيت التوحيدية وقد حسبوا أنها ستكون له فقط ولدعاته ، ولكن الهاوية ابتلعت بابل كلها بل وابتلعت أمجاد وادي الرافدين والعراق القديم بأكملها . ولم ينهض هذا البلد الاّ بعد أكثر من ألف عام من هذه الفاجعة .
وذهبت أوهام كهنة مردوخ سدىً إذ أن الفاتح الاخميني كورش ومن تلاه قدّموا شكلياً الولاء لمردوخ في بداية احتلالهم ، ثم فرضوا عبادة أهورامزدا إله فارس الجديد الذي كان يمضي باتجاه التوحيد .
وهكذا فلتت عن بابل أعظم فرصة تاريخية كان يمكن أن تقوم بها وهي فرصة دعوة التوحيد التي تقوم على أسس لا هوتيةٍ راسخة .
وتلقف هذه الفرصة أنبياء يهود وفارس في صيغ مربكةٍ للتوحيد ، فهي بين أن تكون صيغاً تفريدية أو غارقة في أشباح التعددية القديمة .
وإمعاناً في موت بابل وازاحتها من مركز التاريخ أصبح تشويه تراثها ونصوصها بل ونهب هذا التراث بالاصنام . انبياء يهود وفارس يرشقونها بالكلام . فتفكر نبوناهيت بروح بابل واراد ان يجعلها موحدة لتملأ آفاق السنين القادمة عظمة وقوة ولكي لا يحاصرها اليهود والفرس . نبوناهيت الذي ارتقى بإلهه سين الى مرتبة الاله الواحد الاحد ، اعلى سين الاله الاعظم وأعاد بناء معبد الهلهول في حران ، وتنحى ايساجيل مردوخ وشمخ هلهول سين المعظم فدخل اليه نبوناهيت وقرأ ماكتبته امه على لوح كبير (أنا أدد كبي نصيرة الاله سين وننجال وصدرنونا ، انهم الهتي وانا معهم ، لقد كنت الوذ بهم دائما مهد طفولتي فانا التي حين غضب الاله سين ملك الآلهة ، جميع الالهة ، على مدينة حران وذهب صاعدا الى السماء وعم الخوف المدينة وأهلها ذهبت الى المزارات المقدسة للالهة ، انا التي تمسكت بأهداب ثوب الإله سين ملك جميع الآلهة واتخذت من ألوهيته العظيمة ملاذا لي في كل يوم وليلة وانا التي واصلت الولاء والخشوع في كل حياتي الى الالهة سين وشمش وعشتار وادد في السماء وفي العالم الاسفل ، لقد حمدت لهم على كل ماوهبوني من ملكٍ ثمين في كل يوم وليلة لأشهر وسنينٍ ، كنت ممسكة بأهداب ثوب الإله

والنصوص من مهمة الفاتحين الجدد حيث عمد الفرس واليهود على نهب ما استطاعوا من هذا التراث ، وطمر بابل وشتمها والدعاء عليها بالفناء (انظر أسفار العهد القديم) . وكلّ ذلك لأن بابل تشكّل ضميراً خفياً وعقدة ذنب لكل من مسّها أو أخذ منها سطراً أو كلمةً .

وسيجود الزمن ذات يوم بالعظماء من الباحثين الذين سيكشفون سرّ بابل في أواخر أيامها . . . وسرّ عقيدتها التي اغتيلت وهي في مهدها .

سين ملك جميع الالهة ، وكانت عيناي تتطلعان اليه كل يوم وليلة ولما ركعت أمامه خاشعة متضرعة قلت له (اذا عدت الى مدينتك سيخضع لك كل ذوي الرؤوس السود) وكنت حريصة على ان لايغضب الهي الشخصي والهتي فلم ادع جسدي ينعم بكساء الصوف الناعم او الحلي الذهبية والفضية او الثياب الجديدة او العطر والزيت الزكي الرائحة ، انما ارتديت خرقة بالية وتركت بيتي والصمت يخيم عليه وكنت اتضرع للالهة في حين لم يغب عن ذهني التسبيح لالهي الشخصي والهتي اذ اديت لهما كل الخدمات ولم ابخل بكل ماهو نفيس . لقد ولدت في السنة العشرين من حكم اشوربانيبال ، ملك بلاد اشور ومنذ ولادتي وحتى السنة الثانية والأربعين من حكمه والثالثة من حكم اشور بطل ايلاني والحادية والعشرين من حكم نبوبلاسر والثالثة والأربعين من حكم نبوخذنصر والثانية من حكم اويل مردوخ والرابعة من حكم نرجلسار طيلة هذه الاعوام الخمسة والتسعين كنت اتردد على المعبد القدسي العظيم للاله سين ، ملك جميع الالهة في السماء وفي العالم الاسفل ، وكان يعطف على كل اعمالي الورعة

الصادقة ويصغي الى صلواتي ويتقبل نذوري . وأخيرا هدأ قلبه الغاضب ونظر الى نبوناهيت ولدي الوحيد للملوكية وائتمنه على حكم بلاد سومر واكد وجميع البلدان من حدود مصر على البحر العلوي الى البحر السفلي . وحينئذ رفعت يدي الى الاله سين ملك جميع الالهة وتضرعت اليه بخشوع وايمان وقلت - لانك سميت نبوناهيت ولدي الحبيب الذي انجبته الملوكية ورفعت مركزه فاني اتوسل اليك ان تجعل كل الالهة الاخرى وفقا لاوامرك السامية يقفون الى جانبه ويمكنونه من اعدائه ويباركون ترميم معبد الهلهول واداء الشعائر منه - فوضع الاله سين ملك جميع الالهة يده عليّ في المنام وقال : ستعود الالهة لاجلك واني اثق بابنك نبوناهيت الذي سيرمم معبد الهلهول ، ويجعل حران اكثر بهاء مما كانت عليه من قبل انه سيهيء موكبا مهيبا للالهة سين وننجال وصدرنونا ليعودوا به الى المعبد . وفرحتُ بالكلمات التي قالها لي الاله سين ملك جميع الآلهة ورايتهم يعودون فعلا . اما نبوناهيت ولدي الحبيب الذي انجبته فقد اقام بالفعل كل الشعائر التي كانت مهملة للالهة سين وننجال ونسكو وسادونونا واكمل ترميم معبد الهلهول

وهيأ مركبا مهيبا لهم حين عودتهم من
بابل مدينة الملكية الى حران المقام الذي
يفرحهم ، واما انا التي تعبدت للاله سين
وتمسكت بأهداب ثوبه فقد أعطاني مالم
يعطه احد غيري اذ خصني بالمركز
العظيم والاسم المشهور في البلاد ،
واضاف الى عمري اياما عديدة وسنيناً
من السعادة وحفظ لي الحياة منذ زمن
اشوربانيبال الى السنة التاسعة من حكم
نبوناهيت ملك بابل الابن الذي أنجبته ،
لقد قضيت مائة واربع سنوات سعيدة
بالتقوى التي عمر بها الاله سين ملك
جميع الالهة ، قلبي ، كان بصري قويا
الى اخر عمري وسمعي جيدا ويداي
سليمتان وكذلك قدماي وكانت كلماتي
منتقاة وكل الطعام والشراب ملائمان لي
وصحتي جيدة وبالي مرتاح حتى رأيت
احفادي العظماء وابنائهم ، وانا متمتعة
بوافر الصحة والعمر الطويل ، واني
أتوكل عليك ايها الاله سين بخصوص
ولدي نبوناهيت ملك بابل الذي لم
يرتكب خطيئة بحقك طول حياته ، مثلما
عطفت عليّ ومنحتني العمر المديد
اعطف عليه وخصه بشيدو العطوف و
لماسو الحارس اللذين خصصتني بهما ولا
تغفر له بسهولة آثامه وخطاياه بحق
الوهيتك العظيمة وعساه أن يكون دائما

خاشعا لالوهيتك ، لقد كنت مؤمنة من كل قلبي وأديت ما عليّ خلال السنوات الاحدى والعشرين لحكم نبوبلاسر ملك بابل والسنوات الاربع لحكم نرجليسر ملك بابل وخلال ثماني وستين سنة جعلت نبوباهيت ولدي الذي انجبته يخدم بكل إخلاص كلا من نبوخذنصر ابن نبوبلاصر ونرجليصر ملك بابل ، ويؤدي لهم الواجب في كل يوم وليلة ويعمل كل ما يفرحهم ، فجعل اسمي بذلك عظيما امامهم وجعلوني بمقام ابنتهم . ولهذا كنت أقدم لهم القرابين الجنائزية وانذر لهم البخور الوافر والفاخر على الدوام) .

مسح نبوناهيت دموعه فقد بكى أعظم سيدات بابل تلك التي علمته محبة سين وتعظيمه وتذكر يوم موتها ودفنها لقد دفن جسدها بضريح مستور مع الحلي الذهبية وأوعية الزيت المعطر والاحجار والخرز ونحر الخراف السمينة ودعا ملوك الارض للحداد عليها . وهاهو الهلهول يشمخ ، وبه تسعد ارض بابل كلها .

معابد القمر

نشرت معابد الاله سين في جميع مملكة بابل فغضب كهنة مردوخ البعل وحرضوا على قتل نبوهانيت وطالبوا بموته لأنه اغضب البعل ، وسعى نبوهانيت لطرد

وتأكيداً للعقيدة الدينية الموحدة لنبوناهيت فانه كرّس إبنته (بل شلتي ننّار) لتكون الكاهنة الكبرى للإله سين أو الإله القمر ، وجاء هذا الاسم وهذا التكريس بناءً على رغبة الآلهة (الإله سين السيد الجليل

خالقي ، والآلهة شمش وأدد آلهة العرافين) لتكون ابنته بهذا المركز ويبدو أن دعوة نبوناهيت كانت تستند الى الأصل السومري للإله القمر (ننّار) أو (نانا) .

ولا نعرف على وجه الدقة مدى تأثير وبقاء عقيدته ودعوته في الجزيرة العربية في المستقبل ، الاّ أننا نعرف أن مدينة حرّان التي كانت مكاناً لعبادة الإله القمر ظلت كذلك حتى مجيء المأمون اليها حين لمح عبّادها وسألهم عن دينهم فتحيروا ، ثم قالوا أنهم صابئة حران .

أسدٌ يهاجم ثوراً (الغزو الفارسي)
نقشٌ على قصر من قصور برسيبوليس
عاصمة الامبراطورية الفارسية

الامـانمادا الذين دمـروا حـران ذات يوم وجنّد قواته لمواجهة قبائل ميديا ولكنهم انسحبوا امامه . فشرع نبوهانيت بجنوده الى جميع اثار مملكة سومر واكد التي اندثرت واعادة سلطة معابد اي ـ انا في اوروك ، دعى الناس الى عبـادة الاله الواحـد سين ولكنهم لم يسـمعـوه فانتشرت المجاعة بين البابلين ، واصر على دعوته واراد نشر دينه خارج بابل فنصب ابنه بلشازار وصيـا على بابل وذهب مع بعض جنوده وبعض اليهود الى تيماء في جزيرة العرب فـهزم ملكها ، وصارت تيـماء مركزا له ومنها بدأ دعوته بين العرب فرحل مع اليهود الى مدينة يثرب وأقام قرب خمس واحات . هناك بث دعوته ثم عاد الى تيماء واصيب بمرض جلدي . كـان كـوش ملك الفـرس ذو القـرنين قـد استـولى على عرش مملكة ميديا وفارس فاجتمع له قرنان ونطح بهما ساردیس عاصمة مملكة كروسس وليديا واشور وهدد اطراف بابل فقدم نبوهانيت من تيماء الى اوروك ثم الى اور ، حيث وجد ابنته بعل شالتي ننار وي الكاهنة العليـا لـلاله سين في اور ثم ذهب الى بابل ، حيث وجد ابنه بلشازار الذي كان حاكما قاسيا ضجر منه اهل بابل وكان اليهود يسرحون في بابل يتمنون مجيء

كوريش لينقذهم واسموه المسيح المخلص ذو القرنين . وفي شهر تشريتو عندما هاجم كورش جيش أكد في اوبس على نهر دجلة تمرد سكان اكد ولكن نبوهانيت فتك بهم واريكهم ، وقتل بلشازار ، وفي اليوم الخامس عشر احتلت سبار دون قتال ولاذ نبوهانيت بالفرار ، وفي اليوم السادس عشر دخل كوبارو حاكم تبوم مع جيش كورش بابل بدون معركة ثم القي القبض على نبوهانيت في بابل لدى عودته اليها ، وحتى نهاية الشهر مكث حاملواالدروع الجنود في الإيساجيل وفي شهر اراحسامنو وفي اليوم الثالث منه دخل كورش مدينة بابل فنشرت الاماليد الضخمة امامه وفرض الاحتلال على المدينة ، وارسل كورش أكاذيبه الى سكان بابل واشاع بينهم انه جاء ليحررهم بامر الاله مردوخ والاله نبو ، ثم اتخذ القاب ملوك بابل (الملك العظيم ، ملك العالم ، الملك القوي ، ملك بابل ، ملك سومر واكد ، ملك الجهات الاربع) . لم يكن مجيء كورش عابرا لقد سقطت بابل بعده الى الابد من عقد الزمن ، وقعت جوهرة الزمان في التراب ، سقطت الدرة من تاج الدنيا . . سقطت الكأس التي أسكرت الزمان وضمخ التراب السماء والماء ،

دعامة أحد أبواب القاعة ذات المئة عمود في برسيبوليس

ولف الغبار ورد بابل ولم يعد هناك المعبد والبستان لم يعد النهر ولم يعد المطر . . بدأت بابل بالغرق في بحر النسيان وطويت اشرعتها ، حلّ التراب محل اللازورد وحل الطين محل الصخر واحترقت الاخشاب وسقطت أنصاب الآلهة في الشوارع المهجورة ، سقطت الجهات الاربع في ارض بابل وسقطت سلالة الملوك العظام .

بابل الجريحة

بعد كورش الاخميني الملقب بذي القرنين حكم بابل قمبيز ولده ، ثم جاء داريوس فرفعت بابل راسها وانفصلت عن مملكة الفرس وقام فيها بطل لقب نفسه نبوخذنصر بن نبوهانيت (الثالث) وكان اسمه لندنتو بعل فجمع جيشا من البابليين واستلم عرش بابل لكن داريوس زحف اليه بنفسه وكسر جيش البابليين وقتل بطلها ، وبعد عام نهض بطل اخر اسمه ارخا بن هوليتا ولقب نفسه نبوخذنصر بن نبوهانيت (الرابع) فوجه داريوس ضده احد قواده وقتله . هكذا ظلت بابل تحت هيمنة الفرس حتى اذا ما جاء احشويرش الاول ملك فارس ثارت بابل لاخر مرة وقاد ثورتها بيل شماني وشمش اريبا وقتلوا مرزبان بابل

حاول زعيمان ثائران ، مع مجموعة من الثوار البابليين ، أطلقا على نفسيهما اسم نبوخذ نصر الثالث والرابع استعادة الحكم البابلي في بابل لكنهم فشلوا وأعدموا . . . وظلت سهام الأعداء تضرب بابل .

وكان المكابي اليهودي قد وجه لها آخر الطعنات . . . وسقطت بابل جريحة على مشارف الموت .

الفارسي زوفيروس فتوجه الميكابي اليها بجيش ضخم فدمرها وقتل ثوارها وسلب تمثال مردوخ الذهبي منها وسويت المعابد مع الارض . . سال دم ابنائها وتمرغ الشيخ في الوحل وسبيت المراة سقط الناس مثل الطيور في الشباك وتمزقت استار بابل وناح الطفل والمراة والرجل وانقلبت الارض وفتحت بوابات بابل كلها

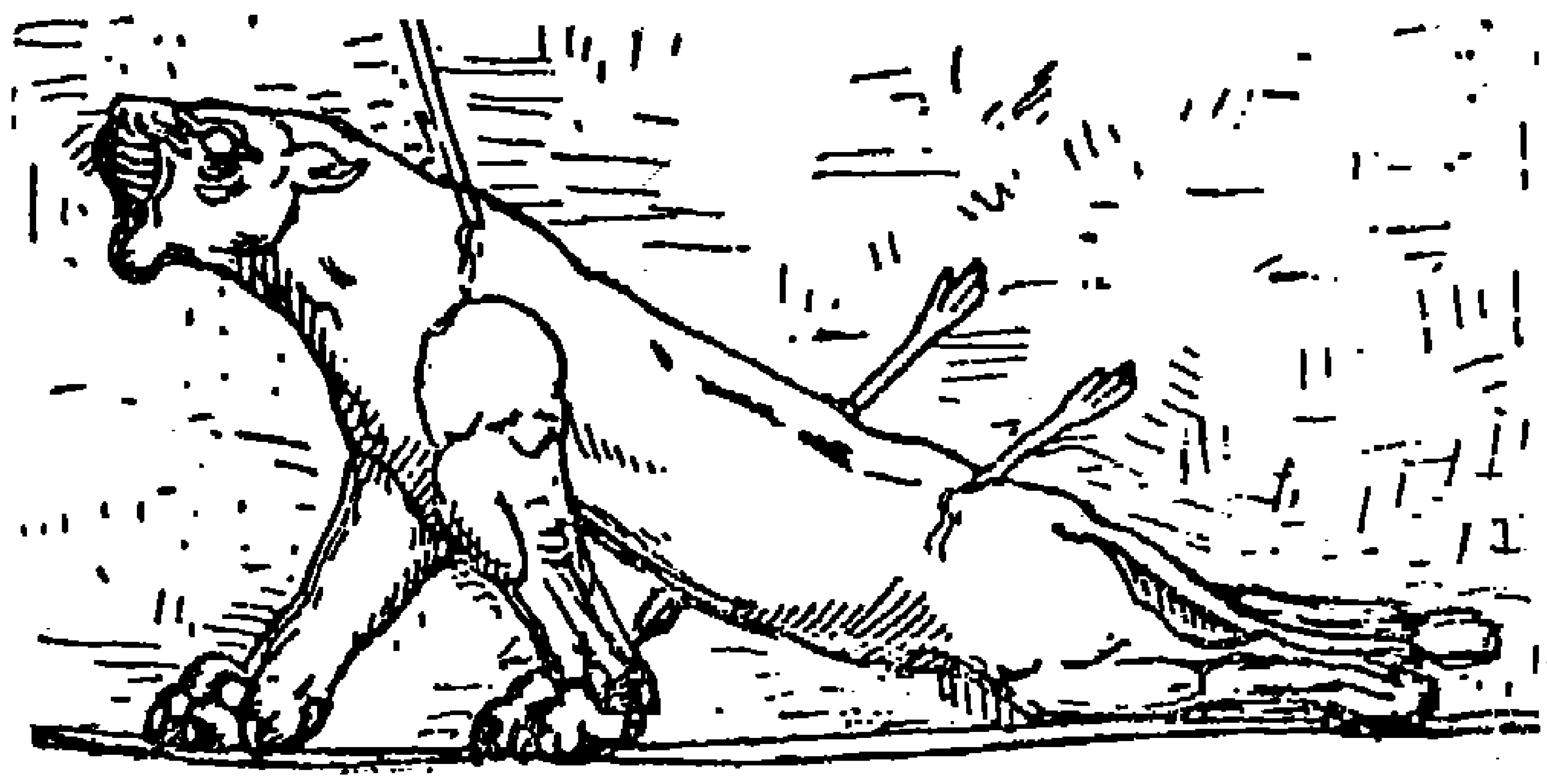

اللبوة الجريحة

الاسكندر وبابل يموتان متعانقين

تبدو حادثة موت الاسكندر المقدوني في بابل وكأنها حادثة أسطورية . إذ ما الذي جذب هذا المغامر الرومانسي الى مواضع النبض الضعيف لقلب العالم القديم . . . وهل جاء لينشط هذا النبض؟

يجمعُ المؤرخون على أن الأسكندر المقدوني كان يحلم بإمبراطورية تضم العالم كله وتكون عاصمتها بابل . . . . لكن الاسكندر جاء متأخراً بقليل وكانت كأس بابل متربة ولا أثر للخمر الكوني فيها . . . . لكنه شرب هذه الكأس فكأن سحراً عجيباً أخفاهما في غيوم الأبدية .

دخل بابل على مر الزمن الميديون والفرس والبدو والاوراطيين ، وتحول عنها طريق التجارة ، واعلن احشويرش عن منع عبادة اية الهة ماعدا اهورامزدا واعلنت الارآمية لغة اولى فضعفت بابل وبدات بنسيان ماضيها وتبدلت سحنة مدن النهرين وخبت واصبحت مثل اشباح الليل ، اما بابل المدينة فكانت ركاما من الحجر تحيطها التلول . وحكم الفرس الاخمينيون ثلاثة قرون بعدها دخل الاسكندر المقدوني ارض النهرين وصعد

في وجدانه اسم بابل العظيم فتوجه اليها وهزم جيش الفرس هناك ودخل بابل مدينة العالم الحزنة ، وذبح هناك قرابين لمردوخ وامر جيشه ان يزيح الاحجار والتراب عن مدينة العالم لتكون عاصمة لمملكته الواسعة فلم يقدروا ، ثم اصابه هو مرض الطاعون فمات في بابل ، لقد جذبت بابل في آخر رعشة لها بطل ابطال ذلك العصر ، الاسكندر ، وضمته الى احضانها . . لقد قبّلت الاسكندر بفمها المحترق الحار فسقط على صدرها وامالت هي راسها جانباً وماتت .

الفهارس

١ . فهرس المراجع

أ. المراجع العربية

ب. المراجع الأجنبية

٢ . فهرس المحتويات

١. فهرس المراجع

المراجع العربية

١ . الأحمد ، د. سامي سعيد : **سمير أميس**. دائرة الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٧ .

٢ . الأحمد ، د. سامي سعيد : **ملحمة كلكامش** . دار الجيل . بيروت ١٩٨٤

٣ . اذزارد ، د. وجماعته **قاموس الآلهة والأساطير** . ترجمة محمد وحيد خياطه مكتبة سومر ـ حلب ـ السليمانية ١٩٨٧ .

٤ . إلياد ، مرسيا : **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** . ترجمة عبد الهادي عباس . دار دمشق . دمشق ١٩٨٦

٥ . إلياد ، مرسيا : **أسطورة العود الأبدي** . ترجمة نهاد خياطه . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق ١٩٨٧ .

٦ . أوفيد : **فن الهوى** . ترجمة ثروت عكاشة ، مراجعة د. مجدي وهبه . دار الشروق . القاهرة (ب . ت)

٧ . باقر ، طه : **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** . الجزء الأول ـ دار البيان . بغداد ، دار الثقافة . بيروت ١٩٧٣ .

٨ . باقر ، طه : **ملحمة جلجامش** . الطبعة الرابعة . منشورات وزارة الثقافة والأعلام . بغداد ١٩٨٠

٩ . باقر ، طه : **مقدمة في تاريخ الأدب العراقي القديم** . جامعة بغداد ١٩٨٦

١٠ . بوتريرو ، جان : **الديانة عند البابليين** . ترجمة د. وليد الجادر . جامعة بغداد . بغداد ١٩٧٠ .

١١ . آل تاجر ، علي محمد : **الرؤية التشكيلية المعاصرة لملحمة الخليقة البابلية** (ررسالة ماجستير) . كلية الفنون الجميلة . جامعة بغداد ١٩٩١ .

١٢ . حداد ، د . حسني ود . سليم مجاعص : **بعل هداد (دراسة في التاريخ الديني السوري)** . دار أمواج دمشق ١٩٩٣ .

١٣ . حنون ، نائل : **عقائد ما بعد الموت** . دائرة الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٦ .

١٤ دبورانت ، ول : **قصة الحضارة** جـ٢ . ترجمة د . زكي نجيب محمود . القاهرة ١٩٤٩ .

١٥ . رشيد ، د . فوزي : خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية . **مجلة آفاق عربية** . العدد ٩ ، السنة ٦ ، أيار . دار آفاق عربية . بغداد ١٩٨١ .

١٦ . سعيد ، خليل : **معالم من حضارة وادي الرافدين** . الدار البيضاء ١٩٨٤

١٧ . السواح ، فراس : **مغامرة العقل الأولى** . ط٦ . سومر للدراسات والنشر والتوزيع . نيقوسيا . قبرص ١٩٨٦ . ط١١ . دار الكلمة ١٩٩٦

١٨ . السواح ، فراس : **لغز عشتار** . دار علاء الدين . دمشق ١٩٩٣

١٩ . السواح ، فراس : **كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش** . سومر للدراسات والنشر . نيقوسيا قبرص ١٩٨٧ .

٢٠ . الشواف ، قاسم : **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) . الكتاب الثاني** قدّم له وأشرف عليه أدونيس . دار الساقي . لندن ١٩٩٧ .

٢١ . الشوك ، علي : **الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة** . دار اللام . لندن ١٩٨٧ .

٢١ . عبودي ، هنري س : **معجم الحضارات السامية** . منشورات جروس برس طرابلس . لبنان ١٩٨٨ .

٢٢ . عقراوي ، ثلماسيان : **المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرفدين** . وزارة الثقافة والفنون . بغداد ١٩٧٨ .

٢٢ . علي ، د. فاضل عبد الواحد : **عشتار ومأساة تموز** . منشورات وزارة الإعلام . بغداد ١٩٧٣ .

٢٣ . علي ، د. فاضل عهبد الواحد : **الطوفان** . جامعة بغداد . بغداد ١٩٧٥ .

٢٤ . فرانكفورت ، هـ وآخرون : **ما قبل الفلسفة** . ترجمة جبرا إبراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٠ .

٢٥ . كريمر ، صموئيل نوح : **أساطير العالم القديم** . ترجمة د. أحمد عبد الحميد يوسف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٧٤ .

٢٦ . كريمر ، صموئيل نوح : **طقوس الجنس المقدس عند السومريين (إنانا ودموزي)** ترجمة نهاد خياطة . العربي للطباعة والنشر التوزيع دمشق ١٩٨٦ .

٢٧ . لابات ، رينيه : **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين(مختارات من النصوص البابلية)** . ترجمة ألبير أبونا ، د. وليد الجادر . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . جامعة بغداد . كلية الآداب قسم الآثار . بغداد ١٩٨٨ .

٢٨ . الماجدي ، خزعل : **بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين)** الدار الأهلية للنشر عمّان ١٩٩٨ .

٢٩ . النعيمي ، راجحة خضر : أعياد رأس السنة البابلية . **مجلة سومر** . جـ١ ، جـ٢ ، المجلد ٤٧ . الدائرة العامة للآثار ، بغداد ١٩٩٠ .

٣٠ . النقاش ، البير فريد وحسني زينة : **أخذة كش (أقدم نص أدبي في العالم)** . لسان المشرق . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . بيروت ١٩٨٩ .

٣١ . هوك ، س. هـ : **ديانة بابل وآشور** . ترجمة نهاد خياطة . العربية للطابعة والنشر والتوزيع دمشق ١٩٧٨ .

٣٢. السوائلي ، فيصل : من أدب العراق القديم . **مجلة سومر** . المجلدات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ . دائرة الآثار العامة بغداد السنوات ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٠

المراجع الأجنبية

1. Biggs, Robert D. : The Babylonian Theodiey, **ANET* 1969 .**

2. Biggs, Robert D. : Ludlul Bel Nemqui, **ANET 1969 .**

3. Bright, Ernest : **The Bible and the Ancient Near East.** ed. Routledge and Kegan Paul. 1961 .

4. Dally, S. : **Myths From Mesopotamia** . Oxford 1989 .

5. Gadd, C. : **Contributions to the Gilgamish Epic. IRAQ** . vol. 38. Noll. 1966 .

6. Grayson, A.K. : Babylonian Theogony,**ANET 1969.**

7. Grayson, A.K : Etana-Addition, **ANET 1969.**

8. Grayson, A.K : Nergal and Ershkigal - Addition. **ANET 1969.**

9. Grayson, A.K : The Myth of Zu. **ANET 1969 .**

10.. Heidel, A : **The Babylonian Gensis** . Phonix Book. Chicago 1963

11. Jacobson, Th. : **Toward The Image of Tammuz and other essays on Mesopotamian his-**

tory and culture. Edited by William L. Moran, Harvard Vniversity Massachausetts, 1970.

12. Jacobson, Th. : **The Sumerian King List**. Chicago 1939.

13. Jeremias, Alfred : **The Old Testament in the light of the Ancient East. Vol.1.** New York 1911.

14. Kramer, S.N : The Adoration of Inanna in Ur. **ANET 1969** .

15. Lambert, S : **The Babylonian Epic of Creation** ed. Oxford. 1923.

16. Lambert, W : **Babylonian Wisdom Literature**. ed. Oxford 1960 .

17. Pfeiffer, Robert H. : **I will Praise the lord of Wisdome. ANET 1969.**

18. Reiener, E : The Eteological Myth of the seven sag- : es. **Orientalia**. No.5.30. 1961.

19. Smith, S : **Babylonian Texts**. ed. London 1924.

20. Speiser, E.A : The Myth of Zu, **ANET 1969.**

21. Speiser, E.A : Decent of Ishtar to the Nether World, **ANET 1969.**

22. Speiser, E.A : Creation of man by the Mother Goddes, **ANET 1969.**

23. Speiser, E.A : Hymn to Ishtar Prayes of Lamentation to Ishtar, **ANET 1969.**

24. Speiser, E.A : Etana, **ANET 1969.**

25. Speiser, E.A : The Epic of Gilgamesh, **ANET 1969.**

26.Speiser, E.A : Nergal and Ereshkigal, **ANET 1969.**

27. Stephens, F.J : Hymn to Shamash, **ANET 1969.**

28. Stephens, F.J : Psalm to Marduk, **ANET 1969.**

29. William, L. Moran, S.J : Letter from aboy to his mother, **ANET 1969.**

* **ANET** = Ancient Near Eastern Texts
Relating to the old Testament
By : James B. Pritchrd
3rd Edition, New Jersey 1969.

المحتويات

مقدّمة ٧

الفصل الأول : نصوص الآلهة

حينما في العلى ١٣
إيا على هيئة أنو مفتوح الأذنين ١٤
الضباب يربط من أنفه ١٦
إيا ينجب مردوخ ١٧
أحد عشر سلاحاً ١٨
الآلهة يتراجعون ٢٠
مردوخ الذي سيفعلها ٢٢
مردوخ ملك الآلهة ٢٣
كلمته الخالقة تمحق ٢٤
مردوخ يصنع أسلحته ٢٦
عراك الكون بين تيامت ومردوخ ٢٧
من جسدها صنع الكون ٢٩
مردوخ ينظّم الطبيعة ٣١
مردوخ الملك ٣٢
ملك الآلهة يقرّر المصائر ٣٤
القوس ولدي ٣٦
أسماؤه الخمسون ٣٧
سبّحوا باسمه ٤٥

آلهة دنّو ٤٦
أبناء مردوخ ٤٧
ترتيلة شمش ٤٩
(زو) يسرق ألواح القدر ٥٢
جيرو وشارا يخافان ٥٤
ننورتا هو البطل ٥٥
(زو) يسحر سهام ننورتا ٥٧
ننورتا يبتر جناحي زو ٥٨
تنين اللابو يصرخ ٥٩
اطاعون إيرا يقوم من الظلام ٦١
إيرا يدمّر بابل ٦٥
كور يخطف إريشكيگال ٦٧
إريشكيگال تنظّم العالم الأسفل ٦٩
نرجال المغرور ٧٤
نرجال يجرّ إريشكيگال من عرشها ٧٦
نرجال يتزوّج إريشكيگال ٧٧
العالم الأسفل يخطف الآلهة ٧٨
مردوخ في العالم الأسفل ٨٠
عشتار تختار تموز زوجاً ٨٢
إريشكيگال تخطف تموز ٨٣
عشتار تقرّر غزو العالم الأسفل ٨٤
إريشكيگال تخاف ٨٥
عشتار الأبواب السبعة ٨٦
عشتار تقتلها الأمراض الستون ٨٨
العالم يدخل في الجدب ٨٩

قامت عشتار من موتها ٩١
حسرة عشتار ٩٢
عشتار سيدة النواميس ٩٢
تكتسحين كل شيء بجبروتك ٩٤
ليرقد قلبك المقدّس المتعالي ٩٧

الفصل الثاني : نصوص الإنسان

فيما مضى كانت الآلهة ١٠٣
الآلهة يثورون على العمل ١٠٤
إيا يرسم خلق الإنسان ١٠٦
في أوزموا خلق الإنسان ١٠٨
من دم كنجو ومن الصلصال ١٠٩
دود السوس في فم الإنسان ١١٢
الإنسان مع الحيوانات يرعى ١١٣
الإنسان يبني الأرض ١١٥
زمن الفردوس الأرضي ١١٦
أُخذة كش ١١٨
أُمي عقيق أحمر ١١٩
سأحيط بكِ كالسياج ١٢١
دبّت الشرور ١٢٣
حبهما من ثقب في الجدار ١٢٦
قرب شجرة التوت ١٢٧
بيرام يطعن نفسه ١٢٨

جميل ننورتا	١٣٠
المقلب الأول	١٣١
المقلب الثاني	١٣٣
المقلب الثالث	١٣٤
تقلّبات السيد والعبد	١٣٥
١ . تقلّبات السلوك	١٣٦
٢ . تقلّبات القيم	١٣٧
٣ . تقلّبات الأموال	١٣٨
٤ . نموت أو لا نموت	١٤٠
حوار ساجل ـ كينامويبب	١٤١
فقدت عقلك يا ساجل	١٤٤
لأمجدنَّ ربَّ الحكمة	١٤٧
من منّا يعرف ما عند الآلهة	١٤٨
أحلام شكّان	١٥٢
الآلام تتبدّد	١٥٣
الملوكية تهبط على أريدو	١٥٤
آدابا يكسر جنح الريح	١٥٥
آدابا يصعد إلى السماء	١٥٧
إنتقال الملوكية	١٥٩
عقاب المرض	١٦٠
موت الأبناء والزوجات	١٦١
صبر أتراحاسس	١٦٦
عبادة نمتار	١٧٠
مشهد أدد	١٧١
عقاب الطوفان	١٧٤

سفينة أتراحاسس ١٧٦
تحوّل البشر إلى طين ١٧٩
بشرى الطير ١٨١
أتراحاسس تحوّل إلى أتونابشتم الخالد ١٨٣

الفصل الثالث : نصوص الملوك

هبطت الملوكية من السماء ثانيةً ١٨٧
النسر والثعبان ١٨٨
إيتانا يصعد إلى السماء ١٩١
هو الذي رأى كل شيء ١٩٤
هو الذي بطش ١٩٦
أورو تخلق أنكيدو ١٩٦
شمخة تروّض أنكيدو ١٩٨
حلم جلجامش ٢٠٠
إنكيدو يعرف الخبز والخمر ٢٠٢
إنكيدو في أوروك ٢٠٤
المغامرة تتحرّك ٢٠٥
باركهما شيوخ أوروك ٢٠٨
باكتهما الآلهة ٢١٠
علام أعطيت ولدي قلباً لا يهدأ ٢١٠
مرض إنكيدو ٢١٣
حلم جلجامش ٢١٥
موت خمبابا ٢١٦

عشتار الغاوية ٢١٨
ماذا فعلتِ بعشّاقكِ؟ ٢١٩
عشتار تنتقم ٢٢١
الثور السماوي يرعب أوروك ٢٢٢
حلم إنكيدو ٢٢٤
دموع إنكيدو ٢٢٦
مرض إنكيدو ٢٢٨
جلجامش يبكي صديقه ٢٣٠
إنكيدو يحذّر ٢٣٣
هل سيكون الموت مصيري ٢٣٦
جلجامش يرحل إلى زمن الطوفان ٢٣٦
١ . قتل الأسود ٢٣٦
٢ . جبل ماشو والرجال العقارب ٢٣٧
٣ . طريق الشمس المظلم ٢٣٨
٤ . غابة الأحجار والمعادن ٢٣٩
٥ . سدوري صاحبة الحانة ٢٤٠
٦ . گلگامش يلتقي أورشنابي ٢٤٢
٧ . خوض البحر ٢٤٤
جلجامش يرحل إلى زمن الخليقة الأول ٢٤٥
١ . في حضر أوتونابشتم ٢٤٥
٢ . قصة الطوفان (الأحزان ما قررته الآلهة على البشر) ٢٤٦
٣ . نوم جلجامش (الزاغفة تفضح نومك) ٢٤٧
٤ . غسل جسد جلجامش ٢٤٨
٥ . عشبة عودة الشيخ إلى صباه ٢٤٩
٦ . الأفعى تفوز بالخلود ٢٥٠

٧ . عودة جلجامش إلى أوروك ٢٥١
ملوك سومر ٢٥١
سرجون أكّد ٢٥٤
نرام سين ذو القرنين ٢٥٦
دعاءٌ على أكّد ٢٥٨
عودة السومريين وأفولهم ٢٥٩
ملوك الأموريين ٢٦٢
حمورابي العظيم ٢٦٤
ملوك الكاشيين ٢٦٨
بابل المبتلاة ٢٦٩
اشور تنهض ٢٧٠
سمير أميس ٢٧٣
ألواح نبو ٢٧٧
١ . ألواح التعاويذ ٢٧٨
٢ . ألواح الفأل ٢٩٠
٣ . ألواح الكبد ٢٩٦
٤ . ألواح الأحلام ٢٩٦
٥ . ألواح الأمثال ٢٩٨
٦ . ألواح الطب ٣٠٠
٧ . ألواح الفلك والموسيقى ٣٠٤
آشور الثانية ٣٠٦
آشور بانيبال ٣٠٨
السردنبال ٣١١
بابل العنقاء ٣١٣
الأكيتو عيد بابل العظيم ٣١٥

نبوناهيت ـ نبي بابل ٣٢٥
معابد القمر ٣٣٠
بابل الجريحة ٣٣٣
الاسكندر وبابل يموتان متعانقين ٣٣٤

الفهارس

١ . فهرس المراجع ٣٣٩
أ . المراجع العربية ٣٣٩
ب . المراجع الأجنبية ٣٤٢
٢ . فهرس المحتويات ٣٤٥

إنجيل بابل

يقدّم لنا هذا الكتاب رحلةً في التاريخ الروحي والثقافي للحضارة البابلية . فقد قام المؤلف بمحاولة لإعادة صياغة تراث بابل في ملحمةٍ واحدةٍ متّصلة من خلال (النصوص) و(الشروح) التي عزّزها بالصور والأشكال والمراجع .

وقد تناولت هذه الملحمة ثلاث محطات كبرى هي :

١ . نصوص الآلهة : حيث أسطورة الخليقة البابلية وأساطير الثيوغونيا البابلية والصراعات التي ظهرت بين العالمين الإلهي العلوي والشيطاني السفلي .

٢ . نصوص الإنسان : حيث بدأت بخلق الإنسان وعصره الذهبي ، ثم عصر الشرور وظهور الحكماء البابليين ، وأتراحاسس الذي قاد الإنسان إلى الخلاص عبر الطوفان .

٣ . نصوص الملوك : حيث هبوط الملكية من السماء وظهور ملوك ما بعد الطوفان الذين حكموا سومر وأكّد وبابل وآشور ، وقصة صراع بابل مع أعدائها وكبواتها ونهوضها وامتلاكها العالم القديم ، ثم ظهور آشور ، ثم نهاية بابل واحتضارها .

هذا الكتاب رحلة في الكنوز الروحية والأدبية والتاريخية لبابل التي أسكرت العالم بكأسها ذات يوم

(الناشر)

الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٩
وفاكس ٤٦٥٧٤٤٥ ● منشورات العام ١٩٩٨ ●
الغلاف: زهير أبو شايب